

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة بئر
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فروع الأدب

١٧٦٩ ٣٠١٠٠

الشواهد الشعرية في كتاب

دلائل الإعجاز

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

اعداد الطالبة
نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر
٢٠٠٣٩٤٢

اشراف
سعادة الاستاذ الدكتور علي محمد حسن العمري



١٤٠٨ هـ - ١٤٠٩ هـ
١٩٨٨ م - ١٤٠٩ م

الفصل العاشر

شواهد القصر والاختصاص

- ٢- إنما ومواقف .
- ٣- ما والـ
- ٤- عود إلى مباهة إنما

١- شواهد إنما ومواقعها :

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول الفرزدق :

(١) أَنَا الذَّائِدُ الْحَاجِبِي الذَّمَّارُ وَلِنَا . (٢) يَدَانِعُ عَنْ أَحْسَائِهِمْ أَنَا أَوْ يَنْبِي (٤)

والشاهد من قصيدة قالها الفرزدق حين استجذبت به نساء قبيطته (بنسي مجاشع) لما بلغهن هجاء جرير لهن ، وكان الفرزدق قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن أتينه ، وقلن له : قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نساءك فلحيت شاعر قوم فأحفظنه ، فغض قيده ، وقال قصيدته :

ومطلعها :

أَلَا اسْتَهْزَأَتْ بِنِّي هَيْدَةٌ أَنْ رَأَتْ . . أَسِيرًا يَدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْجَبَلِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٦ ، شاکر : ٣٢٨ .

(١) رواية المحتسب : " أَنَا الدافع " .

(٢) رواية الديوان والنقائض لهذا الشطر " أَنَا الضَّامُّ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ وَلِنَا " .

(٣) رواية شرح المغضل : " عن أعراضهم " .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢ / ١٥٢ / النقائض : ١ / ١٢٨ ، المحتسب :

٢ / ١٩٥ ، الاقصاب في شرح أدب الكتاب : ١٨ ، المفتاح : ١٢٦ ،

شرح المغضل : ١ / ٩٥ / ٢ ، شرح جبل الزجاجي : ٢ / ١٧ ، الإيضاح :

١ / ٢١٦ ، مغني اللبيب : ١ / ٣٠٩ رقم (٥١٠) ، شرح

شواهد شروح الألفية للمعيني : ١ / ٧٥ ، شرح أبيات الإيضاح :

١ / ١٣٦ شاهد رقم (١١٩) ، شرح التصريح على التوضيح :

١ / ١٠٦ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٧١٨ ، همع الهوامع :

١ / ٦٢ ، الدرر اللوامع : ١ / ٣٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٨٩ ،

شروح الطخيس : " عروس الأفراح " : ٢ / ١٩٤ ، مختصر السعد :

٢ / ٢٠٠ ، مواهب الفتاح : ٢ / ٢٠٠ ، حاشية الدسوقي :

٢ / ٢٠٠ .

وقبل الشاهد :

فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ . فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْيٍ مِنْ شُفْلٍ

وبعد ، الشاهد وبعد :

(١) وَلَوْ ضَاعَ مَا قَالُوا ارْعَيْنَا وَجَدْتَهُمْ . شَحَا حَا عَلَى الْفَالِي مِنَ الْحَسْبِ الْجَزَلِ

استدل به الشيخ على أنَّ " إِنَّمَا " هنا جاءت بمعنى " ما وإلا " في إفادة

القصر، وذلك لصحة انفصال الضمير معها .

والمعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي . قال الشيخ قال أبو علي

الفارسي :

" فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفياً فلو كان المراد به

الإيجاب لم يستقم ، ألا ترى أنك لا تقول : " يدافع أنا ولا يقاتل أَنَّمَا "

وَلِنَّمَا تقول أدافع وأقاتل ، إِلَّا أَنَّ المعنى لَنَّمَا كَانَ : ما يدافع إلا أنا ، فصلت

الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إِلَّا) حملاً على المعنى " (٢)

وكذلك استدل به الشيخ على أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما وإلا) يصلح

فيه (إِنَّمَا) قال :

" أعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبت لك ، فَإِنَّهُمْ لم يعنوا

بذلك أَنَّ المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه ، وأن سبيلهما سبيل

اللفظين يوضعان لمعنى واحد . وفرق بين أن يكون في الشيء معننى

الشيء ، وبين أن يكون الشيء الشيء ، على الإطلاق ، يبين لك أنهما لا يكونان

سواءً أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و (وإلا) يصلح فيه (إِنَّمَا) " (٣)

(١) الديوان : ٢ / ١٥٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٢٢٦ ، شاكر : ٣٢٨ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٢٢٧ ، شاكر : ٣٢٩ .

واستشهد به أيضاً في موضع آخر من نفس الباب على أن المقصور عليه فسي
إنما هو المتأخر دائماً قال :

" وإن قد عرفت أن الاختصاص مع " إلا " يقع في الذي تؤخره من الفاعل
والمفعول ، وكذلك يقع مع " إننا " في المؤخر منهما دون المقدم . . . وكما
لا يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع (إلا) كذلك لا يجوز
مع (إننا) " (١)

فلو أنه قال : " وإننا أدافع عن أحسابهم " صار المعنى أنه يخص المدافع عنه ،
فيزعم بذلك أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم دون غيرها ، لأن قوله : " عن
أحسابهم " يكون متأخراً عن الفاعل المستكن في (أدافع) ، وهذا المعنى لم
يرده الغزدي ، لأن المقام هنا مقام مفاخرة ، وتعداد مآثر ، فيحتاج إلى المبالغة .
قال الشيخ :

" وجلة الأمر أن الواجب أن يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص فيه
للفردق ، وذلك لا يكون إلا بأن يقدم " الأحساب " على ضميره ، وهو
لو قال : " وإننا أدافع عن أحسابهم " ، استكن ضميره في الفعل ، فلم يتصور
تقديم " الأحساب " عليه ، ولم يقع " الأحساب " إلا مؤخراً عن ضمير الفردق ،
وإن تأخرت أنصرف الاختصاص إليها لا محالة " . . . " (٢)

وأشار إلى أن فصل الضمير هنا ليس للضرورة . كما يزعم البعض ، (٣) لأن " أدافع "

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٢-٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاکر : ٣٤٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاکر : ٣٤٣ .

(٣) ذهب سيويه إلى أن الفصل هنا ضرورة ، ولم يلتفت إلى المعنى ، وكذلك

ذهب ابن عصفور إلى أنه بحجة أنه لو كان هذا الموضع موضع فصل

للضمير ، لوجب أن لا يؤتى به متصلاً ، كما لا يجوز ذلك مع إلا فقول العرب :

" إننا أدافع عن أحسابهم " ، وأمثاله دليل على أنه من مواضع الاتصال ،

وأن الانفصال فيه ضرورة .

و " يدافع " واحد في الوزن . (١)

وفي الشاهد قصر آخر عن طريق تعريف الجزأين ، وهو قوله " أَنَا الذَّائِدُ " والغرض منه البالغة أي أنا هو الذَّائِدُ الحقيقي لا غيري لِأَنَّ من كان على وصفي (٢)

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُّ الْقَا . . . طَعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوَّلَانِ (٣)

والشاهد ذكره الشيخ من غير نسبة

وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يدح بها كافور الإخشيدي ، ويذكر فيها الصلح بينه وبين ابن الإخشيدي مولى كافور بعدما جرت بينهما وحشة وقطيعة بأن اتصل قوم من الفلمان بأبن الإخشيدي ، وأغروا صدره عليه ، وكان ابن الإخشيدي صغيراً وكافور وليه والقائم على ملكه ، فطالب كافوراً بتسليم الفلمان فسلموا إليه واصطلاحاً فأنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها :

==== وذهب الزجاجي إلى أنه غير ضرورة ؛ لأن المعنى : " مَا يُدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ إِلَّا أَنَا أَوْ يَتْلِي " .

وجزم ابن مالك أنه يتعين فيه فصل الضمير / انظر :

شرح جمل الزجاجي : ١٧ / ٢ ، هج الهوامع : ١ / ٦٢ .

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) شروح التلخيص : (مواهب الفتاح) : ٢ / ٢٠٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٤ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣٠ .

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٣١ / ٢ ، التثيل والمحاضرة :

٤٦٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٢٠ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الزهرية - :

رقم الشاهد (١٢١) .

حَسَمَ الصُّلْحَ مَا شَتَّهْتَ الْأَعْيَارِي . . وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَّابِ

وقبل الشاهد :

وَأَطَاعَ النَّوِي أَطَاعَكَ وَالطُّبَا . . عَةَ لَيْسَتْ خَلَائِقُ الْأَسَابِ

وبعد الشاهد وبعده :

(١)
لَا عَدَا الشَّرَّ مَنْ بَقِيَ لَكُمَا الشَّرَّ (م) . . وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ

أَنْتُمْ - مَا أَغْتَنَّا - الْجِسْمُ وَالرُّو . . حُ فَلَا أَحْتَجُّنَا إِلَى الْعَوَادِ

الشاهد فيه : أن من مواضع إننا أن تجيء لخبر لا يجبهله المخاطب ، ولا يدفع صحته ، ولأننا يرد تنبيهه لهذا الخبر . قال الشيخ :

* اعلم أن موضوع (إننا) على أن تجيء لخبر لا يجبهله المخاطب ، ولا يدفع

صحته أولنا ينزل هذه المنزلة ، تفسير ذلك أنك تقول للرجل : إننا هم

أخوك ، ولأننا هو صاحبك القديم ، لا تقوله لمن يجبهل ذلك ويدفع صحته ،

ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنك تريد أن تنبيهه للذي يجب عليه من حقيق

الأخ ، وحرمة الصاحب * (٢)

فالمتنبى لم يرد أن يعلم كافوراً ، بأنه والد ، وكذلك كافور لا يحتاج إلى هذا

الإعلام ، ولكن أراد تنبيهه إلى ما يجب عليه من حق الأبوة قال الشيخ :

* لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد ، ولا ذاك ما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،

ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لبيني عليه ما يوجب كونه بمنزلة

الوالد * (٣)

(١) لا عدا : أي لا يجاوز .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٥٤ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣٠ .

(٣) الدلائل نفس الصفحات السابقة .

وأشار الشيخ إلى أنه لا يصح في هذا المقام استعمال " ما وإلا " بدلاً من " إنما " فلا يصح أن يقول : " ما أنت إلا " والد " لأن " ما وإلا " إنما تأتي لأمر يجبهه المخاطب .

والمقام هنا يخالف ماتربي إليه " ما وإلا " (١)

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِّنَ اللَّوِّ (م) . تَجَلَّتْ عَن وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ (٣)

أورد الشيخ البيت (٥) من غير عزو ، وهو لعبيد الله بن قيس

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاکر : ٣٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاکر : ٣٣١ .

(٢) رواية البداية والنهاية : " إن مصعباً شهاباً مِّنَ اللَّوِّ وعليه فلا شاهد في البيت .

(٣) رواية الموشح : " . . . " تجلت عن نوره الظلمات .

(٤) انظر البيت في :

الديوان : ٩١ ، الشعر والشعراء : ٥٣٦ / ١ ، طبقات فحول الشعراء :

٦٤٩ / ٢ ، عيون الأخبار : ١٠٣ / ١ ، الكامل : ١٩٤ / ٢ ، الفاضل : ١١٧ ،

مجالس ثعلب : ١٧ / ١ ، العقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ١٥٥ / ٥ ،

نقد الشعر : ١٨٩ ، الأغاني : ٧٩ / ٥ ، المختار من شعر يشار : ٩٥ ، الموشح :

١٦٩ - ٢٠٠ ، الصنائع : ١١٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٦٤ ، العمدة :

٧٠ / ١ ، المحاسن والمساوي : ٥٠٦ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ ، سبط اللاكسي :

٢٩٤ / ١ ، مختارات ابن الشجري : ١٨٠ / ١ ، محاضرات الأدباء : ٢٣٥ / ١ ،

المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ٢٢١ / ١ ، البداية والنهاية : ٣٢٠ / ٨ ، شرح

أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧٧ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٦٢٣ .

(٥) وللببيت قصة طريفة شاعت في كتب الأدب تتلخص في أن مصعب بن الزبير

أمر بضرب عنق أحد الأسرى فاستعطفه الرجل واستلطفه ، فعفا مصعب عنه

وأمر له بمائة ألف فقال الرجل :

الرقيات^(١) يندح مصعب بن الزبير . (٢)

ومطلع القصيدة :

== بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا
فقال له مصعب : ولم ؟ قال : لقله فيك :
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّوْ (م) . تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
فضحك مصعب وقال : أرى فيك موضعاً للصنيعة ، فأمره بلزومه ،
وأحسن إليه ، فلم يزل معه حتى قتل . / انظر :
عيون الأخبار : ١ / ١٠٣ ، المحاسن والساوي : ٥٠٦ ، محاضرات
الأدباء : ١ / ٢٣٥ .

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب
ابن جحير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب (. . .) - نحو
٨٥ هـ) وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة ، ويكنى عبيد الله
ابن الرقيات بأبي هاشم ، وأبي هشام ، وإِنَّمَا لُقِبَ الرقيات ؛ لأنَّه
شَبَّ بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية ، وقيل لأنَّ جدَّات له
توالين يسمَّين رقية ، جعله ابن سلام في الطبقة السادسة من فحول
الإسلام ، وكان صاحباً لمصعب بن الزبير ، وله فيه أشعار كثيرة . /
انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٤٩ ، ٦٥٥ ، الشعر والشعراء :
١ / ٥٤٦ - ٥٤٧ ، الأغاني : ٥ / ٧٣ - ١٠٠ ، ١٧ / ٢٢١ ، ٢٢٥ ،
سمط اللآلي : ١ / ٢٩٤ ، خزائن البغدادي - دار صادر - :
٣ / ٢٦٥ - ٢٦٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ١٢٧ ، الأعلام :
٤ / ١٩٦ ، ١ / ٢٦٤ ، ٢٩٦ .

(٢) سبقت ترجمته عند الشاهد (السادس والأربعون بعد
المائة) : ٥٧٢ .

أَفْصَرَتْ بَعْدَ عَهْدِ شَمْسٍ كَدَاءٍ^(١) . فَكَدَيْ فَالْزَكْنُ^(٢) فَالْبَطْحَاءُ^(٣) .

وقبل الشاهد :

إِنْ تَعِشْ لَا نَزْلَ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهْ . لِكَ نَزْلٍ مِثْلَ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ

بعده الشاهد وبعده :

مَلَكُهُ مَلِكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ . جَبْرُوتٌ وَلَا يَمِ كِبَرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَظْلَحَ (م) . مَنْ كَانَ هَهُوَ الْاِتِّقَاءُ

استشهد به الشيخ على أن من مواضع " إِنَّمَا " تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل الخبر، ولا يدفع صحته بإثبات أن الخبر معلوم ظاهر، فالشاعر هنا قصر مصعباً على صفة الشهاب قصر موصوف على صفة، فادّعى أن اتصاف بمدوحه بهذه الصفة أمر معلوم، وذلك لينبه، ويبالغ في إثبات هذه الصفة له . قال الشيخ :

" ادّعى في كون المدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع "

على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها

(١) كدأ : كدأ المدودة بأعلى مكة عند المحصب دار النبي صلى الله

عليه وسلم / معجم البلدان : ٤ / ٤٣٩ .

(٢) كدَي : مصغر، طريق لمن خرج من مكة إلى اليمن / معجم البلدان

٤ / ٤٣٩ - ٤٤١ .

(٣) الزُكْنُ : المقصود به الزُكْنُ اليماني . ركن البيت الحرام / معجم

البلدان : ٣ / ٦٤ .

(٤) البطحاء : جمعها بطاح وهي بطحاء مكة يقال لقريش الداخلة

" وهم بنو كعب بن لؤي " البطاح وهم الذين ينزلون الشعب بسين أخشي مكة .

والبطحاء في اللغة : مسيل فيه دقاق الحصى / معجم البلدان :

١ / ٤٤٤ .

المدوحين أنها ثابتة لهم ، وأنهم قد شهبوا بها ، وأنهم لم يُصنفوا
إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد " (١)
" وفي قوله من الله تعظيم للشهاب ، وفيه زيادة تخفيف لشأن مصعب شبهه
في الشدة ، واهتداء الناس به ، وارتفاع محله بكوكب ناقب تجلى عن وجهه الظلام ،
فهو في غاية الإضاءة والإضاءة (٢)
ثم ذكر أنه يصح في هذا الموضع - وهو تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل -
أن تجي ب (ما وإلا) فتقول : " ماصعب إلا شهاب من الله " ؛ لأن الصفة
ليست معلومة على الحقيقة ، وإنما ادّعى الشاعر له ذلك ، إلا أن المعنى على ذلك
يخرج عن حد المبالغة ، قال الشيخ :

" ... وإذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى لم تقله كذلك ، فلا تقول للرجل
ترقّقه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحاب :
ما هو إلا أخوك ، وكذلك لا يصلح في " إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ " مَا أَنْتَ إِلَّا وَالِدٌ ؛
فأما نحو : " إِنَّمَا مَصْعَبٌ شَهَابٌ " ، فيصلح فيه أن تقول : ماصعب إلا شهاب ؛
لأنه ليس من المعلوم على الصحة ، وإنما ادّعى الشاعر فيه أنه كذلك ، وإذا كان
هذا هكذا جاز أن نقوله بالنفي والإنشائات إلا أنك تخرج المدح حينئذ عن
أن يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد ادّعت فيه أنه معلوم ،
وأنه بحيث لا ينكره منكر ، ولا يخالف فيه مخالف " (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاکر : ٣٣١ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح * شرح أبيات يضمنها القول في القصر :
شاهد رقم ١٢٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاکر : ٣٣٢ .



ولقد أُعجب بهذا البيت عبد الملك بن مروان ، وفضله على قول عبيد الله بن

قيس الرقيات في مديحه :

يَأْتِيكَ النَّجَّاجُ فَوْقَ مَقَرِّ قَيْسٍ . . عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ^(١)

وقال لعبيد الله :

أعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر

فيه، وهو اعتدال الناج فوق جبيني الذي هو كالدَّهَبِ في النضارة . (٢)

ورأى قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات المدح

الجياد ، لأن المدح فيه كان بالفضائل النفسية الخاصة التي هي العقل، والعفة

والعدل، والشجاعة، وما جانس ذلك . ويُعد بذلك عن عيوب المديح، وهي عدول المادح

عن الفضائل التي تختص بالنفس إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن، والبهاء،

والزينة، (٣) واستشهد على ذلك بقول عبد الملك في تفضيله

البيت ، واعترض الآمدي ، وتبعه ابن سنان الحفاجي، على طعة تفضيل

البيت ، وهي كون المدح فيه بالفضائل

النفسية .

ورأى الآمدي أن قدامة قد خالف بمنذ هبه هذا مذاهب الأئمة كلها عريقها

وأعجبها ، لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتبين به ، ويدل على الخصال

المحمودة . (٤)

(١) رواية الفاضل : " يعتقد " .

(٢) انظر القصة مفصلة في :

الكمال : ١٩٤-١٩٥ ، الفاضل : ١١٧ ، مجالس شعلب : القسم الأول : ١٧ ،

الموشح : ١٩٦-٢٠٠ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ .

(٣) نقد الشعر : ١٨٩ / الصناعتين : ١١٤ .

(٤) سر الفصاحة : ٢٥٧ .

وأيدته في قوله هذا ابن سنان ، فقال :

" وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جُبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى ، فإن كان قد أسسه يعتقد أن ذلك ليس بفضيلة لَمَّا كان الإنسان قد خلق عليه ، فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية ، فإن الكريم قد خُلق كريماً ، والشجاع شجاعاً ، والماعل عاقلاً ، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته ، كذلك لا يقدر الجاهل على أن يستبدل عقلاً فوق عقله ، ويلزم قداسه ألا يجيز المدح بشرف النفس ، والنسب ، وكرم الأصل ، لأن ذلك أيضا يجري مجرى الصور ، ولا صنيع للمدح في شيء منهما ، والأمر في هذا ظاهر " (١)

وعلى ابن سنان إنكار عبد الملك على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج ، أنه إنشأ أنكره ؛ لأن التيجان كانت من زي ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها .

ورأى أن القوة في البيت أنه مدح مصعب بأنه شهاب من الله تعالى ، وهذا أبلغ من مدح الخليفة باعتدال التاج فوق مفرقه . (٢)

ويبدو أن قوة البيت ليست في استعماله الفضائل النفسية ، وإنشأ ترجع إلى قوة الأسلوب الذي استخدمه الشاعر ، فمكن المعاني في النفس وأكدها .

(١) سر الفصاحة : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٧ .

الشاهد السابح والثلاثون بعد المائتين (*) (الطويل)

(١) وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَطِيَّهِمْ . : وَمَا قَلْتُ إِلَّا بِالزُّبْرِ عِلِمَتِ سَعْدٍ (٢) (٣) (٤)

أورد، الشيخ عبد القاهر من غير عزو.

وهو للحطيئة من قصيدة يمدح بها بني سعد^(٥) مطلعها :

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَدُوا هِنْدُ (٦) . وَقَدْ سِرْنَ خُنْسًا وَأَتَلَّابٌ يَنَا نَجْدُ (٧)

والشاهد آخر بيت في القصيدة^(٨) وقبله :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣١ .

(١) رواية مختارات ابن الشجري : " وقد لأمني " .

ورواية ديوان المعاني : " وَتَعَذَّلْنِي " بالياء .

وسمى " أفناء " سعد " أي بطون سعد .

(٢) رواية الديوان وديوان المعاني وزهر الآداب :

" وَتَعَذَّلْنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ " .

(٣) رواية المفتاح والإيضاح : " إِلَّا بَالْتِي " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - رواية ابن حبيب - : ٤٢ ، ديوان المعاني : ٣٨ ، زهر الآداب :

٩٢٨ / ٤ ، مختارات ابن الشجري : ١٤ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ٢٢١ ،

شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٥) بنو سعد : وهم من بني أشرس بن كندة ، فولد أشرس : السكون والسكاسك ،

فمن بطون السكون : بنو عدي ، وبنو سعد ، ابني أشرس ابن شبيب ،

أُمهما تُجيب بنت ثوبان بن سليم بن رُها ، من مَذَجج / جمهسرة

أنساب العرب : ٤٢٩ .

(٦) الطروق : الإتيان والزياره ليلاً / التاج " طرق " : ٦ / ٤١٨ .

(٧) أَتَلَّابٌ : انطلق وتتابع ، والمتلَّاب : الطريق المستد المنبسط /

التاج " طب " : ١ / ١٦١ .

(٨) هذا على رواية الديوان .

فَمَنْ بَلَغَ أَبْنَاءَ سَعْدٍ فَقَدْ سَعَى . . إِلَى السُّورَةِ الْعَلِيَّاءِ لَهُمْ حَازِمٌ جَدُّ
جَرَى حِينَ جَارَى لَا يَسَاوِي عِنَانُهُ . . عِنَانٌ وَلَا يَنْثِي أَجَارِيَهُ الْجَهْدُ^(٢)
رَأَى سَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ قَحْطُهُمْ . . عَلَى سَجْدِهِمْ لَنَا رَأَى أَنَّهُ الْجَهْدُ
وبعد هذا الشاهد .

وفي رواية ديوان المعاني ذكر قيل^(٣) الشاهد :
وَلِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ^(٤) فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا . . وَلِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَرُهَا وَلَا كَدُّ
وبعد هذا الشاهد وبعدة :

يَسُوسُونَ أَهْلًا بِعِيدًا أَنَاتَهَا . . وَلِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِظَةُ وَالْجَدُّ^(٥)
استشهد به الشيخ للتظهير على أن من معاني " إِنْنَا " ادعاء كون الأمر معلوماً
ظاهراً ، وهذا من عادة الشعراء إذا مدحوا ، فإنهم يدعون الشهرة ، فيما يصفون
به المدحوحين ، ويدعون أن أوصافهم جليلة واضحة ، فالشاعر هنا متعجب من أمر
هؤلاء الذين يلوسونه في وصفه لمدوحيه ، فأكد أن كل ما أثبتته لهم من الصفات
أمر معلوم ، ومشهور لديهم .

ومعنى البيت :

" تلوموني جماعات قبيلة سعد على هؤلاء القوم وعلى مدحهم ، وإنني ما قلت

(١) السُّورَةُ : الفضل والمنزلة الرفيعة ، والسُّورَةُ من السجد أثره ، وعلامته ، وارتفاعه /

أساس البلاغة " سور " : ٢٢٤ ، التاج : " سور " : ٢٨٣ / ٣ .

(٢) الأجارى : جمع أجريا وهو ضرب من الجري . / اللسان " جرا " : ١٤٠ / ١٤ .

(٣) وفي رواية زهر الآداب ذكر قيل الشاهد :

مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٌ لِلدُّجَى . . بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
وبعد هذا الشاهد .

(٤) رواية الديوان :

" وَلِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ " .

(٥) رواية الديوان : " وَالْجَدُّ " .

فيهم إلا ما علمته هذه القبيلة ، وما مدحتهم إلا بالأوصاف التي سلمتها إليهم ،
وأقرت بها لهم ، فلا وجه لعذلهم إياي في مدحهم . وإن لم أقل فيهم إلا ما هو
مسلم عندهم * (١)

ونذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابن شبرمة أنه قال :
* أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة . (٢) ثم ذكر أبياتاً منها بيت الشاهد ،
وعلق عليها بقوله :

* ولعمري أن معاني هذه الأبيات أباكرا ليس للعرب مثلها ، وكل من تناولها ،

فإننا استعارها من الحطيئة ، وهي جامعة لخصال المدح كلها * (٣)

ونذكر الحصري في زهر الآداب أن أبيات الحطيئة هذه من حر المدح
وجيد الشعر . (٤)

الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول البحري :

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً . . . حَتَّى يَسْلَمَهَا إِلَيَّ عِدَاهُ (٥)

والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد ، ويمدح أبا عيسى ابنه ، ومظلمها :
(٦) (٧)

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٢) ديوان المعاني : ٣٨ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) زهر الآداب : ٤ / ٩٧٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣١

(٥) انظر البيت في :

ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٣٥ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ١ / ٢٢١ ،

شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٦) مضت ترجمته ، انظر ص : ٢٦٦ .

(٧) مضت ترجمته ، انظر : ٢٦٦ .

أَرْجُ لِرَيَّا طَلَّةَ رِيَّاهُ ^(١) . لَا يَتَعَدُّ الطَّيْفَ الَّذِي أَهْدَاهُ ^(٢)

وقبل الشاهد :

خَفَضَ ^(٣) أَسَىَّ عَمَّا شَاكَ طِلَابُهُ . مَآكُلُ شَائِمٍ بَارِقٍ يُسْقَاهُ ^(٤) ^(٥)

وبعد البيت وبعد :

مَا الْمَرْءُ تَخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرَوِهِ . كَالْمَرْءِ تَخْبِرُ سَرَوَهُ وَتَسْرَاهُ
طَحَّصَتْ عَيْنُ الْحَاسِدِينَ فَفَضَّصَهَا . شَرَفَ بَنَاهُ اللَّهُ حَيْثُ بَنَاهُ ^(٦)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشاعر هنا ينفي أن يكون قد أثبت لأبي العلاء فضيلة ليست فيه، ففضائله مشهورة معلومة . وبالف في وصفها بالشهرة حيث ذكر أنه لم يعد حجه بصفة إلا وقد سلم الأعداء له بها .

(١) ' رِيَّاهُ : اسم امرأة .

طلَّة رِيَّاه : طيبة ولذيذة رائحته / اللسان " روى " :

٣٥٠ / ١٤

(٢) الديوان : ٣٣٥ .

(٣) خَفَضَ : هون / مختار الصحاح " خفض " : ١٨٢ .

(٤) شَائِمٌ بَارِقٌ : شام السحاب والبرق شيئا : تُنْظَرُ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْدُ ،
وَأَيْنَ يَمُطِرُ ، وقيل هو النظر إليها من بعيد / اللسان " شميم "

٣٣٠ / ١٢

(٥) الديوان : ٣٣٥ .

(٦) الديوان : ٣٣٦ .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين : (*) (السريع)

(١)
قَدْ عَلِمَتْ سَلَمَى وَجَارَتْهَا . . . مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنْسَا (٢)

البيت المذكور في الدلائل من غير نسبة ، وهو لمعروبين معددي كرب (٤) - من

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٠ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شياكر : ٣٣٧ .
(١) قطر الفارس : طعمه فقطره أي ألقاه على قطره أي جانبه فتقطر أي سقط ،
وأيضاً إذا صرع الرجل صرعة شديدة قيل قطره . / اللسان " قطر " :

٠١٠٦ / ٥

(٢) وجاء في الديوان أن البيت يروى :

قَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ مَذْجِجٍ . . . مَا قَاتَلَ الْأَسْوَدَ إِلَّا أَنْسَا

وهذه رواية التنبيه والإشراف ، وينسب البيت على هذا الوجه لقيس بن
مكشوح . / انظر :

التنبيه والإشراف : ٢٥٧ .

(٣) انظر البيت في :

الديوان : ١٧٥ ، الكتاب : ٣٥٣ / ٢ ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ٢٠٢ ،
- من غير عزو - ، مقاييس اللغة : ١٠٥ / ٥ ، شرح جمل الزجاجي : ١٦ / ٢ - من
غير عزو - ، التنبيه والإشراف للمسعودي : ٢٥٧ ، الأغاني : ٢١٦ / ١٥ ،
شرح أبيات سيويه للسيرافي : ١٩٩ / ٢ ، الصناعتين : ٧٤ ، شرح ديوان
الحماسة للمرزوقي : ٤١١ / ١ ، فرحة الأديب : ١٣٥ - ١٣٦ ، البديع
لأسامة بن منقذ : ١٦٠ ، شرح المفصل : ١٠١ / ٣ - ١٠٣ ، المفنسي :
٣٠٩ / ١ ، شرح شواهد المغني : ٧١٩ / ٢ ، المقاصد النحوية - بهاسش
خزانة الأدب - دار صادر : ٥١٨ / ١ ، الإيضاح : ٢١٧ / ١ ، شرح أبيات
الإيضاح : - فيض الله - : ٣٦ أ ، اللسان : " قطر " : ٠١٠٦ / ٥ - من غير
عزو - ، مختار الأغاني : ٣٧٢ / ٧ .

(٤) ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أن هناك من ينسب البيت للغزدق

وصحح ذلك بقوله " والظاهر أنه لمعروبين معددي كرب " ، وقد بحثت

بدوري عن البيت في ديوان الغزدق ، فلم أجده .

كما ينسب البيت برواية أخرى - ذكرتها سابقاً - لقيس بن مكشوح .

قصيدة قالها في حرب القادسية . (١)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة أولها :

(١) وقد ذكر الغندجاني في تعقبه السيراني أن البيت لا يمكن أن يفهم

إلا إذا عرفت قصته ، قال ابن السيراني :

" قَطَرَ الفارس الماء على أحد قطريه " / شرح أبيات سيوييه : ٢٠٠ / ٢
وعلق الغندجاني على ذلك بقوله :

" قَلَّ غناءً على المستفيد هذا القدر الذي ذكره ابن السيراني من
تفسير هذا الشعر ، وذلك أنه لا يكاد يعرف حقيقة معناه إلا بمعرفة
القصة المتعلقة هوبها ، وذلك أن عروبن معد يكره حمل يوم
القادسية على مَرْزبان - وهو يرى أنه رستم - فقتله ، فقال في ذلك :
... الأبيات " / فرحة الأديب : ١٣٥ - ١٣٦ .

وجاء في الأغاني :

" حضر عرو الناس وهم يقاتلون ، فرأه رجل من المعجم بنشابة ،
فوقعت في كتفه ، وكانت عليه درع حصينة ، فلم تنفذ ، وحمّل
على العجل فمانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عرو ، وسلبه ورجع
بسلبه ، وهو يقول :

أَنَا أَبُو شَوْرٍ وَسَيْفِي ذُو النُّونِ
أَضْرِبُهُمْ صَرْبَ غَلَامٍ مَجْنُونٍ
يَالِ زُبَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عروبن معد يكره ... الأبيات التي
منها الشاهد / انظر الخبر في :

الأغاني : ١٥ / ٢١٦ - ٢١٧ .

وحرب القادسية كانت في أيام عمر بن الخطاب بين المسلمين والفرس
سنة (١٦ هـ) وكان قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وقائد الفرس
" رستم " وكانت الغلبة والنصر فيها للمسلمين . / فتوح البلدان

للبلادي : ٢٥١ - ٢٥٨ .

الْبَرِّ بِسَلَمَى قَبْلَ أَنْ تَنْظَعَنَّا . . . إِنَّ لَنَا مِنْ حُبِّهَا دَائِدَنَا ^(١)

وبعد الشاهد وبعده :

شَكَّكْتُ بِالرَّحِمِ حَيَازِيمَهُ ^(٢) . . . وَالْخَيْلُ تَقْدُو زَيْمًا ^(٣) بَيْنُنَا ^(٤) ^(٥)

استشهد به الشيخ على أن تقطير الفارس خاص به ، وليس المراد أن هناك شركة بينه وبين غيره ، فأفرد نفسه بالتقطير ، وأدعى أن سلمى تعلم أن هذا فعمله خاصة . قال الشيخ :

" المعنى أنا الذي قَطَّرَ الفارس ، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه

افرد بأن قَطَّرَ ، وأنه لم يَشْرَكَه فيه غيره " (٦)

فأفاد كلام الشيخ أن معنى البيت على قصر الأفراد .

ولقد استشهد به أبو هلال العسكري في باب " تمييز الكلام جيد من رديئه ،

وناديه من بارده " ، وذكر أنه من الشعر البارد ، قال :

" وإذا كان المعنى صواباً ، واللفظ بارداً وفاتراً ، والقاتر شر من البسار ،

كان مستهجنًا ملفوظاً ، ومذموماً مردوداً ، والبارد من الشعر ، قول عمرو

ابن معدى كرب . . . الأبيات " (٧)

(١) رواية الفندجاني :

" إِنَّ بِلْسَمَى عِنْدَنَا دَائِدَنَا "

(٢) الحيازيم جمع حيزوم ، وهو ما حول الصدر / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، واللسان :

(حزم) : ١٢ / ١٣٢ ، ورواية الصناعتين " سرابيله " .

(٣) رواية السيرافي : " تجري " .

(٤) الزيم : المتفرقة . / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، اللسان " زيم " : ٢٧٩ ، والمعنى

" طعنت بالرحم في صدره والخيل تجري بفرسائها تحمل بعضهم على

بعض . و (زيم) منصوبة على الحال " / شرح أبيات سيوييه للسيرافي : ٢ / ٢٠٠ .

(٥) رواية الصناعتين : " حولنا " .

(٦) الدلائل ، رضا : ٢٦١ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شاکر : ٣٣٨ .

(٧) الصناعتين : ٧٤ .

والبيت يستشهد به النحاة على وجوب انفصال الضمير إذا كان محصوراً
بـ "إِلَّا" قال السيرافي :

"الشاهد فيه أنه أتى بالضمير المنفصل وهو (أنا) حين لم يمكنه أن يأتي
به متصلاً ، وإنَّما لم يمكنه أن يصله بالفعل فيقول : " مَا قَطَّرَتِ الْفَارِسَ " ؛
لأن المعنى كان يبطل ؛ لأنه يكون نافياً عن نفسه أنه قَطَّرَ الفارس ، والأمر
الذي يقع بعد (إِلَّا) هو مثبت مستثنى مما نفي ، فلما احتاج أن يأتي
بالضمير بعد "إِلَّا" أتى به منفصلاً لأنه موضع انفصال ، وإنَّما هو موضع اتصال ،
الاتصال أن يتصل بالفعل وليه ، والاتصال أن يبعد عن الفعل ولا يليه . (١)
واستشهد به البلاغيون المتأخرون في سياق الحديث عن إفادة (إِنَّمَا)
القصر ، فمن أدلة إفادتها القصر صحة انفصال الضمير عنها كقولك " إِنَّمَا يضرب أنا "
كما تقول : " مَا يضرب إِلَّا أَنَا " ، ومثاله أيضاً قول عرو بن معدي كرب . (٢)

الشاهد الرابعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

" وَإِنَّمَا يَدَافِعُ عَنْ أَحْسَانِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي " (٣)

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، وانظر :

شرح ابن عقيل : ١ / ١٠٠ .

(٢) انظر :-

الفتاح : ١٢٢ ، الإيضاح : ١ / ٢١٧ .

(٣) انظر :-

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : ٨٠٠ من البعث

الشاهد الواحد والآخرين بعد المائتين : (*) (الحزج)

كَأَنَّ يَوْمَ قُرَى يَأْتَا (١) (م) . نَقْتَلُ بِإِيَّانَا (٢)

(٢) ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لذى الأصبع العدواني . (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(١) قُرَى : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، ويعدّه ياء على وزن فُعَلَى : موضع

ببلد بني الحارث ، وقال أبو حنيفة : قُرَى : مائة قريبة من تبالة . /

معجم ما استعجم : ٣ / ١٠٦٢ .

وتبالة بفتح المثناة الفوقية على وزن فَعَالَه : بلدٌ وهي التي يضرب بها

المثل ، فيقال : "أهون من تبالة على الحجاج " ، وهي بلدة صغيرة من

اليمن ، وهي أول عمل وليه الحجاج ، ووقعت في هذا الموضع واقعة

عرفت بيوم قُرَى . / معجم البلدان : ٢ / ٩٠ .

(٢) انظر البيت في : ديوانه : ٧٨ ، الكتاب : ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، إعراب

ثلاثين سورة من القرآن : ٢٥ ، الخصائص : ٢ / ١٩٤ ، شرح جمل

الزجاجي : ٢ / ١٨ ، الأمل في الشجريت : - دار المعرفة - : ١ / ٣٩٩ ،

شرح المفصل : ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، الإنصاف : ٢ / ٦٩٩ ، خزانة الأدب :

- مكتبة الخانجي - : ٥ / ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٤) هذه نسبة أمالي ابن الشجري ، وخزانة البغدادي .

ونُسب البيت في الكتاب لبعض اللصوص ، وفي الخصائص لأبي بجيلة ،

وذو الأصبع العدواني هو :

حرثان بن الحارث بن مُحرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة

ابن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن يشكر بن عدوان ، وهو شاعر فارس مسن

قدما الشعراء في الجاهلية ، وله غارات كثيرة في العرب ، ووقائع

مشهورة ، عاش ذو الأصبع مائة وسبعين سنة ، وقيل ثلاثمائة سنة ، وهو

أحد حكام العرب في الجاهلية ، ويقال أنه سبي يذو الأصبع ، لأنه

كانت له إصبع زائدة ، وقيل لأن حية نهشت إصبعه ، فقطعتها ، وقال المرتضى

في أماليه : أنه سبي عدوان " لأنه عدا على أخيه " قُهِم " فقتله ، وقيل ===

والبيت أحد أبيات خمسة هي :

لَقِينَا مِنْهُمْ جَمْعًا .: فَأَوْفَى الْجَمْعَ مَا آتَا
كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِنَّا (م) .: نَقْتُلُ إِيَّانَا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ (م) .: فَتَى أَبَيْضَ حَسَانَا
يَرَى يَرْقُلُ فِي بَرَدَيْنِ (م) .: مِنْ أَبْرَارٍ نَجْرَانَا
إِذَا يُسْرِجُ ضَانًا يَأْتِي (م) .: أَتْبَعَهَا ضَانًا (١)

استشهد به الشيخ على أنه لا يجوز أن يجعل قول الفرزدق : " إِنَّا يدافع عن
أحسابهم " نظيراً لهذا البيت ، لأن فصل الضمير هنا للضرورة ،^(٢) أما قول الفرزدق
فهو غيره إذ لا ضرورة فيه . قال الشيخ :

" هذا ولا يجوز أن ينسب فيه^(٣) إلى الضرورة ، فيجعل مثلاً نظير قول الآخر :

== بل فقا عينه / انظر ترجمته في :

الأغاني : ٨٩/٣ - ١٠٩ ، الشعر والشعراء : ٧١٢/٢ ، الاشتقاق : ٢٦٨ ،
المؤلف والمخطف : ١١٨ ، سمط اللآلي : ٢٨٩ - ٢٩٠ ، الخزانة : ٢٨٤/٥ ،
المعمرين لأبي حاتم : ٥٨ - ١١٣ .

(١) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٧٨ - ٧٩ ، أمالي ابن الشجري : ٣٩/١ - ماعدا البيت الأخير ،
خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٢٨٢ .

(٢) والضرورة هنا : " لأنه لا يمكنه أن يأتي بالمتصل فيقول نقتلنا ، لأنهم
يتعدى فعله وإلى ضميره المتصل ، فكان حقه أن يقول : نقتل أنفسنا ،
لأن المنفصل والنفس يشتركان في الانفصال ، ويقعان بمعنى نحو قولك :
ما أكرمت إلا نفسك ، وما أكرمت إلا إياك ، فلما كان المتصل لا يمكن وقوعه
ههنا لما ذكرناه ، وكان النفس والمنفصل مترادفين استعمل أحدهما /
شرح المفصل : ٣ / ١٠٣ .

(٣) الضمير هنا يعود على بيت الفرزدق " إِنَّا يدافع عن أحسابهم أنسا
أو مثلي " .

كَأَنَّا يَوْمَ قُورَى إِنَّا (م) . نَقْتُلُ إِيَّانَا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك ، من حيث أن " أذاع " و " يدافع " واحد

في الوزن ، فأعرف هذا أيضا " (١)

ومعنى الشاهد : " قال ابن الشجري : ومعنى قوله كأنا نقتل إيانا تشبيهه
المقتولين بنفسه ، وقومه في الحسن والسيادة ، فلذلك وصفه بما بعده أي هم
سادة يلبسون أبراد اليمين ، فكأننا بقتلنا إيانا هم قتلنا أنفسنا . انتهى .
وقال ابن الأعرابي : أي لا ينبغي أن نقتل منهم لنفاستهم ، ولكن الجئونا إلى
ذلك .

وقال الأعلام : وصف قوماً أوقعوا ببني عمهم فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسهم " (٢)
ب - شواهد " ما ولا " :

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائتين : (*)

(١ السريع)

(٢)
السيد الحميري :

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦-٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) خزائن الأدب : - مكتبة الخانجي : - ٢٨٢/٥ . شاكر : ٣٣٨ ، خفاجي : ٢٦٥ ، شاكر : ٣٤٢ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٥ ، خفاجي : ٣٣٨ ، شاكر : ٣٤٢ .
(٣) السيد لقبه . واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ،

وقيل هو يزيد بن مفرغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ ، ومفرغ
لقب ربيعة ، لأنه راهن أن يشرب عساً من لبن فشربه حتى قرغه ، فلقب مفرغاً ،
وأم السيد الحميري امرأة من الأزد من بني الحذان ، وجدّه يزيد بن ربيعة
شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً ، وبنه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسهم
عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ثم أطلقه معاوية .

وكان السيد شاعراً متقدماً مطبوهاً يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية
والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحداً قد ر
على تحصيل شعر أحد منهم أجمع ، وإننا ما تذكره وهجر الناس شعره لما
كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فسي
شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم . توفي سنة ١٧٣ / انظر ترجمته :
الأغاني : ٢٢٩-٢٢٨ .

لَوْ خَيْرَ الْيَتِيمِ فَرَسَانَهُ . مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح بني العباس، وذم بني أمية . (٢)

أولها :

دَوْنَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ . فَجَدَّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا

وبعد أبيات قبل الشاهد :

دَوْنَكُمْوَهَا لَعَلَّا كَفَبَ مَنْ . كَانَ عَلَيْكُمْ مَلَكُهَا نَافِسَا

دَوْنَكُمْوَهَا فَالْتَبَسُوا تَاجَهَا . لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَا بَسَا

وبعد هـ بيت الشاهد وبعد هـ :

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً . لَمْ يَتْرُكُوا رَطْبًا وَلَا يَاسَا

وَلَسْتُ مَنْ أَنْ تَلِكُوهَا إِلَى . مَهِيْطٍ عَيْسَى فَيَكُمُ آيسَا (٣)

الشاهد فيه : أن المقصور عليه في النفي والاستثناء هو مابعد "إلا" مباشرة ،

فالاختصاص هنا في الجار والمجرور "منكم" دون فارساً . قال الشيخ :

"وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ عَدْتَ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ فَأَخْرَجْتَهُمَا جَمِيعًا إِلَى مَا بَعْدَ

"إِلَّا" ، فَإِنَّ الْاِخْتِصَاصَ يَقَعُ حِينَئِذٍ فِي الَّذِي يَلِي "إِلَّا" مِنْهَا . . . وَحُكْمُ

(١) اللّٰه غَاثِبٌ : ٧ / ٢٤٠ . ، المفتاح : ١٣٠ ، الإيضاح :

١ / ٢٢٥ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ١٤٠ ، شاهد رقم " ١٢٨ " .

(٢) جاء في الأغاني - ٢ / ٢٤٠ - :

" لما استقام الأمر لبني العباس قام السيّد إلى أبي العباس السّفاح حين نزل عن المنبر فقال . . . الأبيات فسّر أبو العباس بذلك وقال له : أحسنت يا إسماعيل سلّني حاجتك ، قال : تَوَلّني سليمان بن حبيب الأهواز ففعل " .

(٣) الأغاني : ٢ / ٢٤٠ .

المفعولين مُحكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك . تقول : " لم يَكُنْ إِلَّا زَيْدًا جَبَّةً " ، فيكون المعنى أَنَّهُ حَصَّ " زَيْدًا " من بين الناس بكسوة الجبة ، فَإِنْ قلت : " لم يَكُنْ إِلَّا جَبَّةً زَيْدًا " ، كان المعنى : أَنَّهُ حَصَّ الجبة من أصناف الكسوة .

وكذلك الحُكم حيث يكون بَدَل أحد المفعولين جَارٌّ وجَرور .

كقول السيد الحيري : . . .

الاختصاص في " منكم " دون " فارسا " ولو قلت : " ما آخِثَارًا إِلَّا فَارِسًا منكم " ، صار الاختصاص في " فارسًا " (١)

والمعنى : أَنَّهُ لو خير أحد المنبر في فرسانه أي في اختيار فصحاء وخطباء ، فَإِنَّه لن يختار إِلَّا خطباء بني العباس لفصاحتهم وبلاغتهم ، وأكّد هذا المعنى بأن قصر الاختيار عليهم دون غيرهم .

وَتَبَيَّنَ الفعل للمجهول (خَيْر) ليدل على سرعة اختياره لهم . وعلَى أَن التخيير لو وقع من أي إنسان لكان هذا هو الجواب ، فليس المهم من يقع منهم التخيير ، ولكن المهم وقوع التخيير نفسه فيكون الاختيار منكم لا من غيركم .
د - عود إلى مباحث " إنا " :

الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين : (*) (الرمل)

(٢)

قول لبيد :

(٣) (٤) (٥)

* إِنَّا نَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ * (٦)

- (١) الدرر المنجى ، رضا : ٢٦٤ - ٢٦٥ ، خفاجي : ٣٢٧ - ٣٣٨ ، شاکر : ٢٤٤ - ٣٤٥ .
(*) البلاغي ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاکر : ٣٥٣ .
(٢) سبتي ترجمته : ٩ : ٤٣ .
(٣) الفتى : أي اللبيب / خزائن البغداد - مكتبة الخانجي - : ٩ / ٣٠٠ .
(٤) رواية الكتاب وشرح أبيات سيويه للنحاس " غير الجميل "

استشهد به على جواز وصف " الفتى " المحلي بأل الجنسية بـ " غير " وهي نكرة مضافة إلى معرفة ، والذي سوف هذا أن التعريف بالألف واللام يكون للجنس ، فلا يخص واحداً بعينه ، فهو مقارب للنكرة ، وأن " غيرا " مضافة

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر، وصدره :

(١) (٢)
* فَإِذَا جَوَيْتَ قَرْضًا فَأَجْزِهِ *

والشاهد من قصيدة قالها في رثاء أخيه ، وطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلًا . . وَإِذَا نِ اللّٰهُ رَبَّنِي وَعَجَلُ

وقبل الشاهد :

== إلى معرفة فقاريت المعارف لذلك ، وإن كانت شكره .

(٥) الجمل : الجاهل البليد / خزانة البغدادي : - مكتبة الخانجي :-

٣٠٠ / ٩

وقيل المراد به " الحيوان " المعروف . / شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٤٠ / ٢

(٦) انظر البيت في :

الديوان : ١٤٢ ، شرح ديوان لبليد : ١٧٩ ، الكتاب : ٢ / ٣٣٣ ،

شرح أبيات سيويه للنحاس : ١٩٨ - من غير نسبة - فصل المقال فسي

شرح كتاب الأمثال : ١٧٣ ، حاسة البحري : ١٦١ ، المقتضب :

٤ / ٤١٠ - من غير نسبة - ، مجالس ثعلب : ٢ / ٤٤٧ - من غير نسبة ،

شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٤٠ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ١ / ٣٧٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٣٣٤ - ذكر المعجز فقط

ومن غير نسبة - ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٥ - من غير نسبة - ،

أوضح المسالك : ٣ / ٣٨ - ذكر المعجز فقط ، ومن غير نسبة - اللسان

" قرض " : ٧ / ٢١٧ ، خزانة البغدادي " ت : عبدالسلام هارون :

٢٩٦-٢٩٧-٣٠٠ ، التصريح بضمون التوضيح : ١ / ١٩١ ، وذكر

عجز البيت ودون نسبه .

(١) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيويه للسيرافي والمقتضب، وشرح جمل الزجاجي ،

وخزانة البغدادي : " وَإِذَا " .

(٢) رواية الكتاب، وفصل المقال ، وخزانة البغدادي " أَقْرَضْتُ " ،

ورواية المقتضب وشرح جمل الزجاجي : " وَإِذَا وَلِيَتْ " .

وَعَلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أَمَّهُ . : يَأْلُوكُ^(١) فَبَذَلْنَا مَا سَأَلُ
 أَوْ نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ . : فَاشْتَوَى لَيْلَةً رِيحٍ وَاجْتَمَلَ^(٢)
 مِنْ شِوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ^(٣) . : يَبْدِي كُلَّ هَضُمٍ نَزَلَ^(٤)
 ويعدّها الشاهد ويعدّه :

أَعْمِلِ الْعَمَلَ عَلَى عِلَالَتِهَا . : إِنَّا يُنْجِحُ أَصْحَابَ الْعَمَلِ^(٥)

استشهد به الشيخ على أنه لا يحسن العطف بـ " لا " بعد " إنا " إذا كان الوصف
 مختصاً بالموصوف، وقد جاء النفي هنا متأخراً عن " إنا " .
 فقد اعتبر الشيخ أن " ليس " هنا بمعنى " لا " (٦) العاطفة أي " إِنَّا يَجْزِي
 الْفَتَى لَا الْجَمَلَ " .

- (١) الألوک : الرسالة / لسان العرب (لوک) : ٤٨٥ / ١٠ .
 (٢) آجتَلَ : أذاب شحم الجمل لينتفع به ، جَمَلَتِ الشَّحْمُ أَجْمَلُهُ جَمَلًا
 وَاجْتَمَلَتْهُ إِذَا أَذْبَتْهُ . / اللسان " جمل " : ١١ / ١٢٧ .
 (٣) العارضة : هي الناقة التي تنحر إذا ما أُصِيت بكسر أو داء / اللسان
 " عرض " : ٧ / ١٧٨ .
 (٤) النَّزَلُ : كثير الفضل والعطاء والبركة / اللسان " نزل " : ١١ / ٦٥٩ .
 (٥) الديوان : ١٤٤ - ١٤٥ .
 (٦) وقد اختلف النحاة في اعتبار ليس بمعنى " لا " العاطفة ، فهي عند
 البغداديين بمعنى " لا " العاطفة في أنها تقتضي التشريك في اللفظ
 دون المعنى بلإشارات لما بعده ما أنتفى عما قبله أي أن تنفي عما بعدها
 ما ثبت لما قبلها ، وقد منع ذلك آخرون ، لا حتمال أن تكون ليس حرفاً
 ناسخاً ، والجمل اسمها ، وخبره محذوف ، وقدّره البعض " ليس الجمل مجزياً "
 على قراءة " يَجْزِي " بالبناء للمجهول وقدّره بعضهم " ليسه الفتى "
 والأصح أن يقدر ليس الجمل جازياً / انظر :
 المقنن : ٤ / ٤١٠ ، مجالس شعلب : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، شرح جمل الزجاجي :
 ١ / ٢٢٥ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٩ ، خزانة البغداديين - مكتبة
 الخانجي : ٩ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .

والمعنى : " إِنَّا نَعْرِفُ النِّعَمَ وما يجب لها من شُكْرِ المنعم أربابُ العقول ،
 وذوو التَّمييز ، لا البهائم ، فمتى أَرَلَّتْ إِلَيْكَ نِعْمَةٌ فكن من المجازاة عليها بمِرْصَد
 فَإِنْ معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجبهُ التَّمييزون ، وأولو الحِجَاسِ
 لاغيرهم ما لا تميز له ، ولا معرفة بذلك عنده ، وذكر الجمل مُكتفياً ، وإن كان
 القصد جنسه أو أجناس مثله (١) .

وهو مثل يُضرب في الحث على مجازاة الخير والشر . (٢)

قال الشيخ :

" وما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعد ها فعلاً لا يصح إلا من
 المذكور ، ولا يكون من غيره ، كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي
 الألباب لم يحسن العطف بلا فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور ، ويصح
 من غيره ، تفسير هذا أنه لا يحسن أن تقول : " إِنَّا نَتَذَكَّرُ أَوْ لَوْ الْأَلْبَابُ (٣)
 لا الْجَهَّال . كما يحسن أن تقول إِنَّا يجيء زيد لاعمر ، ثم إِنَّ النفي فيما
 يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى ، فمثال التأخير ما تراه في قولك :
 " إِنَّا يجيء زيد لاعمر ، وكقوله تعالى : * إِنَّا أَنْتَ مَذْكُرٌ لَمْ تَعْلَمْ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ *
 وكقول لبید : * إِنَّا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ * (٥)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣٢٠-٣٢١ .

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٢٣ ، خزانة البغدادي - مكتبة

الخانجي - : ٣٠٠ / ٩ .

(٣) الرعد : ١٩ .

(٤) الفاشية : ٢١ ، ٢٢ .

(٥) الدلائل ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاكر : ٣٥٣ .

وقد اشترط السكاكي في مجامعة إننا بـ لا * العاطفة أن لا يكون الوصف مختصاً بالموصوف ، ورأى الخطيب أن ما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر هو الصواب ، فالشيخ جعله شرطاً في حسن العطف لاشترطاً في جوازه ، لأنه لا دليل على امتناع أن يقال : إننا يفهم العاقل لا غيره عند قصد التأكيد . (١)

الشاهد الرابع الأربعمون بعد المائتين : (*) (المديد)

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مُحِبَّتَهَا ^(٢) . . . إِنَّنَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَنَا ^(٣)

ذكره الشيخ من غير عزو . وهو للعباس بن الأحنف ، وهو من قصيدة مطلعها : * وهي خمسة أبيات فقط :

تَأْمَنَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا . . . مَسْتَرِيحًا سَاقَتِي قَلَقَا ^(٤)

وقبل الشاهد :

لَوْ بَيَّيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ . . . بِسَهَادِي بَيْضَ الْحَدَقَا

وبعد الشاهد وعده :

غَالَهُمْ وَدِّيَ قَمًا عَقَلُوا . . . حِينَ سَدُّوا دُونَهُ الطَّرَقَا
كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ . . . فَاصْطَلَى بِالْحُبِّ فَاحْتَرَقَا

(١) المفتاح : ١٢٧ ، الإيضاح : ٢١٨ / ١ ، شرح التلخيص : " مختصر السعد " :

٢١٢ / ٢ ، " مواهب الفتاح " : ٢٠ / ٢١٣ ، " عروس الأفراح " :

٢١١ / ٢ ، " حاشية الدسوقي : ٢ / ٢١٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي ج ٤ ، ٣٤ ، شباكر : ٣٥٥ .

(٢) رواية الديوان والأغاني : " أنا لم أرزق متونكم " .

(٣) ديوانه : دار صادر : ٢١٧ ، الأغاني : ٣٦٧ / ٨ ، الإيضاح : ٢٢٢ / ١ ،

شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : ، شاهد رقم " ١٢٥ " .

(٤) رواية الأغاني : " زادني " .

استشهد به الشيخ على أن أحسن مواقع إيتنا ، وأطلقها بالقلب إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعد ها . قال الشيخ :

" ثم أعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون ، وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يزال بالكلام بعد ها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضى (١) .

ففي البيت تعريض بأنه قد يئس من وصلها ، ولا رجاء له فيه قال الشيخ :

" الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون فيها إسعاف (٢) . ويظهر سر جمال إيتنا إذا حذفناها من الجملة ، قلنا : للعبد مارزقا ، فإنه يكون مجرد إخبار ووصف بأن المعبود مارزقه الله ، فلا يكون وراءه كبير معنى . قال الشيخ :

" ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون إيتنا " فلو قلت : " يتذكر ألو الألباب " لم يدلّ ما دلّ عليه في الآية ، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه ، وليس إلا أنه ليس فيه " إيتنا (٣) " ثم قال :

" وهذا موضع فيه دقة وغموض ، وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه ينبغي أن يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الأمر فيه " (٤)

- (١) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٥ ، شاكر : ٣٥٤ .
 (٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .
 (٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٦ .
 (٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٣-٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٧ .

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَإِنَّمَا يَتَعَذَّرُ الْمُشَاقُّ مَنْ عَشِيقًا * (١)

ذكره الشيخ من غير نسبة . وهو للباخري ، (٢) وصدر البيت :

* يَلُومُ فِي الْحَبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْهَوَى * (٣)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أنَّ الغرض من إنما هنا التعريف . قال الشيخ :
" يقول : إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يُلومه في عشقه ، وأنه ينبغي
أن لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ، ولو كان أَبْطُي
به لعرف ما هو فيه فَعَذَّرَهُ " (٤)

الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

مَا أَنتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا . نَجَّحَ الْأُمُورَ يَقْوَةُ الْأَسْبَابِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(١) لم أعر عليه فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في :

الإيضاح : ١ / ٢٢٢ .

(٢) نسبه الأستاذ خفاجي في تحقيق كتاب الدلائل للباخري ، وأضاف أنه

ينسب أيضا لأحمد بن أبي دؤاد ، وذكر في تحقيقه لكتاب الإيضاح

أنه ينسب للعباس بن الأحنف ، وكذلك ذكر الأستاذ عبدالسلام هارون

في معجم شواهد العربية .

ولقد بحثت عن مصدر هذه النَّسَب ، فيما لدي من مصادر ، فلم أعر
عليه .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق : خفاجي : ٣٤٦ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

قَالَيْتُمْ حَاجَتُنَا إِلَيْكَ وَلَيْسَ . يَدْعَى الطَّبِيبَ لِسَاعَةِ الْأَوْصَابِ (١)
 أورد هذا^(٢) الشيخ من غير نسبة^(٣)، وهما للباخري^(٤)، أو لمحمد بن أحمد بن
 سلمان . (٥)

- (١) لم أقف عليه فيما لدي من مصادر إلا في :
 معجم الشعراء للمرزباني : ٤٤٧ ، أمالي ابن الشجري : ٢٣٠ ، الإيضاح :
 ٢٢٢/١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ .
- (٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاکر : ٣٥٥ .
- (٣) ذكر الشيخ رضا في تحقيق الدلائل أن البيت ورد في نسخة المدينية
 منسوبة للباخري .
- (٤) هو أبو الحسن الباخري الرئيس الأديب علي بن الحسن بن أبي الطيب
 مؤلف كتاب دمية القصر كان رأساً في الكتابة والنشأ والشعر ، كان فسي
 شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكتابه
 دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، هو ذيل يتيمة الدهر للشعالبي ، وقد
 وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتاباً سماه وشاح الدمية ،
 وهو كالذيل لها ، وقُتل الباخري في الأندلس ، وذهب دمه هدرأً ، وذلك
 سنة (٤٦٧ هـ) .
- وسمي الباخري نسبة لباخرز ، وهي ناحية من نواحي نيسابور ، تشتمل
 على قرى ، ومزارع خرج منها جماعة من الفضلاء . / انظر ترجمته :
 تتمة يتيمة الدهر ، ٢٢٠ ، شذرات الذهب : ٣٢٧/٣ - ٣٢٨ .
- (٥) ذكر المرزباني أن هذين البيتين لمحمد بن أحمد بن سلمان يقولهما
 لعبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وذكر رواية محمد بن داود بن الجراح ،
 وذكر أن غيره يرويهاما للزبير بن بكاء . في معجم الشعراء : ٤٤٧ - ؛
 " أبو عمرو العماراني الرواية ، وأسمه " محمد " بن أحمد بن سلمان ،
 هو القائل لعبيد الله بن يحيى بن خاقان . في رواية محمد بن داود
 ابن الجراح ، وغيره يرويهاما للزبير بن بكاء .
- وذكر الأستاذ خفاجي في تحقيق الدلائل أن ابن النديم في " الفهرست "
 ينسبهما لابن الرومي وقد رجعت " للفهرست " لابن النديم في ترجمة
 ابن الرومي فلم أجد الأبيات .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو التعريض ، حيث أراد بالبيت الأول أنه يجب
عَلَيَّ أن أنجح في أموري ، لأنني جعلتك السبب ، وأراد بالبيت الثاني : أننسا
سننح في الوصول إلى حاجتنا ، لأننا استعنا بك كما يستعان بالطبيب في حالة
المرض .

قال الشيخ :

" يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب
إليه . ويقول في الثاني : إنا قد وضعنا الشيء في موضعه ، وطلبنا الأمر
من جهته ، حين استعنا بك فيما عَرَضَ من الحاجة ، وعولنا على فضلك ، كما
أنَّ مَنْ عَوَّلَ على الطبيب فيما يعرض له من السَّقم ، كان قد أصاب بالتعويل
موضعه ، وطلب الشيء من معدنه " (١)

الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين : (*) (التفتيت)

* إِنَّا مَضَعَبْ شِهَابٍ مِّنَ اللَّمِّ *
سبق تخريجه و الاستشهاد به على نفس الموضع (٢)
الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)
(٣)
قول قيس بن حصن . (٤)

- (١) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦-٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٥-٣٥٦ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاكر : ٣٥٧ .
(٢) أنظر : ٨٠٥ من البحث .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٨ ، شاكر : ٣٥٧ .
(٣) هذه نسبة الدلائل تحقيق رضا ، ونسبة الدلائل تحقيق خفاجي " قيس بن حصن " وفي تحقيق شاكر : " قَتَبَ بن حصن " .
(٤) وينسب البيت في الوحشيات لأبي حرجة الغزاري ، ونسبه أبو الفرج في مقاتل الطالبين لعوف القوافي ، وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن ، شاعر مقل من معراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، ويته أحد البيوت المقدمة =====

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَرَارَةٌ بَعْدَمَا .: أَجَدْتُ لِيَغْزُو إِنْ شَاءَ أَنْتَ حَالِمُ (٢)

وبعد الشاهد :

أَبَى كُلُّ هَرٍّ أَنْ يَبِيتَ بِوَتْرِهِ (٣) .: وَيَبْنَعُ مِنْهُ النَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمٌ
أَقُولُ لِفَتَيَانِ الْعَشِيِّ تَرَوَّحُوا .: عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاجِهِنَّ الشَّكَايِمُ (٥)

=== الفاخرة في المعرب . وكذلك ذكره أبو الفرج في ترجمته في الأغاني .
ونسب المرزباني البيت في معجم الشعراء لقتب بن حصن ، من بني
شمخ بن فزارة ، ونسب البيت في السط لبعض بني فزارة ،
وذكر البيت في أمالي القالي ، وحاسنة ابن الشجري ، من غير
نسبة .

(١) رواية الأغاني : * أَجَدْتُ يَسِيرٍ * .

(٢) انظر البيت في :

الوحشيات * الحناسة الصفري : ٩٩ رقم (١٥٦) ، مقاتل
الطالبيين : ٣٧٦ ، الأغاني : ١٩ / ١٩٢ ، الأمالي للقالي :
١ / ٢٥٨ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٤٠ ، سبط اللاسي :
١ / ٥٧٥ ، حناسة ابن الشجري : ٤٨ .

(٣) رواية الوحشيات والأمالي : * أَرَى * .

(٤) رواية الوحشيات : * أَرَى كُلَّ نَيْ فِي قَبْلِ كَرِيمٍ يَهْمُهُ * .

(٥) لم يذكر هذا البيت في الوحشيات وأمالي القالي .

ورواية المرزباني : * وقد قلت للقوم الذين تروحو * .

ورواية حناسة ابن الشجري :

* أقول لفتيان كرام تروحو * .

ورواية الوحشيات :

وَقَلْتُ لِفَتَيَانِ صَالِيَةٍ إِنَّكُمْ .: قَدَامِي وَإِنَّ الْعَيْشَ لَا هُوَذَا يُسْمُ

(١) قَفُّوا وَقَعَةً مِّنْ يَّحْيَى لَا يَخْزُ بَعْدَهَا . . . (٢) وَمَنْ يَخْتَرِمْ لَا تَتَّبِعُهُ اللَّوَائِمُ (٤)
 وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ (٥) . . . لَتَسْلَمَ فِيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمٌ (٦) (٧)

وموضع الشاهد قوله : * إِنَّا أَنْتَ حَالِمٌ * .

والشاهد فيه : أن من أغراض * إِنَّا * أن تأتي لأمر لا يجهله المخاطب ،

أو ما ينزل هذه المنزلة .

ولم يعلق الشيخ على بيت الشاهد إلا بقوله :

أنه من اللطيف في هذا الباب . (٨)

(١) رواية الوحشيات وأمالى للقالى ، وحاسة ابن الشجري :

* قَفُّوا وَقَعَةً * . . .

والبيت بكامله غير مذكور في سمط اللآلى .

(٢) رواية حاسة ابن الشجري : * . . . من يحيى لاتجر بعدها * .

(٣) رواية الوحشيات : * وَمَنْ يَخْتَرِمْ * .

ورواية أمالى القالى : * وَلَنْ يَخْتَرِمَ لَمْ تَتَّبِعْهُ * .

(٤) رواية الوحشيات وأمالى القالى ومعجم الشعراء للمرزبانى : * الملاوم * .

(٥) رواية المرزبانى : * . . . إِنْ أَخْرَجْتَ نَفْسَكَ بَعْدَهُمْ * .

(٦) رواية المرزبانى : * . . . مما بعد * .

(٧) ذكر البيت الأول والثانى والرابع مع بيت آخر في الوحشيات ،

وذكر في أمالى القالى البيت الأول والثانى والثالث .

وذكر البيت الأول والثانى والثالث والرابع والخامس في الأغناسى

وكذلك ذكروا في حاسة ابن الشجري ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات

فذكر فيها البيت الثالث والرابع ، ثم البيت الأول ، ثم البيت الثانى ،

ثم الخامس .

وذكر البيت الأول والثانى والثالث والرابع في معجم المرزبانى .

وذكر البيت الأول والثانى في سمط اللآلى .

(٨) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجى : ٣٤٨ ، شاكرا : ٣٥٧ .

أراد الشاعر أن يفتخر بشجاعة قبيلة فزارة ، فهي إن جددت في الغزو ، فلن
يمنعها مانع ، فبدأ البيت بـ " ألا " الاستفتاحية ، وجاء بأداة النداء " أيها " ،
ليوقظ الأذهان ، ويلفت الأنظار إلى أهمية حديثه ، ثم نزل كل من تراوده نفسه
في نهى فزارة عن الغزو منزلة من لا يجهل شجاعتها ، فادّعى أن أمر شجاعتهم
معلوم مشهور ، لينبه المخاطب إلى الخطأ الذي وقع فيه ، وذلك بقصره على الحلم ،
وهو عدم اليقظة ، وفي هذا استهانة وتهكم ، ومبالغة كبيرة في وصف قبيلته بالشجاعة
والشبات .

الفصل الحادي عشر

٢ - شواهد - فصل منه باب اللفظ والنظم

ب - شواهد تحريره القول في :

الإعجاز والفصاحة والبلاغة

٢- شواهد فصل من باب اللفظ والنظم

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَطَيَّ بِصَلِيمٍ . . . وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلْكُلُ (١)

استشهد به الشيخ على أن هناك فرقاً بين حكاية الكلام وبين نظمه ، فحكاية الكلام لا تتعدى الألفاظ ، أما نظمه فهو عبارة عن تجربة إنسانية ، ومعاناة ذاتية يعيشها المؤلف فتتعدى الألفاظ إلى المعاني ، فالنظم والترتيب عمل يعملهُ مؤلف الكلام ، ومحال أن يقال أن منشد الشعر قد مر بنفس تجربة الشاعر ، وأنه قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل الشاعر نفسه .

قال : " أعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في " النظم والترتيب " بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف ، وذلك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه ، ولا بد من أن تكون حكايته فعلاً له ، وأن يكون بها عاملاً معلماً مثل عمل المحكي عنه . . . " والنظم والترتيب " في الكلام كما بينا ، عمل يعملهُ مؤلف الكلام في معاني الكلم لافي ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة ، فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضرر من النقش والوشى .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإننا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدّى ذلك إلى المحال ، وهو أن يكون المنشد شعراً مرسى القيس قد عمل في المعاني وترتيبها ، واستخراج النتائج والفوائد ، مثل عمل امرئ القيس ، وأن يكون حاله إذا أنشد قوله :

فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَطَيَّ بِصَلِيمٍ . . .

حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عليها صائغ من ذهب له أو فضة ، فيجسي ،

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٥ ، خفاجي : ٣٤٩ ، شاكر : ٣٥٩ .

(١) سبق تخريجه : ١٢٦ .

بمثله من ذهبه وفِضَّته ؛ وذلك يخرج بمرتكب إن ارتكبه إلى أن يكون السراوي مستحقاً ؛ لأن يوصف بأنه : " استعار " و " شبه " وأن يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظماً . (١)

وقال أيضاً :

" وجملته الحديث أنا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاماً من غير رويةً وفكرٍ ، فإن كان راوي الشعر ، ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته ، فينبغي أن لا يتأتى له رواية شعره إلا برويةً ، وإلا بأن ينظرني جميع ما نظر فيه الشاعر من أمر " النظم " وهذا ما لا يبقى معه موضع عند للشاك " (٢)

الشاهد الخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أمري ، القيس :

(٣)
* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * (٤)

(١) الدلائل ، رضا ، ٢٢٥ ، خفاجي : ٣٤٩ - ٣٥٠ ، شاكر : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٢٦ ، خفاجي : ٣٥٠ ، شاكر : ٣٦٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٣ .
(٣) رواية الكتاب : " ومنزلي " قال :

" أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت " / الكتاب : ٤ / ٢٠٥ ، ورواية شرح المفصل : " ومنزل " وذكر أنه إنشاد كثير من بني تميم . قال :

" وهذا التثنية يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب معاقباً بما فيه من الغنة لحروف المد واللين ، وقد كانوا يستظنون الغنة في كلامهم " ، وذكر أنه طس ضربين ، وببيت أمري ، القيس من الضرب الأول ، وهو أن يلحق متسا للبناء مكسلاً للوزن / شرح المفصل : ٢ / ٣٣ .

(٤) انظر : الديوان " تحقيق السندوبي " : ١٤٣ ، نقد الشعر : ٥١ ، الموشح

٢٢٦ ، المنصف في نقد الشعر : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٥٩ ، العمدة :

١ / ١٧٤ ، سر الفصاحة : ٢٧٨ ، مجالس العلماء : ١٥٧ ، المختصر في شرح =====

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز، وعجزه :
 (١) (٢) (٣)
 * يَسْقُطُ اللَّوْىَ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّلَ *
 وهو مطلع معلقته المشهورة (٤) ، ومعه :

الإيضاح : ١٠٢٠ / ٢ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٦٥٦ / ٢ ،
 المنازل والديار : ٦٠ / ١ ، المثل السائر : ٣٣٩ / ١ ، الفلك الدائر ،
 ١٨١ / ٤ ، شرح المفصل : ٣٣ / ٩ / ٢ ، تحرير التحبير : ١ / ١٦٩ ،
 الإيضاح : ٥٩١ / ٢ ، أوضح المسالك : ٤٠ / ٣ ، شرح شافية ابن
 الحاجب : ٢٤٢ / ٤ ، المستطرف : ٦ / ٢ ، الإرشاد الشافي : ١٢١ ،
 المغني : ١ / ١٦١ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد
 رقم ٥٩٧ ، شرح شواهد المغني : ٤٦٣ / ١ ، معاهد التنقيص : ١٥٧ / ٤ ،
 ٢٢٤ شاهد رقم : ٢١٧ .

(١) اللوى : بالكسر ، وفتح الواو ، والقصر ، وهو في الأصل منقطع الرملة ، يقال :
 قد ألويتم فانزلوا إذا يلفوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه ، قد
 أكثر الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى ، والرمل فعز الفصل
 بينهما ، وهو وادي من أودية بني سليم ، ويوم اللوى وقعة كانت فيه
 لبني ثعلبة على بني يربوع . / انظر :

معجم البلدان : ٢٣ / ٥ ، مرصد الاطلاع : ١٢٠٩ / ٣ .
 (٣، ٢) الدخول : على وزن فَعُول : موضع اخْتُفِ في تحديده ، فقال : محمد
 ابن حبيب : الدخول وحومل : بلاد أبي بكر بن كلاب ، وقال أبو الحسن
 الدخول وحومل : بلدان بالشام ، وأنشد لامرئ القيس : قفانك . . . /
 معجم ما استعجم : ٥٤٨ / ٢ .

(٤) ذكر السندوبي في تحقيق الديوان أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة
 ليست لدمرعب القيس ، وإنما ألحقت بشعره ، وإنما هي من شعر
 بعض النمريين .

وطبق السندوبي على هذا الزعم بقوله :

وهذا بلا شك زعم باطل وأدعاء قائل ، وإلا لما سكنت عنها الرواة من قبيلة =====

(١) (٢) قَتَوَضِحَ قَالِيَقْرَةَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا . لَنَا نَسَجَتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَقَالَ

استشهد به على أن الشعر يختص بقائله من جهة توحيه معاني الكلم التي ألف منها شعره ، ولا يختص به من جهة أنفس الكلم ، وأوضاع اللغة ، فهناك فرق بين قائل الشعر ، وبين راوي الشعر وحاكميه ، فقائل الشعر هو الذي ابتدأ نسقه وترتيبه عن قصد منه إلى صورة وصفة ، فامروء القيس حين قال :

× قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ×

كان قاصداً إلى نظم صورة معينة ، فجاء بالبيت على هذا الترتيب من كـ و نـ بـ كـ " نـ بـ كـ " جواباً للأمر ، وكون " من " معدية له إلى " ذكرى " مضافة إلى " حبيب " ، وكون " منزل " معطوفة على " حبيب " .

=== النمر بن قاسط، ولَحَاجُوا في شأنها ، وليست هذه القبيلة بالخالمة ، ولا بالضعيفة ، وقد كان فيها شعراء ، ورواة ، فليس من المعقول أن يسلموا حقوقهم ، ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم ، فتنتزع منهم قصيدة لها قيمتها ، وشهرتها بين العرب .

(٢، ١) تَوَضِّح : بضم أوله وبالضاد المعجمة المكسورة ، والحاء المهملة : موضع ما بين رمل السبخة وأود . والسبخة بفتح أوله وثانيه وبالخاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق ، وبين سَلْع الجبل المتصل بالمدينة ، وقيل أود واليقرة حذاء اليمامة / معجم ما استعجم : ١ / ٢٠٩ - ٣٢٤ ، ٢ / ٣ / ٧١٧ .

وقال أبو عبيدة : ان اليقرة ليس موضعاً ، وإنما يريد أمرؤ القيس الحوض الذي يجمع فيه الماء / معجم ما استعجم : ١ / ٥٤٨ .

وقال أبو الفرج : إن اللؤلؤ وحول وتوضح والمقرة كلها مواضع ما بين أمة إلى أسود العين ، وآخرة وأسود العين في ضربة ، وضربة في أواسط الجحى ، والجحى أرض منبت كثير العشب بالقرب من المدينة / معجم ما استعجم : ١ / ١٥٠ ، ٢ / ٣ / ٨٦٠ .

قال :

"اعظم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله ، لم تكن إضافة له من حيث هو كليم وأوضاع لغة ، ولكن من حيث توحي فيها "النظم" الذي بيننا أنه عبارة عن توحي معاني النحو في معاني الكلم .

وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص ، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه ، فإذا قلت : "غلام زيد" تناولت الإضافة "الغلام" من الجهة التي تختص منها بزيد ، وهي كونه مملوكاً " (١)

وقال أيضا :

" وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختص منها الشعر بقائله ، وإذا نظرنا وجدناه يختص به من جهة توحيه في معاني الكلم التي ألفه منها ، ما توخاه من معاني النحو ، ورأينا أنفس الكلم بمعزل عن الاختصاص . . . " (٢)

وقال أيضا :

" وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصيغة إن لم يقدم فيه ما قدم ، ثم تفرق ما فرق ، وبدي بالذي تني به ، أو تني بالذي تلت به ، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة وإذا كان كذلك ، فينبغي أن ننظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة : أفي الألفاظ يحصل له ذلك ، أم في معاني الألفاظ ؟ وليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر ، أن ليس ذلك في الألفاظ ، وإنما الذي يتصور أن يكون مقصوداً في الألفاظ هو "الوزن" وليس هو من كلامنا في شيء ، لأننا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلا به ، وليس للوزن مدخل في ذلك " (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٦-٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٤ .

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أبي تمام :

(١) لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَعَابُهُ . وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ (٢) (٣) (٤) (٥)

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، والتي

مطلعها :

(*) الدلائلي ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٣٥٨ ، شاكر : ٣٧١ .

(١) لعاب الأفاعي : اللعاب ما يسيل من الفم ، والمراد هنا سسمها /

اللسان * لعب * : ١ / ٧٤١ .

(٢) الأَرَى : بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في جـسـوف

الخلية ، وقيل عسلها حين تربى به من أفواهاها . / اللسان * أرى * :

٢٨ / ١٤٠

(٣) الجنى : اسم عام يقع على كل ما اجتنى ، فجاز أن يسمى * الأرى * جنى ؛

لأنه يجنى من مواضع النحل ، ولعموم الجنى في اللفظ حسنت

إضافة الأرى إليه ، لأن بعض الشيء يضاف إلى كله / ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي : ١٢٣ / ٣ .

(٤) اشتارته : جنته واستخرجته / اللسان * شور * : ٤ / ٤٣٤ .

(٥) العواسل جمع عاسل وعاسلة ، وهي التي تستخرج العسل . /

لسان العرب * عسل * : ١١ / ٤٤٦ ، القاموس المحيط * عسل * :

١٦ / ٤٠

(٦) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - الخطيب التبريزي - : ٣ / ١٢٣ ، ديوان أبي تمام

* دار صعب * : ٢٢٨ ، الحيوان : ١ / ٦٧ ، أمالي المرتضى :

١ / ٥٣٧ ، أدب الكتاب : ٢٦ ، الفتح : ٩٢ ، الإيضاح : ١ / ١٦٥

شرح أبيات الإيضاح : النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) ، خزانة

الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٥ .

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذَهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ . . . وَقَلْبَكَ مِنْهَا مَدَّةُ الدَّهْرِ أَهْلٌ (٢)

والشاهد من أبيات قالها في وصف القلم ، وقوله :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْكَبَاتِهِ . . . نصاب من الأمر الكلي والمفاصل

وبعده البيت وبعده :

لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا . . . بِأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَيْلٍ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ . . . وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ (٣)

استدل به الشيخ على أن النظم ليس معناه رصف الكلمات بعضها بجوار بعض

كيفما اتفق ، ولهال توخي معاني النحو .

فلو أن عامداً عد إلى بيت أبي تمام ، وجعل " لعاب الأفاعي " مبتدأ ، و" لعابه "

خبراً كما يوهم الظاهر ، لأفسد الصورة التي وضعها الناظم ، بأن جعل المراد تشبيه

" لعاب الأفاعي " بالمداد ، وهذا المعنى لم يقصده أبو تمام ، وإنما قصد تشبيه

مداد قلمه بلعاب الأفاعي إذا كتب في إقامة السياسات ، وبأرى الجنى إذا كتب

في العطايا والصلات . قال الشيخ :

(١) " ذهليّة الحي " : يجوز أن يكون نكرة ، فيكون المعنى : متى أنت

من امرأة ذهليّة حيّها ، كما تقول متى أنت عن حسنّة الوجوه ذاهل ،

أي عن امرأة حسن وجهها ، ويجوز أن تكون " ذهليّة " معرّفة

بالإضافة ، فلا يكون الغرض كالأول ، وتكون " الذهليّة " في هذا

الوجه ليست في النسب من الحي ، وهو في المتقدم من حيّ كلهم

ذهليّ . / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١١٢ .

(٢) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١١٢ ، الديوان - دار صادر - :

٠ ٢٢٦

(٣) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١٢٣ .

الديوان - دار مصعب - : ٢٢٨ .

"... فإن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة ، وهو أنه يتصور
أن يعيد عائدٌ إلى نظم كلام بعينه ، فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم
له ، ويُقيدُها عليه ، من غير أن يحول منه لفظاً عن موضعه ، أو يُبدله بغيره ،
أو يُغيّر شيئاً من ظاهر أمره على حالٍ ، مثال ذلك : أنك إن قدرت فسي
بيت أبي تمام : - - - - -

أن "لُعَابَ الْأَنْعَامِ" مبتدأ و "لُعَابُهُ" خبر ، كما يوهمه الظاهر ، أفسدت
عليه كلامه ، وأبطلت الصورة التي أرادها فيه ، وذلك أن الغرض أن يشبّه
ميدان قَلْبِهِ بلُعَابِ الْأَنْعَامِ ، على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات
أطفأ به النفوس ، وكذلك الغرض أن يشبّه يدَ أَدَةٍ بأَرْى الْجَنَى على معنى أنه
إذا كتب في القَطَايا والصَّلَاتِ أوْصَلَ بِهِ إِلَى النَفُوسِ مَا تَحْلُو مَذَاقَهُ عِنْدَهَا ،
وَأَدْخَلَ السُّرُورَ ، واللذة عليها ، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان "لعابسه"
مبتدأ ، و "لعاب الأنعام" خبراً فأما تقدُّرك أن يكون "لعابُ"
الأنعام "مبتدأ ، و "لعابهُ" خبراً ، فيحُلُّ ذلك ، ويَمْتَنِعُ مِنْهُ الْمِتَّةُ ، ويخرج
بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أبي تمام ، وهو
أن يكون أراد أن يشبّه "لعابَ الأنعام" بالمداد ، ويشبّه
كذلك "الأرى" به " (١)

وَأَسْتَدِلُّ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْأَلْفَافَ تَبِعَ لِلْمَعْنَى ، وَلَيْسَتْ الْمَعْنَى تَبِعاً لِلْأَلْفَافِ .

قال :

"واعلم أنه إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع ، فإذا
رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك ، أن المعاني
تبع للألفاظ في ترتيبها ، فإنَّ هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن ، وذلك

أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها ، لكان محالاً أن تتفسر المعاني ، والألفاظ بحالها لم تنزل عن ترتيبها ، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ ، وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة ، والمعاني هي المتبوعة " (١)

وفي البيت لطائف بلاغية منها :

إضافة الأرى إلى الجني ، وذلك للدلالة على طيب العسل ولطافته ، (٢) وإفادة معنى الكمال فيه .

وقصد من وصف اليد بعد إسنادها إلى فعل من معنى الصفة أن يكسبها معنى الخبرة ، والبراعة في العمل . (٣)

واستشهد به السكاكي على خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو من القلب أي أنه عكس التشبيه للمبالغة (٤)

ذكر المرتضى في أماليه أنه قد أجمع العلماء على أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم (٥) .

وهذا أيضاً ما رآه البغدادي في خزانته . (٦) .

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) .

(٣) هاشم الإيضاح : ١ / ١٦٥ .

(٤) المفتاح : ٩٢-٩٣ ، وانظر : الإيضاح : ١٦٥ .

(٥) أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٦ .

(٦) خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٦ .

(الخفيفة) الشاهد الثاني والخسون بعد المائتين : (*)

* نَمَ وَلِيْنٌ لَّمْ أَنْتُمْ كَرَايَ كَرَاكَ * (١)

أورد الشيخ الصدر دون العجز ، ومن غير نسبة ، ولنا ذكر أن الشيخ
(٢)
أبا علي أنشده في التذكرة . (٣)

وصدر البيت لأبي تمام وعجزه :

* شَاهِدٌ يَنْتَقُ أَنْ ذَاكَ كَذَاكَ * (٤)
(٥)

وهو أول خمسة أبيات بعده :

طَالَ صَبْرِي صَدْرِيكَ نَفْسِي وَقَلَّتْ . . . نَفْسِي يَنْتَلِي عَنْ أَنْ تُكُونَ فِدَاكَ
فِي سَبِيلِ الْهَوَى فَوَايِدِي وَمَا أَسَى (م) . . . عَلَيْهِ لَكِنْ عَلَى ذِكْرَاكَ
ذَهَبَتْ مَقْلَتَايَ بِالدَّمِ وَالْدَمْعِ (م) . . . فِي النَّارِ إِذْ نَجَتْ مَقْلَتَاكَ
لَمَسْتُ أَبْيَكِي ذَهَابَ عَيْنِي لِعَيْنِي . . . غَيْرَ أَنَّي أَبْيَكِي لِأَنْ لَا أَرَاكَ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاکر : ٣٧٣ .
(١) لم أجده في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ، وكذلك لم أعثر
عليه ، فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - دارصعب - : ٤٠٦ ، المفتاح : ٩٢ - من غير نسبه - شرح
أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٩ ب .

(٢) هو أبو علي الفارسي .

(٣) التذكرة في علوم القرآن .

(٤) رواية شرح أبيات الإيضاح - : فيض الله - : ٢٩ ب

* شَاهِدِي السَّقَمَ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ *
(٥)

ذكر الأستاذ شاکر أنه جاء في هامش إحدى المخطوطات مانصه :
" أوله :

* شَاهِدِي الدَّمَ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ *
لأبي تمام الطائي "

(٦) الديوان " دارصعب " : ٤٠٦ .

ساقه الشيخ لتوضيح قوله : إن الألفاظ تبع للمعاني وليس المعاني تبعاً للألفاظ ، فإنه إن أشكل الأمر في معرفتين هما مبتدأ وخبر كان فاصل الإشكال هو المعنى وليس اللفظ . قال الشيخ :

" واعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبراً ، ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه ، فلم تعلم أن المقدم خبر ، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر " (١) .

ثم ذكر أن أبا علي الفارسي قد أنشد في " التذكرة " بيت الشاهد وأنه قال :
 " ينبغي أن يكون كراي " خبراً مقدماً ، ويكون الأصل : " كراك كراي " أي ثم ،
 وإن لم أتم فنومك نومي ، كما تقول : " قم ، وإن جلست ، فقيامك قيامي ، هذا هو عرف الاستعمال في نحوه " ثم قال :

" وإذا كان كذلك ، فقد قُدِّم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التأخير من حيث كان خبراً " (٢)

ومعنى الشاهد : أن الشاعر هنا يخاطب محبوبته فيقول :

" ثم واسترح طول الليل ، وإن أنا لا أنام فيه . فإن نومك ، واستراحتك نومي واستراحتي ، ثم قال شاهدي بأن ذلك القول كذلك حق ، وليس بكذب سسقي في هواك ؛ لأن من ابتلى بالهوى يعدُّ راحة حبيبته راحته " (٣) .

الشاهد الثالث والخسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

بَنَوْنَا بَنُو أَبْنَانِنَا وَبَنَانِنَا . بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِصِرِ (٤) (٥) (٦)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ - ٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٣) شرح أبيات الايضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٩٠) .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٤ .

(٤) رواية حساسة أبي تمام - عسيلان - : " أَبَانِنَا " .

(٥) ذكر ابن الأنباري في الإنصاف أنه يروى " الأكاد " .

(٦) لم أجده في ديوانه - طبعة دار الباز - الحماسة لأبي تمام - ت : عسيلان - : =====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، ولينا أشار أنه من أبيات الحماسة ، وهو للغزدق (١)
استشهد به الشيخ للتنظير على أن الشاهد السابق نظير هذا البيت فسي
أنه قدم الخبر وهو معرفة ، وهو ينوي به التأخير لوجود قرينة معنوية . وعلى هذا
استشهد به النحاة (٢)

فلا يحسن أن يكون بنونا هو المبتدأ ؛ لأنه يلزم منه تشبيه البنين بأبناء الأبناء ،
وليس هذا هو المعنى الذي قصده الشاعر إنما قصد تشبيه بني الأبناء بالأبناء (٣)
ذكر المعنى أنه قيل لا تقدم في البيت ولا تأخير ؛ لأن البيت على التشبيه
المعكوس لقصد المبالغة ، فلا شاهد في البيت (٤)

== ١ / ٢٢٤ رقم (١٧٥) ، الإنصاف : ٦٦ ، شرح المفصل : ٩٩ / ١ / ١ ،
محاضرات الأدباء : ١ / ٣٦٦ ، المفتي : ٢ / ٤٥٢ ، شاهد : ٦٩٢ ،
أوضح المسالك : ١ / ١٤٥ - ذكر بعض الشعر الأول فقط - ، شرح
شواهد المفتي : ٢ / ٨٤٨ ، شاهد رقم (٦٨٧) ، التصريح بمضمون
التوضيح : ١ / ١٧٣ ، خزانة الأدب - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٤ ،
معجم الهوامع : ١ / ١٠٢ ، شرح الأشموني : ١ / ١٦٣ ، شرح الشواهد
للمعنى : ١ / ١٦٣ .

(١) هذا البيت على الرغم من شهرته ، ودورانه في كتب النحاة لم ينسب
فيها إلى قائل ، ونسبه في الخزانة للغزدق ، نقلاً عن الكرمانى في شرح
شواهد الكافية للخبصي قال :

" رأيت في شرح الكرمانى في شواهد شرح الكافية للخبصي أنه قال :
هذا البيت قائله أبو فراس همام الغزدق بن غالب ثم ترجمه ، والله
أعلم بحقيقة الحال " / الخزانة للبغدادي - مكتبة الخانجي - :
١ / ٤٤٤ .

(٢) شرح المفصل : ٢ / ٤٥٢ ، خزانة الأدب : ١ / ٤٤٤ ، شرح الشواهد
للمعنى : ١ / ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

ونذكر ابن هشام أن حمل البيت على التشبيه المعكوس للمبالغة رأى ضعيف ؛
لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول إلا أن يقتضى المقام المبالغة (١)
ونذكر العيني أن البيت يستشهد به الغرضيون على دخول أبناء الأبناء فسي
الميراث ، وأن الأنساب إلى الآباء .
واستشهد به الفقهاء في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه (٢) .

الشاهد الرابع والخسون بعد المائتين : (*) (المستقارب)

(٣) قَالَيْتَهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ . : وَلَا ذَاكِرٌ لِلَّهِ إِلَّا قَلِيلًا (٤)
ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لأبي الأسود الدؤلي .

- (١) المغني : ٢ / ٤٥٢ . (٢) شرح الشواهد للمعني : ١ / ١٦٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٧ ، خفاجي : ٣٦١ ، شاكرك : ٣٧٦ .
(٣) وفي إحدى روايات شرح شواهد المغني : " وألفيته " .
(٤) رواية الديوان ، ومجاز القرآن ، وعبث الوليد ، والمقتضب ، والإفصاح ،
وشرح جبل الزجاجي ، ولا ذاكركم بالنصب .
(٥) ديوانه : ١٢٣ ، الكتاب : ٢ / ١٦٩ ، معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٠٢ ،
مجاز القرآن : ١ / ٣٠٧ - من غير نسبه - ، شرح أبيات سيوييه للنحاس :
١٠٣ - من غير نسبه - ، عبث الوليد : ٣٨٥ - من غير نسبه - ، المقتضب :
١ / ١٥٧ ، من غير نسبه - ، وذكر في : ٢ / ٣١٢ منسوباً لأبي الأسود ،
مجالس شعلب : ١ / ١٢٣ - من غير نسبه - ، الخصائص : ١ / ٣١١ ، العجز
فقط وبدون نسبه ، الأغانبي : ١٢ / ٣١٠ ، تنزيل الآيات على الشواهد من
الآيات - الكشف - : ٤ / ٤٧٩ ، وذلك عند تفسير قوله تعالى :
" كل نفس ذائقة الموت " ، الإنصاف : ٢ / ٦٥٩ - من غير نسبه - ،
اللسان : " عتب " ، شرح المفضل : ٢ / ٩ / ٣٤ ، شرح شافية ابن الحاجب
٤ / ٣١٤ ، شرح جبل الزجاجي : ٢ / ٤٤٧ - من غير نسبه - ، المغنسي :
٢ / ٥٥٥ رقم (٧٩٣) ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٣ ، شاهد رقم (٨٢٦)
الخزانة : - دار صادر - : ٤ / ٥٥٤ .

والبيت من قصيدة قالها أبو الأسود في هجاء امرأة أغرت بجمالها ، وزعمت أنها صناع الكف حسنة التدبير ، وعرضت عليه أن يتزوجها ، ففعل ، فألقاها قد أسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتها . (١)

وأول هذه الأبيات :

أَرِنْتُ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُكُ^(٢) .: أَتَانِي فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خَلِيلًا
فَخَالَلتُ نَسَمَ أَكْرَمْتُسِهِ .: فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدَنِهِ فَتَبِيلًا
وَالْقَيْمَةَ حِمِينَ جَرَّبْتُسِهِ .: كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلًا
فَذَكَّرْتُهُ نَسَمَ عَاتَيْتُسِهِ .: عَتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَبِيلًا
فَالْقَيْمَةَ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ .: وَلَا ذَاكَرَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوَدُّعِهِ .: وَاتَّبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا (٣)

(١) ورد في الديوان والأغاني :

" كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة ، فيتحدث إليها ، وكانت بركة جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوجك ؟ فإني صناع الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها ، فتزوجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتها ، وأفشت سره ، ففدأ على من كان حضر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم . . . الأبيات .

وبعد أن انتهت من أبياتة قالوا له :

بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقته لكم ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم . / انظر القصة فسي : الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢٠-٣١١ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

(٢) أَبْلُكُ : بضم اللام والهاء ، من بلاء يبلوه بلاءً إذا جره . / اللسان : " بلا " : ١٤ / ٨٣ .

(٣) الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢٠ / ٣١٠ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

استشهد به الشيخ عند حد يسه عن توسيع مجال التفسير، والتأويل، وتعهد
 أوجه تفسير الكلام، وأن سببه هو توخي معاني النحو . قال الشيخ :

" واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر،
 فيما ذكرت لك ، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة ،
 من غير أن تغير من لفظه شيئاً ، أو تحوّل كلمة عن مكانها إلى مكان آخر ،
 وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد
 تأويلين ، أو أكثر ، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير، وهو على ذلك الطريق
 المزلّة الذي ورط كثيراً من الناس في الهلكة ، وهو ما يعلم به العاقل شدة
 الحاجة إلى هذا العلم ، وينكشف معه عوار الجاهل به ، ويفتضح عنده المظهر
 الغني عنه ، ذلك لأنه قد يدفع إلى الشيء لا يصح إلا بتقدير غير ما يريه
 الظاهر ، ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً بهذا
 العلم ، فيستكع عند ذلك في العمى ، ويقع في الضلال " (١)

فاستشهد الشيخ بالبيت على أن حذف التنوين في قوله تعالى : " وَقَالَ
 الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ " (٢)

وقوله : " وَلَا اللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ " (٣) ، لالتقاء الساكنين لا للإضافة (٤) ، وتظيرهما

-
- (١) الدلائل ، رضا : ٢٧٦-٢٨٧ ، خفاجي : ٣٦٠ ، شاكر : ٣٧٤-٣٧٥ .
 (٢) التوبة ، ٣٠ .
 (٣) يس : ٤٠ .
 (٤) وعلى هذا يكون : عزير : مبتدأ ، وابن خير ، وذكر الشيخ عبد القاهر وجهاً آخر ،
 وهو أن عزير خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو " ، وابن صفة ، أو أن يكون عزير
 مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره " معبودنا " ويكون التنوين قد سقط على حد
 سقوطه في قولنا : " جاءني زيد بن عمرو " ويكون في الكلام محذوف . / انظر :
 الدلائل ، رضا : ٢٨٧-٢٨٨ ، خفاجي : ٣٦١-٣٦٢ ، شاكر : ٣٧٥-٣٧٦ .

في ذلك بيت الشاهد^(١)، وقيل إن الحذف هنا للضرورة، وذكر ابن جني أن الحذف هنا للمبالغة، قال في باب " غلبة الغرور على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة " (٢)

الشاهد الخامس والخسون بعد المائتين : (*) (الرجز)

(٣) (٤)
* ظَرَفٌ عَجَوْنٍ فِيهِ ثَنَاتَا حَنْظَلٍ * (٥)

(١) انظر: شرح المفصل : ٣٤ / ٩ / ٢ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٣١٥ / ٤ ،

شرح جمل الزجاجي : ٤٤٧ / ٢ .

(٢) الخصائص : ٣٠٠ / ١ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٩١ ، خفاجي : ٣٦٤ ، شاكر : ٢٨٠ .

(٤) رواية الحامسة " ت : عسيلان " : وشرح ديوان الحامسة للتبريزي : " سَحَقَ جَرَابٍ " .

(٥) رواية فصيح ثعلب ، ومعاني أبيات الحامسة :

" ظَرَفٌ جَرَابٍ " .

(٥) انظر البيت في :

الكتاب : ٣ / ٥٦٩ ، ٦٢٤ ، " بدون نسبة " ، الحامسة " ت : عسيلان " :

٢ / ٤٣٢ ، إصلاح المنطق : ١٦٨ ، " من غير نسبة " ، المقترض :

٢ / ١٥٣ " من غير نسبة " ، فصيح ثعلب : ٨٥ ، معاني أبيات الحامسة

٢٤٩ " الحامسة رقم " ٨٤٣ " بدون نسبة " ، المخصص : ٣ / ١٢ / ١١٠ ،

٤ / ١٣ / ١٩٩ ، ٥ / ١٦ / ٩٨ ، ٥ / ١٧ / ٨٩ " بدون نسبه " .

شرح ديوان الحامسة للتبريزي : ٤ / ١٦٦ " بدون نسبه " ، المقرب :

١ / ٣٠٥ ، ٢ / ٤٥ ، شرح المفصل : ١٦ / ٦ ، ١٨ ، شرح شذو والذهب :

٥٤٤ ، ٤٤٥ ، شرح شواهد شروح الألفية للعيني على " هامش خزائنة

الأدب " : ٤ / ٤٨٥ ، التصريح بضمون التوضيح : ٢ / ٢٧٠ ، همع

الهوامع : ١ / ٢٥٣ ، خزانة الأدب للبغدادي : - دار صادر - : ٣ / ٣١٤ - ٣٦٧ .

أورد الشيخ عجز البيت دون الصدر، ومن غير عزو، وهو لخطام المجاشعي،
(١) ولغيره.

وصدره :

* كَأَنَّ خَصِيَّتِهِ مِنَ التَّدَدُلِ (٢) *

وقبل الشاهد :

رَحُّو الْيَدِ الْمُتَنِي مِنَ التَّرْسُلِ . . . مِنَ الرِّضَى جَنَعْدَلُ التَّكْتَلِ (٣) (٤) (٥)

استشهد به الشيخ في سياق تقريره أَنَّ الألفاظ تبع للمعاني لا العكس،

وَأَنَّ النظم هو توخي معاني النحو، وأنه السبب في تعدد أوجه الكلام، فجاء

بقوله تعالى : "وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَ آيَاتٍ خِيراً لَّكُمْ" (٦) ليقرر أن حذف الموصوف

(١) هو خطام بن نصر بن رياح بن عياض بن يربوع بن بني الأبيض بن مجاشع

ابن دارم / المؤتلف والمختلف : ١٦٠ ، وهذه نسبة الخزائنة
للبغداديين .

(٢) وذكر منسوباً لجندل بن المثنى في شرح شواهد الألفية للعيني ، وفي

التصريح بضمون التوضيح ، وجاء في نصيح ثعلب أنه لجندل أو دكين ،

ونقل العيني عن شرح الفصح للسيرافي أنه لسلمى الهذلية ، وذكر

الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية أنه ينسب أيضاً

لشأن الهذلية .

(٣) ذكر في شرح المفصل أنه يروى : "من التهدل" .

(٤) جنعدل : شديد ، الجمال الشديد القوي / اللسان

"جعدل" : ١١ / ١١٣ .

(٥) التكتل : ضرب من المشي ، فلان يَتَكْتَلُ في مشيه إذا قارب في خطوه

كأنه يتدحرج / اللسان "كتل" : ١١ / ٥٨٢-٥٨٣ .

(٦) فصيح ثعلب : ٨٥ .

(٧) النساء : ١٧١ .

بالعدد شائع إذا عليم المراد، فثلاثة هنا صفة لمبتدأ محذوف تقديره "آلِهَةٌ" ثلاثية (أو) وحذف "آلِهَةٌ" للعلم به، فالعدد إلى عشرة يحتاج إلى تمييز مجموع مخفوض، وإذا حذف المقصود بالعدد هنا فلا فرق بين أن تجعل المقصود بالعدد ميزراً، وبين أن تجعله موصوفاً بالعدد .

أما بيت الشاهد فقد جاء شاذاً مخالفاً للاستعمال العربي حيث ذكر "ثنتا" مع المعدود، وليس ذلك مستعملاً في العربية إنما المستعمل أن يقول : "حنظلتان" فالعدد "واحد - واثنان - واحدة واثنان - وثنتان" لا يحتاج إلى تمييز أصلاً ولا يجوز فيهما الإضافة ؛ لأن ذكر المعدود يُغني عن ذكر العدد ، وإذا حذف المقصود بالعدد فإنه لا يقدر إلا موصوفاً ، ولا يكون ميزراً ألبتة . (٢)

جاء في شرح المفصل :

"فَأَمَّا قول الراجز . . . فشاهد على حذف التاء في الثنية، وذلك قول من لا يفرق، وفيه شذوذان : أحدهما حذف التاء من خصييه في الثنية، وهذا الشذوذ من جهة القياس دون الاستعمال . والآخر قوله ثنتا حنظل، والقياس أن يقول حنظلتان . (٣)

(١) وحذف الخبر "لنا - أو في الوجود" لا طراد حذف هذه الأخبار في كل مامعناه التوحيد، ونفي أن يكون مع الله - تعالى عن ذلك - إله . / الدلائل، رضا : ٢٩٠-٢٩١، خفاجي : ٣٦٣، شاكر : ٣٧٩ .

(٢) التصريح بضمون التوضيح : ٢ / ٢٧٠، شرح شذوذر الذهب : ٥٤٥، خزنة الأدب : ٣ / ٣١٤-٣١٥ .

(٣) شرح المفصل : ١ / ٤ / ١٤٤ .

ب - شواهد تحرير القول في :

الاعجاز والفصاحة والبلاغة

- ١ - الإعجاز بنظم الكلام على الكلام
- ب - عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو .
- ج - فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .
- د - فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة لللفاظ .
- هـ - دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .
- و - فصاحة الكناية .
- ز - فصاحة الاستعارة

١ - الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم :

الشاهد السادس والخسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ * (١)

استشهد به الشيخ على أن العزية التي توجب الإعجاز، والتي تحتاج إلى حدة ذهنية وقوة خاطر، هو العلم بالوصف الموجب للإعراب لا العلم بالإعراب نفسه ، وذلك كالعلم بما يوجب الفاعلية للشيء ، إذا كان إيجابها من طريق المجاز ما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق ، ومسلك يلفظ . قال الشيخ :

" ثم إنا نعلم أننا العزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيها طريقه الفكر والنظر من غير شبهة ، وسحال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ، ويستعان عليها بالروية ، اللهم إلا أن تريد تأليف النظم ، وليس ذلك ما نحن فيه بسبيل ، ومن ههنا لم يجز إذا عدَّ الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعتمد فيها الإعراب ، وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم ، وليس هو ما يستنبط بالفكر ، ويستعان عليه بالروية ، فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب ، والمضاف إليه الجرباعلم من غيره ، ولا ذاك المفعول به ما يحتاجون فيه إلى حدة ذهنية وقوة خاطر ، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء ، إذا كان إيجابها من طريق المجاز ، كقوله تعالى : " فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ " (٢) وكقول الغزدي :

* سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ * .

وأشبه ذلك ما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق ، ومن طريق تطرف ،

وليس يكون هذا علماً بالإعراب ، ولكن بالوصف الموجب للإعراب " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٥ ، شاکر : ٣٩٦ .

(١) سبق تخريجه : ٦٩٧ .

(٢) البقرة : ١٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٤ ، شاکر : ٣٩٥-٣٩٦ .

الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :

عَدْلًا شَيْهًا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا . . . قَرَأَتْ بِوِ الْوَرَّاهِ (١) كِتَابَ (٢)
والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي (٣) ومطلعها :
لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي . . . أَوْ كَفَّ بَيْنَ شَأْوَ بِيُو طُولُ عِتَابِي
لَعَدَلْتُ فِي يَمْنَتَيْنِ تَقَادَمَا . . . مَتَحَوْتَيْنِ لِرَيْنَتَيْسَبٍ وَرَيْسَابِ

وقبل الشاهد :

أَذَكَّتْ عَلَيْكَ شَيْهَابَ نَارٍ فِي الْحَمَا . . . بِالْعَدْلِ وَهَذَا أَخْتُ آلِ شَيْهَابِ
وبعد الشاهد :

أَوْ مَا رَأَتْ بَرْدِيَّ مِنْ نَسَجِ الصَّبَا . . . وَرَأَتْ خِصَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِصَابِي
استشهد به الشيخ للتنظير على قوله إِنَّ الْأَلْفَاظَ لَا يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ
من حيث هي ألفاظ دون النظر إلى معانيها ، ولو كانت يتعلق بعضها ببعض
بمعزل عن المعنى لكانت شبيهة بالجنون ، وشبيهة بقراءة الحمقاء لأنصاف الكتب ؛
لأن قراءة أنصاف الكتب لا يمكن أن تدل على معنى الكتاب . قال الشيخ :
* ومعلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن يكون للفظٍ تعلق بلفظة أخرى من غير
أن يُعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ، ويراعى هناك أمرٌ يصل إحداهما
بالأخرى . . . ولو كانت الألفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي ألفاظ ،

(*) الدلائل ، رضا : ٣١١ ، خفاجي : ٣٨٢ ، شاكر : ٤٠٦ .

(١) رواية الديوان : * صدر * ، ورواية أدب الكتاب : * سطر * .

(٢) لم أعر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان * دار صعب * : ٢٣ ، أدب الكتاب : ١٤٩ ، سر الفصاحة : ١٣٢ .

(٣) (٢٥٩ هـ - ٢٦٠ هـ) سبقت ترجمته ، انظر الشاهد * الستون * : ص ٣٠٩ .

ومع أطراح النظر في معانيها، لأننى ذلك إلى أن يكون الناس حين ضحكوا
 ما يصنع المجان من قراءة أنصاف الكتب، ضحكوا عن جهالة، وأن يكون
 أبو تمام قد أخطأ حين قال :

عَدَّ لَا شَبِيهَا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا . . . قَرَأَتْ بِوِ الْوَرَهَاءُ شَطْرَ كِتَابِ
 لأنهم لم يضحكوا إلا من عدم التعلق، ولم يجعله، أبو تمام جُنُونًا إلا لذلك،
 فأنظر إلى ما يلزم هؤلاء القوم من طرائف الأمور* (١)

(١) الدلائل : رضا : ٣١١ ، خفاجي : ٣٨١ - ٣٨٢ ، شاكر : ٤٠٦ .

ب - " عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو "

الشاهد الثامن والخسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ (١) *

استشهد به الشيخ ليقرر ويبرهن أن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو، فلو أننا عمدنا إلى بيت الشاهد ووضعنا الألفاظ وضعاً يتمتع معه دخول شيء من معاني النحو، فقلنا : " مِنْ نَبْكَ قَفَا حَبِيبٍ ذِكْرِي مَنْزِلٍ " .

لم يتعلق معنا بالفكر . قال الشيخ :

" وما ينبغي أن يعلم الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل، أن يتفكر متفكر في معنى " فعلٍ " من غير أن يريد إعماله في " اسم " ولا أن يتفكر في معنى " اسم " من غير أن يريد إعمال " فعلٍ " فيه، وجعله فاعلاً له، أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً بوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ، أو خبراً، أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك .

ولن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزائه عمن مواضعها، وضعها وضعاً يتمتع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في :

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *

" مِنْ نَبْكَ قَفَا حَبِيبٍ ذِكْرِي مَنْزِلٍ " ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة

سها ؟ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣١٤ ، خفاجي : ٣٨٦ ، شاكراً : ٤١٠ .

(١) سبق تخريجه : ٨٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٤ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكراً : ٤١٠ .

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . . وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (١)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشَّيْخُ هُنَا قَدْ اسْتَحْسَنَ التَّشْبِيهَ فِي بَيْتِ بَشَارٍ ؛ لِأَنَّ صُورَةَ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُرْتَبِطٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ النِّظْمُ وَمَعَانِي النِّحْوِ ، فَهُوَ حِينَ جَاءَ بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ " كَأَنَّ " كَانَ قَاصِداً إِلَى إِيقَاعِ التَّشْبِيهِ ، وَحِينَ قَالَ " مَنَارَ النَّقْعِ " إِنَّمَا فُكِّرَ فِي إِضَافَةِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي . . . وَهَكَذَا فَكُلُ كَلِمَةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ قَاصِداً تَعْلِيلُهَا بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ الَّتِي تَلِيهَا ، فَبَيْتُهُ كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرُغَةِ لَا تَقْبَلُ التَّقْسِيمَ ، فَهُوَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ كَلَامٌ وَاحِدٌ ، حَيْثُ اتَّحَدَتْ مَعَانِي الْبَيْتِ ، فَصَارَتْ الْأَلْفَاظُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَفْظَةً وَاحِدَةً ، قَالَ الشَّيْخُ :

" وَانْظُرْ هَلْ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ بَشَارٌ قَدْ أَظْهَرَ مَعَانِي هَذِهِ الْكَلِمِ بِبَالِهِ أَفْصَرَاداً عَاطِفَةً مِنْ مَعَانِي النِّحْوِ الَّتِي تَرَاهَا فِيهَا ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ " كَأَنَّ " فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ إِيقَاعِ التَّشْبِيهِ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ ، وَأَنْ يَكُونَ فُكِّرَ فِي " مَنَارِ النَّقْعِ " مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِضَافَةَ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي ، وَفُكِّرَ فِي " فَوْقَ رُؤُوسِنَا " مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَضِيفَ " فَوْقَ " إِلَى " الرُّؤُوسِ " وَفِي " الْأَسْيَافِ " مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ عَطْفَهَا بِالْوَاوِ عَلَى " مَنَارِ " وَفِي " الْوَاوِ " مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْعَطْفَ بِهَا ، وَأَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ فُكِّرَ فِي " اللَّيْلِ " مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ خَيْرًا " لَكَأَنَّ " وَفِي " تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ " مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ " تَهَاوَى " فِعْلاً لِلْكَوَاكِبِ ، ثُمَّ يَجْعَلُ صِفَةً لِلَّيْلِ ، لِيَتِمَّ الَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّشْبِيهِ أَمْ لَمْ يُخْطِئْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ بِبَالِهِ إِلَّا مُرَاداً فِيهَا هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَالْمَعَانِي الَّتِي تَرَاهَا فِيهَا ؟ " (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاکر : ٤١١ .

(١) سبق تخريجه : ٢٨٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاکر : ٤١٢ .

وقال في موضع آخر من نفس الفصل :

* وليت شعري ، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ؟ ومعنى " القصد إلى معاني الكلم " أن تعلم السامع بها شيئاً لا يعلمه ، ومعلوم أنك ، أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلم بها * (١)
وأشار إلى أن النظم وتوخي معاني النحو يسبب الكلام سبكاً واحداً ، ويجعله في اتصاله ، وترابطه كالجملة الواحدة . قال الشيخ :

* فبيت بشار إذا تألمته وجدته كالحلقة المفردة التي لا تقبل التقسيم ، ورأيت قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنع المصانع حين يأخذ كسراً من الذهب ، فيذيبها ، ثم يصبها في قالب ، ويخرجها لك سواراً أو خنجرًا ، وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض ، كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار ، وذلك أنه لم يريد أن يشبه النقع بالليل على حدة ، والأسياف بالكواكب على حدة ، ولكنه أراد أن يشبه النقع والأسياف تجول فيه بالليل في حال ما تتكرر الكواكب ، وتتهاوى فيه . فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد ، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد * (٢)

وقال أيضا :

* فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت أتقول إن ألفاظها اتحدت فصارت واحدة أم تقول إن معانيها اتحدت فصارت الألفاظ من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة * (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاكر : ٤١٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٧ ، خفاجي : ٣٨٩ ، شاكر : ٤١٤ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحات .

وَيَتَّبِعْ نِعْمَتِي بِكَ عِمْنَ ضَمْنٍ . : كَمَا نَظَرَ الْيَتِيمَ إِلَى الْوَصِيِّ
رَجَاءً أَنَّهُ يُؤَرِّى بِزَنْدِي . : إِلَيْكَ وَأَنْهُ يَقْرِي فَرِي (١)

وبعد الشاهد :

أَرَى الْإِخْوَانَ مَا غَيَّيْتَ عَنْهُمْ . : يَسْقُطُ ذَلِكَ الشَّعْبُ الْقَصِي
وَيَرْدُّوهُ صَفَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ . : كَمَا رَدَّ النِّكَاحُ يَلًا وَلَرِي (٢)

استشهد به الشيخ مثلاً على استحالة اتصال الكلم بعضها ببعض من غير توخي
معاني النحو، فإن من ادعى أنه أوتي علماً قد حجب عن الناس، وأنه قد علم لاتصال
الكلم بعضها ببعض وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض معاني غير معاني النحو،
فإنه يسلم له بذلك إذا أصبحت العنقاء تربى بين الناس كما يرى الحمام، وإذا صح
أن يكون للمخسي ولد .

قال الشيخ :

* ولولا أَنَا نَجَبٌ أَنْ لَا يَتَّيَسُّ أَحَدٌ فِي مَعْنَى السُّؤَالِ وَالْإِعْتِرَاضِ بِحُجْرَتِهِ
إِلَّا أَرَيْنَاهُ الَّذِي اسْتَهْوَاهُ ، لَكَانَ تَرَكَ التَّشَاغُلَ بِإِيرَادِ هَذَا وَشَبَّهَهُ أَوَّلَى .
ذَاكَ لِأَنَّا قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ضَرُورَةٍ أَنَّا لَوْ بَقِينَا الدَّهْرَ الْأَطْوَلَ نَصْعَدُ وَنُصَوِّبُ ،

(١) يغري فريسي : أي يعمل عملي ، وأصل الغري : قطع الأديم والجِلْد ،

ثم استعير لغير ذلك / مختار الصحاح * فرا : ٥٠٢ .

(٢) لم أجد البيت إلا في :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٨ .

الديوان * دار صعب * : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

(٣) انظر الأبيات في :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٩ .

الديوان * دار صعب * : ٣٠٨ ، الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

ونبحث وننقب ، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها ، ولفظة قد انتظمت مع أختيها من غير أن تُوْحِي فيما بينهما معنى من معاني النحو طلبنا متنعاً ، وشئنا مطايا الفكر طلعاً ، فإن كان ههنا من يشك في ذلك ، ويزعم أنه قد علم لا اتصال الكلم بعضها ببعض ، وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض ، معانيس غير معاني النحو ، فإننا نقول له : هات ، فَيبين لنا تلك المعاني ، وأرنا مكانها ، وأهدنا لها ، فلعلك قد أوتيت علماً قد حُجِبَ عَنَّا ، وفتح لك باباً قد أُغْلِقَ دوننا :

وَذَاكَ لَمْ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ . . . مُرَبَّةً وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِي * (١)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٢ ، خفاجي : ٣٩٣-٣٩٤ ، شاکر : ٤٢٠ .

د - " فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ "

(المتقارب)

الشاهد الواحد والستون بعد المائتين : (*)

المتنبى :

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ . : وَتَأْتِي (١) الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي ٣٩٦-٣٩٧-٤٠٠ ، شاکر : ٤٢٣-٤٢٤-٤٢٨ .

(١) الطباع والطبيعة والطبع بمعنى واحد وهي الخليفة والسجية ، ورواية

الديوان : " يأبى " ، جاء في شرح الديوان للعكبري : " قال ابن القطاع : قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه ، وتأبى بالتاء ، وهو غلط لا يجوز قال : قال لي شيعي :

أخبرني أبو علي بن رُسَيْدٍ ، قال : لما قرأت هذا البيت قرأته بالتاء ، فقال : لم أقل هكذا ، إلا أن الطبع والطباع والطبيعة واحد ، والطبع مصدر لا يشتى ولا يجمع والطبيعة مؤنثة ، وجمعها طبائع ، والطباع واحد مذكر ، وجمعه طبع ، ككتاب وكتب ، وليس الطباع جمعاً لطبع ، وهذا البيت من كلام الحكيم ، قال الحكيم :

نقل الطباع من ردي الأطعام شديد الامتناع * / الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٢ ، والذي جاء في اللسان يطل كلام ابن القطاع حيث جاء فيه أن الطباع جمع طبع ، وأن الطباع كالطبيعة مؤنثة ، وليس فيه ما يؤيده إلا كلام الزجاج . جاء في اللسان :

" الطبع والطبيعة : الخليفة والسجية التي جبل عليها الإنسان والطباع كالطبيعة مؤنثة ، وقال أبو القاسم الزجاجي الطباع واحد مذكر كالتحاس والنجار .

قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً .

وهو ما طبع عليه من طباع الانسان في ماكله ، ومشربه وسهولة أخلاقه ، وحزونها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته ويخله وسخائه والطباع واحد طباع الإنسان . / اللسان " طبع " : ٢٣٢ / ٨ .

(٢) لم أجده فيها اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح العكبري : ٢٢ / ٣ ، الوساطة : ٣٢٢ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٩٨ ، الإبانة عن سرقات المتنبى : ١٤٠ .

وهو من قصيدة قالها في سيف الدولة يمدحه ويذكر استنقاده أبا وائل تغلب
ابن داود من الأسر، ومطلعها :

إِلَّامَ طَمَاعِيَةِ الْعَانِلِ . . وَلَا رَأَى فِي الْحُسْبِ لِلْعَاقِلِ (١)
وَأِنِّي لَأَعْتَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ . . نَحُولِي وَكُلَّ أَشْرِي نَاحِلِ
وَلَوْ زِلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ . . بَكَيْتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ (٢)

استشهد به الشيخ في الرد على من قال إن فصاحة وصف للفظ من جهة
أنه يجوز أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين مخطفين ، ويوصف أحدهما بأنه
فصيح ، والآخر بأنه غير فصيح ، فذكر الشيخ أن الجواب عن هذا يحتل أمرين :
أن يكون المراد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة ، وهذا الأمر
خارج عن المسألة ؛ لأن الشيخ يتحدث عن فصاحة تحدث في اللفظ بعد التأليف .

الأمر الثاني : أن يراد باللفظين كلامان ، وهذا هو المراد .

ثم ذكر أن ههنا أصلاً من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو أن المعانسي
منها ما يكون غفلاً ساذجاً عاصياً موجوداً في كلام الناس ، فيأخذه الحاذق العالم
بغنون التعبير ، فيصوغه في صورة بدیعة ، فقول الناس : " الطبع لا يتغير " و " لست
تستطيع أن تخرج الإنسان عما جبل عليه " معنى غفل ساذج أخذه المتنبي فأحسن
صياغته ، وأحكم تأليفه ، فأخرجه في أبهى صورة .

قال الشيخ :

" فإن العقلاء إلى هذا قصدوا حين قالوا : " إنه يصح أن يُعَبَّرَ عن المعنى
الواحد بلفظين ، ثم يكون أحدهما فصيحاً والآخر غير فصيح " كأنهم قالوا :
إنه يصح أن تكون ههنا عبارتان أصل المعنى فيهما واحد ، ثم يكون لإحداهما

(١) الديوان بشرح المعكيري : ٣ / ٢١ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٢ .

في تحسين ذلك المعنى وتزيينه ، ولإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون

للأخرى * (١)

وقال أيضا :

* . . . ان سبيل المعاني سبيل أشكال الحُلِيِّ ، كالحاتم والشنف والسوار ،
فكما أن من شأن هذه الأشكال أن يكون الواحد منها غفلاً سانجاً ، لم يعمل
صانع فيه شيئاً أكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتماً ،
والشنف إن كان شنفاً ، وأن يكون مصنوعاً بديعاً قد أغرب صانعه فيه ،
كذلك سبيل المعاني ، أن ترى الواحد منها غفلاً سانجاً عامياً موجوداً
في كلام الناس كلهم ، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة
ولإحداث الصور في المعاني ، فيصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق حتى
يقرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويدع في الصياغة ، وشواهد ذلك
حاضرة لك كيف شئت ، وأمثله نصب عينيك من أين نظرت .

تنظر إلى قول الناس : " الطبع لا يتغير " و " لست تستطيع أن تخرج الإنسان
عما جيل عليه " ، فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وأمة ، ثم تنظر إليه
في قول المتنبي :

يَرَانُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ . . . وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد أن كان خرزة ،
وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً * (٢)

الشاهد الثاني والستون بعد المائتين : (*) (السريع)

قول أبي نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِسْتَنْكَرٍ . . . أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٦-٣٩٧ ، شاکر : ٤٢٢-٤٢٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاکر : ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٥-٣٢٨ ، خفاجي : ٣٩٧-٤٠٠ ، شاکر : ٤٢٤-٤٢٨ .

(٣) سبق تخريجه : ٥٣٢

الشاهد فيه كسابقه .

فقول أبي نواس قد حصل له الحسن وفاق على قولنا : " غيرُ بديع في قدرة
الله تعالى أن يجمع فضائل الخلق كلّهم في رجلٍ واحد " لمزية حصلت في معناه .
قال الشيخ :

" إن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه لاسن أجل جَورِسه
وَصَدَاه " (١)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٤ .

د - دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني *

الشاهد الثالث والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

أَنَّ أُرْعِشْتَ كَمَا أَيْبِكَ وَأَصْبَحْتَ . يَدَاكَ يَدَي لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِيَةٌ (٢) (٣)

والبيت أورده الشيخ من غير عزو، وهو للغزدق من أبيات قالها في ابنه لبطنة، وكان من عى أباه (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكِر : ٤٢٥ .

(١) رواية الحماسة لأبي تام - ت : عسيلان - : * أُرْعِشْتَ * بالبناء للمجهول .

(٢) رواية حماسة أبي تام : * فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ * .

ورواية الديوان والأغاني * فَإِنَّكَ جَانِبُهُ * .

ورواية * العققة والبررة * : * فَإِنَّكَ حَارِبُهُ * .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان : ١٠٥ ، الحماسة - لأبي تام - * عسيلان * : ١٦٦ / ٢ رقم

الشهد (٦٠٩) ، العققة والبررة - ضمن نوادر المخطوطات - : ٣٥٦ / ٢ ،

الأغاني : ٣٢٢ / ٢١ .

(٤) تنسب البيت في حماسة أبي تام لفرعان بن الأعرف في ابنه منازل ، وكذلك

ذكر أبو عبيدة في كتابه العققة والبررة بعض أبيات القصيدة دون ذكر

بيت الشاهد ونسبها - أيضا - لفرعان .

جاء في كتاب العققة والبررة (ص ٣٦٠) أن فرعان قد تزوج على أم منازل

- وهو ابنه - امرأة شابة ، فغضب منازل لأنه فاستاق ماله من أبيه واعتزل

مع أمه ، فقال فرعان هذه الأبيات /

وذكر أبو عبيدة في موضع آخر من كتابه أنها للغزدق قال :

* ومن عى أباه لبطنة بن الفرزدق ، وكان يطيع امرأته ، وكانت تحرشه عليه ،

فقال الفرزدق . . . الأبيات * / ٣٥٦ / ٢ .

وذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنها تنسب لفرعان أو للفرزدق أو للبطنة

ابن الفرزدق ، ويبدو لي أن البيت أصلاً لفرعان أخذه الفرزدق ، وكان كثيراً

ما يغير على أشعار الشعراء ، وكان يقول : ضَوَّال الشعر أحب إلي من ضَوَّال الإبل

وفرعان هو ابن الأعرف أحد بني مرة بن عبيدة بن الحارث بن عمرو =====

وهو أول^(١) الأبيات وبعده :

إِذَا غَلَبَ ابْنُ الشَّهَابِ أَبَا لَسْمَ . كَيْبَرًا فَلَيْنَ اللَّهْ لَا بُدَّ غَالِبُهُ^(٢)
رَأَيْتُ تَبَاشِيرَ الْعُقُوقِ هِيَ النَّبِي . مِنْ ابْنِ امْرِئٍ مَا إِنْ يَزَالُ يَمَارِئُهُ^(٣)
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبِرْتُ وَأَنْتَسِي . أَخُو الْحَيِّ وَاسْتَفْتَنِي عَنِ الْمَسْحِ شَارِيَهُ^(٤)
أَصَاحَ لِغُرَبَاءِ النَّعْيِ وَلَيْتَهُ . لَا زُورَ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ

==
ابن مقاسم بن كعب بن سعد شاعر مخضرم، وله ابن اسمه منازل كان قد
عق في الجاهلية، ولوى يده، فدعا عليه فلويت يده، ويعد منازل في الصحابة
التقى به عمر بن الخطاب وسأله عن التواء يده فذكر له ما حدث، فقال عمر:
الله أكبر هذا دعا آبائكم في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟ / انظر ترجمته:
العققة والبررة: ٣٦٠-٣٦٢، المؤلف: ٥١، معجم الشعراء: ٣١٦،
الإصابة: ٤٧٧/٣، "ضمن ترجمة ابنه منازل".

(١) هذا على رواية الديوان أما رواية الحماسة وهي منسوبة لفرغان "فلان
أول الأبيات:

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ . جَزَاءَ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُهُ
وقبل الشاهد :

وَكَانَ لَهْ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى . عَلَى الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْيَبُهُ
وَرَبِيتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ . أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفْتَنِي عَنِ الْمَسْحِ شَارِيَهُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَجَمَعْتُهَا نَهْمًا جِلَادًا كَأَنَّهُمَا . أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تَقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيلًا كَأَنَّنِي . حَسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِيهُ /
الحماسة: ١٦٦/٢،

(٢) رواية الأغاني: "إِذَا غَلَبَ".

(٣) رواية "العققة والبررة": "يفالبه".

(٤) رواية "العققة والبررة": "لعريان النجى" يقال فلان عريان النجى:

إذا كان يناجي امرأته وشاورها ويصدر عن رأيها، وهذه رواية أشبه بالقصة.

ورواية الأغاني: "لعريان النجى".

وغربان النجى: قرناء السوء.

استشهد به على أن التشبيه أبين وأوضح شيء في الكشف عن شبهة
من قال أن العزبة للفظ لا للمعنى .

فقول الغزدي حصلت له العزبة ووجب له الحسن ؛ لأنه أراد أن يثبت لابنه
قوة الليث فبالغ في وصفه بأن حذف الأداة ووجه الشبه ، وجعل يديه هي يدي
الليث بعينه . قال الشيخ :

" واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأمله
في صحة ما قلناه من " التشبيه " ، فإنك تقول : " زيد كالأسد " أو " مثل
الأسد " أو " شبه بالأسد " فتجد ذلك كله تشبيهاً غفلاً ساذجاً ثم
تقول : " كأن زيدا الأسد " ، فيكون تشبيهاً أيضاً ، إلا أنك ترى بينه وبين
الأول بؤناً بعيداً ؛ لأنك ترى له صورة خاصة ، وتجدك قد فحمت المعنى ،
وزدت فيه ، بأن أفدت أنه من الشجاعة ، وشدة البطش ، وأن قلبه قلب
لا يخامر الذعر ، ولا يدخله الروع ، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه ، ثم تقول :
" لئن لقيته ليلقيك منه الأسد " فتجده قد أفاد هذه المبالغة ، ولكن
في صورة أحسن ، وصفة أخص ، وذلك أنك تجعله في " كأن " يتوهم
أنه الأسد ، وتجعله ههنا يرى منه الأسد على القطع ، فيخرج الأمر عن حد
التوهم إلى حد اليقين ثم إن نظرت إلى قوله :

أَنَّ أُرْعِشْتَ كَفَأَ أَيْكَ وَأَصْبَحْتَ . . يَدَاكَ يَدَي لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهُ
وجدته قد بدا لك في صورة آتق وأحسن (١)

الشاهد الرابع الستون بعد المائتين : (*) (البسيط)

قول أُرطاة بن سمية :

إِنْ تَلَقَّيْ لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ . . تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاکر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٤٣٥ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاکر : ٣٢٦ .

(٢) سبق تخريجه : ٥٧٩ .

استشهد به الشيخ على أنه كلما ارتقينا في درجات التشبيه كلما ازدادت الصورة حسناً وروناً ، وفي هذا دليل على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني ، وما ذاك إلا أنه قد فُحِّمَ المعنى ، وبُيُولِغَ فيه ، فبيت الشاهد ازداد حسناً عن الشاهد السابق ؛ لأنه بولغ فيه في التشبيه ، فحذف المشبه وبقي المشبه به ، فَجَعَلَ نفسه الأسند بعينه على القطع لا على التوهم . قال الشيخ :

" ثم إن نظرت إلى قول أوطاة بن سبهية : - - - - -

وجدته قد فَضَّلَ الجميع ، ورأيت أنه قد أُخْرِجَ في صورة غير تلك الصُّور كلها " (١)
ويظهر من كلام الشيخ أنه ربط بين التشبيه والاستمارة ربطاً حكماً ، وجعل التشبيه كالأصل في الاستمارة ، وأن حسنهما يتوقف على قدر إخفاء التشبيه .
فلا استمارة عنده تشبيه بولغ فيه .

و - - فضاحة الكناية :

الشاهد الخامس والستون بعد المائتين : (*) (المنسرح)

بيت ابن هرمة :

" وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ " (٢)

استشهد به في الرد على من قال :

" إن التفسير يجب أن يكون كالمفسر " أي أنه لا يجوز أن يكون للفظ المفسر

فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير فرد عليهم الشيخ ببيت الشاهد وأنه

محال أن يكون المعنى في قول الشاعر :

" وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ "

كحال من قال : (أنا مضياف * ، فإن من شأن المعاني أن تختلف بهما

الصور . قال الشيخ :

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٧-٣٣١ ، خفاجي : ٤٠٢-٣٩٩ ، شاكر : ٤٢٧-٤٣١ .

(٢) مضي : ص ٦٥٨

" اعلم أن قولهم : " إن التفسير يجب أن يكون كالمفسر " دعوى لا تصح لهم إلا من بعد أن ينكروا الذي بيناه من أن من شأن المعاني أن تختلف بها الصور، ويدفعوه أصلاً، وحتى يدعوا أنه لا فرق بين " الكناية " و " التصريح " وأن حال المعنى مع " الاستعارة " كحاله مع ترك الاستعارة ، وحتى يطلخوا ما أطبق عليه العقلاء من أن " المجاز " يكون أبداً أبلغ من الحقيقة ، فيزعموا أن قولنا : " طويل النجاد " و " طويل القامة " واحد ، وأن حال المعنى في بيت أبى هريرة :

﴿ وَلَا أَتَّبَعُ إِلَّا قَرِيْبَةً الْأَجَلِ ﴾

كحاله في قولك : (أنا مضياف) (١)

واستشهد به بعد ذلك على أن حقيقة الكناية أنها إثبات لمعنى من طريق

المعقول دون طريق اللفظ . (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٧ ، خفاجي : ٣٩٩ ، شاکر : ٤٢٦-٤٢٧ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣١ ، خفاجي : ٤٠٢ ، شاکر : ٤٣١ .

ز - فصاحة الاستعارة :

الشاهد السادس والستون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

قول المتنبي :

نَحْنُ رُكْبٌ يَلْجَيْنِ فِي زِيِّ نَاسٍ . فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي (٤) ومطلعها :

صَلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوَصَالِ . تَكْسِرُنِي فِي السَّقَمِ (٥) تَكْسِرُ الْهِلَالَ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكرو : ٤٣٤ .

(١) رواية سر الفصاحة والفتاح . والإيضاح وشرح أبيات الإيضاح :

” نَحْنُ قَوْمٌ ” .

ورواية ” مواهب الفتاح ” : ” نَحْنُ جِنٌّ بَرَزْنَا فِي زِيِّ نَاسٍ ”

(٢) يريد ” مِّنَ الْجِنِّ ” فحذف النون .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ١٩٤ ، المصنف

الطيب : ٤ / ٣٣٨ ، الخصائص : ٣٠٢ ، الوساطة : ٢٨٤ ، الإبانة

عن سرقات المتنبي : ١١٤ ، سر الفصاحة : ١٠٦ ، الفتاح : ١٥٨ ،

الإيضاح : ٢ / ٤١٦ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم

الشاهد (٣٥٢) ، شروح التلخيص ” مواهب الفتاح ” : ٤ / ٦٦ ، عروس

الأفراح ” : ٤ / ٦٢ .

(٤) لم أقف له على ترجمة بعد .

(٥) السَّقَمُ والسَّقَمُ : المرض وهما لغتان فصيحتان / الصحاح ” سقم : ١٩٤٩ / ٥

(٦) تَكْسَرَتِ الشَّيْءُ أَنْكَسَهُ تَكْسَاً : قلبته على رأسه فَأَتَتْكَسَ ، وَتَكْسَتُهُ تَنْكِيسَاً ،

والتَّكْسُ بِالضَّمِّ : قَوْدُ الْمَرِيضِ بَعْدَ النَّقْصِ ، وَالتَّكْسُ بِضَمِّ النُّونِ ” ،

الاسم ” وفتحها ” : المصدر والمعنى : كنت صحيح الجسم كاملاً

الخلق ، فنكسني وصل الهجر ، وبعد الوصال إلى أن أعادني إلى السقم ،

كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تنامه . / الصحاح ” تكس : ٣ / ٩٨٦ ،

لسان العرب ” تكس : ٦ / ٢٤٣ ، شرح العكبري للديوان : ٣ / ١٩١ .

وقبل الشاهد :

وَلِيَحْتَفِ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مَجْسَبٍ . . وَلِيَعْمُرَ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِسِي (١)

وبعد الشاهد وبعده :

مِنْ بَنَاتِ الْجَوِيلِ تَشِي يَنَافِي الْبَيْدِ (م) . . شَيِّ الْأَيَّامِ فِي الْآجَالِ (٢)

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة ليست نقل اسم عن شيء إلى شيء ، ولكنها أَدْعَاءُ معنى الاسم لشيء ، فالاستعارة إما أن تنفي عن المشبه اسم جنسه ، فتقول : ليس هو آدمي وإنما هو ملك .

أو هو عدم إرادة إخراج الشيء عن جنسه جملة فتقول هو ملك في صورة آدمي ، وعلى القول الأخير خرج قول المتنبي ، فبالغ وأدعى أن ركه ركب من الجن في صدور الأمور العجيبة منهم قد تروا بزي الناس ، وأدعى أن جمالهم تخيل للناظر نفسي سرعتها أنها طير على الحقيقة ، لكنها في شكل الجمال ، قال الشيخ :

" واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم ، إذ أقاسوا وشبهوا ، على أن الأشياء تستحق

الأسامي لخواص معانٍ هي فيها دون ماعداها ، فإذا أثبتوا خاصة شيء لشيء ،

أثبتوا له اسمه ، فإذا جعلوا " الرجل " بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ،

ولا يعدم منها شيئاً قالوا : " هو أسد " ، وإذا وصفوه بالتناهي في الخير

والخصال الشريفة ، أو بالحسن الذي يتهر قالوا : " هو ملك " وإذا وصفوا

الشيء بقاية الطيب قالوا : " هو مسك " وكذلك الحكم أبداً . ثم إنهم

إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا : " ليس هو بإنسان ،

ولنا هو أسد " و " ليس هو آدمياً وإنما هو ملك " كما قال الله تعالى :

" مَا هَذَا بِبَشَرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا تِلْكَ كَرِيمٌ " (٣) ثم إن لم يريدوا أن يخرجوه عن

جنسه جملة قالوا : " هو أسد في صورة إنسان " و " هو ملك في صورة آدمي "

(١) الديوان بشرح المكبري : ٣ / ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٩٤ .

(٣) يوسف : ٣١ .

وقد خرج هذا للمتنبى في أحسن عبارة وذلك في قوله :

البيت * (١)

ولينا لجأ المتنبى لهذه الطريقة من أجل المبالغة في المعنى . قال ابن جنى في " باب من غلبه الغرور على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة . . . وآخر من جاء به شاعرنا فقال :

نَحْنُ رَكْبٌ يَلْحَنُ فِي زَيِّ نَاسٍ . . . فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شَخْوصُ الْجَمَالِ
فجعل كونهم جنأ أصلاً ، وجعل كونهم ناساً فرعاً ، وجعل كون مطايا طيراً أصلاً ، وكونها جمالاً فرعاً فشبّه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد * (٢)

وذكر ابن سنان الخفاجي أن ابن جنى قد حمل البيت على الكلام المقلوب ، وهذا يفسد المعنى وذكر أنه جعل تقديره نحن ركب من الإنس في زي الجن فوق جمال لها شخوص طير وعلق على ذلك بقوله :

" وهذا عندي تعسف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ويراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء ، فيقول : نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ لَجوبنا الفلاة والمهامسة والقفار التي لا تسلك وقلة قرّنا فيها ، إلا أننسا في زي الإنس ، وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا ، إلا أن شخوصها شخوص الجمال ، ولا شك أيضاً في ذلك (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٢-٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكر : ٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) الخصائص : ٣٠١-٣٠٢-٣٠٣ .

(٣) القرق : الجماعة / اللسان " قرق " : ١٠ / ٣٢٢ .

(٤) سر الفصاحة : ١٠٦ .

ولقد ذكرت آنفا رأي ابن جنى في البيت ، وأنه بناء على المبالغة ، وجعل كونهم جنّاً أصلاً ، فهو على خلاف ما أورده ابن سنان عن ابن جنى .
وفي البيت لطيفة بلاغية أحببت الإشارة إليها وهي الحذف في قولـــــــــــــــــه
” ملحن ” ، فيبدو لي أن سر الحذف هنا يرجع إلى أن الشاعر يتحدث عن موقف غريب ، وهو كونهم جنّاً ، فالحذف هنا يزيد من غرابة الموقف ، ويضفي عليه نوعاً من الغموض ، أو لأن الشاعر تحدث عن وجه كونهم جنّاً ، وهو سرعة صدور الأفعال منهم ، فحذف النون يرمز إلى تلك السرعة .

الشاهد السابع الستون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد : (١)

وَعْدَاةٍ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ (٢) وَوَقْرَةً . . . إِنْ أَصْبَحَتْ يَبْدُ الشَّامِ زَيْمًا (٣)
(٤)

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٧ .
(١) وقد أعاد الشيخ الاستشهاد بالبيت على نفس الموضع ، انظر الدلائل : رضا : ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاكر : ٤٦٠ ، ٤٦١ .
(٢) رواية الديوان والمعدة : ” قد وزعت ” .
ورواية البديع لابن المعتز ، والدلائل تحقيق خفاجي ، شاكر ، ورواية الإيضاح وشرح أبيات الإيضاح : ” قد كشفت ” .
(٣) جعل الشيخ عبد القاهر ، الضمير هنا ، والضمير في أصبحت عائداً إلى ” الغداة ” ، وجعله الزمخشري عائداً للقرة .
ورأى الخطيب القزويني أن ما ذهب إليه الزمخشري أظهر .
ويبدو أن قول الزمخشري هو الأفضل كما قال الخطيب لأن المراد أن القرة ، وهي النهر الشديد ، قد عم جميع النواحي والجهات حتى كأنها بعمير زمامه في يد ربح الشمال ، فهي تذهب بها في نواحيها المختلفة .
(٤) انظر البيت في : شعر لبيد بن ربيعة : ٤٣ ، ديوان لبيد بن ربيعة - العامري : ٢٢٨ ، البديع لابن المعتز : ١١ ، رسائل ابن المعتز : ١٠ ، الوساطة ٣٤ ، بديع القرآن : ١٨ ، الموازنة - ت : محي الدين عبد الحميد - : ١٨ ، المعدة : =====

وهو من قصيدة . مطلعها :

عَتَّ الدَّيَّارَ مَحَلَّهَا فَمَقَامَهَا . يَمْنَى تَابَتْ غَوْلَهَا فَرَجَاهَا (١)

وقبل الشاهد :

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ . لِأَعْلَى يَنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامُ

وبعد الشاهد وبعده :

يَصْبُوحُ صَافِيَةً وَجَدَّ كَرِيْمَةً . يَمُوتُ تَأْتَلُهُ إِهْبَاهُ (٢) (٣) (٤) (٥)

== ٢٦٩، الصناعتين ، ٣١٤، الإيضاح : ٤٤٤/٢ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة

الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٢) ، شرح الطخيش : " عروس الأفراح " : ١٥٤ / ٤

عقود الدرر : ٥١ ب .

(١) مَنَى : هو جبل أحمر عظيم ، ليس بالحصى جبل أطول منه ، وهو يشرف

على ما حوله من الجبال ، وفي أصله ماء لبني زَبَّان في أرض غَنِيٍّ ، ومَنَى عن

يسار طريق أهل البصرة إلى مكة للصَّعِيدِ / . معجم ما استعجم : ٨٧٧ / ٣ / ٢

غول : جبل داخل الحمى في غربي جبل حَلِيت ، وله هضبات خَمْسٌ يُدْعَيْنَ

هضبات غُولِ . / معجم ما استعجم : ٨٧٦ / ٣ / ٢ .

(٢) الرَّجَامُ : جبل آخر مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها

إلا طريقٌ يُدْعَى العَرَجُ وهو طريق أهل أَغَاخ إلى ضرية ، وبين الرَّجَامِ

وضرية ثلاثة عشر ميلاً ونحوها ، وفي أصل الرَّجَامِ ماء عذب لبني جعفر /

معجم ما استعجم : ٨٧٧ / ٣ / ٢ .

(٣) الكرينة : المغنية الضاربة بالعمود أو الصنج . / التاج " كرن "

٣٢٠ / ٩

(٤) يَمُوتُ : أي يموت ذئب أو تار / معجم مقاييس اللغة " وتر " :

٨٣ / ٦

(٥) تَأْتَلُهُ : تصلحه . / اللسان " أتل " : ٩ / ١١ .

استشهد به الشيخ على أن القول بأن الاستعارة هي : " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل " فتكون بذلك صفة للفظ - تعريف غير جامع ، لأن هناك نوعاً من الاستعارة لا ينطبق عليه هذا التعريف لأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة . وعلى ذلك يسقط القول بأن الاستعارة صفة للفظ قال الشيخ :

" واعلم أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ " النقل " في " الاستعارة " ، فمن ذلك قولهم : " إنَّ الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له فسي أصل اللغة على سبيل النقل " .

وقال القاضي أبو الحسن : " الاستعارة ما اكتفي منه بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها " (١) (٢)

فرد الشيخ على ذلك ببيت الشاهد ، وأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة فلا نستطيع أن نزع أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء ، إلى شيء ، وذلك لأنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، فنزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإننا المعنى المراد هو إثبات أن الشمال في تصريفها " الغداة " على طبيعتها شبه الإنسان قد أخذ قلب الأمور ، ويصرفها بيده كيف شاء ، فلما أثبت لها فعل الإنسان باليد استعار لها " اليد " .

قال الشيخ :

" واعلم أن في " الاستعارة " ما لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة وذلك مثل قول لبيد :

وَعَدَاةٌ رِيحٌ . . .

لا خلاف في أن " اليد " استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء ، إلى شيء . وذلك أنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، فيمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإننا المعنى على أنه أراد أن يُشَبَّهت

(١) الوساطة : ٤١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٥ ، شاكر : ٤٣٤ .

للشَّمال في تصريفها " القَدَاة " على طبيعتها، شَبَّه الإنسان قَدْ أَخَذَ الشَّيْءَ بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد ، استعمار لها " اليد " وكما لا يمكنك تقدير " النقل " في لفظ " اليد " كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ . ألا ترى أنه محال أن تقول : إنه استعار لفظ " اليد " للشَّمال ؟ وكذلك سبيل نظائره ، مما تجد هم قد أثبتوا فيه للشَّيْءِ عُضْوًا من أعضاء الإنسان . من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان . . . (١)

وهكذا يثبت الشيخ أن الاستعارة ليست نقل الاسم عن الشَّيْءِ ، إنما هي ادعاء معنى الاسم للشَّيْءِ ، وأن ما قالوه من أنها نقل للعبارة عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه ، قال الشيخ :

" . . . فقد تبين من غير وجه أن " الاستعارة " إنما هي ادعاء معنى الاسم للشَّيْءِ . لا نقل الاسم عن الشَّيْءِ . ولذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشَّيْءِ ، علمت أن الذي قالوه من " أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ، ونقل لها عما وضعت له " كلام قد تسامحوا فيه ، لأنه إذا كانت " الاستعارة " ادعاء معنى الاسم ، لم يكن الاسم مزالًا عما وضعت له . بل مقررًا عليه " (٢)

واستشهد الشيخ بالبيت في أسرار البلاغة على الاستعارة المفيدة مبيِّنًا صورة هذه الاستعارة ، وأنها قائمة على التخيل والوهم والتقدير في النفس ، فعنده أن الاستعارة المفيدة إما أن تكون اسمًا أو فعلًا ، فإذا كانت اسمًا فإنه يقسم مستعارًا على قسمين :-

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٧ .

الأول : أن تنقله عن مسماء الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربيه عليه ،
وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف ، وذلك قولك " رأيت أسداً "
وأنت تعني رجلاً شجاعاً .

الثاني : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه ،
فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه
الأصلي ونائباً عنه .

وجاء بالبيت شاهداً على هذا القسم ، فقد جعل للشمال يداً ومن المعلوم أن
ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري اليد عليه (١) ، ثم قال :

" بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على
حكم طبيعتها كالمُدَبِّر المصْرَف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه ، وذلك كله
لا يتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء
يَحْسُ ، وذات تحصل ، ولا سبيل لك إلى أن تقول : كُنْ باليد عن كذا ، وأراد
باليد هذا الشيء ، أو جعل الشيء الغلاني يداً كما تقول : كُنْ بالأسد عن زيد
وعنى به زيداً ، وجعل زيداً أسداً ، وإننا غايته التي لا تُطْلَع وراءها أن تقول :
أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرف الإنسان في الشيء ، يقلبُه
فاستعار لها اليد حتى يبلغ في تحقيق الشبه ، وحكم الزمام في استعارته
للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يَكُون
الزمام كناية عنه ، ولكنه وفي المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة
زماماً ، ليكون أتم في إثباتها مصرفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فسي
تصيرها مصرفة " . (٢)

(١) أسرار البلاغة - هـ - ريتز - : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أسرار البلاغة - هـ . ريتز - : ٤٣ - ٤٤ .

فالشَّيْخُ عبد القاهر يرى أَنَّ في هذه الصورة استعارة واحدة حصلت لامن التشبيه ذاته ، لأنه لامننى لأن تقول : " إِنْ أَصْبَحَ شَيْءٌ مِثْلَ الْيَدِ لِلشَّمَالِ " .
 إِنَّمَا حصلت الاستعارة من إضافة اليد للشمال .

فالشاعر جعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، ولم يرد أن يجعل شيئاً كاليد ، أما دور التشبيه هنا فإنه وقع كالمناصفة التي يعتد عليها الخيال في إثبات الاستعارة . قال الفخر الرازي ملخصاً رأي الشيخ :-

" وأما الثاني " فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إِنَّمَا يثبت كما له نفسي المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء للمستعار مبالغة في إثبات ذلك المشترك (١) .

أما رأى الشيخ بالتفصيل فهو :

" ويفصل بين القسمين أنك إِذَا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه السذي هو المغزى من كل استعارة تغيد وجدته يأتيك غفواً ، كقولك في " رأيت أسداً " رأيت رجلاً كالأسد " أو " رأيت مثل الأسد " أو " شبيهاً بالأسد " ، ولن رمته في القسم الثاني ، وجدته لا يأتيناك تلك المؤاتاة إِذْ لا وجه لأن تقول : " إِنْ أَصْبَحَ شَيْءٌ مِثْلَ الْيَدِ لِلشَّمَالِ " ، أو " حصل شبيه باليد للشمال " ، وإِنَّمَا يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترًا ، وتعمل تأملًا وفكرًا ، وبعد أن تُغَيِّرَ الطريقة ، وتخرج عن الحد الأول كقولك : " إِنْ أَصْبَحَتِ الشَّمَالُ ، ولها في قوة تأثيرها في الغداة شَبَهُ المالك تصريف الشيء بيده ، وإجراءه على موافقته ، وجدته نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته ، وتنحوها إرادته " فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع ههنا - إِذَا رجعت إلى الحقيقة ووضعتم الاسم المستعار في موضعه الأصلي - لا يلائمك من المستعار نفسه بل ما يضاف إليه ، ألا ترى أنك لم تُرد أن تجعل الشمال كاليد وشبهة باليد كما جعلت

الرجل كالأسد ، ومشبهاً بالأسد ، ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له - وهو نحو الشمال ذاشيء ، وغرضك أن تثبت له الحكم من يكون له ذلك الشيء فسي فعل أو غيره لا نفس ذلك الشيء فاعرفه * (١)

والملاحظ أن الشيخ لم يصرح بمصطلح الاستعارة التخيلية ، وإنما يتنهم من قوله : " ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصرف الغداة على حكم طبيعتهما كالتدبر المصروف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه ، وذلك كله لا يتعدى التخييل والوهوم " (٢)

وكذلك لم يصرح الشيخ بالاستعارة المكنية ، وإن كان الذين جاءوا بعده استضافوا بكلامه عند تقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، وقد مهد لذلك الفخر الرازي ، وإن لم يذكر الاصطلاحين . قال :

" اعلم أن الاستعارة تارة تعتد نفس التشبيه وتارة لوازمه " فالأول * :

ما إذا اشترك شيان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر ، فيعطى الناقص اسم الزائد بالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً ، وأنت تعني رجلاً شجاعاً وعنت لنا طسمية ، وأنت تريد امرأة * وأما الثاني " فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت كماله في المستعار منه بواسطة شئ ، آخر ، فيثبت ذلك الشيء للمستعار له بالغة في إثبات ذلك المشترك كقوله :
وَعْدَاةٍ رِيحٌ قَدْ كَشَفَتْ وَقِيرَةً . قَدْ أَصْبَحَتْ يَدُ الشَّامِلِ زِمَامُهَا * (٣)

ولقد استشهد الخطيب القزويني بالبيت في الإيضاح . وكان موافقاً للشيخ في أن إثبات اليد للشمال تخيلية والظاهر أنه ناقل * عنه قال الخطيب :

(١) الأسرار هـ . ريت : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) المنذر السابق : ٤٤ .

(٣) نهاية الإيجاز : ٩٤ - ٩٥ .

* قد يُضمر التشبيه في النفس ، فلا يصح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن ثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أُجرى عليه اسم ذلك الأمر قسسى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية والعلم في ذلك قول لبيد :

وَقَدَاوِ رِيحٍ . . .

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجري اليد عليه ، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، . . . ولكن لما شبه الشمال - لتصرفها اليقظة على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصروف لما زمامه بيده ، أثبت لها يداً على سبيل التخييل ، مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته لليقظة - حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل لليقظة زماماً ؛ ليكون أتم في إثباتها متصرفاً ، كما جعل للشمال يداً ؛ ليكسبون أبلغ في تصيرها متصرفاً ، وفوق المبالغة حقاً من الطرفين* (١)

وقد ذهب السكاكي إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ ، فالاستعارة التخيلية عنده هي اللفظ المستعمل في صورة وهمية اخترعها الخيال لتلائم لازم المشبه به ، فاليد في قول لبيد مستعارة من معناها الحقيقي إلى شيء متوهم ومتخيل فسي الشمال يشبه اليد في الإنسان ، وكأن لبيداً اجتهد في أن يشكل الشمال فسي شكل إنسان ويجري عليها أحواله وصفاته . قال السكاكي :

* هي - أي الاستعارة التخيلية - أن تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية تحضه تقدرها مشابهة لها مفرداً في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئاً متحققاً وذلك مثل

أن تشبه المنية بالسمع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة
من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم، ومساس بقيا على ذي فضيلة
تشبيهاً بليفاً حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة
السبع واختراع ما يلزم صورته ويتم بها شكله من ضروب هيات وقنون جوارح،
وأعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتام افتراسه
للغرائس بها من الأنخاب والمخالب ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أساس
المتحققة* (١)

ذكر ابن المعتز في رسائله أن أحسن استعارة اشتغل عليها بيت واحد من
الشعر قول ليبيد :

وَعْدَاؤُ رِيحٍ . . . البيت (٢)

ومعنى الشاهد : أراد الشاعر أن يصف نفسه بالكرم البالغ والجود النادر
لذا وصف نفسه بالكرم في الوقت الذي يشتد فيه القحط ، وقد وصفه بأنه أشد
الأوقات وأصعبها على الناس ، فكمن غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح
قد كفى بوجوده عادة البرد عن الناس ، وذلك بنحر الجزر ، وتوفير المؤونة لهم .
وبالغ في وصف الشمال بالشدة بأن أثبت لها يداً ليدل على شدة تحكمها
وتسلط بردها ، وانتشاره في جميع النواحي وكذلك أثبت الزمام لها ، أول للقرة .

(١) مفتاح العلوم : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) رسائل ابن المعتز : ١٠ .

الشاهد الثامن والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

إِذَا هَرَّهٖ فِي عَظَمِ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ (٢) . نَوَاجِدُ أَقْوَاهِ السَّنَايَا الصَّوَاكِحِ (٣)

ذكره الشيخ من غير عزو، وأشار إلى أنه من أبيات الحماسة، وهو لتأبط شرًا (٤)،
في ابن عم له يصفه بركوب الأهوال، وبذل الأموال.

(*) الدلائل، رضا : ٣٣٥، خفاجي : ٤٠٦، شآكر : ٤٣٦ .

(١) الضمير يعود إلى سيفه .

(٢) قَرْنٌ : أي المثل والكفو، هو قَرْنُه في السن، وقَرْنُه في الحرب، القَرْن

بالفتح مثلك في السن، وبالكسر : مثلك في الشجاعة . / أساس البلاغة

* قرن : ٣٦٤ .

(٣) انظر البيت في :

الحماسة - ت : عسيلان - ١ / ٧٦ رقم (١٣)، الحيوان : ٢٥٦ / ٦ ،

العقد الفريد : ٢ / ٣٣٧، أمالي القاضي : ٢ / ١٣٨، نقد الشعر : ٨٩ ،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٦٩١، زهر الآداب : ٢ / ٣٥٨ ،

سمط اللآلي : ٢ / ٧٦٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٤٩٠ .

(٤) هو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، من مضر (٨٠٠٠ ق هـ)

وأمه امرأة يقال لها أسيمة، يقال إنها من بني القين بطن من فهم،

وهو شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة،

شعره فحل، وسعي تأبط شرًا لأنه أخذ سيفًا تحت إبطه قَسَّيْتُ

أمه عنه فقالت : تأبط شرًا وخرج، وقيل إنه لُقِّبَ به حين تأبط جرابًا

ملأه أناعي / انظر ترجمته :

الأغاني : ٢١ / ١٢٢-١٢٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٣٧-٤١،

شرح شواهد المفني : ١ / ٥١، ٥٢، خزانة الأدب (دار صادر) : ١ / ٦٦ / ٣٥٨

٤٦٧، المحبر : ١٩٦-١٩٧، الأعلام : ٢ / ٩٧ .

ونذكر في الحماسة - ت : عسيلان - أن الأبيات تنسب لتأبط شرًا

وغیره .

وأول الأبيات :

إِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَقَاصِدٌ . . بِوِلايِنِ عَمِّ الصَّدَقِ شَمْسٍ مِنْ مَالِكٍ
وقبل الشاهد :

(١) (٢) (٣)
إِذَا حَاصَ عَيْنِي كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ . . لَمْ كَالِي مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ قَاتِلِكِ
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدِيَّ فَنَفَّرَهُ . . إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ الْغَرَبِ بَاتِكِ

وبعدهما الشاهد وبعد :

(٤) (٥)
يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسُ الْأَيْمِسَ وَيَهْتَدِي . . بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ

وجاء في نقد الشعر أن بعد بيت الشاهد قوله :

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُعْتَمِّ بِصَرِيحِهِ . . رَحِيبُ مَنَاخِ الْعَيْسِ سَهْلُ الْمَبَارِكِ (٦)

الشاهد فيه كسابقه .

ففي البيت استعارة تخيلية ، فإنه لما جعل المنايا تضحك جعل لها الأفواه
والنواجذ التي يكون الضحك فيها ، فلا يمكن أن يقال أنه استعار لفظ " النواجذ "

(١) رواية نقد الشعر : إِذَا خَاطَ ، وَحَاصَ بِمَعْنَى خَاطَ ، حَاصِ الشُّبِّ يَحُوصُهُ

حَوْصًا وَحِيَاصَةً : خَاطَهُ / اللسان " حوص " : ١٨ / ٢ .

(٢) الكرى : النَّوْمُ ، وَالْكَرَى النِّعَاسُ / اللسان " كرا " : ١٥ / ٢٢١ .

(٣) شَيْحَانُ : الشَّيْحَانُ وَالشَّائِحُ وَالشَّيْحُ : الْحَازِمُ الْحَذَرُ / اللسان " شيح " :

٥٠١ / ٢ .

(٤) أُمُّ النُّجُومِ : الْمَجَرَّةُ / الصَّحَاحُ " أُم " : ٥ / ١٨٦٣ .

(٥) الشُّوَابِكُ : الْمَشْتَبِكَةُ شَبَكَتِ النُّجُومَ وَاشْتَبَكَتْ وَتَشَابَكَتْ : دَخَلَ بَعْضُهَا

فِي بَعْضٍ ، وَاخْطَطَّتْ ، وَكَذَلِكَ الظَّلَامُ / اللسان " شبك " : ١٠ / ٤٤٧ .

(٦) انظر الأبيات في :-

الحماسة " ت - عسيلان " : ١ / ٧٥ - ٧٦ ، نقد الشعر :

ولفظ " الأفواه " ؛ لأن ذلك يوجب أن يكون في المنايا شيء يشبه الأفواه والنواجذ وهذا محال .

قال الشيخ :

" ... فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ النواجذ " ولفظ " الأفواه " لأن ذلك يوجب المحال وهو أن يكون في المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ ، وشيء قد شبهه بالأفواه ، فليس إلا أن تقول : إنه لما ادعى أن المنايا تسر وتسبش إذا هو هز السيف ، وجعلها لسرورها بذلك تضحك أراد أن يُبالغ في الأمر ، فجعلها في صورة من يضحك حتى تبدو نواجذ من شدة السرور " (١)

ومعنى الشاهد :

أراد الشاعر أن يصف مدوحه بالشجاعة المتناهية ، والبطولة التي لا تدانسي ، فذكر أن مدوحه إذا سقط سيفه على عظم شجاع مثله كان ذلك إيذاً بالقضاء عليه ، ولزم من ذلك أن تفرح المنايا وتهلّل سروراً لهذا النصر العظيم ، وبالفعل في تصوير انتصاره هذا حيث شبه المنايا بالإنسان الضاحك المستبشر ، ولما كان من مستلزمات الضحك ظهور النواجذ استعارها للمنايا ، للمبالغة في تصوير شدة فرحها .

قال التبريزي في شرح البيت :

" قوله في عظم قرن إيذان بأنه لا يتعرض له إلا من يقاربه بأساً وشدة ، ونسبة التهلّل إلى النواجذ مجاز وسمة ، وهذا كما يقال سرّ فلان بكذا حتى صار كل سن له ضحك ، وقد سمي ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك وقوله : إن اهزه في عظم قرن أي إن اهزه وضربه به ضحك الموت ، وهو مثل

فكأنه قال إذا هزه لعظم قرن ، وقد تقام حروف الصفات بعضها مقسّام
بعض إذا لم يشكل ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نشب فسي
عظمه ، فهزه فيه أي حركه ليتخلص منه والتهلل الضحك ، شبه بتهللل
البرق ولمعانه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر * (١)

(الطويل)

الشاهد التاسع والستون بعد المائتين : (*)

المتنبي :

خَيْمِينَ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ رَحْفَهُ . . وَفِي أُنْجُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَنَازِمُ (٢) (٣)

والبيت من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني ، ومطلعها :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ . . وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَايِمُ (٤)

وقبل الشاهد :

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ . . سَرَوْا بِجِيَادٍ مَالُهُنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ . . ضِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ (٥)

وبعدهما البيت وبعده :

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لَيْسَنٍ وَأَمْسَى . . فَمَا نَقَّهَهُمُ الْحُدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ (٦)

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٤٨ - ٣٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٦ .

(٢) الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، والزمزمة صوت الرعد المتتابع ،

والزمزمة أيضاً الصوت البعيد تسمع له دوي / اللسان (زم) :

١٢ / ٢٧٤ .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٤ .

(٤) الديوان : ٣ / ٣٢٨ .

(٥) الديوان : ٣ / ٣٨٤ .

(٦) الديوان : ٣ / ٣٨٥ .

الشاهد فيه كسابقه .

فإنه لا يمكن الزعم ، بأن المتنبى قد استعار لفظ "الأذن" لأن ذلك
يوجب أن يكون في الجوزاء شيء أريد تشبيهه بالأذن . وهذا محال .
فالقصد أنه لما جعل الجوزاء تسمع أثبت لها "الأذن" التي يكون بها السمع
من الإنسان . قال الشيخ :

"لما جعل " الجوزاء " تسمع - على عادتهم في جعل النجوم تعقل ، ووصفهم
لها بما يوصف به الأناسي - أثبت لها "الأذن" التي بها يكون السمع
من الأناسي " (١)

وقال :

"... لا تستطيع أن تزعم أن المتنبى قد استعار لفظ "الأذن" ، لأنه
يوجب أن يكون في " الجوزاء " شيء قد أراد تشبيهه بالأذن ، وذلك
من شنيع المحال " (٢)

ومعنى الشاهد :

أن هذا الجيش لكثرته وعظمه قد ملأ الآفاق ، فسُمع له ضجيج ودوي عظيم
بلغ أن الجوزاء ، وهذه الأصوات لشدها زمازم لا تبين ولا تفسر .
جا في التبيان للعكبري :

" المعنى : يقول : هذا الجيش لكثرته قد عمَّ الشرق والغرب ، وبلغ صوتهم
الجوزاء ، وخصها بالذكر من سائر البروج ، لأنها على صورة الإنسان ، وهذا
قول الواحدي .

وقال أبو الفتح : لو كان لها أذن سمعت بها ، والمعنى : أن هذا الجيش
لعظم أمره ، وكثرة أهله قد ملأ ما بين الشرق والغرب ، وفي أن الجوزاء من أصوات
أهله زمازم لا تفسر ، وأخلط لا تبين ، وأشار بهذا أن الأصوات تبلغ السماء بكثرتها ،

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاکر : ٤٣٦ .

(٢) المضدر السابق ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاکر : ٤٣٧ .

وتقطع أبعد المسافات بشدتها، ولم نسمع في وصف جيش مثل هذا * (١) .

الشاهد السبعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

قوله :

(٢) فَأَسْتَبَلْتُ لِلْوَأَاءِ مِنْ تَرْجِسٍ وَسَقَتْ . (٣) وَرَدَا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ (٤)

ونذكره الشيخ من غير عزو . وهو للوأواء الدمشقي . (٥)

والبيت ثاني أبيات أربعة وقبله :

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظَهَا . كَمْ ذَا أَنَا لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوَرِ (٦)

(١) التبيين في شرح الديوان : ٣٨٤/٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٤٩ .

(٢) رواية الديوان وخاص الخاص ، والمثل السائر " وأمطرت " ، ورواية ديوان

الصباة : " فأمطرت " ، ورواية أمالي المرتضى ، والدلائل تحقيق خفاجي

وشاكر : " وأسبلت " ، ورواية تزيين الأسواق : " واستطرت " .

(٣) ورد في الدلائل تحقيق شاكر :

" وسقت " بزيادة ميم واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٤) الديوان : ٨٤ . ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ - نُسب للمحدثين -

يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٥ ، خاص الخاص : ١٥٠ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٣٠ ،

سر الفطحة : ١٠٩ ، من غير عزو - ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠ ، المشعل

السائر : ٢ / ٧٥ ، تحرير التحبير : ١ / ١٦٤ ، تزيين الأسواق : ٢٢٨ ،

ديوان الصباة : ٦٩ ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٤ .

(٥) الوأواء الدمشقي : هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي أبو الفرج

المعروف بالوأواء (. . . - نحو ٣٨٥ هـ) شاعر مطبوع ، حلو الألفاظ ،

في معانيه رقة ، كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق له

ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته :

يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٢ - ٢٨٢ ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠ - ٢٤٥ ،

الأعلام : ٥ / ٣١٢ .

(٦) ديوانه : ٨٣ .

وبعده الشاهد وبعده :

إِنْسِيَّةٌ لَو رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَاطَلَعَتْ . . مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
كَأَنَّهَا بَيْنَ غَابَاتِ الْجُفُونِ لَهَا . . أَسَدُ الْحِمَامِ مُقِيمًا عَلَى الرَّصَدِ (١)
استشهد به الشيخ على أن المزية في الاستعارة هي في إثبات شدة الشبه ،
أي أَنَّهَا ليست في نفس المعنى الذي يقصد إليه المتكلم ، والذي يوجب نقل
معنى لفظ إلى معنى لفظ آخر ، ولكن في طريق إثباته للمعنى وتقريره إِيَّاهُ ، فبلاغة
الاستعارة لا تكون في المثبت وإنما في الإثبات .

قال الشيخ :

" واعلم أنه قد يهجنس في نفس الإنسان شيء يَظُنُّ من أجله أَنَّهُ ينبغي
أن يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة ، أنها تحدث في المثبت
دون الإثبات ، وذلك أن تقول : إِنَّا إِذَا نظرنا إلى " الاستعارة " وجدناها
إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قُوَّةِ الشبه ، وَأَنَّهُ قد تنأى إلى أن
صار المَشَبَّه لا يَتَمَيَّز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله مُشَبَّه به . وإذا كان كذلك
كانت المزية الحادثة بها حادثة في الشَّبه ، وإذا كانت حادثة في الشَّبه كانت فسي
المُثَبَّت دون الإثبات .
والجواب عن ذلك أن يقال : إن الاستعارة ، لِقَمَرِي ، تقتضي قُوَّةَ الشَّبه ،
وكونه بحيث لا يَتَمَيَّز عن المَشَبَّه به ، ولكن ليس ذاك سبب المزية ، وذلك
لأنه لو كان ذاك سبب المزية ، لكان ينبغي إذا جئت به صريحاً ، فقلت
" رأيت رجلاً ساوياً للأسد في الشجاعة ، وبحيث لولا صورته لظننت أنك
رأيت أسداً ، وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ، أن تجد للكلام المزية التي
تجدها لقولك : " رأيت أسداً " وَلَيْسَ يخفى على عاقلٍ أَنَّ ذلك لا يكون " (٢)

(١) ديوانه : ٨٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٤ مخفاجي : ٤١٥ ، شاكر : ٤٤٨-٤٤٩ .

ثم قال :

"... فأنت الآن إذا نظرت إلى قوله :

فَأَسْبَلَتْ لَوْلَا مِنْ تَرْجِسٍ ...

فرايته قد أفادك أن " الدَّسَّع " كان لا يحرم ^(١) من شبه اللؤلؤ، و " العيسن " من شبه التَّرجس - شيئاً ، فلا تَحَسَّنَ أَنَّ سببَ الحُسْنِ الذي تراه فيه ، والأريحية التي تجدها عنده ، أنه أفادك ذلك فحسب ، وذلك أنك تستطيع أن تجيء به صريحاً فتقول : " فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه ، من عيسن كأنها التَّرجس حقيقة " ، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً . ولكن اطمم أَنَّ سبب أن راقك ، وأدخل الأريحية عليك ، أنه أفادك رفي إثبات شدة الشَّبه مزيةً ، وأوجدك فيه خاصَّة قد غُرِزَ في طبع الإنسان أن يرتاح لها ، ويجد في نفسه هزةً عندها " (٢)

وهذا البيت عنده المرتضى في أماليه من التشبيه قال :

" وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الواواء الدمشقي ... " (٣)

وكذلك عنده ابن سنان الخفاجي من التشبيه وليس هو عنده باستعارة . قال :
" وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعة له ، ويكون حسناً مختاراً ، ولا يعنده أحد في جملة الاستعارة لخلوه من آلة التشبيه ، ومن هذا قول الشاعر :
سَفَرُنْ بُدُورًا وَانْتَقَمِينَ أَهْلَهُ . . . وَيَسْنُ عَصُونًا وَالتَّفَنَّ جَارًا
وقول الآخر :

وَأَسْبَلَتْ لَوْلَا مِنْ تَرْجِسٍ قَسَقَتْ . . . وَوَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ

(١) وفي تحقيق شاكر : " لا يَحْرِمُ " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٥-٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .

(٣) أمالي المرتضى : ٢ / ١٣٠ .

(٤) هو أبو القاسم الزاهي .

وكلاهما تشبيه محض ، وليس باستعارة . ولئن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه ، وإنما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً^(١) (٢)
والظاهر أن ابن سنان قد خلط في مقاله هذه بين التشبيه والاستعارة وخرج عن الحد الذي وضعه في الفرق بينهما فقول الواواء :

وَأَسْبَلَتْ لَوْلَا . .

جعله تشبيهاً ، وهو في الحقيقة استعارة ، لأن لفظ " أَسْبَلَتْ " خرج مخرج مالمست العبارة له في أصل اللغة ، فالمراد باللؤلؤ هنا " الدمع " فجاء بالمشبه به وحذف المشبه وهكذا النرجس والورد والعناب ، فأدخل صور الاستعارة في التشبيه .

وكذلك عدّه الثعالبي من التشبيه قال :

" هذا البيت ما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه " (٣)
وقال في خاص الخاص " أبو الفرج الواواء من عجائبه أنه خمس مارتع أبو نواس من التشبيهات في بيت واحد فقال : . . . البيت " (٤)

وكذلك عدّه ابن أبي الإصبع من التشبيه ، ووازن بينه وبين بيت أبي نواس :

تَبْكِي فَتَذَرِي الدَّرِينَ تَرْجِسِ . . . وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ يَعْثَابِ
فذكر أن بيت الواواء هو عين بيت أبي نواس إلا أن بيت أبي نواس ثبت له الفضل بالسبق إلى نفس المعنى ، ونفس التشبيه . قال :

(١) يقصد بقوله ما حكيناه أولاً ما ذكره من رأي الروماني في الفصل بين الاستعارة والتشبيه حيث ذكر أن الفرق هو " أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال ، وليس كذلك الاستعارة ، لأن مخرج الاستعارة مخرج مالمست العبارة له في أصل اللغة " / سر الفصاحة : ١٠٩ .

(٢) سر الفصاحة : ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) بيتية الدهر : ١ / ٢٢٥ .

(٤) خاص الخاص : ١٥٠ .

"وعندي أن بيت الواواء هو عين بيت أبي نواس، وإنما حصلت فيــــه زيادة التشبيه لتساع وزنه، فثبت الفضل لبيت أبي نواس بالسبق وإلى نفس المعنى، ونفس التشبيه، واعلم أن زيادة التشبيه بما زاد في بيت أبي الفرج الواواء عن اللفظ لا تساع الوزن" (١)

وعنه ابن الأثير من الاستعارة؛ لأنه إذا أظهر التشبيه صار البيت ضرباً من الكلام الغث المستكره. قال :

"وقد عُلِمَ وتحقق أن من الواجب في حكم الفصاحة والبلاغة ألا يظهر المستعار له، وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحسن والرويق. ألا ترى أننا إذا أردنا هذا البيت الذي هو :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ تَرْجِسٍ وَسَقَتْ . . وَرَدَّا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
وجد عليه من الحسن والرويق ما لا خفاء به، وهو من باب الاستعارة، فلو إذا أظهرنا المستعار له صرنا إلى كلام غث، وذلك أننا نقول : "فأمرت دمعاً كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خذاً كالورد، وعصت على أنامل مخضرة كالعنّاب بأستان كالبرد، وتفرق بين هذين الكلامين للمتأمل" واسع" (٢)

وهذا البيت قد استحسنته النقاد القدماء - كما رأينا - حتى أن أبا هلال العسكري رأى أنه أجمع بيت قيل (٣)

إلا أن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف رأى أن بيت الواواء الدمشقي مليء بالاستعارات الساذجة التي لا حياة ولا حركة فيها، وإنما هي ركام من الصور التي لا تشير شعوراً ولا تطرب إحساساً، قال بعد أن ذكر بيت الواواء الدمشقي :

(١) تحرير التحرير : ١ / ١٦٤ .

(٢) المثل السائر : ٢ / ٧٥ .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ .

* فإنك تراء يملأ بيته بالاستعارات إذ استعار اللؤلؤ للدمع ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب للأصابع ، والبرد للأسنان ولكن كأن هذه الاستعارات لا تثير فينا شيئاً من اللذة الفنية التي كنا نشعر بها فسي أثناء القرنين الثاني والثالث ، وأنظر إلى أصل هذا البيت عند أبي نواس :-

يَأْفَرُّ أَبْرَزَهُ مَا تَمَّ . . يَنْدُبُ شَجْوَ بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّرَّ مِنْ تَرْجِسٍ . . وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعَنَابِ

فإنك ترى الواو يأخذ ناحية التشبيه من أبي نواس دون أن يأخذ معها ما فيها من حياة وحركة ، وبذلك غدا التشبيه كأنه جامد ، فالشاعر لا يُشيع فيه شيئاً من الحركة ، إنما شيء واحد هو الذي يهتم به ، وهو هذا الركام من الصور التي لانحس فيها شعوراً ، فقد تحجرت في التاريخ ، وأصبحت تراثاً محفوظاً في الفن ، ولا بد للشاعر إذا كان يريد أن يستخدمها من أن يعيد لها حياتها وشعورها أما أن يأتي بها على هذا النظام ، فلننا نحس بثقل التعبير ، وأنه لا يكاد ينهض بما يحمله ، وكأنني بهذه الصور المحفوظة من اللؤلؤ والنرجس والعناب والبرد والورد إذا وضعناها متلاصقة على هذا النحو تعبر تعبيراً أوسع من المعنى الذي أراد الشاعر ، وماذا يريد أن يقول ؟ إنه يقول إن صاحبه بكت وَهَضَّتْ أَنَامِلُهَا ، ولكنه أبى إلا أن يشق على نفسه في تعبيره حتى يُرضي ذوق عصره من تصنعه وتكلفه فجعل البكاء أمطاراً والدموع لؤلؤاً والعين نرجساً والخد ورداً والبنان عناباً والأسنان بَرْدًا ، وما فائدة الزمن ؟ وما الرقي الذي أصابه الشعر في القرن الرابع إن لم يجنح الشاعر إلى مثل هذا التعقيد في صورة ؟ ولأنه لرقى معكوس أن يشق الشاعر على نفسه في التعبير على هذا النمط ، فإذا بالبيت لا يعبر إلا عن تعقيد في التصوير والخيال * (١)

الشاهد الواحد والسبعون بعد المائتين : (*) (السريع)

قول أبي نواس :
(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)
تَبْكِي فَتَذَرِي الدَّرَّ عَنْ تَرْجِسٍ . . وَتَلْطِمُ التُّورَةَ يَعْثَابِ

والشاهد أحد أبيات قالها أبو نواس حين رأى صاحبه جناناً، وهي تلطم

خديها . (٧)

(*) الدلائل . . رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .

(١) رواية المنصف في نقد الشعر والعمدة : " يبكي " .

(٢) رواية الديوان والعمدة وديوان المعاني (٣٧) : " فيذري "

ورواية ديوان المعاني (٢٤٥) ، وخاص الخاص ، وأحسن ماسمعت :

" فيلقي الدَّرَّ من " .

ورواية رسائل الثعالبي : " فتلقي " .

(٣) رواية المنصف : " الدمع " .

ورواية تحرير التعبير : " فتذري الطَّلَّ مِنْ تَرْجِسٍ "

(٤) رواية المنصف : " من عينه "

ورواية أمالي المرتضى : " من طَرَفِهَا " .

ونذكر ابن رشيق في العمدة أن هناك من يرويه : " فيذري الدَّرَّ من جفنه "

(٥) رواية ديوان المعاني : (٣٧) : " الوجه " .

(٦) انظر البيت في :

الديوان ٢٤٢ ، البديع لابن المعتز : ٧٤ ، الوساطة : ٣٨ ، ديوان

المعاني : ٣٧ ، ٢٥٤ ، المنصف في نقد الشعر : ١٩٨ ، رسائل الثعالبي :

" دار صعب " : ١٦١ ، خاص الخاص : ١١١ ، أحسن ماسمعت : ٩٧ ، أمالي

المرتضى : ٢٥٥ / ٢ ، العمدة : ١ / ٢٩٣ ، تحرير التعبير : ١ / ١٦٤ .

(٧) جاء في شرح الديوان :

" وحدث أن مات بعض آل عبد الوهاب الثقفي ، فذهب أبو نواس إلى دار قريبه

من منازل الثقفيين ، وأطل منها على المأتم ليرى جناناً وهي تلطم خديها

وفي يدها خضاب ، وقد راعه اللؤلؤ المتحدر من عينها على خدين من ورد .

وقبل الشاهد :

يَا قَسْرًا أَبْصَرَهُ ^(١) مَا تَسَمَّ . . . يَنْدُبُ ^(٢) شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

وبعد الشاهد :

لَا تَبْكُ مَيْتًا حَلَّ فِي حَفْصَرَةٍ . . . وَأَيْتُكَ قَتِيلًا لَكَ بِالسَّابِ
أَبْصَرَهُ التَّائِمُ لِي كَارِهًا . . . يَرْغَمُ دَايَاتٍ وَحُجَّابِ
لَا زَالَ مَوْتًا دَأْبَ أَحْبَابِهِ . . . وَلَمْ تَزَلْ رُؤْيَاهُ دَائِي

الشاهد فيه كسابقه ، فليست بلاغة الاستعارة في أنه نقل لفظ الدر إلى
الدمع ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب للإصبع ، ولمنا في طريقة
توكيد الحكم ، فالشاعر هنا يصف محبوبته حال البكاء ،
وحتى في هذه الحالة التي يكون الإنسان فيها في حالة غير محببة ، نراه يصف
محبوبته بأرق المعاني وألطفها مبالغة في وصفها بكمال الحسن ، فتخيل الدمع
وهو ينحدر من عينيها الذَّرَى في حسنه ، والعين في صفائها وجمالها النرجس
بعينه ، وتخيل خدّها عند الندب الورد في حرته ، ولون الأصابع العناب فهي
روعة لونه .

ذكر ابن المعتز أن من محاسن الكلام " حسن التشبيه " ، وذكر منه بيت الشاهد .

قال :

* ومن عجائب التشبيه قوله ^(٣) أيضا (من السريع) :

تَبْكِي قَتْدَرِي الذَّرَى تَرْجِسِي . . . وَتَطْلِمُ الْوَرْدَ يَعْثَابِي * (٤)

(١) رواية ديوان المعاني ورسائل الثعالبي ، وخاص الخاص ، وأحسن ما سمعت :

" يَا قَسْرًا أَبْصَرْتُ فِي ، "

(٢) رواية رسائل الثعالبي : " تندب " .

(٣) أي أبو نواس .

(٤) كتاب البديع - ابن المعتز - : ٧٤ .

وقد أعجب بهذا البيت واستحسنه سفيان بن عيينة . (١)

جاء في خاص الخاص (في عجائب الشعر والشعراء) :

" وقال عرب بن شبة قال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة قد أحسن

والله أبو نواسكم في قوله :

يَا قَتْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَسْمٍ . . يَنْدَبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

يَمْكِي فَيُلْقِي الدَّرِينَ تَرْجِسٍ . . وَيَلْطُمُ الْوَدَّ يَعْصَابِ

وإذا أعجب به سفيان مع زهده وورعه فما الظن بغيره * (٢)

ولقد ذكر أبو هلال في ديوان المعاني أن بيت أبي نواس مأخوذ من قول

الأسود بن يعفر : (٣)

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي

(ت : ١٩٨ هـ) بمكة ، وهو أحد الزهاد ، وكان من الحفاظ المتقنين

وأهل الورع والدين ، ثقة ، ثبت . / انظر ترجمته :

تاريخ الثقات : ١٩٤ - ١٩٥ ، رقم (٥٧٢) ، مشاهير علماء الأمصار :

١٤٩ - ١٥٠ ، كتاب الثقات : ٦ / ٤٠٣ ، ذكر أسماء الطبعمين :

١٦٥ / ٢ ، ١٠٣ ، الكاشف : ١ / ٣٠١ ، تهذيب التهذيب :

١١٢ - ١٢٢ ، تقريب التهذيب : ١ / ٣١٢ رقم (٣١٨) .

(٢) خاص الخاص : ١١١ .

(٣) هو الأسود بن يعفر النهشلي الداري التميمي ، أبو نهشل ، وأبو الجراح

(. . . نحو ٢٢ ق هـ) شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق ،

كان فصيحاً جواداً نادماً النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره ،

ويقال له : " أعتى بني نهشل " له ديوان شعر مطبوع جمعه الدكتور :

نوري حمودي القيسي / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٤٧ ،

سمط اللآلي : ١ / ٢٤٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٦٦ ، خزانة البغدادي

- دار صادر - : ١ / ١٩٥ ، الأعلام : ١ / ٣٣٠ .

يَسْمَعِي بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ مَقْرَطَقٍ ^(٢) . قَنَاتٌ ^(٤) أَنَاطُهُ مِنَ الْفِرْصَادِ ^(٥) ^(٦)

قال :

* أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن

يعفر :

يَسْمَعِي بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ ...

(١) الهاء في قوله * بها * تعود على سُلَافَةٍ ذكرها في بيت قبله، وهو :

وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّهَابِ بَشَاشَةٌ . سُلَافَةٌ مُزِجَتْ بِمَاءِ غَوَاوِي

والسُلَافَةُ أول الخمر ، والغواوي جمع غادية وهي السحابة التي تأتي

غدوة / اللسان * فرصد * : ٣ / ٣٣٤ .

(٢) التومة : الحبة من الدُر . / اللسان * فرصد * : ٣ / ٣٣٤

رواية ديوان المعاني : " ذو تَوَمَّتَيْنِ " .

رواية اللسان والتاج : " ذو نومتين " .

(٣) القرطق : القباء وهو تعريب كُرْتِه (أي الثوب) / اللسان (قرطس) :

١٠ / ٣٢٣ .

ورواية الديوان : " مَشَرَّ " .

رواية جمهرة اللغة والصناعتين : " كأنما " .

رواية ديوان المعاني " مَقْرَطَقٍ " .

رواية أساس البلاغة واللسان والتاج : " منطقي " .

(٤) قَنَاتٌ : قنأ الشيء يَقْنَأُ قَنَوًّا : اشْتَدَّتْ حُمْرَتُهُ / اللسان * قنأ * :

١ / ١٣٤ .

(٥) الفرصاد : العنب أو التوت وهو الأحمر منه ، والفرصاد الحُسرة . /

اللسان * فرصد * : ٣ / ٣٣٣ .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٩ ، جمهرة اللغة : ٣ / ٢٨٧ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ ،

أساس البلاغة : ٣٧٨ ، اللسان : " قنأ " : ١ / ١٣٤ ، " فرصد " :

٣ / ٣٣٣ ، التاج * فرصد * : ٢ / ٤٥١ .

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :

يَا قَصْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ . . .

يَبْكِي فَيَلْقِي الدَّرَمَ مِنْ تَرْجِسٍ . . .

(١)

وقال ديك الجن :

وَدَعْتُهَا لِزُرَاقٍ فَاسْتَكَّتْ كَيْدِي . . . وَشَبَّكَتْ يَدَهَا مِنْ لَوْعَةٍ بِمَيْدِي

وَحَازَرْتُ أَعْيُنَ الْوَاشِينَ وَانْصَرَفْتُ . . . تَعَصُّ مِنْ غَيْظِهَا الْعُنَابَ بِالْبَرْدِ

فَكَانَ أَوَّلُ عَهْدِ الْقَيْمِ يَوْمَ تَأْت . . . بِالدَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ (٢)

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قَالُوا الرَّجِيلُ فَاسْرَعْتَ أَطْرَافَهَا . . . فِي خَدَّهَا وَقَدْ اكْتَسَمَ خَضَابًا

فَاخْضَرَّ مَوْضِعَ كَفِّهَا فَكَأَنَّهَا . . . عَرَسَتْ بِأَرْضِ بَنَفْسِجٍ عُنَابًا

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام الكلبي الحمصي (١٦١-٢٣٥هـ)

من ساكني حمص، وهو من شعراء الدولة العباسية، لُقِّبَ بديك الجن لخروجه إلى البساتين كثيراً ومعاقرته الخمر، وديك الجن : دويبة توجد في البساتين، وقيل لُقِّبَ بذلك لأن عينيه كانتا خضراوين، لم يرح ربوع الشام طوال حياته، وهو استاذ أبي تمام، عشق فتاة نصرانية أسماها " ورد بنت الناعمة " أو " دنيا " كما يذكر ابن خلكان ويعتبر ديك الجن في طليعة شعراء القرن الثالث الهجري، كان يتشيع لأهل البيت فلم يجاره في مدحهم وراثتهم إلا السيد الحميري، وكان ديك الجن ماجنًا خليعًا عاكفًا على اللهو، متلافًا لما ورثه، وشعره في غاية الجودة. / انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ١٠٢، الأغاني : ١٤ / ٥١-٦٨، وفيات الأعيان : ٢ / ١٨٤ - ١٨٨، حياة الحيوان الكبرى : ١ / ٤٩٧، الأعلام : ٤ / ٥، معجم المؤلفين :

٣ / ٥ / ٢٢٤ .

(٢) رواية الديوان : " إِذْ شَبَّكَتْ " .

(٣) ديوانه : ١٣٦، رقم (٢٣) .

وقال الناشئ * وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا . . مِنْ فُضَّةٍ قَدْ طَرَفَتْ عُنَابًا
وَكَأَنَّ يَنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ . . يُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ حِسَابًا (١)

ورأى الثعالبي أن أحسن ما سمع في النساء والتشبيب قول أبي نواس، (٢)

ونذكر المرتضى في أماليه أن قول أبي نواس مأخوذ من قول المجنون :

وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَدَقَتْ بِمِ . . مِنَ الْبُرُودِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخْضَبِ (٣)

قال بعد أن ذكر بيت المجنون :

* وهذا هو الأصل استعاره الناس من بعد ، فقال الشاعر (٤) :

النَّشْرُ يَسْكُ وَالْوَجُوهُ دَنَسًا . . يَبْرُؤُ أَطْرَافَ الْأَكْفِ عَنْمَ

وأغرب أبو نواس في قوله :

تَبْكِي قَدَّرِي الدَّرَنِي طَرَفَهَا . . وَتَطْمُ الْوَرْدَ يَعْنَابُ (٥)

ونذكر ابن رشيق في تشبيه أربعة بأربعة ، وعلق عليه بأنه مليح جداً . قال :

* وقد تقدم أبو نواس فقال :

تَبْكِي قَيْدَرِي الدَّرَيْنِ تَرْجِسِ . . وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ يَعْنَابُ

وهذا مليح جداً ، سئل ابن منذر : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

(١) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ .

(٢) أحسن ما سمعت : ٩٦-٩٧ .

(٣) ديوان مجنون ليلى : ٦٤ .

(٤) البيت للمرقش الأكبر ، وهو جاهلي (ت : ٧٥ ق هـ) ، فهو وإن أسبق للمجنون

* قيس بن الملوح * ت : ٦٨ هـ ، فكيف يكون قد أخذ منه ؟ !

يبدو أن الثعالبي لم يكن يعرف قائل البيت مع أن القصيدة مشهورة ؟

انظر البيت في :

المفضليات : ٢٣٨ ، رقم القصيدة (٥٤) ، الصناعتين : ٢٧٤ .

(٥) أمالي المرتضى : ٢ / ٢٥٥ .

يَا قَسْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَا تَسِمِ . . يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَعْكِي قَيْدَ رِي الدَّرِّينَ تَرْجِسِ . . وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ يَعْنِي سَابِرِ

هذا أشعر الجن والإنس ، وقد جاء بالشعر على سجيته - أعني أبا نواس -
وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، ولأنه فهو قادر أن يجعل مكان الدَّرِّ الـطَّلَ حتى
يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ، ولا يراء فضيلة لما فيه من الكلفة ، ومن
الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه " فينزي الدَّرِّ من جفنه " (١)

وقد قلب بعضهم بيت أبي نواس فقال :

وَأَعْوَرَ أَبْصَرْتُ فِي مَا تَسِمِ . . يَنْدُبُ شَجْوًا يَتَخَالِطُ (٢)

ولقد وزن صاحب الوساطة بين بيت أبي نواس ، وبيت أبي تمام الذي يقول
فيه :-

مَلْطُومَةُ بِالْوَرْدِ أُطْلِقُ دُوتَهَا . . فِي الْخَلْقِ فَهَوِّعَ الْمُنُونِ مُحْكَمُ (٣)

فقال :

" فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرقة

والتقصير ، لكنه أحسن في بقية البيت فجير بعض ذلك النقص " (٤)

ولم يستحسن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف بيت المتنبي - بيت الشاهد -
فرأى أن غرض المتنبي هنا ليس هو التعبير عن صوره وإنما زخرفة وتعقيد هذه
الصور ، وهذه الصور وإن كانت تحوي شعوراً إلا أنه شعور بغير لذة . قال :
" فإنك تحس كأن الشاعر لا يريد أن يعبر عن صوره فقط ، وإنما يريد قبل
كل شيء أن يعقد في هذه الصور ، فتراه يأتي بالقمر وخوط البان والعنبر

(١) العدة : ١ / ٢٩٣ .

(٢) ديوان المعاني : ٣٧ .

(٣) رواية الديوان - دار صعب - : * مَلْطُومَةُ لِلْوَرْدِ أُطْلِقُ طَرَفَهَا * ٢٥١ :

(٤) الوساطة : ٣٨ .

والغزال ، أما حبه وأما أفكاره نحو صاحبته فكأنني بها لا تعنيه ، ولقد كان حريّاً بالمتنبّي أن يصف لنا اللذة والرغبة والحيرة والانفعالات السّتي يسببها الحب ، ثم يتركنا نرسم الجمال نحن لأنفسنا رسماً خيالياً ، لا هذا الرسم الذي يتحكم فيه ، والذي لا يعطينا حسه إلا عن طريق هذا التركيب والتعميد في جلب صورته ووضعها متعاقبة بهذا الشكل الذي قد يحسوى شعوراً ، ولكنه شعور بغير لذة * (١)

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائتين : (*) (الوافر)

قول المتنبّي :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خَوْطَ بَارٍ . . وَفَاحَتْ عَنبرًا وَرَتَّ غَزَالًا (٢)

الشاهد فيه كسابقه ، ومعنى الشاهد :

أنها بدت في طلعتها وحسنها قمرًا ، ومالت في مشيتها كأنها الغصن الذي يتأيل مع النسيم ، وفاحت رائحتها عنبرًا ، ونظرت نظرة الغزال ، وفي قوله " رنت " من الحسن ما ليس في (نظرت) وبيت الشاهد يستشهد به المتأخرون على التشبيه المقروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر (٣)

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين : (*) (المديد)

قول ابن المعتز :

أَنَمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ . . بِجَنَانِ الْحُسْنِ عَنَابًا (٤)

- (١) الفن ومذاهيمه : ٢٨٦ .
- (*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .
- (٢) سبق الاستشهاد به في فصل المجاز الحكمي ، انظر الشاهد السادس بعد المائتين أنظر : الطخيس : ٢٧٣ ، معاهد التصنيص : ٨٣ / ٢ .
- (*) الدلائل ، رضا : ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥١ .
- (٤) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر ، وكذلك استحسناها الخفاجي في تحقيقه : " لجنّة الحسن " والجنّة : القاطنون ، ويبدو أن هذه الرواية أدق وألطف .
- (٥) لم أجده فيها لدي من مصادر إلا في : ديوانه : ٤٠ .

وهو من قصيدة مطلعها :

جَارَ هَذَا الدَّهْرُ أَوْ آبَا . . وَقَرَاكَ الِسَّهْمُ أَوْ صَابَا

وقبل الشاهد :

عَصْنٌ يَهْتَزُّ فِي قَمَرٍ . . رَاكِضًا لِلْوَشِيِّ سَحَابَا

وبعد الشاهد وبعدة :

لَا مَوْفِي الْوَشَاءُ وَكَوْهٍ . . ذَا مَنِي مِنْهُمْ وَكَمْ عَابَا (١)

استشهد به الشيخ على أن حسن الاستعارة وروعيتها يظهر كلما ازداد التشبيه خفاءً ، فإن ظهر التشبيه قَبَحَتْ . فلو أننا عدنا إلى البيت وأظهرنا التشبيه وقلنا :

أشرت أصابع يده التي تشبه الغصن لطلاب الحسن ما يشبه العناب من أطرافها
المخضوبة لكان كلاماً ، ولذا كان بيت ابن المعتز أحسن من بيت الواواء الدمشقي :
” وَصَّيْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ ”

لأن بيت الواواء لم يظهر فيه التشبيه ، وإنما يمكن إظهاره بسهولة بخلاف ما جاء في بيت ابن المعتز . قال الشيخ :

” واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إيرادك التشبيه إخفاءً لزدادت الاستعارة حسناً ، حتى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلْفَ تَأْلِيفاً
إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه
السمع ، ومثال ذلك قول ابن المعتز :

أَشْرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ . . بِجَنَانِ الْحَسَنِ عُنَابَا

ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه ، وتفصح به احتجبت إلى أن تقول : أشرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العناب

من أطرافها المخضوبة ، وهذا مالا تخفى غثاثة من أجل ذلك كان موقع العنّاب في هذا البيت أحسن منه في قوله :

” وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرْدِ ”

وذاك لأن إظهار التشبيه فيه لا يقيح هذا القبح المفرط؛ لأنك لو قلت : وَعَضَّتْ عَلَى أطراف أصابع كالعنّاب بشفير كالبرد كان شيئاً يتكلم بمثلته ، وإن كان مرذولاً ، وهذا موضع لا يتبين سره إلا من كان ملتهب الطبع حاداً القريحة ” (١)

الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد :

وَعَمَدَاوِ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةٍ . . . إِذْ أَضْبَحَتْ بَيْدَ الشَّالِ زِمَامِهَا (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع عند الشاهد السابع والستين بعد المائتين .

الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* سَقَّتَهُ كَفَّ اللَّيْلِ أَكْوَسَ^(٣) الْكَرَى * (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاعر : ٤٥٠-٤٥١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاعر : ٤٦٠ .

(٢) انظر : ٨٧٤ من البحث .

(٣) رواية الدلائل ، تحقيق شاعر : ” أَكْوَسَ ” وهو جمع كأس ، ويجمع أيضاً

على كؤوس وكئاس ، ويحكي كياس بغير همز ، فإن صح ذلك فهو على البذل ، قلب المهزء في كأس ألفاً في نية الواو ، فقال كاس كَنَارِشْ جمع كاساً على كياس ، والأصل كواس فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها . / اللسان (كأس) : ١٩٠ / ٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاعر : ٤٦١ .

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الوساطة : ٢١١ بدون عزو .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وذكر هذا الشطر فقط ، ونسبه الأستاذ محمد
عبد المنعم خفاجي لأبي نواس ، وذكر أن هذه النسبة المذكورة في الوساطة ، والصحيح
أن البيت مذكور في الوساطة من غير عزو . (١)

الشاهد فيه : عاد الشيخ مرة أخرى يدلل ويثبت أن الاستعارة ليست هي
نقل لفظ شيء لشيء ، فهناك نوع من الاستعارة لا يصح أن يكون المستعار في نفسه
اللفظ ألبته ، ولا يصح أن تقع الاستعارة فيه إلا على المعنى ، وهي ما أطلق عليه
الاستعارة التخيلية .

فالشاعر هنا لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، فإنه لما جعل الليل ساقياً جعل
له كفاً ؛ لأن الساقى إننا يناول الكأس بالكف . وكذلك " الأكواس " ، فإنه لما جعل
الكرى كالشراب استعار له الأكواس ؛ لأن الشراب إننا يُسقى في الأكواس .
قال الشيخ :

" وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الأول في إيجاب وصف
" الفصاحة " للكلام ، لابل هو أقوى منه في اقتضاها ، والمحاسن التي تظهر
به ، والصّور التي تحدث للمعاني بسببه ، آنق وأعجب ، وإن أردت أن تزداد
علماً بالذي ذكرت لك من أمره فأنظر إلى قوله :

* سَقَّتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ الْكُؤْسَ الْكَرَى *

وذلك أنه ليس يخفى على عاقل أنه لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، ولا أراد
ذلك في " الأكواس " ، ولكن لما كان يقال : " سُكَّرَ الْكَرَى " ، و " سُكَّرَ النَّوْمُ " ،
استعار للكرى " الأكواس " . . .

ثم إنه لما كان الكرى يكون في الليل ، جعل الليل ساقياً ، ولما جعله ساقياً
جعل له كفاً ، إذ كان السّاقى يناول الكأس بالكف * (٢)

(١) لم أقف على قائله ، وقد بحثت في ديوان أبي نواس فلم أجده فيه .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاکر : ٤٦١ .

وذكر القاضي الجرجاني أن معنى الشاهد سرقة آخر ، فقال :

سَقَاةُ الْكَرَى كَأَنَّ النَّعَاسَ فَرَأَسَهُ . : لِدَيْنِ الْكَرَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ

فالسرقه عنده قد وقعت ، لأن الأخذ كان في اللفظ المستعار قال :

"... بل جميع الشعر كذلك ، لأن الألفاظ منقولة متداولة ، وإنما يدعى ذلك

في اللفظ المستعار أو الموضوع..." (١)

الشاهد السادس والسيعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأَنَّ النَّعْسَةَ السَّهْرَ (٢) * (٣)

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر ، ومن غير نسبة ، وهو لأبي دَهْل الجهمي ،

وصد ره :

(١) الوساطة : ٢١١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .

(٢) هذه رواية الحماسة : ت: عسيلان ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وشرحها

للتبريزي ، والحماسة البصرية .

ورواية الديوان وأمالى المرتضى : " وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأَنَّ النَّشْوَةَ السَّهْرَ " .

ورواية الأغاني : " وَقَدْ سَقَاهُمْ يَكْأَسُ النَّشْوَةَ السَّهْرَ " .

ورواية الأشباه والنظائر : " وَقَدْ سَقَاهُمْ يَكْأَسُ النَّشْوَةَ السَّهْرَ " .

ورواية إصلاح ماغلط فيه النمرى : " وَقَدْ سَقَاهُمْ يَكْأَسُ النَّشْوَةَ السَّهْرَ " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٩٢ ، الحماسة : تحقيق : عسيلان : ١٠٢ / ٢ رقم (٥٥٣) ،

الأغاني : ١٦ / ١١٨ ، الأشباه والنظائر : ١٥٥ / ٢ ، أمالي المرتضى :

١ / ١١٨ ، إصلاح ماغلط فيه النمرى : ١٣٣ ، الحماسة البصرية : ١٢٧ / ٢ ،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٥٠ رقم (٥٤٨) ، شرح الحماسة

للتبريزي : ١٦٦ / ٣ .

(٤) أبو دَهْل : بفتح " الدال والباء " هو وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيدة

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، من أشراف بني جمح بن لؤي بن سنان

غالب من قريش أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة . قال المرتضى : =====

* أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَائِسُهُمْ * (١)

وهو من قصيدة أولها :

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْلَا أَنَّ قَاتِلَهُمَا .: قَدْ مَالَ يَمِينُ يَتَّقِي مَيُورَهَا عَسِرُ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

وَأَنَا دَلَّهَا بِسَحْرِ لِيَا لِبِرِّسٍ .: وَأَنَا قَلْبَهَا لِلْمَشْتَكِي حَبَرُ

هَلْ تَذَكِّرِينَ كَمَا لَمْ أَتَسَّ عَهْدَكُمْ .: وَقَدْ يَدُومُ لِعَهْدِ الْخَلَّةِ الذَّكْرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

يَا لَيْتَ أَتَيْتُ بِأَنْوَاسِي وَرَاحِلَتِي .: عِدَّةٌ لِيْهِ هَذَا الشَّهْرُ مُتَجَرُّ

فَقَدْ أَطْلَعْتَ اعْتِلَالًا دُونَ حَاجَتِنَا .: يَا حَجَّ امْضِ فَهَذَا الْحِلُّ وَالنَّفَرُ (٢)

== هو * من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد * ، وهو شاعر محسن مداح ، له مدائح في معاوية ، وعبد الله بن الزبير وأخبار كثيرة مع عمرة الجمحية ، وعاتكة بنت معاوية ، في شعره رقة وجزالة ، ولله عبد الله ابن الزبير بعض أفعال اليمن ، توفي بعلب سنة (٦٣ هـ) ، وفي معجم البلدان علب موضع بتهامة * / انظر ترجمته :

الأغانسي : ٧ / ١١٤ - ١٤٥ ، المؤلف والمخطف : ١١٧ ، أمالي المرتضى : ١ / ٧٩ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦١٨ ، ٦٢١ ، الموشح : ٦٣ ، ١٧٢ ، شرح الشواهد الكبرى للعيني - على هامش خزنة الأدب - دار صادر - * : ١ / ١٤١ - ١٤٢ ، ذيل سمط اللآلي : ٣ / ٨٨ ، الأعلام : ٣ / ٨٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(١) رواية الأغاني ، وإصلاح ماغلط فيه النري ، والحماسة البصرية :

* قُولِي وَرَكْبُكَ قَدْ مَالَتْ عَائِسُهُمْ * .

(٢) ديوانه : ٩٢ - ٩٣ .

استشهد به الشيخ على أن استعارة الكأس هنا نظيرها قول الشاعر
في الشاهد السابق "أكؤس الكرى" فقد شبه السهر بالساقى ، وشبه النعسة
بالشراب ، ولما كان الشراب يستلزم أن يكون له كأس استعار الكأس للنعسة على
سبيل الاستعارة التخيلية .

والمعنى كما شرحه المرزوقي :

" قوله : " وقد مالت عمائتهم " يريد لِقَلْبَةٍ النوم عليهم ، ومجاهدة السير
والسرى فيهم ، ومزاوتهم السهر ، حتى كأنهم سقا هم كؤوس النعاس فسكروا " (١)

الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

(٢)
الحكم بن قنبر :

(٣)
تَكُولُوا أَعْتَصَامِي بِالْمُنَى كُلَّامًا بَدَا . . . لِي الْيَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقَمْ بِالْهَوَى صَبْرِي

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٣٥١ / ٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاکر : ٥٤٦٢ .

(٢) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن
طريف بن محارب ، وهو شاعر إسلامي ، وكان مع تقدمه في الشعر
سجعاً كثيراً السجع ، وكان هجاءً خبيث اللسان ، وكان بينه وبين الرماح
ابن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجرة ومواقف ، وهو متأخر أدركه
الأصمعي ، توفي سنة ١٥٠ هـ . / انظر ترجمته :

الأصمعيات : ٣٢ ، ٣٣ ، الأغاني : ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، الموشح : ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ٢١١ ، سبط اللآلي : ١ / ١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر :

٤ / ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، معجم الأدباء : ١٠ / ٢٤٠ - ٢٤٥ ، الخزانة للبيدادي

- دار صادر - : ٢٠٤ ، الأعلام : ٢ / ٢٦٧ .

ونذكر الأستاذ خفاجي أنه توفي سنة (٢٠٧ هـ) وأنه كان يتهاجي ومسلم بسن

الوليد ، ولم يذكر على أي شيء . اعتمد في ترجمته هذه .

(٣) رواية الدلائل تحقيق رضا : " لو اعتصامي " .

وَلَوْلَا أَنْتَظَارِي كُلَّ يَوْمٍ جَدَى عَدِي . . لَرَأَحَ بِنْعَاشِي الدَّافِنُونَ إِلَى قَبْرِي
وَقَدْ رَأَيْتِي وَهْنُ الْمُنَى وَأَنْقَبَاضُهَا . . وَبَسَطْتُ جَدِي يَدَ الْيَأْسِ كَفِّهِ فِي صَدْرِي (١)

الشاهد فيه كسابقه وموضعه قوله :

* وَبَسَطْتُ جَدِي يَدَ الْيَأْسِ كَفِّهِ فِي صَدْرِي *

فإنه لما شبه اليأس في غلبته على نفسه بالشخص المتمكن من الشيء ، القادر عليه ،
وكانت اليد في الإنسان هي موضع الإمساك بالشيء ، استعار الكفين لليأس .
وهذه الأبيات هي نفثة شاعر يعيش بين الرجاء واليأس ولأن كان اليأس يغلب
عليه ، وهي أسوأ حالة يكون فيها أمثاله يعتصم بالأمان في مواجهة اليأس ، ويمسك
عليه حياته رجاءه في الغد ، ولكن اليأس المتجدد يتمكن من نفسه فما أشقاء !
قال الشيخ :

* ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشيء ، ولكن على أنه أراد أن يصف
اليأس بأنه قد غلب على نفسه ، وتكن في صدره ، ولما أراد ذلك وصفه
بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء ، وبأنه متمكن منه وأنه يفعل
فيه كل ما يريد كقولهم : قد بسط يديه في المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء ، وقد
بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس : فليس لك إلا أن تقول أنه
لما أراد ذلك جعل لليأس كفين ، واستعارهما له فأما أن توقع الاستعارة
فيه على اللفظ فما لا تخفى استحالتها على عاقل * (٢) .

الشاهد الثامن والسمعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَيَّ * (٣)

(١) لم أقف على الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر : ٤٦٣ .

(٣) الرجز لرؤبة وقد سلف ذكره : ٦٩٩ .

استشهد به الشيخ على أن المجاز كالأستعارة بل هو أدل في إثبات أن الفصاحة
والبلاغة للمعاني لا للألفاظ ، فلا يمكن الزعم أن المجاز أكسب لفظ (نام) ولفظ
" الليل " مذاقاً لم يكن لهما من قبل .

قال الشيخ :

" والقول في " المجاز " هو القول في " الاستعارة " لأنه ليس هو بشيءٍ غيرها ،
وإنما الفرق أن " المجاز " أعم من حيث أن كلَّ استعارة مجاز ، وليس كل مجاز
استعارة .

وإذا نظرنا من " المجاز " فيما لا يُطلق عليه أنه " استعارة " ازداد خطأ القوم
قبحاً وشناعةً ...

وكذلك يلزم أن يكون السبب في أن كان قول الشاعر :

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَيْي *

أنصح من قولنا : فَنَمَتْ في ليلي أن كسب هذا المجاز لفظ " نَامَ " ولفظ
" الليل " مذاقاً لم تكن لهما . وهذا مما ينبغي للعاقل أن يستحي منه
وأن يأنف من أن يهمل النَّظْرَ لهما لا يؤديه إلى مثله ، ونسأل الله تعالى
العصمة والتوفيق * (١)

الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع . (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر : ٤٦٢-٤٦٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٠ ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاكر : ٤٦٨ .

(٢) هذا صدر بيت لامريء القيس ، وقد سبق تخريجه .

(٣) انظر : ٨٣٦ من البحث .

الفصل الثاني عشر

شواهد الأخذ والسرقه

- ٢- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المقدر .
- ب- الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين .
- ج- وصف الشعر والإدلال به .

إن مشكلة السرقات الأدبية في النقد العربي مشكلة ذات جذور ضاربة فسي القدم ، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير واهتمام النقاد القدماء ، فتفاوتت جهودهم وآراؤهم في هذه القضية ، فلا يعدو جهد بعضهم عن أن يكون مجرد تعليقات خاطفة وملحوظات عابرة كما في كتب الطبقات والتراجم (الشعر والشعراء ، طبقات فحول الشعراء) على أن هذه التعليقات لا يستهان بها ، فقد مهدت الطريق أمام اللاحقين .

وأول دراسة نقدية قامت حول السرقات نجدها في كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي .

إلا أن أبز الدراسات الجادة ذات القيمة النقدية العالية نجدها في كتابي " الوساطة " للجرجاني ، و " الموازنة " للآمدي ، حيث وضعنا حجر الأساس لهذه القضية ، فرأى الآمدي أن من المعاني ما هو عام مشترك ، وهذا الاتدخلة السرقة ، ومنها ما هو خاص مبتكر ، وهذا ما تكون فيه السرقة ، ويحصل فيه الأخذ . وفصل القاضي الجرجاني القول في هذه القضية ووسع أبعادها ، فجعل للسرقة أنواعاً ، وفرق بين كثير من المصطلحات المتشابهة ، ورأى أن هناك سرقة مدوحة ، وسرقة مذمومة .

كما فصل القول في المعاني المشتركة ، والمعاني الخاصة . ثم جاء أبو هلال العسكري ، وصرح بأن قضية الأخذ والنسج على منوال الآخرين ليس عيباً ، وإنما هو أمر لازم حتي ، وهو باب للمفاضلة بين الناس . قال : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم " (١)

وقال أيضاً :

" وإننا تغاضل الناس في الألفاظ ورصفها ، وتأليفها ونظمها " (٢)

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وأراد دفة هذه القضية وجهها ، وجهه جديدة ، وسلك بها مسلكاً طريفاً كان له أكبر الأثر في النقد العربي .

ونحن لا ننكر أن لابن قتيبة أيضاً فضل السبق في هذا الاتجاه حيث فاضل في كتابه الشعر والشعراء بين كثير من المعاني المتفقة للشعراء ، إلا أنه لم يخرج عن ذلك .

والفرق بين ابن قتيبة وأبي هلال العسكري ، والشيخ عبد القاهر يكن في أن الشيخ رعى هذه النواة التي وضعها السابقون ، وسقاها بفكره حتى ترعرعت ، فكانت نظرية فنية ، ومقياساً ثابتاً للموازنة ، ومعياراً محكماً للمفاضلة بين الشعراء .

ولقد رسم الشيخ نظريته هذه رسماً واضحاً ، ووضع لها منهجاً ثابتاً ، فرأى أن الاتفاق بين الشاعرين إما أن يكون في الغرض على وجه الجملة والعموم كأن يتجه كل منهما إلى وصف مدوحه بالشجاعة والسخاء ، وهذا الأمر لا يكون فيه أخذ ولا سبق .

ولما أن يكون الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض ، وهذا الاتفاق يكون على وجهين :-

— أن يكون ما يشترك الناس في معرفته ، وهو مستقر في العقول والمعادات ، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة ، وبالبحر في السخاء ، فهذا لا أخذ فيه .

— أن يكون ما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر ، ويناله بطلب واجتهاد ، فهذا النوع الذي قد يدعى فيه التفاضل والسبق .

أما العامي الذي لحقته الصنعة ، ورُكِّب عليه معنى جديد ، ودخل إليه من باب

الكناية والتعريض ، فإنه يصير من قبيل الخاص الذي قد يقع فيه الأخذ . (١)

هذا ما مهد به الشيخ لنظريته الفنية الجديدة في السرقات ، والتي كانت نتاجاً لنظرية النظم ، وذلك بعكس دراسة السابقين لهذه القضية ، فقد اعتمدوا فيها

على الفصل بين اللفظ والمعنى ، وقد عاب الشيخ في كتابه الدلائل نظرتهم هذه ،
ف رأى أنه قد يتحد الغرض ، ولكن لا يمكن أن يتحد تركيب الصورة ؛ لأن لكل شاعر
أسلوبه وشخصيته المميزة ، ومن هنا فلا سرقة ، وإننا تأثر اللاحق بالسابق في معنى
صيح في قالب جديد ، وفي هذه الصياغة الجديدة تقع المفاضلة والمبايزة بين المؤثر
والمُتأثر .

قال الشيخ عبد القاهر شارحاً نظريته :

" واعلم أن قولنا " الصورة " إنما هو تشيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على
الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة
الصورة فكان تبيين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة
هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيين
خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد
البيتين ، وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا ، وقرقاً عبرنا عن ذلك الفرق ،
وطك البيئونة بأن قلنا : " للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك " . . .

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت
الآخر ، وكان التالي من الشاعر يجهك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً
ولم يغير له صفة ، لكن قول العلماء في شاعر : " إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن
وأجاد " وفي آخر " إنه أساء وقصر " كقول من القول ، من حيث كان محالاً أن يحسن
أو يسيء في شيء ، لا يصنع به شيئاً وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت
ومناسباً له . خطأ منهم ، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه ، وأن يكون نظيراً لنفسه .

وأمر ثالث ، وهو أنهم يقولون في واحد : " إنه أخذ المعنى فظهر أخذه " .
وفي آخر : " إنه أخذه فأخفى أخذه " ، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته
وهيئته وكان الآخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ ، لكان
الإخفاء فيه محالاً ؛ لأن اللفظ لا يخفي المعنى ، وإننا يخفيه لإخراجه في صورة غير

التي كان عليها " (١)

ويقول في موضع آخر من الدلائل :

* ولنا لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الأعمال الصناعية كنسج الديباج وصوغ الشنف والسوار وأنواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعدد أن يبلغ مبلغاً يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيتٌ ويدخل في حد ما يعجز عنه الآخرون وهذا القياس وإن كان قياساً ظاهراً معلوماً وكالشيء المركوز في الطباع حتى تترى العامة فيه كالخاصة فإنَّ فيه أمراً يجب العلم به وهو أنه يتصور أن يبسداً هذا فيعمل ديباجاً ويدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجاً آخر مثله في نقشه وهيئته وجملة صفته حتى لا يفضل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال إلا أنهما صنعة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة ، وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجيء ذاك فيعمل سواراً مثله ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يفاد رمنها شيئاً ألبتة ، وليس يتصور مثل ذلك في الكلام ، لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من البئر فتؤدي به بعينه وعلى خاصيته وصنعتة بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور ، ولا يفرنك قول الناس : قد أتى بالمعنى بعينيه وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدَّى الغرض فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلت هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الإحالة وظن يفغسي بصاحبه إلى جهالة عظيمة . . . (١)

(١) الدلائل : رضا : ٢٠١ - ٢٠٢ ، خفاجي : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، شاکر :

وتخلص من هذا كله أن المقول عنه ليس هو اتحاد معاني الشعراء وتلاقيها بل المهم في الأمر هو تلك الصورة التي صيغت بها تلك المعاني .

فموضوع السرقة عند الشيخ عبد القاهر " لون من ألوان اشتراك الشعراء " فني المعنى وسبب يمهّد للموازنة بين المعاني ، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحداً ، بل إنه يرى الشاعر عندما يأخذ معنى غيره أهــلاً لأن يوازن بين معناه والمعنى الأصلي الذي استوحاه . " (١)

وقال الأستاذ أحمد بدوي معلقاً على دراسة الشيخ :

" لقد كانت دراسة عبد القاهر للسرقة وسيلة لدراسة ألوان المعاني الشعرية ، وأصول هذه المعاني ، وما يحدثه التخيل فيها من ألوان الجمال ، وكيف يمهّد السابق لللاحق سبيل الإجداد ، وكيف يزيد الشاعر في المعنى ، أو يأخذ العامي من المعاني ، فيضيف إليه ما يجعله طريفاً " (٢)

ورأى الدكتور شوقي ضيف أن الشيخ بنظره هذه قد أنكر السرقات في الشعر جملة بحجة أن لكل شاعر أسلوبه . قال :

" كان من أطرف ما وصل إليه عبد القاهر عن طريق نظريته في النظم أنه أنكر السرقات في الشعر جملة ؛ لأن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض المعنى الذي يشترك فيه مع غيره ، ومن ثم يخطيء من يظن أن شاعراً أخذ معنى من شاعر آخر ، فلم يترك فيه شيئاً ، وأن مثل من يزعم هذا الزعم مثل من يرى خيال الشيء فيظنه الشيء نفسه " (٣)

ويبدو لي أن الشيخ لم ينكر السرقات جملة كما ذكر الدكتور شوقي ضيف ، فقد وافق من سبقوه في أن الشاعر قد يأخذ من شاعر آخر ، فيجيد الأخذ ، وقد يقصر ويسمي . (٤) .

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧٨ .

(٣) النقد من فنون الأدب العربي : ٦٠ . تتمة عن كتاب النقد التحليلي : ٣٣٩ -

(٤) الدلائل ، رضا : ٣٨٩ ، أسرار البلاغة : ٢١٣ .

ووافقهم في أن السرقة منها ما يكون ظاهراً ، ومنها ما يكون خفياً ، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن الشيخ لم ينكر السرقات في الشعر جملة ، بل إنه جعل للكلمة السرقة مدلولاً مغايراً لمدلولها عند من سبقوه ، فهي عنده تعني الاختصاص والسبق والتقدم والأولية والتفاضل ، وليس عنده سارق ومسروق بل مفيد ومستفيد . قال :
 "... نعم إذا كان هذا شأنه ، وههنا مكانه ، وبهذا الشرط يكون لمكانه ، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولية ، وأن يجعل فيه سلف وخلف ، ومفيد ومستفيد ، وأن يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين " (١)

وهكذا نرى أن الشيخ عبد القاهر قد ترفع عن استعمال لفظ سرقة ، فهي لـم ترد عنده إلا على سبيل الحكاية ، وذلك إيماناً منه بأن الأخذ ليس عيباً يُعَيَّرُ به الشاعر ، فَيَعْدُ عمله لأجلها سرقة ، فلفظ سرقة فيه نوع من التجريح للأديب أساء لفظ الأخذ فهو أخف وقعاً على النفس .

ويبدو لي أن تسمية القضية بقضية التأثير والتأثر أدق علمياً - والله أعلم - ولا شك في أن عبد القاهر بهذا قد نأى بمشكلة السرقات عن دائرة الاتهام والظن ، وتلفيق أخذ المعاني ، وجعلها جزءاً من علم البلاغة يتوصل عن طريقها إلى أسرارها ، ومواطن جمالها ودقائقه ، وأصبحت بذلك مشكلة فنية خالصة تختص بالمعاني ، وتطورها ، وتأثر الشعراء بعضهم ببعض إلى غير ذلك من دقائق تنفي وجود سرقة إلا أن يكون نسخاً ومكابرة " (٢)

ولقد أخذ الدكتور شوقي ضيف على نظرية الشيخ في السرقات مأخذاً ، فـرأى أن هذا الاتجاه جعل الشعراء يقفون مكانهم لا يحاولون التقدم بحثاً عن معاني جديدة مخترعة بل اكتفوا بالانكفاء على المعاني القديمة ، ومحاولة إخراجها في صورة جديدة . قال :

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٩ ، أسرار البلاغة : ٢١٣ .

(٢) النقد التحليلي عند الشيخ عبد القاهر : ٣٣٨ .

* . . . كان التحوير عند هؤلاء الشعراء^(١) عملاً فنياً طريفاً ، غير أننا لا نتقدم إلى القرن الرابع حتى نحس بتحول في هذا التحوير ، إذ يصبح نوعاً من التفتيق ، فالشعراء لا يضيفون إلى الأفكار عناصر جديدة من زخرف أو حضارة أو ثقافة ، وبذلك أصبحت شبه " الصور الفوتوغرافية " فهي تحافظ على الأصل بأشكاله ، وأوضاعه ، وهذا كل ما تستطيع آلة المصور أن تقدمه ، ومع ذلك فلا بد لها من صلاحية في استعمالها واستخدامها ، ولكن ليس للمصور عمل في صورته إنما هي أشياء آلية هي آلة تُخرج ، وعليه أن يرصد ما تخرج * (٢)

وقال أيضاً :

* وهما يكن فإن الناقد لا يحس إزاء شعراء القرن الرابع ، وما بعده من قرون بالإعجاب الذي كان يحسه إزاء أسلافهم من شعراء القرنين الثاني والثالث ، فقد شمل الحياة الغنية غير قليل من الركود والجمود ، فالماء ساكن ، وليس عليه أمواج ولا رياح ، وكأنني بالحضارة العربية قد ضلت طريقها ، فوقفت عند تقليد الأوضاع القديمة ، ولما ظهر جديد في الشعر والغن إلا هذا التفتيق الواسع للماضي ، وأفكاره وصوره * (٣)

ولقد أيدى في هذه النظرة الدكتور الصاوي ، فقال :

* ولقد صدق الدكتور شوقي ضيف حين ذكر أن هذا الاتجاه جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة إنما انصب عملهم على التحوير في المعانسي القديمة ما دامت هي محك الجمال الغني عند أنصار الصورة الشعرية الذين جعلوا من الشعر صناعة يجهد الشاعر نفسه فيها حتى يصل إلى صياغة جديدة تعجب أهل البلاغة ، وتحمل الصياغة الجديدة للمعنى القديم (٤)

(١) يقصد بهم شعراء القرنين الثاني والثالث .

(٢) الفن ومذاقه في الشعر العربي : ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ٣٠١ .

(٤) النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني : ٣٣٨ .

ومن المؤكد أن الشيخ عبدالقاهر لم يقصد من وراء علمه هذا تعميق الخيال الأدبي ، وصرف الشعراء عن ابتكار المعاني ، ولا ترتب على علمه ما ادّعاء الكاتبان بدليل أن الشعراء في عصره وبعد عصره ظلوا في ابتكار المعاني ، ونسي استحداث الصور البديعية .

حتى العصور التي يرى بعض مؤرخي الأدب أنها عفت من المعاني كانت حافلة بالمعاني الجديدة ، وبالصياغات الرائعة .

الشاهد الثامن — بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قال الفرزدق :
 (١) (٢) (٣) (٤)
 أَتَرْجُو رُبَيْعَ أَنْ تَجِيَّ وَصَفَارَهَا . يَخِيرُ وَقَدْ أَغْنَىٰ رُبَيْعًا كِبَارَهَا (٥)

وهو من أبيات يهجو بها بني ربيع بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سمسد

ابن زيد سنة بن تميم . (٦)

وهو أول أبيات ثلاثة ويعدده :

(*) الدلائل ، رضا : ٤٣١ ، خفاجي ز : ٤٦١ ، شاكر : ٤٦٩ .

(١) رواية التشيل والمحاضرة : " ترجى ربيع " .

(٢) رواية بهجة المجالس : " كليباً " .

(٣) رواية التشيل والمحاضرة : " أن يجي " .

رواية التشيل والمحاضرة وبهجة المجالس : " عليك " .

(٤) رواية الديوان : " ربيعاً " بفتح الراء .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١ / ٢٧٢ ، نقائص جرير والفرزدق : ١٢٤ / ١ ، البيان والتبيين :

٢٠٨ / ٣ ، الشعر والشعراء : ١٣٧ ، الأغاني : ١٥ / ١٩ ،

الصناعتين : ٢٥٠ ، التشيل والمحاضرة : ٦٩ ، بهجة المجالس : ٥٣٠ / ٢ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢٦ / ٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٢ .

(٦) نقائص جرير والفرزدق : ١ / ٢٧٢ ، الاشتقاق : ٢٤٥ ، القاموس : " ربيع " :

عُظُونُ صَخَابِو الْعَشِيِّ كَأَنَّهُمْ .: جِدَاءٌ مِّنَ الْبِعْزَى شَدِيدٌ يَمَارُهَا
إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ حَارَدَتْ .: مَقَارِي عُبَيْدٍ وَاشْتَكَى الْقِدْرَ جَارُهَا (١)

وفي النقائص ذكر بيت الشاهد وبعده :

كَأَنَّ تَرْيَعًا جِئْنَ تَبْصُرُ يَنْغَسِرًا .: أَتَانَّ دَعَاهَا فَاسْتَجَابَتْ حِصَارُهَا
(الطويل) واحتذاء البعيت فقال :

أَتَرْجُو كَلِيبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا .: يَخِيرُ وَقَدْ أَعْيَا كَلِيبًا قَدِ يَمُهَا (٢)
وهو من قصيدة مطلعها :

أَلَا أَنْ أُمِرْتُ يَعْزَى عَطِيَّةً وَارْتَمَتْ .: نِلَاعًا مِّنَ الْمَوْتِ أَخْوَى جَمِيْعَهَا (٣)
(٤) (٥) (٦) (٧)
وقبل الشاهد :

كَلِيبٌ لِّقَامِ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّمُونَهُ .: وَأَنْتَ إِذَا عُدْتَ كَلِيبٌ لِّقِيْمَهَا
(٨) لَقِيَ مُقْعَدَ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعُ بَرٍّ .: إِذَا الْقَوْمُ رَأَوْا خُطَّةً لَا يَرُومُهَا
وبعد الشاهد :

عَلَى عَهْدِ زِي الْقَرْنَيْنِ كَانَتْ مُجَاشِعٌ .: أَعْزَاءٌ لَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَفِيْمُهَا

(١) ديوان الفرزدق : ٢٧٢ / ١ ، النقائص : ١ / ١٢٤ .

(٢) انظر البيت في :

الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحسانة للتبريزي : ٢٧ / ٤ ، نقائص جريسر

والفرزدق : ١٠٩ / ١ ، ١٢٥ / ١ .

(٣) أُمِرْتُ : أخصيت . / القاموس المحيط " مرع " : ٨٧ / ٣ .

(٤) التلاع : مسايل الماء . / القاموس المحيط " طبع " : ٣ / ١٠ .

(٥) الموت : بالفتح ثم التشديد والضم وسكون الواو وتاء مثناة ، اسم نهسر ،

وقيل موضع في ديار بني تميم . / معجم البلدان : ٥ / ١١١ .

(٦) الأخوى : الشديد الخضرة . / القاموس المحيط " حوى " : ٣٢٣ / ٤ .

(٧) جَمِيْعَهَا : الْجَمُّ وَالْجَمُّ الكثير من كل شيء ، والجيم من النبات ماكثر منه . / اللسان

" جم " : ١٢ / ١٠٤ .

(٨) لَقِيَ : رَجُلٌ شَقِيٌّ لَقِيَ " لا يزال يلقي شرًّا / اللسان " لقا " : ٢٥٤ / ١٥ .

استشهد الشيخ بهذين الشاهدين على جليّ الاحتذاء فمضون معنى البيتين

واحد وهو أن الخير لم يأت من كبار القوم وعظمائهم فهل يرجى من صفارهم؟
وهما من ناحية التركيب لا اختلاف بينهما إلا في أسماء الأشخاص (يبيع -
كديب) وفي آخر صدر البيت (صفارها - حد يشها) ، وآخر العجز (كبارها -
قد يمها) وهذه الفروق لم تغير في التركيب ولم تزد في المعنى شيئاً وهذا مسن
الحدو المعيب .

قال الشيخ :

" واعلم أن " الاحتذاء " عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتبيّزه
أن يبتديء الشاعر في معني له وغرض أسلوباً - والأسلوب الضرب من النظم
والطريقة فيه - فيحمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ،
فَيُشَبِّهُ بمن يقطع من أديمه نعلًا على مثال ثعلب قد يقطعها صاحبها ، فيقال :
" قد آحتدى على مثاله " وذلك مثل أن الفرزدق قال . . . واحتذاء البعيث " (١)
الاحتذاء هنا في الأسلوب ، وكأن الشيخ يحاول أن يبتعد عن القول بأن
المعنى متحد في البيتين ، ولعله يعلل ذلك بأن قد يمها غير كبارها ، وحد يشها
غير صفارها عند التدقيق في معاني الألفاظ وما توجي به .
ثم قال الشيخ :

" وهذا الذي كتبت من جليّ الأخذ في " الحدو " (٢)
ورأى أبو هلال العسكري أن هذا من الأخذ المعيب وإن أدعى الأخذ أنسه
لم يأخذه وإنما وقع له ما وقع للأول .
قال :

(١) الدلائل ، رضا : (٣٦١) ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاعر : ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاعر : ٤٧٠ .

" وقبح الأخذ أن تعتمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره ، أو تخرجه في معرض مستهجن ، والمعنى إنما يحسن بالكسوة . . . فما أخذ بلفظه ومعناه ، وادّعى أخذه (أو ادّعى له) أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى . . . فقال : عقول رجال توافت على السنتها . . .

وقال البعيت :

أَتَرْجُو كُلِّبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَغْنَى كُلِّبًا قَدِ يَمُهَا

وقال الفرزدق :

أَتَرْجُو رَمِيحَ أَنْ تَجِيءَ صَفَارُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَغْنَى رَبِيعًا كِبَارُهَا

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . . . والأخذ إذا كان كذلك كان معيباً ، وإن ادّعى أن الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا كما وقع لذلك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل والمعيب لازم للآخر . . .) (١)

والفرزدق أخذ بيته من بيت شعيب بن عبد الله من كنانة بلقين : (٢)

أَتَرْجُو حَيٍّ أَنْ تَجِيءَ صَفَارُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَغْنَى عَلَيْكَ كِبَارُهَا (٣)

يهجوه رجلاً من بلقين يقال له عقاب بن هاشم ، وعقاب يقول فيهم :

فَمَا كُنَانُهُ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ . . . وَلَا كُنَانُهُ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارٍ (٤)

(١) الصناعتين : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) ذكر الآمدي في المؤلف والمختلف أن البيت لحريث بن عتاب وهو

أحد بني نهبان بن عمرو بن القوث بن طيئ ، شاعر محسن مكثّر

عاش في عصر عربن الخطاب إلى زمن معاوية . / انظر :

المؤلف والمختلف : ١٦١ .

(٣) الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحامسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٧٩ ، رقم

٠ (٦٢٤)

(٤) شرح الحامسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٨٠ .

وقال ابن سلام في أَخَذَ الْفَرْذَقَ :
 " وكان الْفَرْذَقُ أكثرهم مقلداً ، والمقلد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذي

يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ " . (١)

وللفَرْذَقِ في هذا المعنى - أيضاً - يهجو بني فقيم :

تَرْجَى أَنْ تَرِيدَ بَنُو فَقْصِمٍ . : صِفَارُهُمْ وَقَدْ أَعْيُوا كِبَارَا (٢)

قال الْفَرْذَقُ :

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةَ شَرُوداً . : تَتَخَلَّهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ (٣) . (٤)

ساقه الشيخ دليلاً على احتذاء البعيث للفرزدق ، وأن ماضعه بالبيت كان انتحالا .

الشاهد الواحد بعد المائتين : (*) (الطويل)

قال الْبُعِيثُ :

كَلْبٌ لِيَاثَمِ النَّاسِ قَدْ يَتَلَوْنَهُ (٧) . : وَأَنْتَ إِذَا عُدْتَ كَلْبٌ لِيُمُهَا (٨)

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٣٧ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٠٩ .

(٣) رواية النقائض : " تتخلها " وجاء في شرحها : " تتخلها " أي أخذ خيارها ،
 وتخلها انتخلها .

(٤) يعني بابن حمراء العجان " الْبُعِيثُ " .

(٥) انظر البيت في :

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢٧ / ٤ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاکر : ٤٦٩ .

(٦) هو خدأش بن بشر بن خالد ، أبو زيد التميمي (. . . ٣٤٠ هـ) المعروف بالبعيث

المجاشعي ، خطيب شاعر من أهل البصرة كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت
 نحو أربعين سنة . / انظر ترجمته :

البيان والتبيين : ١ / ٤٥ ، ٣٧٤ ، ١٠ / ٣ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٠٤ ،

المؤلف والمختلف : ٥٦ ، الأعلام : ٣٠٢ / ٢ .

(٧) رواية النقائض : " قد تعلمونه " .

وذكر في النقائض أن الشطر الأول يروى : " أَلَيْسَ كَلْبٌ أَلَامَ النَّاسِ كُلِّهِمْ " .

(٨) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٠٩ .

وقبل الشاهد : (١)

تَعَرَّضْتُ لِي حَتَّى حَسَرْتُكَ صَرِيَّةً (٢) . عَلَى الرَّأْسِ يَكُونُ لِلْيَدَيْنِ أَيْمَمَهَا (٣)
إِذَا قَاسَهَا الْآسِي النَّطَاسِي أَرْغَشَتْ (٤) (٥) . أَتَانِيلُ كَفِيَّوْ وَجَاشَتْ هُزُومَهَا (٦)

وبعدهما الشاهد وبعد :

لَقِيَ مُقَعَّدُ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعَ يَمٍ . إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا خُطَّةً لَا يَرُومُهَا

• • قال البحرى : (الطبري)

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ . كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ كَرِيمُهَا (٧)

وهو من قصيدة يمدح بها المهدي بالله ومظلمها :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا (٨) . عِبَادُ مِنَ الْوَسْطِيِّ وَطَفٌ غُيُومُهَا (٩)

(١) سبق ذكر مطلع القصيدة عند الشاهد : * الشانين بغداد المائتين : ص ٩١٣ .

(٢) ذكر في النقائص أنه يروى أيضا * صَكَّكَتْ صَكَّةً * .

(٣) الأيم : أُمَّةٌ : شَجَّةٌ آتَةٌ ، وهي التي تبلغ أُمَّ الدِّمَاغِ جَمِينَ يَتَنَّى بينهما

وبين الدِّمَاغِ جُلْدٌ رَقِيقٌ ، وَيُقَالُ رَجُلٌ أَيْمٌ لِلَّذِي يَهْزِي مِنْ أُمِّ رَأْسِهِ /

الصحاح * أم : ٥ / ١٨٦٥ .

(٤) الآسي : جمعها الإساءة أى الأُطْبَةُ . / الصحاح : * أسا : ٦ / ٢٢٦٨ ،

٩٨٣ / ٣

(٥) النَّطَاسِي : المتطبب الحاذق بالطب العالم بالأمور / الصحاح * نطس :

٩٨٣ / ٣ ، اللسان * نطس : ٦ / ٢٣٢٢ .

(٦) هُزُومها : صدوعها ، وكل نقرة في الجسد هزمة ، وهي من هزم الشيء

يهزُمه هزماً فانهمز : غزاه بيده فصار فيه وقرة / الصحاح * هزم :

٥ / ٢٠٥٨ . اللسان * هزم : ١٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩ .

(٧) ديوان البحرى : ١ / ١٢٥ .

(٨) المصدر السابق : ١ / ١٢٤ .

(٩) وطفٌ : أي مسترخية الجوانب لكثرة مائتها / الصحاح * وطف : ٧٢٨ .

وقبل الشاهد :

هَئِنْتَكَ أَيُّمَرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبٌ . . . مِنَ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيْمُهَا
وَتَأْيِيْدُ رِيبَ اللَّهِ إِذْ رَدَّ أَمْرَهُ . . . إِلَيْكَ فَتَرَوِي فِي الْأُمُورِ عَلَيْهِمَا

وبعد ها الشاهد وبعده :

إِذَا تَامَشْتَ فِي جَانِبَيْكَ بِأَوْجُسٍ . . . تُهَضِّمُ أَقْمَارَ الدُّجَى وَتُضْمِيْمُهَا
رَأَيْتَ قَرْيَشًا حَيْثُ أَكْبَلُ مَجْدُهَا . . . وَتَسْتَمْسَعِيْمَهَا وَتَابَتْ حُلُومُهَا (١)

الشاهد فيه كسابقه ، فالبحثري أخذ بيت البعيث ، ولم يزد عليه إلا أن عكس
معناه ، فالبعيث وصف مهجوه باللؤم ، فجعل قبيلته كليباً للأُم الناس ، ومهجوه الأُم
بني كليب ، أما البحثري ، فجعل بني هاشم أكرم الناس في الشرق والغرب ، وجعل
سدوحه أكرم بني هاشم .

ويبدو لي أن قول البحثري " أنت كريمها " أبلغ في التركيب من قول البعيث
" وأنت إذا عُدَّت كليب لثيمها " فالبحثري لم يفصل بين المبتدأ " أنت " ، والخبر
" كريمها " بل جاء به تالياً له ليدل على أن صفة الكرم ثابتة له لاصقة به .

أما البعيث فقد فصل بين المبتدأ ، وهو ضمير المهجو ، والخبر الذي أراد إثباته
له ، فكان المهجاء فيه أخف وطأة من أنه لو قال : " وأنت لثيمها " ، فهذا التعمير
أشد هجاء ، وألهب سوطاً للمهجو .

الشاهد الثاني والثانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول أبي نواس :

(١) ديوان البحثري : ١ / ١٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١-٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٧٠ .

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ لَهُمْ . . . يَشْرِقِي سَابِطُ الدِّيَارِ الْبَسَائِسُ (٥)

والشاهد من أبيات أولها :

وَدَارِئِدَامِي عَطَّلُوهَا وَأَذَلَّجُوا . . . يَهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِئِ

وبعد أبيات قبل الشاهد :

مَسَاجِبُ مِنْ جَرِّ الزَّقَاقِ عَلَى الثَّرَى . . . وَأَضْفَا رِيحَانِ جَنِيٍّ وَيَا بَسْ
حَبَسَتْ يَهَا صَحْبِي فَجَدَّ نَتْ عَهْدَهُمْ . . . وَلَوْ بِي عَلَى أَثْنَالِ نَكَ لَحَابِسُ

وبعد ها الشاهد وبعد :

أَقْنَأَ يَهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا . . . وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ

• • قول أبي خراش الهذلي : (٧)
(الطويل)

(١) رواية زهر الآداب : " لم أرَ " .

(٢) رواية الوساطة وزهر الآداب : " منهم " .

ورواية أمالي الزجاجي ، والدرر اللواسع : " ما هم " .

(٣) رواية زهر الآداب وتحرير التحرير والدرر اللواسع : " ماشهدت به " .

(٤) الساباط : سقيفة بين حائطين أو بين دارين من تحتها طريق نافذ

والجمع سوابيط وساباطات ، وقيل هو ساباط كسرى بالمداخن ، وقيل

هو اسم موضع / اللسان " سبط " : ٧ / ٣١١ .

(٥) البسائس : البَرُّ الْمُغْفَرُ الواسع / اللسان " بسيس " : ٦ / ٢٩ .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٧ ، أمالي الزجاجي : ٩٣ ، الوساطة :

٢٠٦ ، ديوان الحساسة للمرزوقي : ٢ / ٧٨٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٩٤ ،

شرح ديوان الحساسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، المثل السائر : ٢ / ٣٤٦ -

٣٤٧ ، ذكر بعض أبيات القصيدة وأغفل الشاهد - تحرير التحرير :

٥٠٨ ، الدرر اللواسع : ٢ / ١٦٨ .

(٧) هو خويلد بن مرة الهذلي أحد بني قُرْد ، واسم قرد عمرو بن معاوية بن

سعد بن هذيل ، وأبو خراش شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين

الفصحاء ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ومات في خلافة عُمر بن

وَلَمْ أَدِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيَّ رِداًءَهُ . . . (٢) سَوَى أَنَّهُ قَدْ سَلَ مِنْ مَاجِدٍ مَخْضٍ (٥)
(٣) (٤)

=== الخطاب - رضى الله عنه - نهشته أفعى فمات ، وكان من عدا ابي العنبر
المشهورين / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٦٤٦-٦٤٨ ، الأغاني : ٢١ / ٢٠٤ ، الإصابة : ١ / ٥٧٢
رقم ٢٣٤٥ .

وقد نسب ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الأبيات لدريد ، وفي نسبته
خطأ ، فجميع المصادر التي اطلعت عليها تنسبه لأبي خراش الهذلي .

(١)

رواية الإنصاف : " ولا أدري " .

(٢)

جاء في ديوان الهذليين أن الرجل الذي ألقى عليه رداؤه من أسد
شهوة .

(٣)

رواية الكامل والوساطة ، ومعاني أبيات الحماسة ، وشرح ديوان الحماسة
للتبريزي : " على أنه " .

رواية ديوان الهذليين وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والإصابة ،
ورواية بهجة المجالس : " ولكنه " .

ورواية سبط اللاكبي : " خلا أنه " .

(٤)

رواية الكامل وغيار الشعر والأغاني والأشياء والنظائر للخالدين ومعاني
أبيات الحماسة ، وبهجة المجالس ، وسبط اللاكبي ، والإنصاف وشرح
شواهد المغني ، والإصابة : " عن " .

(٥)

انظر البيت في :

ديوان الهذليين : ٢ / ١٥٨ ، الكامل : ٢ / ١٣٥ ، غيار الشعر : ١١٢ ،
الأغاني : ٢١ / ٢٠٤ ، الوساطة : ٢٠٦ ، الأشياء والنظائر للخالدين :

١ / ١٧٢ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :

٢ / ٧٨٧ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٩٥ ، بهجة المجالس : ٢ / ٥٠٣ ، تحرير

التحبير : ٣ / ٥٠٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، ١٤٥ ،

معجم البلدان " قوسي " : ٤ / ٤١٣ ، شرح المفصل : ١ / ٣ / ١١٧ ،

الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٩٠ ، الإصابة : ١ / ٥٧٢ ، شرح شواهد

المغني : ١ / ٤٢٠ ،

وللأبيات قصة مشهورة مؤداها أن خراش بن أبي خراش وعروة بن مسرة
=====

وأول هذه الأبيات - :

حَدَّثْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ ^(١) إِذْ نَجَا . : خِرَاشٌ وَيَخْشُ الشَّرَّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى ^(٢) قَتِيلًا رَزَيْتُهُ ^(٣) . : بِجَانِبِ قَوْسِي مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ ^(٤)
بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّنَا . : مُؤَكَّلٌ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَلَمْ يَكْ مُتْلُوجٌ ^(٥) الْفَوَادِ مُهَبَّجًا ^(٦) . : أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الثَّيْلَةِ ^(٧) وَالْخَفْضِ ^(٨)

== أخوا أبي خراش أسرتهما بنو دارم وبنو هلال ، وهما حَيَّان من شالة ، فأخذ بنو هلال عروة ، وقتلوه ، أما بنو دارم ، فأخذوا خراشاً ، واخطفوا في أمر قطه ، وشغلوا في أمره ، وبينما هم كذلك ألقى عليه رجل منهم ثوبه وطلب منه أن يفر وينجو بنفسه ، فحين وصل الخبر إلى أبي خراش مدح هذا الشخص ، وهو لا يعرفه ، وقد اختلفت الروايات فيمن ألقى عليه الرداء ، أهو خراش أم عُرْوَة ويبدولي أن البيت واضح في أنَّ الذي نَجَا هو خراش . كما أن هناك بعض الاختلافات في رواية القصة . / انظر :

الكامل : ١٣٥ / ٢ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ١٧٥ / ١ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٤٣ / ٢ .

(١) عروة : أخو أبي خراش .

(٢) رواية معجم البلدان : " ما أنسى " .

(٣) رزئته : الرزئية المصيبة / القاموس المحيط " رزأ " : ١ / ١٧ .

(٤) قوسى : بالفتح ثم السكون ، وسين ثم ألف مقصورة تكتب ياء ، يجوز أن يكون قعلى من القوس بالضم ، وهو معبد الراهب ، أو من القوس ، وهو الزمان الصعب ، أو من الأقوس ، وهو الرجل المشرف ، قيل : بلد بالسراة وبه قُتِل عُرْوَة أخو أبي خراش الهذلي ونجا ولده / انظر :

معجم البلدان : " قوس " : ٤ / ٤١٣ .

(٥) المتلوج الفواد : البليد / القاموس المحيط " تلج " : ١ / ١٨٧ .

(٦) المهيج : الثقيل النفس / القاموس المحيط : " هيج " : ١ / ٢١٩ .

(٧) الربيطة : النعمة والسمن / القاموس المحيط : " ربل " : ٣ / ٣٩١ .

(٨) الخفض : الدعة والعيش الحسن / القاموس المحيط : " خفض " : ٢ / ٣٤١ .

كذلك استشهد بهما الشيخ على أنهما من جلي الأخذ في " الحذو " ، وساق
لذلك قصة حكاها العسكري جرت بين ابن الرومي والبحري مؤداها أن البحري
رأى أن بيت أبي نواس مأخوذ من بيت أبي خراش وعلق ابن الرومي على هذا ، بأن
المعنى قد اختلف .

وأجابه البحري قائلاً : أما ترى حذو الكلام حذواً واحداً .

ويبدو لي أن البيتين ليسا من الحذو والجلي كما ذكر الشيخ وإن كان الفرض
واحداً ، وهو مدح مجهول بفعل حميد .

فالمعنى كما قال ابن الرومي قد اختلف ، وطريقة التركيب قد تباينت ، فأبو نواس
صرح بعدم معرفته للأشخاص فقال (ولم أدر من هم) أما أبو خراش فقد فاقه في
التعبير ، وزاد عليه في المعنى حيث جاء بصورة شعرية أثبت فيها عدم معرفته ذات
المدح وفي نفس الوقت دلت وأشادت بمكرمة ذلك المجهول فأين قول (من هم)
من قول (من ألقى عليه رداءه) وأبو نواس جعل الديار البساس هي المشاهد
عليهم ، والدليل على معرفتهم ، أما أبو خراش فنصب المجد الخالص والأصل الكريم
دليلاً على مدحه ، فأكد كونه ماجداً (بأن) المؤكدة (وقد) التي تبدل على تحقق
وقوع الفعل ، وأنظر إلى كلمة (سُلِّ) وكيف دلت على تغلغله في ذلك المجد
وتمكنه منه .

فأين شهادة الديار القفر ، من شهادة المجد المؤكد ؟

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين : (*)

(الطويل)

* قول البحري :

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحَسَادُ مَجْدَكَ بَعْدَ مَا . تَكُنَّ رَضَوَى وَأَطْمَأَنَّ مُتَالِيعُ (٢)
(٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١-٤٣٢ ، شاكر : ٤٧٠-٤٧١ .

(١) رَضَوَى : بفتح أوله وسكون ثانيه جبل بالمدينة ، وقيل هو من ينبع على مسيرة

يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة ، ومياسره طريق البهريراء ،

لمن كان مصعداً إلى مكة ، وهو على ليلتين من البحر ، وقيل هو جبل

وهو من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

أَلَسْتُ وَهَلْ لِنَاسِهَا لَكَ نَافِعٌ . . . وَزَارَتْ خِيَالًا وَالْعَيُونُ هَوَاجِعُ
وقبل الشاهد :

وَلَا يَغْلَمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ قَرَطٍ عَزَمِي . . . سَتَى هُوَ مَصْبُوبٌ عَلَيْهِمْ فَوَاقِعُ
خَلْقٍ مَا تَنْفَكُ تُوقِفُ حَاسِدًا . . . لَهُ نَفْسٌ فِي إِنْشِهَا مُتَرَجِّعُ
وبعدهما الشاهد وبعدہ :

أَكْفَرُكَ النِّعْمَاءُ عِنْدِي وَقَدْ نَمَتْ . . . عَلَى نُؤَى الْفَجْرِ وَالْفَجْرُ سَاطِعُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَنِي بَعْدَ نَلَّتِي . . . فَلَا الْقَوْلُ مَخْفُوفُ وَلَا الظُّرْفُ خَاشِعُ

== لجبهينة ، وحددہ ووصفه صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية
بأنه جبل ضخم شامخ يضرب إلى الحمرة يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع ،
ثم يشرف على الساحل ليس بينه ، وبين البحر شيء من الأعلام ، وإذا كنت في
مدينة ينبع البحر رأيت رضوى رأى العين شمالاً شرقياً ، سكانه جهينة ، وله
أودية كثيرة يصب معظمها في وادي ينبع / انظر :

معجم البلدان : ٣ / ٥١ ، معجم المعالم الجغرافية : ١٤١ .

(٢) متالع : جبل بنجد فيه عين يقال لها الخُزَّارة ، وقيل هو جبل بناحية
البحرين بين السودة والاحساء ، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها
يقال لها عين متالع ، وقيل هو ماء في شرقي الظهران عند الغوارة في جبل
القنَّان لبني عميلة ، وحددہ صاحب معجم المعالم الجغرافية بأنه جبل
بالقصيم ، والقصيم إقليم من نجد ينتظمه وادي الرمة ، وقيل متالع أحد أبانين
فكان يقال : أبان ومتالع فقلب عليهما اسم أبانين ، وهما جبلا القصيم ، يمر
وادي الرمة بينهما ، ثم يمر ببريدة القصيم / انظر :

معجم البلدان : ٥ / ٥٢ ، معجم المعالم الجغرافية : ٢٨٠ .

(٣) ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٨٦

ديوانه - صيرفي - : ١٣٠٥ / ٢ ، أخبار البحري : ١٥٦ ، أخبار أبي تمام :

٨٤ ، الموازنة - محمد مجي الدين - : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(الكامل)

• • قول أبي تمام :

وَلَقَدْ جَهِدْتُ أَنْ تُزِيلُوا عِشْرَةَ^(١) . فَإِذَا أَبَانٌ^(٢) قَدْ رَسَا وَيَلْمُسُ^(٣) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق (٥) حين غلب من الجزيرة مطلقها :

أَرْضُ مُصَرَّةٍ وَأُخْرَى تُثَجِّسُ . يَلْكُ الَّتِي رُزِقْتُ وَأُخْرَى تَحْصِمُ

وقبل الشاهد

وَأَخَافُكُمْ كَيْ تُفِيدُوا أَشْيَافَكُمْ . إِنَّ الدَّمَ الْمُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ السِّدَمُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَطَعْنْتُمْ فِي مَجْدِي وَفَتَنْتُمْ^(٦) . زَعَفَ^(٦) يَقِلُّ بِهَا السَّانُ اللَّهْدَمُ

(١) رواية أخبار البحري وأخبار أبي تمام والموشح :

* وَلَقَدْ أَرَدْتُ مَجْدَهُ وَجَهِدْتُ *

(٢) أبان ويلمس جيلان

وأبان : بفتح أوله : جبل ، وهما أبانان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرمة يقطع بينهما ، كما يقطع بين عدنة وبين الشربة ، فأبان الأبيض لبني جرید من بني فزارة خاصة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . انظر : معجم ما استعجم : ١ / ٩٥ ،

ويلمس ، ويقال أَلِمَ والمَلِمَ المجموع : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل

اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل ، وقال المرزوقي هو جبل من الطائف على

ليلتين أو ثلاث . انظر : معجم البلدان (باب البيا واللام وما يليها) ٥ / ٤٤١ .

(٣) رواية الموشح :

* فَإِذَا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلْمُسُ

(٤) ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) دار صعب : ٢٤٢

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٠٠ ، أخبار أبي تمام للصولي :

٨٤ ، أخبار البحري للصولي : ١٥٦ ، الموازنة : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(٥) سبق ترجمته : ٣١٠ .

(٦) زَعَفَ : وصف للهيون بشدة الفتك وسرعته / اللسان * زَعَفَ :

... قول الفرزدق : (الكامل)

فَأَذْنَعُ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا .: شَهْلَانُ (١) ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ (٢) (٣)

وهو من قصيدته التي مطلعها :

إِنَّ الَّذِي سَلَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا .: بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقبل الشاهد :

أَخْلَانَا تَرْنُ الْجِبَالِ رِزَانَةً .: وَتَخَالَتُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجَّهَهُلْ

وبعد الشاهد وبعد :

وَأَنَا أَتَيْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُؤِ وَلِنَنْتَبِي .: رَفِي آلِ ضَبَّةٍ لِلْمَعَمِّ الْمُخُولِ

استشهد الشيخ بهذه الأبيات على أنها من خفي الأخذ وذهب الصولي
والمرزباني إلى أَنَّ البحترى نقل بيت أبي تمام معنىً ولفظاً . قال الصولي :

* وقال أبو تمام :

وَلَقَدْ أَرَدْتُ نَسْمَ مَجْدَهْ وَجَهْدَهُ .: فَإِذَا أَبَانُ قَدْ رَسَا وَيَلُكُمُ

فقال البحترى ونقله لفظاً ومعنى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَاؤُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا .: تَكُنْ رَضَوِي وَأَطْمَأَنَّ مَتَالِعُ * (٤)

(١) رواية شار القلوب وأمالى المرتضى " شهلان ذو الهضبات " .

(٢) رواية أمالي المرتضى " شهلان ذو الهضبات لا يتحلل " .

رواية أراجيز العرب " شهلان ذو الهضبات ما يتحلل " .

ورواية اللسان : " شهلان ذو الهضبات ما يتحلل " .

(٣) انظر البيت في :

ديوان الفرزدق - جمعه عبد الله الصاوي - ٧١٧ ، نقائض جرير الفرزدق :

١/ ١٨٨ ، الموازنة : ٣٢٠ ، أمالي المرتضى : ٢ / ٤٥ ، شار القلوب فسي

المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٥٦ ، أراجيز العرب : ٥٥ ، لسان العرب : " حل " ،

١١ / ١٧٣ .

(٤) أخبار البحترى للصولي : ١٥٦ ،

وكذلك انظر : الموشح : ٢٩٨ .

وقد قصر الاثنان في الأخذ عن الغرزدق حيث بنوا ذلك الأخذ بناءً واهناً ،
فالبحتري عبر تعبيراً مباشراً عن المعنى ، أما أبو تمام فقد زاد في المعنى قليلاً
بأن أكد نفاذ طاقة الحساد وعدم مقدرتهم على زعزعة عزهم بقوله (ولقد) وتصريحه
بأنهم جهدوا .

أما الغرزدق فصاغ معناه في صورة أدق وأنقى فقال : " فادفع بكفك " وهي صورة
فيها حث على الحركة والجهد ، وفعل الأمر (فادفع) يدل على التعجيز ، وكذلك
تقديم الجار والمجرور (بكفك) والفصل بين الجملة الفعلية والمفعول به (بناءنا)
بجملة (وإن أردت) للتهكم والسخرية وإظهار المعجز التام .

وعبر عن رسوخ مجد هم بقوله (تَهْلَانِ ذَا الْهَضَبَاتِ) فزاد على من سبقه بوصف
الجبل بأنه ذو هضبات ، وهذا تأكيد لمعظمه وقوة رسوخه وتكثفه .

وكذلك جاء بالاستفهام الدال على التعجيز (هل يتحلحل) أو الدال على
النفي أي (لا يتحلحل) ليزيد صورة رسوخه تأكيداً .
جاء في الموازنة :

" أَفَتَرَى الْبَحْتَرِيَّ مَسْمُوعَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْغُرْزَدَقِ ، وَلَا مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ فَنَقْلُهُ كَمَا سَمِعَهُ
أَبُو تَمَامٍ فَنَقْلُهُ ؟ " (١)

فكانه يشير إلى أن البحتري ، وأبا تمام قد أخذوا بيتهما عن الغرزدق ، فللغرزدق
فضل السبق والتصوير الدقيق .

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الوافر)

• قال ذو الرمة :

(١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

وَشِعْرٌ قَدْ أَرَقَّتْ لَهُ غَرِيبٌ . . أَجَنَّبَهُ السَّائِدَ وَالْمُحَالَ
فَيَتَّ أَوَيْمَهُ وَأَقْدُ مِنْهُ . . قَوَافِي لَا أُرِيدُ لَهَا يَتَّيَّالًا

والشاهد من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة (٧) ومطلعها :

أَرَاكِ قَرِيبُ حَيْرَتِكَ الْجَمَالَ . . كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَحْتَيَّالًا

وبعد الشاهد :

غَرَّابٌ قَدْ عُرِقَ كُلُّ أَفْئِدَةٍ . . مِنْ الْآفَاقِ تُفْتَعِلُ أَفْتِيَالًا

استشهد به الشيخ على أن الشاعر لا يكون محذياً إلا بما يكون به آخذاً،

أما إنشاد الشعر وقراءته فلا يسمى احتذاءً . قال :

" وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر "مُحَذِّياً" إلا بما يجعلونه به آخذاً

وَمُسْتَرِيقًا . . فلما أن يجعل إنشاد الشعر وقراءته "احتذاءً" فما لا يعلمونه

كيف ؟ (٨)

(١) رواية الموشح : "طريف" ، ورواية كتاب القوافي : "كريم" .

(٢) رواية تأويل مشكل القرآن ، والصاحح واللسان : "سند" : "أجانبه
المساند" .

(٣) والمساند من السناد وهو عيب في الشعر : وهو اختلاف ما يجب مراعاته
قبل الروي من الحروف والحركات / كتاب القوافي : ١٢٩ .

(٤) المحال من الكلام - بالضم - : ما عدل عن وجهه كالاستحيل وأحوال :
أتى به " / القاموس المحيط : (حول) : ٣ / ٣٧٤ .

(٥) رواية الديوان : " لا أعده " .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ٣ / ١٥٣٢ ، الموشح : ١٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٢٠ ،

كتاب القوافي : ١٢٩ ، الصاحح : "سند" : ٢ / ٤٩٠ ، اللسان :
"سند" : ٣ / ٢٢٢ .

(٧) سبقت ترجمته : ص ٤٧١ .

(٨) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ الْكَسَامَ لَا تَرَحَّلْ لِغَفِيَّتَيْهَا . . . وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١)
ذكره الشيخ من غير نسبه ، وهو للحطيفة يدح بغيفاً (٢) ، ويهجو الزهرقان

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢-٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .
(١) أبي ذو طعم وذو كسوة ، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه لا ضرورة إلى جعل طاعم بمعنى النسبة بل الأولى أن يقال هو اسم فاعل من طعم يطعم تسلوباً منه معنى الحدوث ، إلا أن الشارح رد ذلك وجعله من النسبة مثله مثل " الكاسي " / انظر :

شرح شافية ابن الحاجب : ٢ / ٨٨ .
وانظر كذلك :

شرح المفصل : ١٥ / ٦ / ١ ، شرح الأشموني : ٢ / ٥٠٥ .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ١٠٨ ، معاني القرآن للفراء : ١٦ / ٢ ، الأمثال لابن سلام : ١٦٨ ،
عيون الأخبار : ٢ / ١٩٥ / ٥ ، الشعر والشعراء : ٣٣٤ / ١ ، الكامل
للمبرد - دار الفكر - ٢٥٠ / ١ / ١ ، عيار الشعر : ١١٣ ، العقد الفريد :
- دار الفكر - ٢ / ٢٩٩ ، الأشباه والنظائر للخالدين : ١ / ١٠٤ ،
الموشح : ٢٦ ، ديوان المعاني : ١ / ١٧٤ ، الصناعتين : ٥٠٨ ، الإعجاز
والإيجاز : ١٤٦ ، التمثيل والمحاضرة : ٦٣ ، جمع الجواهر في اللج والنوار :
٢٧٧ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٤٤٢ ، شرح المفصل : ١٥ / ٦ / ١ ، شرح
الأشموني مع شرح الشواهد للمعيني : ٢ / ٥٠٥ - ذكر الشطر الثاني فقط -
شرح المصنوع به على غير أهله : ٤٨٢ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٢ / ٨٨
نهاية الأرب للنويري : ٣ / ٢٧٥ ، شرح شواهد المعيني : ١ / ٣٧٨ ، معاهد
التنصيص : ٤ / ٦ .

(٣) هو بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة جعفر بن قريع ، كان

من رؤساء بني تميم في الجاهلية وقد أدرك الإسلام ، ولم يرد في شيء من
الطرق أنه وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم . / الإصابة : ١ / ١٧٢ ،

رقم (٧٨١) .

ابن بدر وقد شكاه الزبرقان بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)
والشاهد من قصيدة مطلعها :

وَاللَّهِ مَا عَشَّرَ لَأُمُومًا امْرَأَةً جَنِيًّا (٢) . . فِي آلٍ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ
وقبل الشاهد :

جَارٍ لِقَمِيمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنَزِلِهِمْ . . وَغَادَرُوهُ مَقِيمًا بَيْنَ أَزْرَاسٍ
مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ . . وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَأَبْعَثْ يَسَارًا إِلَى وَفَرٍ مَدَامَسِيٍّ (٣) (٤) (٥) . . وَآخِذِجْ إِلَيْهَا بِذِي عِرْكِينَ قَنْعَاسٍ (٦) (٧) (٨)

(١) وقصة أبيات هذه القصيدة التي منها بيت الشاهد مشهورة في كتب الأدب ، وملخصها : أن الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر فلم يحسد جواره ، فتحول عنه إلى بغيض ، فأكرمه ، وأحسن جواره ، فقال أبياتمه هذه يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً ، فشكاه إلى عمر ، فقال عمر : ما هجاك ؟ أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً . قال : إني لأكون في الهجاء أشد من هذا ، فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت يحكمه في الأمر ، فقال حسان لم يهجه ولكن سلّح عليه - أي بال عليه - فحبسه عمر ، ثم أطلقه وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً من المسلمين .

(٢) الجَنْب : الغريب / مختار الصحاح : " جنب " : ١١٢ .

(٣) يسار : راعي الزبرقان . / ديوان الحطيئة : ١٠٨ .

(٤) وفَر : وطاب وافرة ، والوطاب سقاء اللبن / اللسان " وطب " : ٧٩٢/١ .

(٥) مذمة : يذمها الضيفان والذم ضد الحمد / مختار الصحاح " ذم " : ٢٢٤ .

(٦) وآخِذِجْ : أي أرحل / القاموس " حدج " : ١ / ١٨٩ .

(٧) بذِي عِرْكَيْنِ : العرك الضابط ، والعرك حز مرفق البعير جنبه حتى يخطئ منه . / اللسان " عرك " : ١ / ٤٦٥ ، تاج العروس " عرك "

٧ / ١٦٠ .

(٨) قَنْعَاسٍ : بعير قنساس ضخم شديد . / القاموس المحيط : " قنساس " :

٢ / ٢٥٣ .

استشهد به الشيخ على أن نقل كلمة من البيت ووضع أخرى مكانها لا يسمى احتذاء^(١)، وإنما يسمى سلخاً^(٢)، وهو أمر مستحب عند نقاد العرب .
قال الشيخ :

” وإن أريد عند عامد إلى بيت شعر فوضع مكان كل لفظة لفظاً في معناه ، كمثل أن يقول في قوله :

دَعِ الْكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيُعَيَّتَهَا . . . وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
ذَرِ الْكَائِرَ لَا تَذْهَبْ لِيَطْلُبَهَا . . . وَأَجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلُ الْلَائِسُ

لم يجعلوا ذلك ” احتذاءً “ ولم يؤهلوا صاحبه لأن يسويه ” محتذياً “ ولكن يسعون هذا الصنيع ” سلخاً “ ، ويردونه ويسخفون المتعاطي له^(٣) .

ومعنى الشاهد : ” اترك الكارم ولا تسافر ولا ترحل من منزلك لطلب الكاسم ، ولا تسع في حصولها ، واقعد في مكانك ، فإنك ذو طعم ، وذو كسوة يعني همستك مصروفة إلى طعام تطعمه ولباس تطسه لا على أن تحصل الكارم والمنازل الشريفة “ (٣)
وقد جعل بعضهم بيت الحطيئة أهجى بيت قالته العرب^(٤) وقد أخذت الحطيئة من قول الأعشى :

أَبَا نَابِتٍ لَا تَقْلَقَنَّ رِبَا حَنْئَا . . . أَبَا نَابِتٍ وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ طَاعِمُ
طَعَامِ الْعِرَاقِ الْمُسْتَجَادِ الَّذِي تَرَى . . . وَفِي كُلِّ عَامٍ كُسُوءٌ وَذَرَاهِمُ (٥)
إلا أن الحطيئة زاد عليه زيادة بينة .

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر :

(١) السلخ : هو أن تعمد إلى بيت ، فتضع مكان كل لفظ لفظاً في معناه / التعريفات : ١٢١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ - ٣٦٣ - خفاجي : ٤٣٢ ، شاکر : ٤٧١ .

(٣) شرح المصنوع به على غير أهله : ٤٨٢ .

(٤) ديوان المعاني : ١ / ١٧٤ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٥ - ١٤٦ ، نهاية

الأرب للنويري : ٣ / ٢٧٥ .

(٥) الأشباه والنظائر للمخالد بين : ١ / ١٠٣ .

إِذَا مَا كُنْتُ ذَا أَكْلٍ وَشُرْبٍ . . . فَلَا تَطَّحْ إِلَى نِيلِ الْمَعَالِيسِ (١)

ومثله أيضا قول الآخر :

وَلِيَّيْ وَجَدْتِ مِنَ النِّكَارِ حَسْبَكُمْ . . . أَنْ تَطْبَسُوا حَرَّ الشَّيَابِ وَتَشْبَعُوا
فَإِنَّا تُدْ وَكِرَتِ الْمَكَارِمُ مَرَّةً . . . فِي مَجْلِسٍ أَنْتُمْ بِهٍ فَتَقْنَعُوا (٢)

وهذا المعنى ضد قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَنْتَى مَعِيشَةٍ . . . كَفَّارِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٍ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَسَّلٍ . . . وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدُ الْمُوْتَلَّ أَسْمَالِي (٣)

ولقد ذكر ابن قتيبة بيت الشاهد في الأبيات التي لا مثل لها (٤) .

ونذكره ابن طباطبا في الشعر المحكم النسيج وقال :

" فقلوه " الكاسي " عجيبة الوقع " (٥)

الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّيَّ يَصْلِيهِ . . . وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكْلُكُلِ (٦)

ساقه الشيخ شاهداً على أن منشد الشعر لا يسمى محتدياً ، ولو كان كذلك

لقيل أنه قائل شعر . قال :

(. . .) فمن أين يجوز لنا أن نقول في صَبِّي يقرأ قصيدة امرئ القيس : إنهم

احتذاه في قوله :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّيَّ يَصْلِيهِ

(١) الأشباه والنظائر للخالد بين : ١٠٤ / ١ .

(٢) الأمثال لابن سلام : ١٦٨ .

(٣) الأشباه والنظائر للخالد بين : ١٠٤ / ١ .

(٤) عيون الأخبار : ٢ / ٥ / ١٩٥ .

(٥) عبار الشعر : ١١٣ .

(*) الدلائل ، رضا ، ٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شاكر : ٤٧٢ .

(٦) البيت لامرئ القيس وقد سبق تخريجه : ١٧٦ - ١٧٧ .

والعجب من أنهم لم ينظروا فيعلموا أنه لو كان منشد الشعر "محتدًا" لكان يكون قائل شعر، كما أن الذي يحذو النعل بالنعل يكون قاطع نعلٍ * (١١)

الشاهد السابع والشانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* بيت أبي نخيلة ^(٢) في مسلمة بن عبد الملك ^(٣) :
 أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا أَبْنُ كُلِّ خَلِيفَةٍ . . وَيَا جَبَلِ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ ^(٤) (٥)
 شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى ^(٦) . . وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ صَالِحًا يَقْنِي ^(٧) ^(٨)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٣ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ ، ٤٧٢ .
 (٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، شاكر : ٤٧٢ .
 (٣) أبو نخيلة : قيل هوا اسمه لأن أمه ولدته تحت نخلة وكنيته أبو الجنيد ، وقيل :

ان اسمه الجنيد بن الجون وهو مولى لبني حماد ، وقيل : هو يعمر بن
 حزن (وقيل حزم) بن زائدة بن لقيط بن أبرة بن ظالم بن مخاشن
 ابن حمان وحمان هو عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
 وقيل له حمان لأنه كان يحمم شفتيه ، وأبو نخيلة شاعر راجز محسن متقدم
 في القصيد والرجز ، وهو كثير المحاسن .

انظر ترجمته : المؤلف والمختلف : ١٩٣ ، سبط اللآلي : ١ / ١٣٥ ، زهر
 الآداب : ٤ / ٩٩٦ .

(٣) ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف أنه يقوله في مسلمة بن هشام بن عبد الملك

(٤) رواية زهر الآداب (أَمْسَلَمَ يَانْجَلُ خَيْرِ خَلِيفَةٍ) .

(٥) رواية أمالي القاضي :

" وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمْرَ الْأَرْضِ "

ورواية زهر الآداب والمؤلف والمختلف :

" وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ "

(٦) رواية الفاضل :

" شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ مِنِّي سَجِيَّةٌ "

(٧) رواية عيوان الأخبار : " وَمَا كُلُّ مَنْ أَقْرَضْتَهُ " .

(٨) رواية المؤلف والمختلف وعيون الأخبار : " وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً " .

وَأَنْتَهَيْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ حَاسِلًا ^(٢) . وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْتَهَى مِنْ بَعْضِ (٣)

• • قول أبي تمام : (الطويل)

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي آمْتِدَادًا وَلَمْ أَكُنْ ^(٤) . بَهِيمًا وَلَا أَرْضَى مِنَ الْأَرْضِ جَهْلًا ^(٥) ^(٦) ^(٧)

(١) ومعنى (أنتهيت) : (نَبَّهَ) الرجل شَرَفَ واشتهر فهو نبيه ونابه وهو ضد الخامل ونَبَّهَهُ تنبيهاً رفعه من الخمول .

رواية الموازنة وأمالى القالي : " نَوَّهَتْ مِنْ ذِكْرِي " .

ورواية الفاضل وزهر الآداب : " وَتَبَّهَتْ مِنْ ذِكْرِي " .

ورواية بهجة المجالس والعمدة : " وَأَخْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِي " .

ورواية المؤلف والمخطف : " وَأَخْيَيْتَ لِي ذِكْرِي " .

(٢) رواية بهجة المجالس : " وَمَا كُنْتُ حَاسِلًا " .

(٣) انظر الأبيات في : المؤلف والمخطف : ٩٩٣ ، أمالي القالي : ١ / ٣٠ ،

زهر الآداب : ٩٩٥-٩٩٦ ، وانظر الشطر الأول في : سبط الآلسي :

١ / ١٣٥ ، والبيت الثاني والثالث في : عيون الأخبار : ٣ / ١٦٥ ، الفاضل

٩٩ ، بهجة المجالس : ١ / ٣١٣ .

والبيت الثالث في :

الموازنة - (محمد مجي الدين عبد الحميد) - : ٩٠ ، العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) الأوضح : جمع وَضَحَ وهو البياض يقال هذا فرس به أوضح وهذا كالمثل

المضروب لما يملكه من المال ، أو لما يملفه من الرتب والجاء / ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب : ٩٩ / ٣ / القاموس المحيط " وضح " : ١ / ٢٦٤ .

(٥) بهيماً : البهيم من الخيل الأسود / القاموس المحيط " بهم " : ٨٣ .

(٦) ضبطت كلمة (أرضى) في الديوان بشرح الخطيب بفتح الضاد على أنها

فعل مضارع .

وذكر محقق دلائل الإعجاز الأستاذ محمود شاكر أن من ضبط (أرضى)

بالتفتح فقد أخطأ المعنى .

والصواب ضبطها بالكسر ويعنى بها أرضه ودياره .

(٧) المجهل المفازة التي لا أعلام فيها يهتدى بها وضربه مثلاً للخمول بمعنى

أن ديـار قومه ديـار مشهورة / مختار الصحاح " جهل " : ١١٥ .

وَلَكِنْ أَيْدِي صَادِقَتَيْنِي جَسَامَهَا .: أَغْرَفَاوَقْتُ بِي أَغْرَفَ مَحَجَّلاً (٣) (٤)

والبيتان من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

لَهَا نَ عَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا .: وَنَذْكُرُ بَعْضَ الْفَضْلِ يَنْكَ فَتُفْضِلَا (٥) (٦)

وقبل الشاهد :

رَدَدْتَ الْمَنَى خُضْرًا تَتَنَّى عَصُونَهَا .: عَيْنَا وَأَطْلَقْتَ الرَّجَاءَ التَّكْبَلَا (٧)

وَيَا لِحَظِّ الْعَلَفِي جَدَاكَ مُؤَثَّلَا .: سَوَى لَحْظَةٍ حَتَّى يَفُودَ (٨) مُؤَثَّلَا

وبعد الشاهد :

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا .: يَلَايِنَةُ أَحْسَنَتْ أَنْ تَتَطَوَّلَا (٩)

(١) رواية الديوان - دار صعب - :

" فألفت " بمعنى (لقيت) ، ورواية حساسة ابن الشجري : " فخلتني " وما جاء في الدلائل موافق لرواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي .

(٢) القُرّة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم . / مختار الصحاح ، " غرر " : ٤٧١ .

(٣) التحجيل : بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها / مختار الصحاح " حجل " : ١٢٤ .

(٤) انظر الشاهد في : ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) - دار صعب - :

٢٢٣ . ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٩٩ - ١٠٠ ،

العمدة : ١ / ٤٢ ، سمط اللاكي : ١ / ١٣٥ ، حساسة ابن الشجري :

١١٤ .

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " عنك " .

(٦) رواية الديوان بشرح التبريزي : " وتفضلا " .

(٧) رواية الديوان بشرح التبريزي : " رجعت " .

(٨) رواية الديوان بشرح التبريزي : " يؤوب " .

(٩) رواية الديوان بشرح التبريزي : " بلا نعمة " .

استشهد بهما الشيخ على أن الشاعر المحتذى يكون أحق بالبيت من صاحبه
 إن هو أحدث فيه صورة جديدة لم تكن فيه ، فالفضيلة هنا للصورة ، لا للفظ .
 فقول العلماء " كسأه لفظاً " إنما أرادوا باللفظ هنا الصورة الحادثة في البيت .
 فالبيتان مثال على ما تفعله صنعة الشاعر في الصورة والمعنى واحد .
 قال الشيخ :-

" وما إذا تفكر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس ، ومن شدة غفلتهم
 قول العلماء حيث ذكروا " الأخذ " و " السرقة " : **إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى عَارِياً
 فَكَسَاهُ لَفْظاً** من عنده كان أحق به ، وهو كلام مشهور متداول يقرؤه الصّيبان
 في أول كتاب " عبد الرحمن " (١)

ثم لا ترى أحداً من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في " اللفظ " ، يفكّر
 في ذلك فيقول : **مِنْ أَيْنَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هَهُنَا مَعْنَى عَارٍ مِنْ لَفْظٍ يُدَلُّ عَلَيْهِ ؟**
 ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده ،
 إن كان المراد باللفظ نطق اللسان ؟

ثم هَبْ أنه يصح له أن يفعل ذلك فمن أين يجب إذا وضع لفظاً على معنى
 أن يصير أحق به من صاحبه الذي أخذه منه ، إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئاً ،
 ولا يحدث فيه صفة ، ولا يكتسبه فضيلة ؟ وإذا كان كذلك ، فهل يكون لكلامهم هذا
 وجهٌ سوى أن يكون " اللفظ " في قولهم : " فكسأه لفظاً " من عنده " عبارة عن صورة
 يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى ؟ فإن قالوا : بلى يكون ، وهو أن يستعير
 للمعنى لفظاً .

قيل : الشأن في أنهم قالوا : " إذا أخذ معنى عارياً فكسأه لفظاً " من عنده كان
 أحق به " و " الاستعارة " عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ، ولا ترون المستعير

(١) هو في مقدمة " الألفاظ الكتابية " لعبد الرحمن بن عيسى الهذلي ،
 (ت : ٣٢٤ هـ) - نقلا عن هامش الدلائل : رضا ، خفاجي ، شاكر .

يصنع بالمعنى شيئاً ، وترون أنه لا يُحْدِث فيه مزية على وجه من الوجوه ، وإن كان كذلك ، فمن أين ، ليت شعري ، يكون أحق به فأعرفه * (١)

فالمعنى المشترك في البيتين أن للشاعر ذكراً قديماً حسناً إلا أن المسدوح فضلاً في إبرازه وإظهاره والزيادة عليه ، فأبو تام عند إلى بيت أبي نخيلة الأخير وكساء صورة جديدة ، فأحسن وأجاد ، وإن كان أبو نخيلة فاقه حين عبر عن طو ذكره بقوله * (وأنبت لي ذكري) ، فأظهر الأمر المعنوي في صورة الحسي ، فالرفع أمر حسي ، والذكر معنوي وهذه استعارة مكنية فيها روعة وجمال ، وهي مقتبسة من قوله تعالى : * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * (٢)

أما أبو تام فقد عبر عن ذبوع ذكره الحسن بالبياض المستد ليؤكد نقاء وصفاء ، بقوله (لَقَدْ زِدْتُ أَوْصَاحِي امْتِدَاداً)

ومن الصور التي أحسن فيها أبو تام وأجاد ، أن أبا نخيلة نفى أن يكون مجهول الذكر خاطمه بقوله : * وما كان خاملاً * .

أما أبو تام فلم يرض بهذا النفي الساذج فقال " ولم أكن بهيئاً ولا أرضسي من الأرض مجهلاً * فجاء بصورة البهيم وصورة الأرض المجهولة ، ونفى أن تكون إحدى الصورتين متشكلة فيه .

واكتفى أبو نخيلة في بيان أثر المسدوح في إعلاء ذكره بقوله :

* ولكن بعض الذكر أنبه من بعض *

وهو تعبير مباشر لا يوفي المسدوح حقه من الشكر أما أبو تام فقد كان أجود مدحاً ، وأكثر وفاة في إظهار كرم المسدوح . فاستعمل لفظ * أياد * وهو مجاز مرسل علاقته الآليه أو المحليه ، وفي التجوز بالمحل عن الحال دليل على سعة كرمه ، ثم جاء بصورة الأغر المحجل فهذه الأيادي قد صادفته أغر ولكنها لم تتركه كما هو

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٩ - ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٨ - ٤٣٩ ، شاكر : ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٢) الشرح : ٤ .

إنما زادت في إبرازه بأن جعلته أغرمحجلاً وشرح التبريزي البيت بقوله :
 " يقول : لَمَّا أَكْرَمْتَنِي زِدْتَ فِي شَرَفِي ، وَقَدَّرِي ، وهذا المعنى مثل قولهم
 بَيِّضَ فُلَانٍ وَجْهِي إِذَا فَعَلَ بِهِ فِعْلاً حَسَنًا . . وقوله : " ولم أكن بهيماً " لما ذكر
 الأوضح التي تكون في الخيل دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ " البهم " وهو السدي
 ليس به وَضَحَ ، ولا يخالط لونه لَوْنٌ غَيْرُهُ ، يقول : رَفَعْتَنِي بَيْنَ النَّاسِ وَشَهْرَتَنِي ؛
 لَأَنْهُمْ يَصْفُونَ الْفَرَسَ إِذَا كَانَ أُلْبِقَ بِالشَّهْرَةِ ، وإنما ذلك لكثرة أوضاحه ،
 إلا أنهم لا يحسدون البلق كحسد هم المحجلة ، وقد بَيَّنَّ معناه البيت السدي
 بعده ، فزعم أَنَّ الْمَدْرُوحَ وَجَدَهُ أَغْرَفَزَادَهُ حَجَبُولًا " (١)
 ورأى البكري في السبط أن أبا تمام قد أخذ قول أبي نخيلة " ونهبت من ذكري
 وما كان خاملًا "

إلا أنه كشف معناه وحَسَّنَه بالصناعة . (٢)

وعلق ابن رشيق على قول الطائي بقوله :

" فطمح بنفسه إلى حيث ترى وجمل الغرة من كسبه - وهي في الوجه مشهورة -

والتحجيل من زيادات المدوح - وهو في القوائم . (٣)

ومثل هذا المعنى قول علي بن الجهم في مدح المتوكل :

وَمَا الشَّعْرُ مِنَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ . . وَلَا زَادَنِي قَدْرًا وَلَا حَطَّ مِنِّي قَدْرِي

ثم قال :

وَلَكِنَّ إِحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعَلَ قَدْرِي . . دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ (٤)

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٩٩ / ٣ - ١٠٠ .

(٢) سبط اللآلي : ١ / ١٣٥ .

(٣) العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) ديوان علي بن الجهم : ١٤٢ .

العمدة : ١ / ٤٢ .

الشاهد الثامن الشانون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• وَحِزْرَتْ مِنْ أَمْرِ قَمَرٍ بَجَارِسِي . لَمْ يَكُنْ بِي وَلَقِيَتْ مَالَمَ أَحْسَدَرِ (١)

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لسهم بن حنظلة بن حلوان (٣)

وقبل الشاهد :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَاشِحٍ . وَنَجَوْتُ مِنْ أَمْرِ آغَرَ شَهْرٍ

• • قال لبيد : (٤)
(المنسرح)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤٠ - ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ .

(١) نكئ العَدُو وفيه نكابة قتل وَجَرَحَ / القاموس المحيط " نكئ " : ٤٠٠ / ٤٠ .

ورواية المؤلف والمختلف وخزانة الأدب : " لم يُكْنِي " ، ورواية الموازنة :
لم يلقني .

(٢) انظر البيت في :-

الموازنة : ٢٧٧ ، - من غير نسبة - ، المؤلف والمختلف : ١٣٦ ، خزانة
الأدب : ٤٣٥ / ٩ .

(٣) هو سهم بن حنظلة بن جأوان وقيل بن حلوان وقيل بن خاقان بن خويلد
أحد بني شيبه بن غني بن أعصر فارس مشهور شاعر محسن ، أدرك الجاهلية
والإسلام وهو شامي ذكر الميمني في تحقيق السمط أنه وجد له بيتان في
الألفاظ : ٢٤٨ ، يدلان على أنه أدرك إمارة عبد الملك بن مروان ، توفي نحو
(٧٠ هـ) / انظر ترجمته :

المؤلف والمختلف : ١٣٦ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٤٨ ، سمط
اللائي : ٧٤٠ ، الإصابة : ٢ / ١١٥ رقم (٣٧٠٨) ، خزانة الأدب : ٣٥ / ٩
الأعلام : ٣ / ١٤٤ ، من الضائع من معجم الشعراء للمعزباني : ٧٢ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
وكان يقال لأبيه ربيع المقتربين لجوده وسخائه ، قتله بنو أسد في يوم ذي علق ،
ولم يكن لبيد قد تجاوز سن الطفولة .

وعم لبيد أبو براهم بن مالك ملاعب الأسنة ، وكان لبيد كثيراً ما يصاحبه
في أسفاره .

ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها ، والمخضرمين من أدرك الإسلام =====

أَخْشَى عَلَى أَرْضِ الْحُوفِ وَلَا . . . أَزْهَبَ نَوَّ السَّمَاءِ وَالْأَسْطَر (٥)

== وأسلم، وهو من أشرف الشعراء المجيد بين الفرسان القراء المعمرين / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٣٥ ، الشعر والشعراء : ١ / ٢٨٠ - ٢٩١ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١٤٥ ، ٦ / ١٨٥ ، الأغاني : ١٥ / ٣٦١ - ٣٧٩ ، الإعجاز والإيجاز ١٤٤ ، أمالي المرتضى : ١ / ١٩٠ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٠ ، خزنة البغداد ي - دار صادر - : ١ / ٣٣٧ .

(١) هو عمرو بن زهير بن جذيمة بن جزء بن خالد بن جعفر وفي بعض المصادر : " هو أريد بن قيس " ، وكنيته أبو المفوار ، وقيل " أبو الحزاز " ، أمه فاطمة بنت زهير بن جعونة ، وقيل أساء بنت زهير سبها قيس ، فولد تله أريد ، ثم تزوجها ربيعة ، فولد تله لبيدآ ، وحرامآ / انظر ترجمته : الأغاني : ١٧ / ٥٦ ، معجم الشعراء : ٢١٠ ، سمط اللالي : ١ / ٢٩٧ ، خزنة الأدب - دار صادر - : ٢ / ٢٥٠ .

(٢) رواية معجم الشعراء : " أخاف " .

(٣) السماك : أحد نجمين نيرين أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح ، ويقال أنهما رجلا الأسد ، والذي هو من منازل القمر الأعزل ، وبه ينزل القمر وهو شام ، وسي أعزل ، لأنه لاشي بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال سمي أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ربح ولا برد ، وهو أعزل منها ، والرامح وليس هو من المنازل ولا نوء له ، وهو إلى جهة الشمال ، والأعزل إلى جهة الجنوب .

وطلوع السماك الأعزل مع الفجر في تشرين الأول . / اللسان " سمك " : ١٠ / ٤٤٤ (٤) الأسد يطلق في الفلك على البرج الخامس والكوكبة التي يحتويها وهو مشتق من أسد نيمان الذي قتله هرقل كما تقول الأساطير الإغريقية وألمع نجمين في الكوكبة قلب الأسد والصرفة ، وبها أربع منازل قمرية هي الصرفة والجبهة والزبرة والطرف ، ويطلق اسم الأسديات على أوائل من الشهب يتشعب من الكوكبة ، وتربط الأرض في نوفمبر ، ويشاهد في أعداد كبره كل ٣٣ سنة / الموسوعة العربية : ١٤٧ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ٣٩ رقم (١٣) ، شرح ديوان لبيد : ١٥٨ ، الكامل - مكتبة المعارف - : =====

والشاهد من أبيات يرش بها لبيدا أخاه لأنه أريد ، وقد أحرقت الصاعقة (١) .

والبيت من قصيدة مطلعها :

مَا إِنْ تَعَرَّيَ التَّنُونُ مِنْ أَحَدٍ . . لَا وَالِدٍ شَفِيفٍ وَلَا وَلَسِدٍ

وبعد البيت شاهد وبعد :

فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوْاعِقُ يَالِ . . فَارِسِ يَمِ الْكَرِيمَةِ النَّجْدِ

... قال البحرى :

(الكامل)

لَوْ أَنِّي أَوْفِي التَّجَارِبِ حَقًّا . . فِينَا أَرْتِ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ (٢)

وهو من قصيدة يدح بها أبا عيسى بن صاعد بن مخلد (٣) مطلعها :

أَرْجُ رِيًّا طَلَّةَ رِيَّاهُ . . لَا يَتَّبِعُ الطِّيفَ الَّذِي أَهْدَاهُ (٤)

وقبل الشاهد :

عَيْشَ لَنَا يَا الْأَبْرَقِينَ تَابَسَّدَتْ . . أَيَّامُهُ ، وَتَجَدَّدَتْ نِكَرَاهُ

وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ . . لَهْفًا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَتَسَاهُ

وبعد الشاهد وبعد :

وَالشَّيْءُ تَتَنَعَّمُ تَكُونُ يَدَوْتِهِ . . أَجْدَى مِنْ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ

=== ٣٢٥ / ٢ ، الأغاني : ١٧ / ٥٥ - ٦٢ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ١ / ٣٢ ، معجم

الشعراء : ٢١٠ ، سبط اللآلي : ١ / ٢٩٨ ، الحاسة البصرية : ١ / ٢٠٩ ، السيرة

النبوية - بهامش الروض الأنف - : ٤ / ٢٠٧ .

(١) وملخص قصته : أنه وفد أريد مع عامر بن الطفيل على الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وأراد به سوءا فدعا عليهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله على أريد في

طريقه صاعقة فأحرقت ، ومات عامر بن الطفيل بالطاعون ، وهو نازل في حي من بني

سلول / انظر الخبر في :

الكامل - مكتبة المعارف - : ٢ / ٣٢٥ ، الأغاني : ١٧ / ٥٦ ، معجم الشعراء : ٢١٠ ،

سبط اللآلي : ٢٩٨ ، خزانة الأدب - مكتبة الخانجي : ٢ / ٢٥٠ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٣٥ .

(٣) سبقت ترجمته (٢٦٦) .

(٤) ويدولي أن الضبط بالرفع أجود * لا يبعد الطيف * على أن الطيف فاعل ، وهو

دعاء ورجاء ، ويمكن أن تكون يبعد مضارع بعد ضد قرب ، ويمكن أن تكون مضارع

بعد بمعنى * هلك * .

وأما على الضبط بالنصب فتكون الجملة مجرد إخبار لا روعة فيه .

فالأبيات مأخوذة من معنى المثل القائل :

« حَرًّا أَخَافُ عَلَى جَانِبِي كَمَا لَا قُرَّاءَ » (١)

وهو مثل يضرب " للذي يخاف من شيء فيسلم منه ، ويصيه غيره ما لم يخفه " (٢)
فالشاعر الأول ربط المعنى بصورة حسية ، فقله " مَرَّيجَانِبِي " صور الأمر الذي
يحذر منه ، وكأنه شخص ، أو جسم من الأجسام قاربه ، ولم يلحقه منه ضرر ، وهو تصوير
لطيف .

أما لبيد ، فقد استعان بنوء السماء والأسد ، فهو قد خشي على أخيه الموت ،
ولم يخطر له على بال أن حتفه سيكون بسبب نوء السماء والأسد هذان الكوكبان
الذان يستشربهما لأنه لاربح فيهما ولا يبرد .

وجاء الثالث وزاد المعنى اتساعاً فقال : لو كنت أعطي التجارب والمصائب
حقها وأعرف كيف أقدرها وأعالجها لتسنت المكروه لما فيه من الخير ، فالمصائب
كثيراً ما تكون نعمة في ثوب نعمة ، وهذا المعنى هو معنى قوله تعالى : « وَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ » (٣)

وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوِّ وَلَنْ عَظُمَتْ . وَيُعْطِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ (٤)
وعلق المرزباني على بيت البحري - وهو البيت الثالث من أبيات الشاهد - ، فقال :
« وأخذه البحري ، فأحسن وطفني اقتداراً على العبارة واتساعاً فني

المعنى » (٥)

- (١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري : ١ / ٣٧٣ .
- (٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٤٠ ، شاكر : ٤٨٥ .
- (٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .
- (٤) ديوانه - دارصعب - : ٢٧٩ .
- (٥) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ .

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين : (*) (السريع)

• قال إبراهيم بن المهدي : (١)

يَا مَنْ لِقَلْبٍ صَبِيحٍ مِنْ صَخْرَةٍ . . . فِي جَسَدٍ مِنْ لَوْلُو رَطْبٍ (٢)
جَرَحَتْ خَدَّيْهِ بِلَحْظِي فَمَا . . . بَرِحَتْ حَتَّى اقْتَصَّ مِنْ قَلْبِي (٣)

• قال أحمد بن أبي فتن : (٤) (الكامل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٦ .

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، المعروف بابن شكلة ،

الهاشمي ، وشكلة أمه كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له شاه أفرنس

فقتل مع التازيار وسببت بنته شكلة ، فحولت إلى المنصور ، فلما كبرت تزوجها

محمد المهدي " ولإبراهيم أخو هارون الرشيد " وكان إبراهيم بن المهدي رجلاً

عاقلًا فها هو ديناً أدبياً شاعراً ، راوية للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن

المعارضة إلى أن تبدل الغناء . / انظر ترجمته :

تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٦٦-٢٨٨ ، الأغاني : ١٠٠ / ٦٩-٧٠ ،

٩٦-١٤٩ ، من الغنائم من معجم الشعراء للمريزاني : ١٣ .

(٢) رواية تهذيب تاريخ ابن عساكر :

" في جسد لؤلؤ رطب " .

ويبدو أن الرواية ناقصة للوزن .

(٣) لم أجد البيتين إلا في :

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٤) ورد ذكره في الموشح : ٣١١-٣١٢

نسب البيت في المثل السائر لأبي تمام ، وهو غير موجود في ديوانه ونسب في

تهذيب تاريخ ابن عساكر لأحمد بن أبي قين .

هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور ، وقيل مولى الربيع بن

يونس ، وقيل مولى بني هاشم . كنيته أبو عبد الله ، وكان أسود اللون ،

وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد في أيام المتوكل ، أكثر المدح للفتح

ابن خاقان . / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز ٣٩٦-٣٩٧ ، أخبار أبي تمام : ٧٠ ، ٧١ ، ١٩٦ ، تاريخ

بغداد ٢٠٢-٢٠٣ ، سبط اللاكبي : ١ / ٢٤٥ ، فوات الوفيات : ١ / ٧٠ .

أَدْمَيْتُ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتْهُ . . . (٣) فَأَقْتَصَّ نَاطِرُهُ مِنَ الْقَلْبِ (٥) (٤)

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات :

صَبَّ يَحَبُّ مَتَيْمٍ صَبَّ . . . حَبِيهِ فَوْقَ نَهَائَةِ الْحُبِّ
أَشْكُو إِلَيْهِ صَنِيعَ جَفَوْتِهِ . . . فَيَقُولُ مَتَّ فَأَيَسَّرُ الْخَطَّ
وَلِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَحَاسِنِهِ . . . أَخْرَجْتُهُ عَظْلًا مِنَ الذَّنْبِ (٦)
الشاهد فيه كسابقه . فابن أبي فنن أخذ بيت إبراهيم بن المهدي معنى ولفظاً
ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه صار أولى به . قال الشيخ :

" . . . ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعتنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ،
ولكن صورة ، وصفة ، وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق معرفته على
الجملة العقل دون السمع ، فإنه على (٧) كل حال لم يقل في البحري أنسه
" أحسن فظي اقتداراً على العبارة من أجل حروف :
" لَوْ أَنَّنِي أَوْفِي التَّجَارِبَ حَقَّهَا "

وكذلك لم يصف ابن أبي فنن بنقاء العبارة من أجل حروف :

" أَدْمَيْتُ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتْهُ " (٨)

(١) رواية الموشى : " أَدْمَيْتُ " بالفتح .

(٢) رواية ديوان المعاني : " بِاللَّحَاطِ " .

(٣) رواية الموشى : " وَجَنَّتْهَا " .

(٤) رواية الموشى : " نَاطِرُهَا " .

(٥) انظر البيت في : شعر أحمد بن أبي فنن - ضمن (شعراء عباسيون) - :

١٤١ ، الموشى : ٢٢٤ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٨٤ ، تاريخ بغداد :

٤ / ٢٠٣ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ ، المثل السائر :

٣ / ٢٤٠ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٧) الضمير هنا عائد على المرزباني أو علي بن هارون ، انظر :
الديلماسي ، رضا : ٣٧٠ - ٣٧١ ، خنابجي : ٤٤٠ - ٤٤١ ، شاعر : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٨) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاعر : ٤٨٦ .

ولعل البيت الثاني حَسَنَ وفاق البيت الأول ، لأنه أدق تركيباً وألطف معنى ، فقد قدم الجار والمجرور " باللحظات " لأهميتها عند الشاعر ، فهو يريد أن يسدل على قوة وعمق تأثير اللحظات ، وليس قصده وهمه بيان موقعها من أنها كانت على الوجنات ، كما فعل الأول ، وقدّم لفظ " خديه " .

ومن أسرار الجمال في البيت الثاني مجيء " الفاء " في قوله : " فآقتص " ، والتي دلت على سرعة ذلك الاقتصاص ، فهي قد أسرعت بجرح قلبه بالمحاطة كما جرح هو بلحظه خديها .

" فالفاء " هنا حلت محل العبارة الطويلة في البيت الأول " فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى " .

وابن أبي فتن كان أكثر شوقاً ، وتلهفاً لرؤية ذلك الحبيب من إبراهيم بن المهدي ، وسحبته أكثر جمالاً ورقة ، فابن المهدي جاء بلفظ " لحظي " مفرداً ، وجعله يُعقَّب جرحاً ، أما ابن أبي فتن فجاء به جمعاً " اللحظات " ، وجعلها دامية ، فصَّـور حدة تلك النظرات وتلفها على تأمل جمال ذلك الحبيب الذي لا تشبع النفس من النظر إليه ، فاللحظ يدافع بعضه بعضاً ليحظى بالنظر إلى ذلك الوجه الصبوح .
ولن كُنْتُ أرى أن صورة الجراح والدماء لا تناسب هذا الموقف الذي يتطلب رقة الإحساس .

وبعد هذا التحليل أقول : إن بيت ابن المهدي لا يخلو من اللمحات الجميلة ، فأنظر مثلاً إلى كلمة " خديه " ، فهي أرق من كلمة " وجنته " بل أدق لأن الحمرة تظهر على الخدين أوضح ما تظهر على الوجنة ، ثم إن قوله " من لؤلؤ رطب " تمهيد لما آدعاه من أنه جرح خديه ، هيت ابن أبي فتن خال من ذلك .

وأخيراً هذه المقابلة بين القلب الصخر والجسد الرطب مقابلة جميلة ، فما أقسى أن يكون صاحب الوجه الجميل والجسم الناعم قاسي القلب ، وهذا وإن لم يكن في المعنى المشترك لكنه يهد له .

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت ابن أبي فتن من بدائع المعاني . (١)

وجعله ابن الأثير من الضرب الثالث من السلخ وهو :

* أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك من أفتح السرقات ، وأظهرها شناعة

على السارق * (١)

وبذلك خالف أبا هلال العسكري والشيخ عبد القاهر .

وقد بينت من خلال تحليل الشاهد ين ما يخالف قول ابن الأثير .

وأخذ ابن الرومي بيت الشاهد فقال :

جَرَحَتْهُ الْعَيْنُ فَأَقْتَصَّ مِنْهَا . . . بِجَوَى فِي الْقُلُوبِ دَائِي الدُّوْبِ (٢)

الشاهد التسنن . بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا . . . وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (٣)

(البسيط)

• قول القائل :

دَرِ الْمَفَاخِرَ لَا تَدَّ هَبْ لِمَطْلَبِهَا . . . وَأَجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلِ الْإِلَاسِ

استشهد به الشيخ على أن البلاغة والفصاحة للمعاني وليست للألفاظ ، فالفاضل

بين صورتين معناهما واحد إنما يعود إلى المعنى لا إلى اللفظ ، فلا يمكن أن يتصور

أن تكون صورة المعنى في أحد البيتين هي نفسها في البيت الآخر . إلا أن يعتمد

عائد إلى البيت فيغير فيه بعض الألفاظ من غير تغيير في صورة التركيب ، وما كان

كذلك لا يعتد به ولا يسمى صاحبه صانعاً ؛ لأنه لم يصنع شيئاً يعد به صانع كلام

فبيت الحظيفة لم يكن شعراً من أجل معاني الألفاظ مفردة وهي بمعزل عن معاني

النظم والتأليف ، فهو لم يسم شعراً إلا للنظم الواقع فيه من كون " المكارم " مفعولاً

(لِدَع) وكون قوله " لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا " جملة أكدت الجملة قبلها ، وكون " أَقْعُدْ "

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٤٠ .

(٢) ديوان ابن الرومي : ١ / ١٧٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٢ ، خفاجي : ٤٤٢ ، شاكرك : ٤٨٧ .

(٣) سبق نشره : ٩٣٣ .

معطوفاً بالواو على مجموع ماضى ، وكون جملة " أنت الطاعم الكاسي " معطوفة بالفاء على " اقعد " فالذي يجيء فلا يغير شيئاً من هذا التركيب لا يعد صانعاً شيئاً
الْبَيْتَةُ . (١)

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرها ممن أصناف الحلّي بأنفسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة ، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أساء وأفعال وحروف ، كلاماً وشعراً ، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته تَوْحِي معاني النحو وأحكامه .
فإن من ليس لمن يتصدى لما ذكرنا ، من أن يعدد إلى بيت فيضغ مكان كسل لفظة منه لفظة في معناها ، إلا أن يَسْتَرْكَّ عقله ، وَيَسْتَخَفَّ " (٢)

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قال حَسَّان :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرَ كَلَابِهِمْ (٣) . لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَالِ الْمُقِيلِ (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٢-٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٤٨ .

(٣) رواية كتاب سيويه ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي :

" حتى لا تهر " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٦٢ ، الكتاب : ٣ / ١٩ ، الشعر

والشعراء : ١ / ٣١٢ ، النوادر للقالبي : ١١٧ ، شرح أبيات سيويه :

٢ / ٦٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٥٠ ، المصون : ٢٣ ، ديوان المعاني :

١ / ٣٢ ، ٣٧ ، زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ ، العمدة : ٢ / ١٣٩ ، بهجة

المجالس : ١ / ٢٩٢ ، ٢ / ٥٠٤ ، المحاسن والمساوي : ٧٥ ، الأملسي

لابن الشجري : ٢ / ١٠ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٣٢ ، شرح المفصل :

=====

(الكامل)

••• وقول القائل :

يُفْتَشُونَ حَتَّى مَاتَهُرَ كِلَابَهُمْ . . . أَبَدًا وَلَا يَسْلَوْنَ مِنْ ذَا الْمُقْبِلِ

وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الفساني من أولاد جفنة الفسانيين ،

ومطلعها :

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ . . . بَيْنَ الْجَوَائِي (١) فَالْبُضَيْعِ (٢) فَحَوَاسِلِ

وقبل الشاهد :

أَوَّلًا جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ . . . قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وبعده :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ (٣) . . . بَرَدَى (٤) يُصْفَقُ بِالرَّجِيحِ السَّلْسَلِ (٥)

=== ١ / ٣ / ٢٦ ، ٢ / ٦ / ١٣٣ ، شرح جبل الزجاجي : ١٦٨ / ٢ ،
 مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٧٨ ، ٣٨٢ ،
 ٤٧٦ ، همع الهوامع : ٢ / ٩ ، الأشموني : ٢ / ٢٩٦ ، الدرر اللوامع :
 ٢ / ٠٧

(١) الجابية : بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة " الحوض " الذي
 يجبي فيه الماء للإبل ، وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الحيدور
 من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، وبالقرب منها
 تل يسمى تل الجابية فيه حثايات صفار نحو الشبر عظيمة النكايسة ،
 والجولان بالفتح ثم السكون قرية ، وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من
 عمل حوران / معجم البلدان : ٢ / ١٨٨ .

(٢) البضيع : وقيل البضيع بالصاد غير المعجمة ، وهو جبل أسود بالشام /
 معجم البلدان : ١ / ٤٤٤ .

(٣) البريص : بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، وهو في شعر حسان يسدل
 على أن البريص اسم الفوطة بأجمعها ، فإنه يقول : يسقون ماء بَرَدَى - وهو
 نهر دمشق - مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ . / معجم البلدان : ١ / ٤٠٧ .

(٤) بَرَدَى : بثلاث فتحات أعظم نهر دمشق ، مخرجه من قرية يقال لها =====

والشاهد يُستشهد به في كتب الأدب على أنه أمدح بيت قالته العسرب . (١)
ويستشهد به النحاة على أنَّ * حتى * هنا حرف ابتداء بدليل رفع
* ماتهراً * إلا أن الكسائي رأى جواز نصب * ماتهراً * ورد بعدم السماع .
ورأى ابن مالك أنَّ حتى هنا جارة ويعدّها * أن * مضرّة . (٢)
والشاهد فيه كسابقه ، فالزاعم هنا حاول تفسير التركيب إلا أنه قد فشل فسي
ذلك .
قال :

... فإنّ لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان
كل لفظة منها لفظة في معناها ، إلا أن يَسْتَرْكَّ عقله ، وَيَسْتَخَفَّ ، وَيَعْدَّ مَعْدَّ
الذي حُكي أنه قال : إِنِّي قَلْتُ بَيْتًا هُوَ أَشْعَرُ مِنْ بَيْتِ حَسَّانَ . . . فقيّل
هو بيت حسان ، ولكنك قد أفسدته * (٣)

ومن أوجه الفساد في قول الزاعم ، أنه وصل بين الجملتين بالواو * ولا يسلون *
مع أن الفصل هنا أمكن كما فعل حَسَّان لأن غرض الشاعر أن يبالغ في استداح القوم ،
فغشيان الناس ديارهم دون أن تهر كلابهم دليل على كرمهم ، وعدم سؤالهم عن

== قنوا * من كورة الزيداني على خمسة فراسخ من دمشق من جهة بعلبك
من عيون هناك تنصب إلى الفيحة مراد الاطلاع : ١٨١ / ١ .
(٦) يصفق : يمزج / اللسان * صفق * : ١٠٠ / ٢٠٢ .

(١) زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ .

(٢) انظر في ذلك :

كتاب سيويه : ٣ / ١٨ ، شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٦٩ ، شرح
جمل الزجاجي : ٢ / ١٦٨ ، مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، السدر
اللواصع : ٢ / ٧ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

السواد القادم مبالغة في بيان عظيم ذلك الكرم .

وقوله " مَنْ ذَا " ليس كقول حسان " عن السواد " فكلمة السواد صرحت بكثرة القاصدين ، أما قوله " من ذا " فهو استفهام على الحقيقة ليس فيه تصريح بالكثرة .
فمعنى الشاهد :

أن أبناء جفنة بلغوا من الكرم مبلغاً لا يداينهم فيه أحد ، فجعل لذلك كلابهم لا تنبح من يفشاهم لا عتيادها على الأضياف ، وهم على كثرة من يأتيهم - بدليل يفشون للمجهول فدل على الكثرة - لا يسألون عن الشخص المقبل لعلمهم بأنهم طلاب إحسان ومعروف ، فيستقبلونهم ويضيفونهم ولا يحملونهم مشقة الطلب والسؤال .

ذكر ابن وكيع أن أبا نواس قد أخذ هذا المعنى فقال :

إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهْرُ كِلَابُهُ . . عَلَى وَلَا يَخْشَوْنَ طُولَ نَوَاسِي (١)

وأنه لا فرق بين المعنيين . (٣)

وقال حاتم الطائي في هذا المعنى :

فَإِنْ كِلَابِي قَدْ أَقْرَتْ وَعَوَّدَتْ . . قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يَمْتَرِيَنِي هَرِيرُهَا (٤) (٥)

(١) رواية الديوان " وَلَا يَنْكُرْنَ "

(٢) ديوانه : ٤٠٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٢٥ .

(٤) رواية الديوان : " وَلَنْ " .

(٥) رواية الديوان " أَهْرَتْ " .

(٦) ديوانه - دار صادر - : ٦٣ .

تمهيد :

بعد أن شرح الشيخ فكرته في أن الفصاحة للمعاني لا للألفاظ ، واستدل على ذلك بأنه مامن بيتين اتحد معناهما واختلفت صور إلا وكان مراد ذلك إلى التركيب ثم أهاب بالمعقول أن تدقق النظر فيما كتبه العلماء من الموازنات فقال :
 " واعلم أنه إنما أتيت القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء فسي اختلاف العبارتين على المعنى الواحد ، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من الشاعر ، وفي أن يقول الشاعران على الجمل في معنى واحد ، وفي الأشعار التي دونوها في هذا المعنى ، ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك الكتب ، وتدبروا ما فيها حق التدبر ، لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم ، وكشف الغطاء عن أعينهم " (١)

ثم قسم هذا الفصل قسمين :

القسم الأول :

الموازنة بين شعريين أحدهما كان معناه غفلاً سانجاً ، والآخر فيه صنعة .

والقسم الثاني :

كلا طرفي الموازنة فيه صنعة وإجادة .

قال :

" وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشعارين فيه قد قالوا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين : قسم أنت ترى أحد الشعارين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً سانجاً ، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب . وقسم أنت ترى كل واحد من الشعارين قد صنع في المعنى وصوراً " (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاعر : ٤٨٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاعر : ٤٨٩ .

٢- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد

(المنسرح)

الشاهد الثاني والتسمون بعد المائتين : (*)

. قول المتنبي : (١) (٢)
يَقْمُ اللَّيَالِي سَهْرَتٍ مِنْ طَرِيٍّ . شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرَقُدُ هَا (٣)

وهو من قصيدة قالها في صباه مادحا محمد بن عبيد الله العلوي المشطب (٤) ومطلعها :

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَقِيدُ هَا . أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خَرَدُ هَا (٥)

وقبل الشاهد :

يَا غَايِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِقْصَةً . أَهْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تَرْشِدُهَا
لَيْسَ يَحِيلُ اللَّامُ فِي هِمٍّ . أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

وبعدهما الشاهد بعده :

أَخْتِيَّتَهَا وَالْدُّمُوعَ تَجِدُ زِيَّي . شَكُونَهَا وَالظَّلَامَ يُنْجِدُ هَا

ذكر العكبري أن المتنبي نظر إلى قول أبي نواس في هذا المعنى :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاکر : ٤٨٩ .

(١) رواية العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ورواية الدلائل تحقيق شاکر : " سَهْدَتْ " .

ويبدو لي أن هذه الرواية أبلغ لأن بعض أهل العربية فرقوا بين السهر " بالراء " ، والسهد " بالذال " ، فجعلوا السهر لكل شيء ، أما السهد فهو خاص باللدغ والعاشق ، / خزانة

البغدادي - الخانجي : - ١٦٣ / ٦ .

(٢) رواية العرف الطيب : " من طرب " ، والطرب خفة تصيب الإنسان لشدة سرور أو حزن /

مختار الصحاح : ٣٨٩ .

ويبدو أن رواية العرف " من طرب " أولى ؛ لأن في التكرير معنى التكرير والتعظيم ، أي حزن عظيم كثير .

(٣) لم أجد البيت إلا في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٩٨ / ١ ، العرف الطيب : ٣ / ٣ ، خزانة البغدادي

- مكتبة الخانجي : ١٦١ / ٦ .

(٤) قال ابن ماکولا :

" الأشتر النقيب أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبد الله بن حسن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، مدحه المتنبي ، وكان يلقب : المصهرج ، قاله لنا الشريف النسابة " .

وذكر العكبري أن المدوح كان جواداً شهماً جميل الصورة ، فقد واقع قوماً من العرب بظاهير الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه فكسته الضربة حسناً ، فدحه المتنبي بقصيدة التي منها بيت الشاهد .

وذكر الأستاذان محمود شاکر في كتابه " المتنبي " أن المشطب هذا كان من ليدات أبي الطيب وأسنانة ، وكان يدرس معه في " كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة " ثم رجح الأستاذ شاکر أن يكون المتنبي أخا المشطب من الرضاع . انظر :

التيان للعكبري : ٣٧ / ١ ، الإكمال : ٨١ / ١ ، المتنبي - محمود شاکر : - ٢٧ / ١ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

(٥) خَرَدُهَا : جمع خَرْدَة ، وخَرْدُ ، وخَرْدُ ، وهي الفتاة البكر التي لم تمس قط اللسان :

" خرد " : ١٦٣ / ٣ .

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوَّلَ لَيْلِنَا . . . فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَنَا (١)
 وذلك أن طول الليل كناية عما يكون فيه من الهموم والآلام ، ومنها السهر ،
 وقصر الليل كناية عما يكون فيه من السررات ، والمباهج ومنها النوم الهادي العميق .
 ومن هنا كان بيت أبي نواس أغزر معنى ، وأدق تصويراً لما يعانيه الشاعر ، ولما
 يعيش فيه أحبابه ، والطف أداؤه لما فيه من الكنايتين ، ولعل ذلك سر قول العكبري
 " نظر " ولم يقل أخذ مثلاً .

• مع قول البحتري : (الكامل)

لَيْلٌ يَصَادِفُنِي وَزَهْفَةٌ الْحَشَا . . . ضِدَّيْنِ أَسْمَرَهُ لَهَا وَتَنَاسَهُ (٢)
 وهو من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، (٣) مطلعها :
 عَهْدِي بِرَبِّكَ مَثَلًا آرَامَهُ (٤) . . . يَجْلِسُ بِضَوْءِ خُدُودِهَا ظِلًّا لَهُ

- (١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١ .
 (٢) لم أجده في ديوانه طبعة - بيروت - ، وهو موجود في ديوانه - صيرفي -
 ٤ / ٢٠٣٢ .
 (٣) هو أحد القواد في عصر المأمون والواثق ، ولأه المأمون حصناً من حصون
 الروم سنة (٢١٧ هـ) . قال اليعقوبي :
 " وغزا المأمون بلاد الروم في هذه السنة ، وهي سنة (٢١٧ هـ) ، وصار
 إلى حصن من حصون الروم يقال له لؤلؤة ، فأتاه عليه حيناً لم يفتحه ،
 فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا إسحاق والرجال ، ثم قفل متوجهاً
 إلى قرية يقال لها : " سَلَفُوس " وخلف على حصنه أحمد بن بسطام .
 وفي عهد الواثق وجهه إلى نصيبين ، فحضر وحبس ، وحسرق
 الدور . / انظر :
 تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٢ - ٤٨١ .
 (٤) آرام : الآرام الطباء الخالصة البيضاء ، الواحدة ريم . / حياة الحيوان
 الكبرى : ١ / ٥٢٨ .

وبعد ، بيتان قبل الشاهد :

(١)
إِلْمَامٌ بِالذَّارِ إِنْ مَتَيْتَا .: يَكْفِيهِ أَكْثَرُ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ
أَمْسَى يَضْمُرُ فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى .: بَرَقَ يَشْبُّ سَعِ الْعَشِيِّ ضِرَامُهُ

وبعد هما البيت وبعد :

مَحْجُوبَةٌ فَإِذَا بَدَتْ فَكَأَنَّهَا .: بَدَرُ السَّمَاءِ تَامَهُ وَمَرَامُهُ

فالمعنى جاء بالمعنى مباشراً ، فهو " يريد ذم الليالي التي سهر فيها ، ولم
يَمَّ لما أخذه من العلق ، وخفة الشوق إلى من يحب ، وهو كان يرقد الليالي ،
لأنه كان خالياً من الشوق ، لا يجد من أسباب امتناع الرقاد ما يجده العاشق ،
وأين الخلي من الشَّجِي " (٢)

على أن بيت المعنى لا يخلو من اللطائف ، والأسرار ، فقله : " من بيت يرقد ها
حكم البناء والتركيب ، فالاسم الموصول " مَن " حمل كل معاني اللوم والعتاب لتلك
المحبوبة التي تنام قريرة العين .

وفي تكرار معنى " بيت - ويرقد " تأكيد لعدم مبالاتها .

أما البحري ، فقد تأتت في صياغة هذا المعنى ، فجاء بتركيب ضمنه كل ماتحملة
نفسه من ضيق وتبرم ، وما يقاسيه من آلام الشوق وتباريح الوجد ، فحذف المسند
إليه " هو " ، وجاء مباشرة بالمسند " ليل " ؛ لأنه سبب بلواء ، وسخط شكواه ،
وجاء به متكرراً استعظافاً لقسوته ، ففيه يكابد آلام الحنين . وتشتد عليه وطأة الوجد ،
فما أن يجن الليل حتى تظهر صورة مرهفة الحشا في الخيال ، فالواو هنا دلت على
تلازمهما واقترانهما .

(١) إلْمَامٌ : الزيادة القصيرة ، يقال هو يزورنا إلْمَامًا - بالكسر - أي غِيًّا /

القاموس المحيط : ٤ / ١٢٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١ .

وفي استحضار صورة تلك المحبوبة ، ووصفها بأدق الصفات ، وهو كونها ضامرة
الخاصرة تصوير لذلك الحب ، وذلك الشوق الذي تعج به النفس .

وقوله " ضِدَّين " تصريح بالمعنى الذي يدور في نفسه ، وفي هذا التصريح
غاية اللوعة والحسرة أن يكون هو صاحبتة " ضِدَّين " ، ولو في النوم والسهر مع
أنَّ لهما دلالتهما على كل علاقة بينهما ، وذلك ما يعنيه بيت المتنبي :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعَوُّ بِمَوْءِنٍ أَنْ أَكُونَ مَحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ (١)

الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• قول البحسري :

وَلَوْ سَلَكْتُ زَبَاعًا ظَلَّ يَجْذِبُنِي . قُوْدًا لَكَانَ نَدَى كَفَيْكَ مِنْ عَقْلِي (٢)

وهو من قصيدة يندح بها إبراهيم بن المدبر ، ومطلعها : (٦)

(١) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧٦ . شاعر : ٤٩٠ .

(*) الدلائل ، رُفْعًا : ٢٧٤ ، خَفَاجِي : ٤٤٥ ، شَاكِر : ٤٩٠ .

(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه / اللسان " زمع " : ٨ / ١٤٣ .

(٣) الْقَوْدُ : تقييد الشوق ، يَقُوْدُ الدَّابَّةُ مِنْ أَمَامِهَا ، وَيَسُوْقُهَا مِنْ خَلْفِهَا ،

فَالْقَوْدُ مِنْ أَمَامٍ ، وَالسُّوقُ مِنْ خَلْفٍ ، قُدَّتِ الْفَرَسُ وَغَيْرُهُ أَقْوَدَهُ قَسْوَدًا

ومقادة ، وقيدودة ، وقاد البعير واقتاده : جرَّه خلفه . / اللسان

" قود " : ٣ / ٣٧٠ .

(٤) الْعَقْل : جمع عقال وهو حبل يشد به البعير في وسط ذراعه . / المصباح

النمير : ٧٣ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٨٧٣ ، ولم يرد البيت في طبعة بيروت .

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (أبو إسحاق) (٢٧٩-٢٠٠ هـ)

وزير من الكتاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد ، تولى ولايات جليلة ،

واستوزه المعتد العباسي لما خرج من سامرا يريد مصر سنة (٢٦٩ هـ)

وتقلد ديوان الضياع للمعتد . / انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ١٠٢ ، أخبار البحسري للصولي : ٧٦-٨٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ،

١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، الكامل لابن الأثير : ٦ / ٧٥ ، الأعلام : ١ / ٦٠ .

لَيْسَ شَيْءٌ الدَّهْرَيْنِ سَهْبِي فَلَمْ يَصِلْ . . وَرَدَّ مِنْ يَدِي الطَّوْلَى فَلَمْ تَنْسَلْ

وقبل الشاهد :

أَتَرَكْتُ السَّهْلَ مِنْ جَدِّكَ أَتْبَعُهُ . . وَأَطْلُبُ النَّائِلَ الْأَقْصَى إِلَى الْجَبَلِ
تَعَمَّ وَجَدْتُ الْمُخْلَى لَيْسَ يَخْتَدُّ مِنْ . . مَرَعَاهُ مَا يَخْتَدُّ الْمَحْطُورُ فِي الطَّوْلِ (١)
أَقْصِرْ بِرَأْيِي إِنْ شَرَقَتْ عَنْكَ غَدَا . . وَمَرَّ بَعْدَكَ لِي لَيْلٌ فَلَمْ يَطْغُلْ

وبعد ها الشاهد وبعده :

مَابَعْدَ جُودِكَ لَوْلَا مَا يَجَاوِرُهُ . . بِسَرٍّ مَنْ رَأَى مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ بَخْلِ
فَكَيْفَ أَنْظَرْتُ خِتَاراً إِلَى بَلْسَدٍ . . يَكُونُ يَأْسِي أَعْلَى فِيمَنْ أُنْزِلِي

(الطويل)

• مع قول المتنبي :

وَقِيدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ حَبِيَّةً (٢) . . وَسَنَ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا (٣)

فالبحتري صرح بأنّه لو كان يزعم الرحيل ، وكان في هذا الرحيل منافع تجذب به
وتغريه ، وتقوده قوداً ، لكان كرم المدح من القيود التي تعوقه وتقيد عن الرحيل .
أما المتنبي فلم ينتظر الرحيل ليمتحن وفاءه للمدح بل أكد حبس نفسه
باستعمال الفعل الماضي " وقيدت " أي نفسي رهينة محبتك منذ أمد ، ولم يقل
" وأقيد " فيكون التقييد أمراً مستحدثاً .

والبحتري صرح بأن الذي قيد هو كرم المدح ، أما المتنبي فكان أنزه حيث
جعل نفسه مترفعة غير طامعة ، فالذي قيد هو محبته للمدح " وقيدت نفسي
في ذراك حبية " ، ثم بعد ذلك إحسان المدح وتفضله . وفي قوله " قيداً تقيدا " تأكيد على تأكيد .

(١) الطَّوْلُ : الحبل الذي يَطْوَلُ للدابة فترعى فيه / اللسان " طول " : ١١ / ٤١٣ .

(٢) الذَّيْ بِالْفَتْح كل ما استترت به ، يقال : أنا في ظل فلان ، وفي ذراه أي
في كنفه وستره ودفئه / اللسان " ذرا " : ١٤ / ٢٨٤ .

(٣) سبق تخريجه والحديث عنه ، انظر الشاهد (الحادي والستين) : ٣١٤ .

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبي : (١)

إِذَا أَعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَعْتَلَّتِ الْأَرْضُ . . . وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرْمُ الْمَحْضُ (٢)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبي لما مرض سيف الدولة ، وميت الشاهد

أولها ، وبعده :

وَكَيْفَ أَنْتَفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنِّسَا . . . يَعْلَتُو يَعْتَلُّ فِي الْأَعْيُنِ الْغُصْنُ

شَقَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ . . . لَا تَنْكَ ^(٣) بَحْرُ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

ومعنى الشاهد :

" إذا اعتل سيف الدولة - المدح - اعتلت لعلته الأرض ، ومن عليها من

الناس والقوة ، والكرم الخالص ؛ لأنه قوام كل شيء ، فإذا اعتل اعتل له كل

شيء " (٤)

ولقد خصى البأس والكرم المحض بالذكر بعد أن ذكرهما في الاعتلال العام ،

وهو قوله : " والأرض ومن عليها " ، لأنها أبرز ، وأعظم صفات المدح .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر : ٤٩٠ .

(١) جاء في الوساطة ، والتهيان للعكبري أن بيت المتنبي مأخوذ من قول أبي تمام :

وَلِنْ نَجِدْ يَلَةً نَغْمٌ بِهَا . . . حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِيَّةٍ

وللمتنبي بيت آخر في هذا المعنى ذكره صاحب الوساطة ، وهو قوله :

وَمَا أَحْصَاكَ مِنْ بَرٍّ يَنْهَيْشَقَرُ . . . إِذَا سَلِمَتْ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ٢١٨ ، العسرف

الطيب : ٤ / ٢٣ ، الوساطة : ٢٤٠ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٤٢ ،

العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٣) رواية العرف الطيب : " فانك " .

(٤) التهيان : ٢ / ١٣٥ .

(١)

ونذكر ابن رشيقي أن قوله : " والبأس والكرم " حشو ، وهو ما يسميه البعض الالكاء - إِلَّا أَنْ يَحْمِلَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى " فِيهِمَا فَالْكِبَةُ وَتَخْلُ وَرَّيَانٌ (٢) ، فأعاد ذكرهما ، وهما من الفاكة لفضلهما ، فهو في هذه الحالة أمر سائغ . قال :

" فقلوه : " والبأس " حشو ، لأن قوله : " ومن فوقها " دال على الإنسان والجن جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إِلَّا أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : " فِيهِمَا فَالْكِبَةُ وَتَخْلُ وَرَّيَانٌ " ، فأعاد ذكرهما ، وهما في الفاكة لفضلهما ، وقوله تعالى : " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَسُكَّالَ " (٣)

فإن هذا سائغ وليس بحشو حينئذٍ " (٤)

وبيت المتنبي من ذكر الخاص بعد العام ، وله في البلاغة مكان ، فهو من إرضاء ، ومنه قوله تعالى :

" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى " (٥) وهو كثير في القرآن ، وفي الفصح من كلام العرب .

(الطويل)

** مع قول البحتري :

(٦) ظَلَمْنَا نَعُوذَ الْجُودَ مِنْ وَعْكَهِ الَّذِي . . . وَجَدَتْ وَلَقَدْ أَتَقَلَّ عَضُوبُ السَّجْدِ (٧)

وهو من قصيدة قالها في مدح إبراهيم بن المدبر ، ويذكر علة نالته ، ومطلعها :

(١) وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله

الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان في القافية فهذا استدعاء . / انظر :

العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٢) الرحمن : ٦٨ .

(٣) البقرة : ٩٨ .

(٤) العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٥) البقرة : ٢٣٨ .

(٦) رواية الديوان : " السَّجْدِ " .

(٧) ديوان البحتري : ١ / ٢٤٤ ، الوساطة : ٢٤٠ ، العمدة : ٢ / ٧٠ .

يَا نَفْسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالنَّظَرِ . . . نَعْيِكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ أَوْتُبِدِي
وبعد ، بيت قبل الشاهد :

يَنَا مَعَشَرَ الْعَافِينَ مَا بَكَ مِنْ أَدَى . . . فَإِنْ أَشَقَّقُوا مِنَّا أَقُولُ فِيَّ وَحْدِي
وبعد ، الشاهد وبعد :

وَلَمْ تُنْصِفِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَهُ . . . وَلَمْ نَقْتَسِمْ حَمَاهُ إِذْ أَقْبَلَتْ تُرْبُورِي
إِذَا تَأَلَّمْنَا الْبَيْتَيْنِ وجدنا أَنَّ الغرض المشترك بينهما يعتمد على معنيين ،
أحدهما أصل ، وهو اعتلال المدوح ، والآخر فرع ، وهو اعتلال الأرض ومن عليها ،
وقد عند المستني إلى الأصل ، وجاء بالمعنى صريحاً ، فقيد اعتلال الأرض باعتلال
المدوح ، وذلك عن طريق الشرط به " إذا " .

وقوله : " ومن فوقها " بعد ذكر " الأرض " ليدل على أن كرمه وإحسانه
قد شمل كل كائن حي يدب على الأرض ، وكل جماد قائم عليها ، فهو قوام كل شيء .
أما البحرتي فذكر الفرع أولاً وجعله عاد الصورة ، ثم ذكر الأصل صريحاً " مِنْ
وَعَلِكَ الَّذِي وَجَدَتْ " ، وعول في الفرع على الفحوى ، ودلالة الفحوى على اعتلال
الأرض هي قوله : " ظَلَمْنَا نَعُوذُ الْجُودَ " ، فعبادة الجود تدل على اعتلاله ، واعتلال
الجود دلّ على اعتلال الأرض ، وهذه صورة بارعة حية فيها حركة وتجسيد تفتح
لخيال السامع جنان المعاني .

وقوله : " ظَلَمْنَا نَعُوذُ " دل على كثرة زيارة الجود ، وقلق واضطراب الزائر بين
عليه ، لحاجتهم الباسة إليه .

وقوله : " وقلنا اعتل عضون المجد " ، وصف للمدوح بالمجد الخالد ، فهذا
الجود الذي عمّ الأرض إِنَّمَا هو عضون أعضاء مجده التليد ، فصفاته لا تنحصر فسي
هذا الجود ، فإن كان اعتلال عضونه قد أحدث في الكون ما أحدث فكيف إذا اعتلت
كل أعضائه ؟

(١)

ولعلي بن الجهم في هذا المعنى :

وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَبِّبًا .: عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الْأَنْسَامِ (٢)

(٣)

ولأبي هفان :

قَالُوا أَغْطَلَّتْ فَقُلْتُ كَلًّا (م) .: إِنَّا أَغْطَلَّ الْعَبَّادُ
وَالَّذِينَ وَاللَّيْسَ لِعِلَّاسٍ .: هُوَ وَأَظْلَمَتِ الْبِلَادُ (٤)

(١) هو علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن (. . - ٢٤٩ هـ) من بني لؤي ابن غالب، شاعر رقيق الشعر أدب ، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام ، وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب عليه المتوكل ، فنفساه إلى خراسان ، فأقام مدة ، وانتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجاعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب فقتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه ، له ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ١٥٢ / ٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ ، الأغاني : ٢٠٣ / ١٠ ، ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢٨٦ ، سبط اللاكبي : ٥٢٦ ، طبقات الحنابلة : ١ / ٢٢٣ ، تاريخ بغداد : ١١ / ٣٦٧ ، الأعلام : ٤ / ٢٧٠ .
(٢) ديوان : ١٨٢ ، ورواية الديوان * فإذا * ، الوساطة : ٢٣٩ .

(٣) أبو هفان : عبدالله بن أحمد بن حرب المهزومي العبيدي ، شاعر وزلوية من أهل البصرة ، سكن بغداد وأخذ عن الأصمعي وغيره ، كان فقيراً يلبس مالا يكاو يستر جسده ، له عدة مؤلفات منها : (أخبار أبي نواس) ، (أخبار الشعراء) ، (صناعة الشعر) / انظر ترجمته - :

سبط اللاكبي : ١ / ٣٣٥ ، نزهة الألبا : ١٥٦ ، لسان الميزان : ٢٤٩ - ٢٥٠ / ٣ .

(٤) الوساطة : ٢٣٩ ، التبيان للعكبري : ٢١٨ .

الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قول المتنبي :

(١)
يُعْطِيكَ مُبْتَدِئًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ . . . أَعْطَاكَ مَعْتَدِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا (٢)

والشاهد من قصيدة له قالها في صباه يدح بها إنساناً ، وأراد أن يستكشف

مذهبه ، ومطلعها :

(٣)
كُفِّي أَرَانِي وَنِكَ لَوْسِكَ الْوَسَا . . . هَمْ أَقَامَ عَلَى فَوَاقِ أَنْجَسَا

وقبل الشاهد :

لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادَ فِي مَتَّصَابٍ . . . إِلَّا لِيَجْعَلَنِي لِغُرْبِي مَفْسِنَا
كَصِفَاتٍ أَوْ حُدُنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي . . . بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصْفِيهِ وَأَفْحَمَا

وبعد الشاهد :

وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يَرَى مُتَوَاضِعَا . . . وَيَرَى التَّوَاضُعَ أَنْ يَرَى مُتَعَظِّمَا

ومعنى بيت المتنبي :

• أنه يعطي من قبل أن تسأله ، فإن أعجلته أعطاك معتدراً إليك ، كأنه قد

أتى بذنب * (٤)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكر : ٤٩٠ .

(١) رواية العرف الطيب ، والدلائل تحقيق شاكر : " مبتدراً " .

(٢) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٣٠ ، العرف الطيب :

٤ / ٤٦٨ ، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) أنجم : أطلع / التكلة والذيل والصلة " نجم " : ٦ / ١٥٢ .

(٤) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٣٠ .

(١) أَخُو عَزَمَاتٍ فَعَلَهُ فِعْلُ مُحْسِن . . إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدُّهُ عَدْرُ مَذْنِبٍ (٢)
وهو من قصيدة يمدح بها خفاف بن لهيعة الحضرمي ، مطلعها : (٣)

بَقِيَّ جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّبِي . . وَلَيْسَ حَيْنِي إِذَا عَدَلْتُ بِصُحْبِي
وقبل الشاهد :

رَأَيْتُ لِعَيَاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ . . لِيَتَكَلَّ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهْذَبِ
لَمْ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَفْضُ . . وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُ بَرْقٍ خُلِبِ (٤)
وبعد الشاهد :

إِذَا أُنْمَتِ الْمَافِقُونَ أَلْفُوا حَيَاصَهُ . . يَلَاءٌ وَأَلْفُوا رَوْضَهُ غَيْرَ مَجْدِبِ

(١) رواية الديوان ، ورواية المنصف في نقد الشعر :

• أَخُو أَرَمَات •

ويبدو لي أنها أجود ، لأن الموقف هنا موقف عطاء ، وفك أَرَمَات .

(٢) لم أجده إلا في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٧ ، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) ورد اسم " خفاف " في ديوانه - دار صعب - ، وفي أخبار البحتري وأبي

تمام للصولي ، وفي العقد الفريد ، ورد اسم " عَيَاش " ، وفي النجوم

الزاهرة ، ورد اسم " عباس " ، وعيَاش بن لهيعة قصده أبو تمام في مصر ،

وكان قائد شرطتها سنة (٢٠١ هـ) ومدحه في بادي الأمر ، ونال منه

العطايا ، ثم حدث أن استسلمه أبو تمام مائتي مثقال ، فشاور زوجته ،

فقاتلت : هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غداً فاعتل عليه واعتذر إليه ،

ولم يقض حاجته ، فهجاه أبو تمام ، وظل يهجو حتى بعد موته . انظر :

العقد الفريد - دار الفكر - : ١ / ١٦٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٩ / ٤ ، أخبار أبي تمام :

١٢١ ، أخبار البحتري : ١٤٥ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ١٦٨ .

(٤) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يطر/اللسان " شيم " : ١٢ / ٣٣٠ .

وَبَرْقٌ خُلِبَ : الذي لا غيث فيه كأنه خادع يروض حتى تطعم بصره ثم يخلطك . /

اللسان " برق " : ١ / ٣٦٤ .

ولأبي تمام بيت آخر في هذا المعنى :

(١) يَعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَفِيلِ النَّدَى . عَفْوَ وَيَعْتَذِرُ اعْتِدَارَ الْمَذْنِبِ

ولقد ذكر ابن وكيع التنيسي صاحب كتاب المنصف في نقد الشعر أن المتنبي

أخذ معنى بيته من قول ابن المعتدل :

يَعْطِيكَ فَوْقَ الْمَنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ . وَلَيْسَ يَعْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَذِرُ

ولقد فاضل بين بيت ابن المعتدل هذا وبين بيت المتنبي، وسيتأبي تمام .

فرأى أن بيت ابن المعتدل أجودها لأنه شرط أن عطاء المدوح فوق المنى وأنه لا يعطى مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر أما أبو تمام فلم يشترط هذا الشرط إنما قال (بذل محسن) ولفظ محسن قد يطلق على من أعطى أقل العطاء .

أما بيت أبي الطيب فأقلها جودة لأنه لم يحسن العطية بقلة ولا كثرة .

قال :

" وقول ابن المعتدل أجودها؛ لأنه شرط أن عطاءه فوق المنى؛ ولأنه لا يعطى مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر، وأبو تمام لم يشترط هذا الشرط إنما ذكر فقال : " بذل محسن " واعتذر مذنب "، ولم يقل إن عطيته فوق المنى وقد يستحق المعطى اسم المحسن بأقل إعطاء، ويجوز أن يعتذر لعلفه بقلة العطية .

وبيت ابن المعتدل أرجح لفظاً، وإن كان في بيت أبي تمام مطابقة لمليحة ولم يحصل لأبي الطيب غير أنه يعطيك ولم يحسن العطية بقلة ولا كثرة، فإن أعجز لته أعطاك واعتذر .

وما يقع اعتذاره بعد الإعجال إلا للأمرين :

أحد هما : أنه آخوذك إلى المسألة أو قلة ما حصره من العطاء . كما حكى أن شاعراً أعجل بعض الأمراء وهو عبد الله بن طاهر، فدفع إليه ما أمكنه أن يوجد به

وكتب إليه :

أَعَجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرِّتَنَا . . . فَلَا وَلَوْ أَشْهَلْتَنَا لَمْ نَقْلِلْ
فَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ . . . وَتَكُونُ نَعْنُ كَأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْ

ومن اعتد ربعد الإكثار أولى من اعتد ربالكرم من إعمال أو تقصير فعبد الصد
أولى بشعره من أخذ منه " (١)

الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ . . . وَقَدْ لَقِحتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلٌ (٢)
وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة عند دخول رسول الروم في صفر سنة
ثلاث وأربعين وثلاثمائة ومطلعها :

دُرُوعٌ لِيَلِكِ الرُّومُ هُنْزَى الرِّسَالِ . . . يَزِدُّ بِهَا عَن نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ
وقبل الشاهد :

إِنَّا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ . . . فَوَائِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَإِيسَلُ
وبعد الشاهد :

أَنَا الْجَوْدُ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ . . . وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا عَاطِلُ
ومعنى بيت المتنبي :

" يريد أنه جواد كريم ما يسئل شيئاً إلا أعطاه ، فيقول : أنت كريم لا يسئل على
من استوهبه ، ولا يمنع من سأله ، فلو سئل من أحوج ما يكون إليه شيئاً لوهبه " (٣)

(١) المنصف في نقد الشعر : ١٢٥ - ١٢٦ . شاعر : ٤٩١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاعر : ٤٩١ .
(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ١١٦ .

العرف الطيب : ٤ / ٢٤٤ .

(٣) شرح العكبري (التبيان) : ٣ / ١١٢ .

• مع قول البحريري :

(البيسط)

(١) ماهي عَلَى عَزِيمِي فِي الْجُودِ لَو وَهَبَ إِلَيَّ . شَبَابَ يَوْمِ لِقَاءِ الْبَيْضِ تَانِدِمَا

وهو من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثة (٢) مطلعها :

يَا لَلَّهِ أَلَى يَمِينًا بَرَّةً قَسَمَا . مَا كَانَ تَارَعَمَ الْوَأَشِي كَمَا زَعَمَا

وقبل الشاهد :

وَطَاوَلُوهُ إِلَى الْعَلِيَا فَفَاتَهُمْ . نَجْمُ السَّمَاءِ تَعْلَى فَوْقَهُ وَسَمَا

يَأْتِي مَرْجُوهُ أَتَوَجَّأً لِنَاظِلِهِ . يَسْتَرْفِدُ الْفَوْجُ بِالْفَوْجِ الَّذِي اقْتَنَعَا

وبعد الشاهد :

لَا يَمُحُّ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي عَزِيمَتَهُ . أَقَامَ مُتَّحِدًا أَوْ سَارَ مُفْتَرِّمًا

فالمعنى المتحد في البيتين تصوير كرم السدوح وعطاءه أفضل ما يملك .

فسدوح المتبني إن استوهب فرسه الذي يركبه للقاء العدو والدفاع عن العرض

والحصى ولو كان ذلك في أشد الأوقات حرجا ، وهو وقت اشتداد الحرب واحتدامها

فإنه لاشك نازل .

(١) ديوان البحريري : ٢ / ١٤٨ .

(٢) رافع بن هرثة ، وقيل لم يكن هرثة أباه وإنما كان زوج أمه ، وهو

رافع بن نُؤْمَرْد ، ولي خراسان من قِبَل محمد بن طاهر في سنة (٢٧١ هـ)

عندما عزل الموفق عمرو بن الليث الصَّفَّار عن إمرة خُراسان ، ثم

وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان فحاصرها سنتين ، واستولى

على طبرستان ، وعزل عن خراسان في ولاية المعتضد ، فخرج على

أمير خراسان ، وقتل رافع (٢٨٣ هـ) ، وكان أميراً جواداً عالياً

الهمة واسع المالك . / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٦٢١ ، ١٠ / ٣١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، الكامل

لابن الأثير : ٢ / ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ٤٥٢ - ٤٥٩ ، العبر : ٢ / ٤٠٧ ،

البداية والنهاية : ١١ / ٧٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٨٢ ، سير

أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٠٦ .

والمتنبى قد أحسن حين بدأ البيت بالمسند مباشرة (كرم) وحذف المسند إليه (هو) لإبراز صفة الكرم فيه وتعظيمها ، وقوله (متى استوهبت) دل على أنه يهب في جميع الأوقات والأزمنة ، فلا يحد عطاءه زمان ولا مكان .

ومجيء الاسم الموصول (مَأْنَتْ) لتفخيم عطاءه وتعظيمه وبناء جملة الصلة على المبتدأ (أَنْتِ) والخبر (راكِب) وبناء الخبر على اسم الفاعل تصويراً لتأهب المدوح واستعداداته وحاجته الملحة لهذا الغرس .

والفصل بين فعل الشرط (استوهبت) وجوابه (فَإِنَّكَ نَازِلٌ) بقوله (وقد لقيت حرباً) ومجيء هذه الجملة مسبوقة بقدر وتنكير المسند إليه (حَرْبٌ) تعظيم وتهويل لتلك الحرب وبيان شدة وطأتها . وهذه الصورة أشادت ببالـمـدح كرم المدوح فبينت أنه في هذا الوقت الحرج العصيب والذي يكون فيه أشد حاجة لذلك الغرس ، فما أن يُطَلَّب منه ويسأله إياه أحد حتى يبادر بالنزول عنه ، وأنظر إلى قوله (فَإِنَّكَ نَازِلٌ) ولطيف موقعُ الفاء "هنا والتي دلت على سرعة نزوله من غير أن تكون هناك مهلة للتفكير ؛ ولأن عمل المدوح هذا من البطولات النادرة العجيبة جاء بـ (إِنَّ) ليؤكد للسامعين هذه الصورة ويقرها في نفوسهم .

أما البحترى فقد زاد على المتنبى بقوله :

(ماضٍ) ، فهو وإن كان ابتداء البيت شابهاً لابتداء المتنبى في التركيب ، من البناء على حذف المسند إليه والإتيان مباشرة بالمسند ، إلا أن لفظة البحترى هنا (ماضٍ) كانت أبلغ وأدق ، فهو ليس كريماً فقط بل ماضٍ وعازم على ذلك الكرم ، لا يصدده صاد ولا يمنعه مانع .

وفاق البحترى المتنبى في تصوير جود مدوحه ، فمدوحه أجود ؛ لأنه يهب شبابه ، وعبر عن بذل نفسه (بالشباب) ليدل على نفاسة هذا الموهوب ، وقصد وهب شبابه بـ (لقاء البيض) ليدل على أن مدوحه لا يهبه للهو أو لعبث ، وإنما للحرب ، وفي هذا غاية البذل والشجاعة .

أما سدوح المتنبي فإنه أقل جودة ، فأقصى ما يهبه هو جَوَادُهُ ، وأين بسذل
الشباب من بسذل الجَوَادِ ؟ .

وقوله (لقاء البيض) أبرع تصويراً من قول المتنبي (لقيت الحرب) وإن كانت
العبارة ثنائية عن شدة الحرب إلا أن البحري نقلنا إلى أرض المعركة ، وأزانا صورة
الاحتدام حية في قوله (لقاء البيض) فلشدة الحرب والاحتدام ، فإنك لا تسرى
أجساداً ، وإنما ترى سيوفاً يصطك بعضها ببعض .
وزاد البحري أيضاً على المتنبي بقوله ((مائدتاً)) حيث صرح بعدم ندمه
على ما يبدل وفي هذا تأكيد لساحة نفسه في العطاء .

الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

• قول المتنبي :

وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَفَى سَاكِنَ الْقَدْرِ . . . جَبْرَ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ (١)
(٢)
وهو من قصيدة له في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرّي الخراساني ، وكان
بينهما مودة وقد كان أبو الطيب نزل عليه ضيفاً فأراد أبو الحسن الانصراف عن
أنطاكية فقال فيه قصيدته هذه والتي مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦-٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكر : ٤٩١ .
(١) الذمام : الحرمة والعهد . / مختار الصحاح : (ذ م) : ٢٢٣ .
(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٤٧ ، العرف الطيب :
٤ / ٤٦٩ .

(٣) هو والي حمى جَرَشَ ، من أعمال دمشق نزل به المتنبي بعد أن رحل
عن بدر بن عار واحتسب بحماه ، وذلك سنة (٣٣٣ هـ) تقريباً ،
وقد كانت بينهما مودة وهما بطبرية ، واضطر المتنبي إلى الرحيل
عنه بعد أن لاحقته مكاييد الأغور بن كروس أو العلويين / المتنبي
- محمود شاكر - ١ / ١٥٣ - ١٥٥ - ٥٧ .

أَيَّنَ أَرْجَعْتَ أَيَّ هَذَا الْهَمَامُ . نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ
وقبل الشاهد :

كُلَّ عَيْشٍ تَأْلَمُ تَطْبِنُهُ جَمَامُ . كُلَّ شَيْءٍ تَأْلَمُ تَكْنُهَا طَلَامُ
أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا . مَنْ يَوْمَ يَأْتِيَنَّ الْخَيْسُ اللَّهُمَامُ
وبعد الشاهد :

وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّى . تَتَلَقَّى الْفَهَاقُ وَالْأَقْسَدَامُ
وذكر العكبري أن قول المتنبي هذا مأخوذ من قول أبي تام : (٢)

مُسْتَرْعِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّنَا . بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
ومن قول محمد بن نواس :

يَتَبَادَرُونَ إِلَى الْهِتَاجِ كَأَنَّنَا . يَدْعُوا إِلَى صَلَافٍ مِنَ الْأَرْحَامِ (٤)
ومعنى بيت أبي الطيب :

" وَالَّذِي يَشْهَدُ الْحَرْبَ غَيْرَ مُضْطَرَبِ الْجَاشِ ، كَأَنَّ الْقِتَالَ عَاهِدٌ ، أَنْ لَا يُقْتَلَ
فهو يسكن إلى القتل سكونه إلى الذمام ، فهو يحضرها ثابت النفس غدير
حافل بشدتها (٥) .

• • قول البحتري : (الطويل)

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُ جَاشٌ سَالِمٌ . عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزَّيَّ زِيٌّ مَعَارِبِ (٦)

(١) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٥٦ .

(٣) رواية الديوان : " مسترسلين " .

(٤) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) ديوان البحتري : ٢ / ٣٥٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١١٧ ،

التشبيهات : ١٥١ .

وهو من قصيدة قالها في رفع أهل الجزيرة لأبي سعيد (١) ومظلمها :

هَبِيوْ لِمَنْهَلِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ . . وَهَبَاتِ شَوْقِي فِي حَشَاءِ لَوَاعِبِ

وقبل الشاهد :

وَعُدْوَةٌ تَتَبِنِ الْمَشَارِقَ إِنْ غَدَا . . قَبْتُ حَرِيْقًا فِي أَقَاصِي الْمَقَارِبِ
وَهَذِي يَوْمٍ لَا بِنِ يُوْسُفَ أَسْمَعْتُ . . مِنْ الرُّومِ مَن بَيْنَ الصَّغَا تَالَا خَائِبِ

وبعد الشاهد :

مَقَاذَةُ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ . . لَيْشَلُكَهَا قَرْدًا سَلَيْكَ الْمَقَانِبِ
تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعْسَى . . لِقَاءِ أَغَاذٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبِ
ذكر أبو هلال العسكري أن بيت البحري من أجود ما قيل في سكون الجأش

في الحرب (٢)

فبيت المتنبي لا يزيد معناه على أن مدوحه ساكن القلب في الحرب ، فالقتال عنده لشجاعته كأنه ذمام وحرمة يطمئن إليها .

أما البحري فكان أسلوبه محكماً ، فقد صاغ المعنى العميق ذا الشعب والفروع في اللفظ اليسير مع براعة في التركيب ودقة في التصوير ، فوصف مدوحه وصفاً مؤكداً فأبرزه في صورة رابط الجأش ، وبدأ البيت بقوله (لقد) فجاء بلام التوكيد

(١) هو محمد بن يوسف الثغري طائي من أهل مرو وكان من قواد حبيد الطوسي ، وأخبار الثغري منشورة في كتب التاريخ ، والأغاني ، وقد كان الثغري حامياً للثغور ، ثم ولاه العباسيون الجزيرة والشام ، وعزله المتوكل ، ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا ، توفي عام (٢٣٦هـ) / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ١١ / ١٤ - ١٦ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ - ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٨٥
أخبار البحري للصولي : ٢٩ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٨٧ .

(٢) ديوان المعاني : ١ / ١١٧ .

مقرونة بقد التي تغيد تحقيق وقوع الفعل . وجاء باسم الإشارة (ذاك) الذي
يُشار به للبعيد ليفخم ويعظم رباطة جأشه .

وانظر إلى قوله (ذاك الجأش جأش) يسكون طائر وخفض جناح ، ودع النفس
تقف وقفة قصيرة عند لفظ " ذاك الجأش " حتى يشيع فيها ذاك التشوف ، فإذا جاء
لفظ (جأش) الثاني مضافاً إلى (سالم) كان ذاك بياناً للمراد من لفظ
(الجأش) الأول فيقع معناه في النفس موقعاً متكنناً .

وحتى لا تسكن نفس السامع إلى هذا القرار وتظنه نهاية المطاف جاء بقوله
(على أن ذاك) " فـ على " هنا شدت الأسماع ولفتت الأنظار إلى معنى جديد ،
وهي دعوة جديدة للنفس أن تعود للتأمل والاستشراق ، وجاء به مؤكداً (بأن)
تعظيماً وتخفيفاً لذك الزبي .

وفي تكرار هذا التركيب في شطري البيت .

(لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُ جَاشٌ . . . عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرَّيَّ زَيٌّ . . .)

يجعل للبيت رنيناً قوياً يهز النفس عند سماعه ، وهذا الرنين القوي يناسب
قوة جأشه .

الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• • قول أبي تمام :

الصَّبْحُ شَهْوَرٌ بِغَيْرِ دَلَالٍ . . مِنْ غَيْرِهِ ائْتَفَيْتَ وَلَا أَعْلَامُ (١)
وهو من قصيدة قالها في مدح الواثق ^(٢) ، يهنئه فيها بالخلافة ، ويرثي المعتصم ،
ومطلعها :

(*) - الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٢ ، شاكر : ٤٩١ .

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٠٨ .

(٢) هو هارون بن أبي إسحاق محمد المعتصم بن الرشيد بن المهدي بسن

المنصور بويج بالخلافة يسر من رأى بعد موت أبيه المعتصم (٢٢٧ هـ)

ولد الواثق (سنة ١٩٦ هـ) ، أمه أم ولد اسمها قراطيس ، كان فصيحاً
=====

مَا لِلدُّمُوعِ تَرَوُكُمْ كُلَّ مَرَامٍ . : وَالْجَفْنُ تَأْكُلُ هَجَمَةً وَسَنَامٍ

وقبل الشاهد :

لَا قَدَحَ فِي عَوْدِ الْإِقَامَةِ بَعْدَنَا . : مَتَّحَ إِلَيْكَ بِحُرْبَةٍ وَذَنَامٍ
مَذْخُورَةٌ أَخْرَزَتْهَا يَحْكُوسَةٌ . : إِلَّوْ تَعْلُوْ أَرْؤُسَ الْحُكَّامِ
لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ نَشْفِي بِهَا . : مِنْ رِيَسَةٍ سَقَعَا مِنَ الْأَشْقَامِ

وبعد الشاهد :

فَأَقِمَّ خَالِفَنَا يَكُلُّ مَقَومٍ . : وَاحِصٌ مُعَايِدَنَا يَكُلُّ حُصَامِ

(الوافر)

مع قول المتنبي :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ . : إِذَا أَعْتَاكَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ (٣)

== شاعراً لبيّاً أحسن إلى بني عمه ، ورَّهم ، وأصلح الاضطرابات الداخلية ،
وافتح جزيرة صقلية ، مات بسرمن رأى (٢٣٢ هـ) وكانت خلافته
خمس سنين وستة أشهر وعمره ست وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة
أيام . / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ١٢ ، ١٢ - ١١١ - ١١٣ - ١٢٠ ، ١٢٣ - ١٥٧ - ١٦٦ ،
١٦٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ .

الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٦ ، التنبيه والإشراف : ٣٢٨ ، سراج
الذهب : ٤ / ٦٥ ، سبط النجوم العوالي : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣٥ .

(١) رواية الديوان والتشيل والمحاضرة ودلائل الإعجاز ونهاية الأرب :
" الألفهام " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " متى احتاج " .

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٩٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٦٢ ،
التشيل والمحاضرة : ١١١ ، ٢٤٣ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٧٥ ،
يتيمة الدهر : ١ / ٢٠٣ ، بديع القرآن : ٢٨٠ ، نهاية الأرب :
٣ / ١٠٦ ، معاهد التنصيص : ٤ / ١١٨ .

والشاهد من قصيدة قالها حين حضر مجلس سيف الدولة ، وبين يديه أُنْزَجُ (١)
وَطَلَعُ (٢) وهو يمتحن الغرسان ، وعندئذ ابن جش شيخ المصيصية (٣) فقال له :
لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ البَعْدِ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ (٤) . تَرْنَجُ الهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ
وسعه أبيات آخر .

فلم يتبين معنى البيت المذكور لبعض القيم ، فقال المتنبي :
أَتَيْتُ يَنْطِيقَ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ . وَكَانَ يَقْدِرُ مَا عَايَنْتُ قَيْلِي
فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ يَنْشُؤُ . يَمْتَزِلُهُ النَّسَاءُ مِنَ الْبَعُولِ

(١) الْأُنْزَجُ : معروف وأحدثه تَرْنَجَةٌ وَأُنْزَجَةٌ ، ويقال : تَرْنَجَةٌ ، وتَرْنَجُ ،
واللغة الفصيحة أَنْزَجَ وَأُنْزَجَ ، وهو شر رائحته طيبة ، وله فوائد
طبية كثيرة ذكرها التنويري في نهاية الأرب . التيمان للعكسبري :
٩٠ / ٣ ، اللسان " ترج " : ٢ / ٢١٨ ، نهاية الأرب : ١١ / ١٧٨ -
١٨٤ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ٣٤ .

(٢) الطَّلَعُ : هو أول ما يرى من عَذَقِ النخلة ، والعَذَقُ " الْقِنُو " اللسان
" طلع " : ٨ / ٢٣٨ ، " عذق " : ١٠ / ٢٣٩ .

(٣) المصيصية : بالفتح ثم الكسر والتشديد ، وباء ساكنة وصاد أخرى ،
وقيل بتخفيف الصادين : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور
الشام بين أنطاكية ، وبلاد الروم ، كانت من الأماكن التي يربط
بها المسلمون قديماً ، والمصيصية أيضاً قرية من قرى دمشق قُرب
بيت لهيا ، وجاء في اللسان والصحاح ، المصيصية ثغر من ثغور
الروم معروفة بتشديد الصاد الأولى ، ومصيصية بلد بالشام ، ولا تقل
مصيصية بالتشديد . انظر :

الصحاح " مصى " : ٣ / ١٠٥٧ ، مراد الاطلاع : ٣ / ١٢٨٠ ، اللسان
" مصى " : ٧ / ٩٣ ، آثار البلاد وأخبار العباد : ٥٦٤ .

(٤) الشمول : اسم من أسماء الخمر ، وقيل هي الباردة التي هبت عليها ريح
الشمال ، وقيل هي التي تشمل القوم بريحها . / فقه اللغة : ٢٢٤ .

وَهَذَا الدُّرْمَاسُونُ التَّشْطِي . وَأَنْتَ السَّيْفُ مَاسُونُ الْفُلُوسِ
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَقْبَامِ شَيْءٌ . إِذَا أَعْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

ومعنى الشاهد :

حين أنكر المنكر كلام المتنبى ، ووصفه بالفوض ، وعدم الوضوح قام المتنبى بدافعاً
عن شعره ، فذكر أن ما أتى به إنما هو من كلام العرب الخلل ، وقد أتى به بعد
المعاينة ، فأغناه ذلك عن أن يقول :

أنت شديد البعد عن شرب الشمول ، وفي مجلسك ترنج الهند ، وذلك أنهم
قالوا له لما لم تقل :

بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شَرْبِ الشَّمُولِ . عَلَى النَّارِجِ أَوْ طَلَعَ النَّخِيلِ

فسفه من هذه المعارضة ، ورأى أنها كلام ساقط ، وإنكار ضعيف ، فوقع ذلك
الضعيف من قوته ، وذلك السقوط من رفعة موقع النساء من البعول ، والرعية من
الملك الجليل ؛ لأنه قد أتى بكلام لا ينكر صوابه ولا تدفع صحته ، ثم أشار إلى أن
شعره دُرٌّ لا يخاف تشققه وتغيره ، فلا يمكن الاعتراض عليه ، وهو ليس ككل دُرٍّ ؛ لأن الدُرَّ
الذي تعارف عليه الناس إذا طال عليه الأبد لا بد له من التغير والتبدل إلا هذا
الدُرُّ فإنه يزيد حسناً على مر الأيام ، فشعره لقوته ، ومثابته لا يحتاج إلى توضيح ،
فهو كالنَّهَارِ لا يحتاج عاقل للاستدلال عليه بدليل ؛ لأن من يحتاج إلى أن يعلم
النهار بدليل يدل عليه لم يصح في فهمه شيء . (١)

فالمعنى المتحد في البيتين الاستدلال على الأمر بوضوح النهار .

فأبو تمام لم يزد على هذا المعنى شيئاً بل اقتصر على كون أمر خلافة مدوحه واضحاً
لا يحتاج إلى إعلام كالصبح مشهور ولا يحتاج إلى دليل .

أما المتنبى فقد نقل المعنى إلى شعره ، وزاد المعنى اتساعاً ، فهو لم يقتصر
على كون شعره واضحاً ووضوح النهار ، بل عرض بكل من يطلب الدليل على وضوحه

بأنه لا يعقل ولا يفهم شيئاً، وصاغ اتهامه هذا " بإذا " الشرطية ، ليحزم ويؤكد وقوع ذلك الاتهام كلما تكرر طلب الدليل .

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين : (*) (الواصل)

• قول أبي تمام :

(١)
وفي شرف الحديث دليل صدق . . . لِمُخْتَبَرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ (٢)
وهو من قصيدة قالها في مدح بني عبد الكريم الطائيين (٣) ومطلعها :

أَرَأَيْتَ كُنْتُ تَأَلَّفُ كُلَّ رِيْسٍ . . . لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِأَلَانِ الْقَدِيمِ
وقبل الشاهد :

فَلَوْ شَاهدَتْهُمْ وَالزَّائِرِينَ . . . لَمَا مَزَتْ الْبَعِيدَ مِنَ الْحَسِيمِ
أُولَئِكَ قَدْ هَدُوا فِي كُلِّ مَجْدٍ . . . إِلَى تَهْجِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَحْلَهُمُ النَّدى سَيْطَةَ الْمَعَالِي . . . إِذَا نَزَلَ الْبَحِيلُ عَلَى التَّخْصُمِ
فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا . . . شَهِدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأَرْوَمِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(١) رواية الديوان والدلائل ، تحقيق شاكر : (على الشرف القديم) .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ١٦٣ / ٣ ، الموازنة محيي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(٣) لم أقف على ترجمة لهم في كتب التاريخ المشهورة ، وكل ما عثرت عليه ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنهم كانوا يقطنون " حمص " وهم ولاية نعمة أبي تمام ، ومن أجل الانتصار لهم ألف قصائد الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم - وهم طائيون - . جاء في دائرة المعارف :

" وانتقل - أبو تمام - من دمشق إلى حمص ، وبدأ فيها حياته الشعرية ، فنظم القصائد الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم ، خدمة لولاية نعمته بني عبد الكريم " .

وأضاف صاحب كتاب " أبو تمام حياته وحياة شعره " : " كما أن آل عبد الكريم هؤلاء ليسوا من الشهرة في التاريخ بحيث نضعهم في صف من اتصل بهم

أبو تمام بعد سنة ٢١٤ هـ ، من كبار رجال الدولة الإسلامية وقوادها " / انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ١ / ٣٢٠ ، أبو تمام حياته وحياة شعره : ٩٩ - ١٠١ .

ويعدّها الشاهد ويعدّه :

لَهُمْ عَزَّزْتَ خَالَ إِذَا اسْتَنْتَارَتْ . . . بَوَاهِرُهَا ضَرَائِرَ لِلنَّجْمِ
 وذكر الآمدي في الموازنة أنه شبهه بقول أبي تمام قول البحترى :

عَلَى أَنَّا تَوَكَّلْ بِالْأَدَانِيسِي . . . وَتَخَيَّرْنَا الْغُرُوعَ عَنِ الْأَصُولِ (١)

ولشيوخ المعنى وتداوله بين الناس لا يعدّ الكلام فيه أخذاً ولا سرقة قال :

" وهذا معنى شائع في الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأقواء أن يقولوا : إِنَّ

العروق عليها ينبت الشجر ، ومن أشبه أباه فما ظلم ، والعصاة من العصيّة ،
 (٢)

والفصن من الشجرة ، ودلّت على الأم السخلة ، ومثل هذا لا يكون مأخوذاً

ستعارة (٣) "

.. مع قول المتنبي : (اليسيط)

أَفْعَالُهُ نَسَبَ لَوْلَمْ يَقُلْ مَعَهَا . . . جَدِّي الْخَصِيْبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ (٤)

وهو من قصيدة مدح بها أباه عبد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي ، (٥)

ويطلعها :

أَفْضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِيذَا الزَّمَنِ . . . يَخْلُو مِنَ السَّهْمِ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

(١) لم أجده في ديوانه .

(٢) السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى . / اللسان "سخل" : ١١ / ٣٣٣ .

(٣) الموازنة - سخي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(٤) انظر البيت في :

ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ ، المنصف

في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي ، القاضي

الأنطاكي ، كان ينوب عن والده في مجلس القضاء بأنطاكية ، وكان داهية

من داهاة عصره ، قصده المتنبي حين خرج من عند سدو حه أحمد المري ،

ودخل أنطاكية سنة ٣٣٤ هـ / انظر :

المتنبي - محمود شاكر - : ١٥٩ / ١ - ١٦٠ .

وقبل الشاهد :

الْفَاصِلُ الْحَكْمُ عَلَى الْأَوَّلُونَ بِهِ . . وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى الذَّهِينِ

وسمى الشاهد بعدد :

(١) (٢) الْعَارِضُ الْهَتَنِ أَبْنُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ أَب . . سن الْعَارِضِ الْهَتَنِ أَبْنُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ

وسمى الشاهد :

" هو معروف عند النام بأفعاله الكريمة ، وقد عرف أنه من ولد الخطيب ، فلو لم

ينتسب مع أفعاله لعرفناه ، كما يستدل بالفصن على الأصل " (٣)

ذكر ابن وكيع (٤) أن قوله :

" أَفْعَالُهُ تَسَبَّبَ " مأخوذ من قول البحري :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى نَسَبًا . . مَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعَالِهِ تَسَبُّبُهُ (٥)

وعجز البيت مأخوذ من قول ابن الرومي :

كَدَّ أَبِ عُلَى فِي الْمَوَاطِنِ جَدُّهُ . . أَبِي حَسَنِ وَالْغُصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ (٦)

وقال غيره في هذا المعنى :

وَالْأَبْنُ يَنْشَأُ عَلَى مَكَانِ وَالِدِهِ . . إِنَّ الْأَصْلَ عَلَيْهَا يَنْبَتُ الشَّجَرُ (٧)

وهو أيضا كقول الآخر :

(١) العارض : السحاب الذي له وعد وظل . / فقه اللغة : ٢٧٩ .

(٢) الهتن : المستطيع ، هتن المطر ، والدمع يهتن هتتا وهتونا وتهتاننا

إذا مطر متتابعاً / الصحاح " هتن " : ٦ / ٢٢١٦ .

(٣) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ .

(٤) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) ديوانه : ١ / ٢٢٧ ورواية الديوان : (حَسَبَهُ) .

(٦) ديوانه : ٢ / ٤٩٥ .

(٧) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

وَلِذَا جَهِلْتِ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ . وَأَصُولُهُ فَأَنْظُرِي إِلَى مَا يَصْنَعُ (١)
ولقد امتدح ابن وكيع بيت المتنبي ورأى أنه أفضل الجميع لأنه ذكر المعنى الطويل
في الموجز القصير .

قال بعد ذكر الأبيات السابقة :

• ولكنه جمع الطويل في الموجز القليل * (٢)

وفي هذا المعنى قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا . شَهِدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأَرْوَمِ (٣)

فبيت أبي تمام معناه مباشر، فكل ما ذكره أنه جعل شرف مدوحه دليلاً صادقاً
على شرف نسبه .

أما المتنبي ، فبدأ حديثه بجملة موجزة ، وهي قوله (أَفْعَالَهُ نَسَبٌ) وهذه
الجملة تحوي معنىً لطيفاً حيث قلبت المفاهيم المتعارف عليها في الأنساب ،
فجعل أفعال المدوح الحميدة هي نسبه الذي يشتهر به ، ثم أعقب هذا الإيجاز
بفصيل أفاد الكلام تأكيداً ، وزاد المعنى وضوحاً وتقريراً ، فجاء بجملة الشرط
(لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ) .

ثم أخذ يحرك الخيال وينشطه لفهم المعنى المراد ، فجعل جواب الشرط صورة
(الْعِرْقُ وَالْقُصْنُ) ، فالقصن إن كان يحمل الشار الناضجة الياضعة ، عرفنا
أصالة ذلك العرق وطيب أصله .

الشاهد الثلاثية : (*) (الكامل)

• قول البحتري :

(١) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .

(٢) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٣) ديوانه : (دار صعب) : ٢٥٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكرو : ٤٩١-٤٩٢ .

وَآخَبَ أَهْلَ الْبِلَادِ إِلَى فَتَى (٢) . أَرَضَى نَيْالَ يَهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح أبي صالح (٤) ، مطلعها :

إِنَّمَا أَلَمْ تَقْبَعْدَ فَرَطَ تَجَنَّبِ . . . أَوْ آتَيْتَهُمْ ، فَمِنْ مَتَابِعِ

وقبل الشاهد أبيات عدة ، سأذكر منها ما يوضح المعنى وهو قوله :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلَا لَنَا عَنْ غَادَةٍ . . . بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيَّتِ أَشْنَبِ (٥) (٦)

(١) رواية التبيان : " أو طان " ، رواية الوساطة : " أقطار " .

(٢) رواية الديوان والوساطة والدلائل تحقيق شاكر والتبيان : " إلى الفتى " .

(٣) انظر البيت في :

الديوان : (١/ ١٤١) الوساطة : ٢٧٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبى : ٧٩ ،

التبيان للعسكري : ١ / ١٨٣ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن يزداد ، كان أخص الناس بالبحر ، وكان عنده

أدب وفضل ، وكانت توقيعاته وأجوبيته من أحسن التوقيعات والأجوبة ،

تولى الوزارة للمستعنين ، وضبط الأموال ، فصعب ذلك على أمراء

الدولة ، وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل ، فهرب ، وهو الذي قتل

أوتامش وكتبه شجاعاً " أوتامش من رؤساء الأتراك استوزره المستعنين لإشر

مبايعته بالخلافة ، وأطلق يده في بيوت المال ، فاقتطع لنفسه أموالاً كثيرة ،

سأ أوغر صدر الوالي وبقية الجند عليه ، فقتلوه وقتلوا معه كاتبه شجاع

ابن القاسم ونهبوا دورهما " . انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٢١٧ ، ٢٦٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤٤٠ - ٤٤١ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ،

٤٦٢ ، والفخرى في الآداب السلطانية : ٢٤٢ ، أخبار البحري : ١١٣ ،

الفهرست : ١٧٩ ، معجم الشعراء : ٤٣٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٣١٣ .

(٥) الشتيت : الشجر المَعْرَقُ الْمَفْلَجُ / اللسان " شتت " : ٢ / ٤٨ .

(٦) الشنب : ماء ، ورقة تجري على الشجر ، وقيل رقة وبرد وعدوية في الأسنان .

اللسان " شنب " : ١ / ٥٠٦ .

أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيْسَرْتُ . . . مِنْهُ يَلَيَّ بَنَانَةٌ لَمْ تَخْضَبْ
وَعَدَرْتُ سِفِي فِي نَبْوٍ غَرَارِهِ . . . أَنِّي صَرَيْتُ فَلَمْ أَقْعَ بِالْمُضَرِّبِ

وبعد ها البيت وبعده :

كَمْ مَشْرِيقِي قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ . . . فَجَعَلْتَنِي لِي عِدَّةً بِالْمُضَرِّبِ

(الطريل)

مع قول المتنبي :

وَكُلَّ أَمْرِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ . . . وَكُلَّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح كافور الإخشيدي^(٢)، وكان قد حمل إليه ستائة

دينار ، مطلعها :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشَّوْقُ أَظْلَبُ . . . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ

وقبل الشاهد :

أَهِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ . . . وَأَيُّنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنَقَاءُ مُضَرِّبٍ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْيَسْكَ أَوْهُمْ . . . فَإِنَّكَ أَهْلَى فِي فَوَادِي وَأَعْسَدُ

ذكر الثعالبي في الإعجاز والإيجاز^(٣) أن أبا بكر الخوارزمي ، جمل أبا الطيب

المتنبي أمير الشعراء في عصره لقصيدته التي أولها :

* مِنَ الْجَادِ رُنْفِي زَيْي الْأَعَارِبِ * (٤)

وقوله :

وَكُلَّ أَمْرِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٨٣ ، الوساطة : ٢٧٢ ، الإعجاز

والإيجاز : ٢١٧ ، يتيمة الدهر : ١ / ٢٠١ ، التشيل والمحاضرة : ١١١ ،

الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٠٥ .

(٢) سبقت ترجمته ، انظر : ١١٠ ، ص المبحث .

(٣) ٢٥١ .

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٥٩ .

ونذكره في التشثيل والمحاضرة على أنه من أمثال المولدين السائرة . (١)

ونذكره صاحب الوساطة على أنه من سرقات المتنبي من البحري . (٢)

ونذكره العميدي على أنه من سرقات المتنبي . (٣)

فالبحتري صاغ فكرته في قالب جامد ، ولو أننا حاولنا تفسير البيت لما اختلف التفسير كثيراً عن صياغة الشاعر ، ولقلنا إن مقصده : أن أحب البلاد إلى الغنى هي التي ينال فيها المطلب الكريم .

أما المتنبي فقد عتق في صياغة الفكرة ، فبدأها بصيغة العموم " كل " وبني عليها كلامه ، وصيغة العموم هذه زادت المعنى اتساعاً واستداداً .

ولم يكف المتنبي بذلك بل أعاد بناء فكرته بناءً خيالياً يساعد في تقريرها وتوكيدها في النفوس ، فجعل العزَّ نباتاً ينمو ، وجعل الأرض التي ينمو فيها العزُّ أرضاً طيبة خصبة ، ووصل صدر البيت بمعززه عن طريق الواو ليعين اتحاد الفكرتين ، ويؤكد أنهما جملة واحدة ما يزيد تقريرها وتوكيدها .

الشاهد الواحد بعد الثلاثية (*) (الطويل)

• يقول المتنبي :

يُقَرَّرُ لَهُ بِالْفُضْلِ مَنْ لَا يَسُودُهُ . . وَيَقْضَى لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجُمُ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله العدوي ، ويصف الجيش سنة شان وثلاثين وثلاثمائة بمياً فارقين^(٥) ، ومطلعها :

(١) : ١١١ . (٢) ٢٧٧ .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٩ .
(*) ولم يذكر رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٨ ، شاكر : ٤٩٢ .
(٤) لم أجده إلا في :

د يوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٥٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٠٨ .
(٥) أشهر مدن بني يار بكر ، ودار بكر ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق قضبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات ، ومياً فارقين من أبنية الروم بهابيعة من عهد المسيح عليه السلام . / انظر : آثار البلاد وأخبار العباد : ٣٦٨ ، ٥٦٥ ، معجم البلدان : ٥ / ٢٣٥ - ٢٣٨ .

إِذَا كَانَ مَدَحٌ فَالنَّسِيبُ الْمَقْدَمُ .: أَكَلْتُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مَتَّيْمٌ
وقيل الشاهد :

يَقْتَرِبُونِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ وَالْحِجَا .: وَبَذَلَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلِمٌ
وبعد الشاهد وبعد :

أَجَارَ عَلَى الْإِيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ .: تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَانٌ وَجَرَّهُهُمْ
مع قول البحري : (الكامل)

لَا أَدْعِي لِإِيِّي الْعَلَاءَ فَضِيلَةً .: حَتَّى يُسَلِّتَهَا إِلَيَّ عِدَاءُ (١)
وهو من قصيدته التي قالها في مدح صاعد بن مخلد، ومدح أبا عيسى ابنه (٢)
وبعد الشاهد : (٣)

مَا لَتَزُو تَخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرُّوهِ .: كَالْتَزُو تَخْبِرُ سَرُّوهُ وَتَرَاهُ
طَدَحَتْ عَيُونُ الْحَايِدِينَ فَغَضَّهَا .: شَرَفُ بَنَاءِ اللَّهِ حَيْثُ بَنَاهُ
ذكر العكبري أن بيت الشاهد مأخوذ من قول الآخر :

* وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ * (٤)

فالمعنى المشترك في البيتين : الاعتراف بالفضل للمدح من لا يحب ، فالمنتهي
بأشرف الأندلس بالمعنى ، فبدأ البيت بالإقرار والاعتراف
" يقول : من لا يودّه يقرّ بفضلّه ، ولا يدفعه لبيانه ، ومن لا ينجم يقضي له بالسعد ،
ولا ينكره لاتصاله . . .

فلظهوره ووضوحه لا ينكر فضلّه ، ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة
من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة " (٥)

(١) لم أجده إلا في :

ديوان البحري - بيروت - : ١ / ٣٣٥ ، ديوانه - صيرفي - : ٤ / ٣٠٣ - ٢٤٠ .

(٢) سبقت ترجمته وطلعت القصيدة انظر : ص ٢٦٦ .

(٣) لم أذكر أبياتاً قبل الشاهد لأن فكرتها مستقلة عن بيت الشاهد .

(٤) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٥٥ .

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

أما البحتري فكان بيته يعتمد على عنصر المفاجأة والإثارة ، فبدأ بيته بالنفسي
(لا أدعي) ، وأوقع هذا النفي على لفظ " فضيلة " فأشعر النفس بدم المدح ، وأشار
فيها الغرابة ، إذ كيف يكون نفي الفضيلة مدحاً ؟

ثم جاءت " حتى " وكشفت النقاب عن المعنى المخبوء ، وفاجأت السامع بمعنى
لم يتوقعه بعد ذلك النفي ، فجعل أعداءه يسلمون له بالفضائل ، ويعترفون له بها
قبل نوبه ومعارفه .

وتقدم الجار والمجرور (إليه) أكد أنه حقيق بهذا التسليم ، وتأخير لفظة
(أعداءه) إلى آخر الشطر يكتل عنصر المفاجأة والاستغراب . حين تَطْلُع النفس
على أن التسليم كان من الأعداء .

الشاهد الثاني بعد الثلاثية : (*) (المتقارب)

• قول خالد الكاتب : (١)

رَقِدْتَ وَلَمْ تَرُثِ لِسَاهِرٍ . وَلَيْلُ الْحَبِّ يَلَا آخِرِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٨ ، شاكر : ٤٩٢ .
(١) هو خالد بن يزيد البغدادي ، أبو الهيثم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل
من الكتاب ، كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي ، وكان يهاجي
أبا تام ، أكثر شعره في الغزل ، ويتصف بالبرقة ، توفي في بغداد سنة (٢٦٢ هـ)
انظر ترجمته :

الأغاني : ٢٠ / ٢٨٧-٢٧٤ ، تاريخ بغداد : ٨ / ٣٠٨ ، سبط اللاكسي :
٣١١ / ١ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٤٨٤ ، الأمالي للقاللي : ١ / ١٠٠ ، التشبيهات : ٢١٠ ، المختار من
شعر يشار : ١٣ ، خاص الخاص : ١٥ " منسوباً لخالد بن زيد " ، التشييل
والمحاضرة : ٢١٠ - ذكره كاملاً من غير نسبة - وفي " ٢٤٢ " - ذكر العجز فقط

ويدون نسبة أيضاً - ، شار القلوب : ٢ / ٦٣ - عجز البيت فقط ، بهجـة =

وهو أول بيتين ومعه :

وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ الرَّقَا . . . دِ مَاصَنَعِ الدَّعَمِ (١) نَاطِطِ (٢)

ذكر القالي في أماليه عن البزار أن علي بن الجهم كان يستنشد شعر خالد الكاتب ، فلا يراه شيئاً حتى أنشد يوماً بيت الشاهد فقال :

" فاطمه الله لقد أن من الرثية حتى أصاب الغيرة " (٣)

وبمثل هذا قال الشمالي في المضاف والمنسوب :

" قد أكثر الشعراء في وصف ليل المحب بالطول فما طالوا ، وحصل خالد

الكاتب على الغيرة والنكته " (٤)

ووصف الصفي بيت الشاهد بالرشاقة ، قال :

" وما أشرق قول خالد الكاتب . . . البيت " (٥)

ولخالد الكاتب في هذا المعنى أبيات كثيرة منها :

يَا لَيْلَةً طَالَتْ عَلَى نَاطِطِ . . . كَأَنَّهَا كَانَتْ بِلَا آخِرِ

سَهَرَتَهَا شَوْقًا إِلَى رَاقِصِ . . . عَدَا الْكَرَى عَنْ طَرْفِي السَّاهِرِ (٦)

وقال أيضا :

نَامَ الْخَلِيُّ وَلَيْلَ طَرْفِي سَاهِرٍ . . . يَا مَقْلَتِي أَنَا لَيْلِي آخِرُ (٧)

== المجالس : ٣ / ٩٢ ، سبط اللاشي : ١ / ٣١١ ، التبيان للعكبري : ١١٨ / ٢

نثار الأزهار : ٢٣ ، الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(١) رواية التشبيهات ، وبهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار : " ما فعل " .

(٢) رواية بهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار : " بالناطِطِ " .

(٣) ١ / ١٠٠ .

(٤) ٢ / ٦٣٤ .

(٥) الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(٦) ديوانه : ٢٣٦ . (٧) ديوانه : ٢٧٤ .

(الطربيل)

• مع قول بشار :

لِخَدَّيْكَ مِنْ كَفَيْتِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ . . . إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وَسَّادُ
تَيِّبَتْ تَرَاعِي اللَّيْلُ تَرْجُو نَفَادَهُ . . . وَلَيْسَ لِللَّيْلِ الْعَاشِرِينَ نَفَادُ (١)

وهما من قصيدة له يتفضل بسعدى (سعاد) ، ومطلعها :

نَبَا يَلِكْ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وَسَّادُ . . . وَمَالِكْ إِلَّا رَاحَتِكَ عِيسَادُ
وبعد ، بيت الشاهد الأول وبعد :

كَأَنَّكَ لِلشُّوقِ الْقَرِيبِ إِذَا سَرَى . . . مِنْ الْوَجْهِ مَشْدُودٌ عَلَيْكَ صِفَادُ
وبعد ، بيت الشاهد الثاني وبعد :

تَقَلَّبَ فِي دَاجٍ كَانَ سَوَادُهُ . . . إِذَا أَتَجَابَ مَوْصُولٌ إِلَيْهِ سَوَادُ
المعنى المتحد في البيتين . طول ليل المحبين .

فخالد الكاتب جاء بهذا المعنى مباشراً وأعلن حقيقة ليل المحبين ، وهو
كونه طويلاً ليس له آخر .

أما بشار ، فقد زاد على خالد الكاتب حيث بَصُرَ بالحركة الداخلية التي تمرور
في نفس المحب ، فعاش معه بوجوده ، وتغلغل في أعماق نفسه ، فرأى ما فيها
من حركة الوجد الدائبة ، والشوق الملح ، فهذه الحالة من النزاع الوجداني جعلته
يشعر بطول الليل وعدم انقضائه .

وقوله " تَرَاعِي اللَّيْلُ " يصور ملل ذلك المحب ، ومحاولته اليائسة في التخلص
من ذلك التبرم .

وقوله (تَرْجُو نَفَادَهُ) وصلت النفس فيه إلى قمة الضيق والتبرم ، فأخذت تبتهلل
وترجو نفاذ الليل .

(١) ديوان بشار : ١٢٧ / ٣

المختار من شعر بشار : ١٣ .

وهنا أشفق الشاعر عليها ، فأعلن لها حقيقة ليل المحب ، وأنه ليمر له نفاذ ،
لعل في وقوفها على هذه الحقيقة ما يسكن هذا الرجاء اليائس .
وفي تقديم المسند (ليل العاشقين) على المسند إليه (نفاذ) تخصيص
لذلك الليل بعدم النفاذ . وفي هذا تأكيد لهذه الحقيقة .

الشاهد الثالث بعد الثلاثاء : (*) (الوافر)

• قول أبي تمام :
(١) (٢) (٣)
تَوَى بِالتَّشْرِيقِ لَهْمٌ ضَجَّاجٌ . : أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ (٤)
وهو من قصيدة قالها في مدح إسحاق بن إبراهيم الصعبي ، ويذكر إيقاعه
بالمُخَمَّرَةِ أصحاب بابك ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيه ،
فكَلَّ من جاء قَيْلٌ وَخَزَتْ أُنْثَى ، حتى وَجَّهَ إلى المعتصم بستان ألف أُنْثَى .
ومطلعها :-

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٨ - ٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٢ .

(١) ثوا : الثَّوَاءُ : طولُ السَّقام ، وثوى بالمكان : نزل فيه وأقام . /

اللسان " ثوا " : ١٤ / ١٢٥ .

(٢) قال التبريزي :

" القول في " المشرِّقين " مشهور ، لأنهما شَرَّقُ الصَّيفِ ومشرق الشَّيْءِ ،

وكذلك المغرِّبان " / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٢٩٩ / ٣ .

(٣) رواية الديوان - دار صعب - ، والدلائل تحقيق شاكر : " لها ضجَّاج " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٩٩ / ٣ ، ديوانه - دار صعب - ٢٨٥ ،

أخبار أبي تمام للصولي : ٧٨ ، أخبار أبي تمام للبحراني : ١٥١ .

(٥) سبقت ترجمته : ٧٢٦ .

(٦) انظر :

الكامل في التاريخ : ٢٢٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٦ ، ٢٨٥ .

خَسَنَتْ عَلَيْهِ أَخْتُ بَنِي خُشَسَيْنِ . . وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَادِلِ لَسِينِ

وقبل الشاهد :

لَقِيْتَهُمْ بِحَلَّابِ الْمَنَائِمَا . . بَعِيدِ الرَّزِّ نَائِيِ الْحَجَرَتَيْنِ (١) (٢)
فَمَا أَتَقَيَّتْ لِللَّسْتِفِ الْيَمَانِي . . شَجَا فِيهِمْ وَلَا الرَّيْحِ الرَّذْيَنِي (٣)
وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعُ . . إِلَى خَيْفِي يَنْتَى قَالِ مَوْقَفَيْنِ (٤) (٥)
عَمَّتِ الْخَلْقُ بِالْإِنْعَاءِ حَتَّى . . غَدَا الثَّقَلَانِ يَنْتَاهَا مُثْقَلَيْنِ
مع قول البحرى :- (الطويل)
تَنَادَرَا أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعَا . . أَطَاعَ لَهَا الْعَاصُونَ فِي بَلَدِ الْقَرْبِ (٦)

(١) الرَّزُّ : بالكسر الصوت ، وقيل هو الصوت تسمعه من بعيد ، وقيل هو الصوت تسمعه ولا تدري ماهو ، يقال سمعت رَزَّ الرعد / اللسان " رزز " :
٥ / ٣٥٣ .

(٢) الحجرتان : الناحيتان / اللسان " حجر " : ٤ / ١٦٨ .

(٣) جَمْعُ : اسم للمزدلفة سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها ، وذكر التبريزي في شرح الديوان أن " جَمْعُ " اسم لِيَنْتَى أو أَنَسِه موضع قريب منه . / انظر :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استمع : ١ / ٣٩٢ .
(٤) خَيْفِي يَنْتَى : الخيف : ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلط ، وخَيْسَفُ اسم يقع مضافاً إلى مواضع كثيرة ، ولا يكون خيفاً إلا بين جبلين ، وأشهرها خَيْفُ يَنْتَى ، ومسجده مسجِدُ الخيف ، وقال التبريزي : والخيف من يَنْتَى على التوحيد ، إلا أن التثنية والجمع في مثل هذه الأشياء جاز . /

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استمع : ٥٢٦ .
(٥) الموقفين : أراد الموقف بعرفة والموقف بالمزدلفة ، أو موقف إبراهيم ، أو نحو ذلك من المواضع / انظر :

الديوان بشرح التبريزي : ٣ / ٢٩٩ .

(٦) ديوانه - طبعة بيروت - : ٦ / ٢ .

ديوانه - صيرفي - : ١ / ١٠٦ .

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الله بن دينار بن عبد الله،^(١) ومطلعها :

رَأَى الْبَرْقَ مَجْتَا زَا فَبَاتَ يَلَا لَسَبَّ . وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَحِيلَةِ مَا يُصْصِي
وقبل الشاهد :

إِذَا أَثْقَلَ الْهَلْبَاجُ أَحْنَاءَ سَرَجِهِ . غَدَا طَرْفُهُ يَخْتَالُ بِالْمَرْهَفِ الضَّرْبِ
وبعد الشاهد :

لَجَرَدَ نَصْلَ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَتْ . عَنْ السَّيْفِ سَخْطُومًا جُمُوعُ أَبِي حَرْبٍ

(البسيط)

... وقول مسلم :

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى دِيَارِهِمْ . أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْقَالِيدِ (٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح * داود بن يزيد المهلبى .^(٥) ومطلعها :

(١) لم أقف على ترجمة وافية له ، فكل ما وجدته عنه أنه اشترك في محاربة أبي حرب
المبرقع اليماني الذي خرج على السلطان بفلسطين سنة (٢٢٧هـ) ، وكان
والده دينار من قواد الأمن المشهورين ، وكان أخوه أحمد من أمراء
البحر ، وللبحتري فيه مدائح ، وولي أخوه يزيد مصر سنة (٢٤٣هـ) ورجح
محقق الديوان الاستاذ الصيرفي أنه كانت هناك مصاهرة بين أسرة دينار
وأ أسرة سهل . / انظر :

الطبري ٦ : ٣٩٤ / ٨ ، ٥٦٩-٥٩٣ ، ٦٠٧ / ٩ ، ٣٢٢ / ٦ ، ٦٥٤ ، شار القلوب :

٦١٤-٦١٥ ، تحقيق ديوانه - صيرفي - : ١٠٤ / ١ .

(٢) الهَلْبَاجُ ، والهَلْبَاجَةُ ، والهَلْبِجُ ، والهَلْبِجُ : الأحمق الذي لا أحق منه ، الجامع
كل شر / اللسان * هليج * : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) رواية شرح ديوان صريع الغواني : * بلا دهم * .

(٤) لم أقف عليه إلا في : شرح ديوان صريع الغواني : ١٦١ .

(٥) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الطائسي

المهلبى ، أمير من الشجعان العقلاء ، وكان مع أبيه بأفريقية ، تولى إمارتها

وأحسن التصرف فيها (١٢٠هـ) ثم عزل عنها بولاية عمه روح بن حاتم سنة

(١٢٢هـ) من قبل الرشيد ، ثم ولّى الرشيد داود إمرة صيرفي وأواخر سنة (١٢٣هـ)

فقد منها سنة (١٢٤هـ) وهذا الاضطرابات السائدة فيها ، ثم عزل عنها سنة =====

لَا تَدْعُ بِي الشَّقَوَىٰ إِنِّي غَيْرُ مَعْنُورٍ . (١) . نَهَى النَّهْيَ عَنْ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ (٢)

وقبل الشاهد :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدَ إِذْ عَلِقَتْ . . . أَثِيدِي الرَّدَىٰ بِنَوَاصِي الضَّرِّ الْقَوْدِ
دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرَمًا وَانْتَصَفْتَ . . . بِكَ الْمَنُونُ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِدِ
مَلَأْنَهَا قَرَعًا أَطْلَىٰ مَعَاطِلَهَا . . . مِنْ كُلِّ أَيْلَاحٍ سَامِي الطَّرْفِ صَنْدِيدِ (٣)
(٤)

وبعد ها الشاهد وبعده :

لَمَسْتَهُمْ بِبَيْدٍ لِلْعَفْوِ مَتَّصِلٍ . . . بِهَا الرَّدَىٰ بَيْنَ ظُلُمٍ وَتَشِيدِ
أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مَطْلِعًا . . . بِالْخَيْلِ تَرْدَىٰ بِأَيْطَالٍ مَنَاجِيدِ (٥)
ذكر الصولي في أخبار أبي تمام ، وأخبار البحري أن أبا تمام أخذ قوله من قول
سلم بن الوليد ، وأن البحري قال في هذا المعنى :
عَدَا عَدَاةً بَيْنَ الْمَشَارِقِ إِذْ عَدَا . . . فَتَّ حَرِيقًا فِي أَقَاصِي الْمَغَارِبِ (٦)

== (١٧٥هـ) وولاه الرشيد أمر السند (١٨٤هـ) وبقي على إمرتها حتى توفي (٢٠٥هـ) / انظر :

تاريخ الطبري : ٢٧٢ / ٨ ، ٥٨٠ ، الكامل لابن الأثير : ٨٥ / ٥ ، ١٩٧ ، النجوم
الزاهرة : ٣ / ٢ ، ٧٥ - ١١٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٣٦ .

(١) مَعْنُودٌ وَمَعِيدٌ وَمَعْدٌ : هَذِهِ الْعَشَقُ . / القاموس المحيط (عدد) : ٣٢٩ / ١ .

(٢) الرعايد : امرأةٌ عديدة : يترجرج لحبها من نعمتها . / اللسان
" رد " : ٣ / ١٢٩ .

(٣) أَيْلَاحٌ : الْبَلْخُ مصدر الأَيْلَاحِ وهو العظيم في نفسه ، الجري على ما أُنشئ من
الفجور ، والبَلْخُ التكبر / اللسان " بلخ " : ٣ / ٩ .

(٤) شرح ديوانه : ١٦١ .

(٥) المصدر السابق : ١٦٢ .

(٦) أخبار أبي تمام : ٧٨ ، أخبار البحري : ١٥١ .

فالمعنى المتحد بين هذه الآيات : خضوع الشرق والغرب للمدوح . فأبوتام جعل مدوحه يقيم في المشرقين ، ولكن بفضل ذلك الجيش العظيم الذي يسمع له غلبةً وضجيجاً ، أثبت حكمه في بلد الغرب .

وقوله " ضَجَّاج " صفة مشبهة على وزن فعال دلّت على عظيم الجلبة وقوتها ، فالضجيج صفة قائمة بهم قياماً ثابتاً لا حادثاً متجدداً .

وتقديم المسند - الجار والمجرور - " لهم " على المسند إليه " ضَجَّاج " للتوكيد وتقوية الحكم ، وفي هذا ما فيه من كشف لمعاني القوة والشجاعة الكامنة في هذا الجيش . وأنظر إلى دقة اختيار أبي تمام لألفاظه التي بعثت في موسيقى البيت جلبة ورنيناً " ضَجَّاج - أطار " .

أما البحرى فمدوحه أكثر شجاعة من مدوح أبي تمام ، فهو لم يكلفه تجهيز الجيوش العظيمة ، فمجرد سماع أهل الشرق لإذاره بالوقائع يخضع له العاصون في بلاد الغرب ، وقوله : " تنادر " بدلاً من " نذر " دل على شدة الإذار وقوته ، وتركيب الفعل على هذا الوجه دل على أن هناك حركة فزع وخوف دبت في النفوس ، فأخذ بعضهم يندربعضاً .

وتقديم الجار والمجرور في قوله : " أطاع لها العاصون " جزم بانتصار تلك الوقائع ، وخضوع العاصين وتسليمهم .

أما مسلم بن الوليد ، فمدوحه أكثر شجاعة ورهبة في صدور أعدائه من مدوح سابقه ، فليس هناك ضجيج ، ولا معارك ، ولا تناذر بالوقائع ، ولا إجبار على الخضوع والطاعة ، فهو لم يكلفه هذا العناء ، فهو بمجرد نزوله على أول أطراف الديار يقبل عليه أهل الأقاليم بالإذعان طائعين مختارين ، فقلوه : " ألقى إليك الأقاليمي " ، تركيب بديع فـ " الإلقاء " صور إسرارهم للطاعة بحض إرادتهم وتقديم الجار والمجرور " إليك " على المسند إليه " الأقاليمي " تعظيم وإكبار لهذا المدوح ، وتأييده بشجاعته . ومجيء لفظ الأقاليمي بالجمع دليل على شمول الطاعة وعموم التسليم .

(البسيط)

الشاهد الرابع بعد الثلاثاء : (*)

(١)

• قول محمد بن بشير:

أَفْرَغْ لِحَاجَتِنَا مَا دُمْتَ مَشْفُوعًا . . فَلَوْ قَرَعْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ بَدُولًا (٢)

(٣)

• مع قول أبي علي البصير:

فَقُلْ لِسَعِيدٍ أَسْعَدَ اللَّهُ جَسَدَهُ . . لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ
(٤) فَلَا تَعْتَوِرُ بِالشَّغْلِ عَنَّا فَلَنْتَسَا . . تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا تَصِلُ الشَّغْلُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٣ .

(١) سبقت ترجمته : ص ١١٧ .

(٢) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري ، وهو فارسي الأصل ،

وكان ضريباً ، لُقِّبَ بالبصير لذكائه ، وكان يتشيع وهو أحد الأدباء البلقاء .

الظرفاء ، وكان مترسلاً بليغاً ، قدم " سرر من رأى " في أول خلافة المعتصم ،

ومدحه والخلفاء بعده ، ورؤساء أهل العسكر ، توفي بسر من رأى (٢٥٥ هـ) /

انظر ترجمته وبعض أشعاره في :

طبقات ابن المعتز : ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، الفهرست : ١٧٨ ، معجم الشعراء

للمرزياني : ٣١٤ ، شار القلوب : ٥٦ ، ٧٣ ، زهر الآداب : ٢ / ٤٣٥ - ٤٣٧ ،

سطح اللآلي : ١ / ٢٦٦ ، نهاية الأرب ٣ / ٣٣ ، نكت الهميان : ٢٢٥ ، الأعلام :

٥ / ١٤٧ .

(٤) رواية عيون الأخبار ، معجم الشعراء ، وديوان المعاني ، بهجة المجالس :

" ولا تعتذر " .

(٥) انظر البيت في :

عيون الأخبار : ٣ / ١٢٥ - ذكر البيت الثاني فقط ومن غير نسبة - معجم

الشعراء للمرزياني : ٣١٤ - ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر -

ديوان المعاني : ١ / ١٦٩ ، ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر ومن غير نسبة ،

التشيل والمحاضرة : ٩١ - البيت الثاني فقط - بهجة المجالس : ٢ / ٤٩٠ -

البيت الثاني فقط وبعبده بيت آخر ومن غير نسبة - نهاية الأرب : ٣ / ٩٣ -

البيت والثاني فقط .

وقبل بيت الشاهد الثاني :

(١) وَلَنْ عِنْدَ مَا تَرْجُوهُ (٢) يَنْكَ فَاتَّسَا (٣) . جَمِيعاً لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ أَهْلِ (٤) .
وذكر بعد الشاهد الثاني قوله :

وَلَا تَرْتَبِعْ عَنَّا بِسَيِّئِ وَلِيَّتِنَا . كَمَا لَمْ يَصْفَرْ عِنْدَنَا شَأْنُكَ الْعَزَلُ (٥)

والمعنى الذي يجمع البيتين هو عتاب المدح على الانشغال عنهم ورجاؤه بأن يلدت إليهم .

ويتأمل البيتين نجد أن أبا علي البصير أرق مشاعر، وألين عتاباً ، وألطف رجاءً فهو أخير بتحريك العواطف، واجتذابها ، فقله : " أسمع الله جدّه " دعاء من شأنه أن يثير عاطفة الحنو عند المعاتب ، ويرقق مشاعره .

وقوله : " لَقَدْ رَثَ " تأكيد بأن العطاء قد قل .

وقوله : " رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ " كناية عن قرب انقطاع أوشاج الصلات ، وفي هذه الكناية عتاب ولوم على القطيعة التي كادت تحل ، فهو لم يجزم بالقطيعة ، ولم يعلن الجفاء إعلاناً .

فكاد هنا أفادت أن القلوب مازالت راغبة في الوصل ، وقوله : " فَلَا تَعْتَدِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا " مبدؤاً بلا الناهية يحمل روح الرجاء والاستعطاف ، فهو يترجاه أن لا يجعل الشغل هو عذره .

وقوله : " فَإِنَّا تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ " ألطف من قول الأول " فَلَوْ قَرَعْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرُ مَبْدُؤاً " فأبو علي البصير أخلص عاطفة وأكبر حباً للمعاتب ، وأكثر رجاءً واستعطافاً ، فقد أكد له إناطة الآمال به في جميع الأوقات حتى في وقت انشغاله ، فجاء بأسلوب القصر " إِنَّا " لتذكير المخاطب وتنبيهه من غفلته ، وإناطة الآمال به وحاجتهم إليه أمر يعلمه .

وفي تقديم الجار والمجرور " تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ " كشف عن كثير من مشاعر الرجاء المخبوءة في نفس الشاعر ، والعرب يقدّمون مثله ، لأن بيانه عند هم أهم ، وهم بشأنه أعنى أما محمد بن بشير فجعل رجاءه في كرم المدح مشروطاً بفراغ المعاتب ، فإن فرغ لهم كان كريماً ، وفيما عدا ذلك تنفي وتمتنع عنه هذه الصفة ، فجاء بـ " لَوْ " وهي حرف امتناع لا متناع ، وفي هذا تقليل لمعنى الرجاء .

(١) رواية معجم الشعراء : " فكن " . (٢) رواية معجم الشعراء : " ما أملت فيك " .

(٣) رواية معجم الشعراء : " فَإِنَّا " .

(٤) انظر البيت في : معجم الشعراء للمعرياني : ٣١٤ ، ديوان المعاني : ١ / ١٦٩ .

(٥) انظر البيت في : بهجة المجالس : ٢ / ٤٩٠ .

(الكامل)

الشاهد الخامس بعد الثلاثاء : (*)

• وقول البحسري :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَنَعَّ وَصَلَهَا ^(١) . فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَعْدِلْ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح محمد بن علي بن عيسى القي الكاتب (٣)

ومطلعها :

أَهْلًا بِذِكْرِكُمُ الْخَيَالِ الْمُقِيلِ . فَعَلَّ الَّذِي تَهَوَّاهُ ^(٤) أَوْ لَمْ يَفْعَلْ

وبعده بيت قبل الشاهد :

بَرَقَّ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَةٌ فَاهْتَدَتْ . يَسْنَاهُ أَغْنَاؤُ التَّرَاكِيبِ الضُّلَّلِ

وبعده الشاهد وبعده :

كَالْبَذْرِ غَيْرِ مَخِيلٍ وَالْخُصَنِ غَيْبٍ . سَرَّ مَسِيلٍ وَالْدَّغِي غَيْرَ مَهِيلِ ^(٥)

(٦)

• مع قول ابن الرومي :

وَمِنْ التَّلَاسِيَةِ أَنْتَ بِنِي . عُلِقْتُ مَنُوعًا مَّنُوعًا (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٣ .

(١) رواية الديوان والموازنة والصناعتين وإعجاز القرآن للباقلاني :

” وَتَنَعَّ نَيْلَهَا ” .

(٢) لم أجد البيت إلا في : ديوانه ، ٣٦٦/٣ ، ديوانه - صيرفي - : ١٧٤٢/٣ ،

الموازنة : ٢٨٣ ، الصناعتين : ٢٥٤ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٢ .

(٣) سبقت ترجمته : ٧٦٥ .

(٤) رواية الديوان - صيرفي - : ” نهواه ” بالفون .

(٥) الدغص : ما استدار من الرمل / . فقه اللغة : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٦) وتُسبب البيت في الموازنة والصناعتين لعبد الصمد بن المعدل ، وقد سبقت

ترجمته : ٢٤٩ .

(٧) انظر البيت في : ديوان ابن الرومي : ٤ / ١٤٦٢ ، الصناعتين : ٢٥٤ ،

الموازنة - محمد محيي الدين - ٢٨٣ .

وهو من قصيدة مطلعها :

وَهَبَتْ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا . قَاتَلَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا

ويعد البيت قبل الشاهد :

ظَنَيْتُ كَانَ يَخْصُرُهُ . (١) مِنْ صُفْرِ ظَنَّا وَجُوعَا (٢)

ويعد الشاهد :

مَنْ سَاطِلَ قَمَرِ الدَّجَى . مَا بَالُهُ تَرَكَ الطُّلُوعَا

ذكر الآمدي في الموازنة بعد قول الشاعر :

ظَنَيْتُ كَانَ يَخْصُرُهُ . . .

قوله :

إِنِّي ظَنَنْتُ لَيْشِيقُوتِي . يَا قَوْمَ مَمْنُونَا سَنِيعَا (٣)

وأعتقد أنه بيت الشاهد مع اختلاف الرواية .

ذكر الآمدي أَنَّ الْبَحْتَرِي قد أخذ بيته (مِنْ غَادَةِ مُنَعَتِ) من قول عبد الصمد

ابن المعدل إِلَّا أَنَّهُ زَادَ عَلَى عَبْدِ الصَّمَدِ بِقَوْلِهِ :

" لَوْ بَدَّلْتُ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ " (٤)

وذهب أبو هلال العسكري غير مذنب الآمدي ، فرأى أَنَّ الْبَحْتَرِي قد أخذ بيته

من عبد الصمد بن المعدل إِلَّا أَنَّهُ قَصَرَ فِيهِ . قال :

" بيت عبد الصمد أبين معنى مع شدة الاختصار ، وبيت الْبَحْتَرِي كالمويسم

لا يقام (إعرابه) إِلَّا بعد نظر طويل " (٥)

وطبق الباقلائي على بيت الْبَحْتَرِي ورأى أَنَّهُ قد طول فيه وتكلف المطابقة ،

وتجشَّم الصنعة . قال :

(١) رواية الموازنة : " مِنْ رِقَّةٍ " ، ورواية الصناعتين " مِنْ رِقَّةٍ " .

(٢) الموازنة :- محمد محيي الدين - ٢٨٣ ، ديوان المعاني : ٢٥١ ، الصناعتين : ٢٥٤ .

(٣) الموازنة :- محمد محيي الدين - ٢٨٣ .

(٤) الموازنة : ٢٨٣ .

(٥) الصناعتين : ٢٥٤ .

" فالببت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، وَتَجَشَّم الصنعة - أَلْفَاظُهُ أَوْفَر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات في سطره ، ولو قال : هي متنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام ، وتهويله ، ثم هو معني متداول مكرّر على كل لسان " (١)

ونذهب الدكتور أبو موسى إلى غير ما ذهب إليه الباقلاني ، فعنده أن بيت البحري من الشعر الرائع الذي لا يقوله إلا من كان في طبخته ، فهو رصين البناء محكم النسج ، قال :

" ... فالشعر هو البنية التي أقامها الشاعر ، وحين ندخل فيها تفسيماً ما .. تكون بذلك قد هدمناها ، وصيرنا إلى غيرها وقولنا : " هي متنوعة مانعة " كلام تحت كل لسان ، أما قول البحري ، فهو شعر لا يقوله إلا من كان فسي طمبخته .

وأنظر كيف بدأ الحديث عنها بذكر " الغيد " وهو إشارة النعمة والزينة والصون ، والفاد ، هي الناعمة البيئة الغيد .

وتأمل كيف انتقل الكلام إلى وصف صونها ، وعفافها وكيف سلك سبيله في بيسان ذلك ، فقال : " مُنعت " وأشار بذلك إلى من حولها من أهل بيتها وعشيرتها ، وأنهم أهل حفاظ ومنعة ثم قال : " وتنعم نيلها " فانتقل الكلام إلى ذات نفس الغيد ، لأن صونها وعفافها لا يجوز أن يكون أمراً جاءها من خارج نفسها ، نعم . . إن من تمامه أن تكون هذه الخلخل خلال الأهل والعشيرة ؛ لأن شرف النفوس يجري مع كرم العروق .

ثم إن الشاعر وقف عند هذا المعنى وأعطاه البيت كله ، وهو في ذلك يترقى بالمعنى ، ويسمو به ، ويزيد في تأصيله وتقديره ، ويفتقن في الإبانة عنه ، انظر إلى الجملة الخاصة بوصف منعة العشيرة لها ، تجد ها كلمة واحدة " مُنعت "

ولما انتقل الكلام إلى وصف غافها الذي هو خلقها ، طالت الجملة " وتنسج
 نيلها " وكأن الشاعر يريد أن يُسمع بها ، وانتقل إلى صيغة المضارع بعد الماضي
 في الأولى مشيراً بذلك إلى أنه خلق يتجدد في ذات نفسها ، وكأنها تستمد
 من نبع قَيَّاحٍ ، ثم أنظر كيف رجع الكلام ونفى أن يكون صون رهطها لها ما له
 مدخل في تصوُّنها ، وحفاظها ، وكيف سلك إلى ذلك سبيلاً من التوكيد لا تسراه
 إلّا في حر الكلام " فلو أنها بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ " و " لو " هذه أكثر ما تكون
 لبيان امتناع جوابها لامتناع شرطها ، ولهذا عُرِفَتْ في كلام المعربين بأنها
 حرف امتناع لامتناع . . . " (١)

ويبدولي أن ذكره " بذلها " وإن كان على سبيل الافتراض ما تنبوعه الطبع
 السليمة ، والأنفة والحفاظ ، إذ كيف يغترص الشاعر أن قومها ربما بذلوها في حسين
 أنه ذكر " المنع " في أول البيت ؟ وما قيمة هذا المنع إذا كانوا يفرض أن يبذلوها
 هم فتأبى هي ؟

الشاهد السادس بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول أبي تمام :
 لَيْسَ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَظْلِي . . . أَسَاءَ فَنِي سَوْءَ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ (٥)
 وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر مطلعها :
 قَصَدْتُ وَخَيْلَ الْبَيْنِ مَسْتَحْصِدٌ شَرُّرٌ . . . وَقَدْ سَهَّلَ التَّوْبِيعُ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ
 وقبل الشاهد :

-
- (١) الإعجاز البلاغي : ٣٢٣ - ٣٢٤ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاكِر : ٤٩٣ - ٤٩٤ .
 (٢) رواية الديوان وأخبار أبي تمام : " فَإِنْ كَانَ " .
 (٣) رواية الديوان : " أَحْسَنَ " .
 (٤) رواية الديوان : " أَسَاءَ " .
 (٥) انظر البيت في :
 ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧١ ، ديوانه - دار صعب - : ٤٢٣ ،
 أخبار أبي تمام : ٥١ ، أخبار البحري : ١٦٠ .

وَمَا الْقَفَرُ بِالْيَدِ الْقَوَاءَ بَلِ الْيَدِ (١) . نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفَرُ
وَمَنْ قَاتَرَ الْأَيَّامَ عَنْ شَرَاتِهَا . . . فَأَخْجِ بِمِ أَنْ تَنْجِي وَلَهَا الْقَفَرُ
وبعد هذا الشاهد وبعده :

قَضَاءُ الَّذِي تَارَالَ فِي يَدِ الْغِنَى . . . ثَنَى غَرْبَ آمَالِي وَفِي يَدِي الْقَفَرُ
رَضِيَتْ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مَسْخُطِي . . . مِنْ الْأَمْرِ مَا فَيَسِرُ رِضًا مَنِ لَهُ الْأَمْرُ
- مع قول البحتري : (البيسط)

إِذَا مَتَّاسِنِي اللَّائِي أُدِلَّ بِهَا . . . كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَدِرُ (٢)
وهو من قصيدة له في مدح علي بن مر الأسدي (٤) ، ومطلعها :
فِي الشَّيْبِ زَجْرُهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ . . . وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ
وقبل الشاهد :

قَالَتْ مَسِيْبٌ وَعَشَقْتُ أَنْتَ بَيْنَهُمَا . . . وَذَلِكَ فِي ذَنْبٍ لَيْسَ يُغْفَرُ
وَعَبَّرْتَنِي سِجَالِ الْعَدَمِ جَاهِلَةً . . . وَالنَّشْعُ عَرِيَانٌ مَا فِي قَرْعِهِ شَرُ
وبعد هذا أبيات ، وبعد هذا البيت وبعده :

(١) رواية الديوان - دار صعب - : " القفار " .

(٢) رواية أخبار البحتري ، وأخبار أبي تمام : " اللائي " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٢ / ٣٠٨ ، أخبار أبي تمام : ٥١ ، أخبار البحتري : ١٦٠ ، التمثيل
والمحاضرة : ٩٩ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٢٣٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٨ .

(٤) ذكر محقق الديوان - الصيرفي - أنه ليس هناك مراجع تشير . إلى أن علي بن
مر (ويلقب بالطائي) كان يلقب بالأسدي ، ولكن هناك علي بن يحيى الأسدي ،
أبو الحسن الذي ولي مصر ، وقد هجا البحتري علي بن مر في قصيدة أخرى
وكذلك فعل مع ابنه مر بن علي حيث مدحه مرة ثم هجاه أخرى . / انظر :
تحقيق الديوان - صيرفي - : ٢ / ٩٥٣ ، الطبري : ٩ / ٥٤ .

أَهْزَأَ الشَّعْرَ أَتَوَامًا ذَوِي وَسَنٍ . . . فِي الْجَهْلِ لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
 ذَكَرَ الصُّوْلِي أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ قَدْ أَخَذَ بَيْتَهُ مِنْ أَبِي تَامِ السَّابِقِ ، " فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي
 أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي . . . الْبَيْتَ " .

وَقَدْ أَخَذَاهُ جَمِيعًا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَنْشٍ الْغَزَارِيِّ ^(١) حِينَ قَرَعَ عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ يَوْمَ
 الْهَبَاءِ ^(٢) :

وَكَمْ مِنْ مَوْفِقٍ حَسَنٍ أَحِيلَتْ . . . مَحَاسِنُهُ فَعَدَّ مِنَ الذُّنُوبِ ^(٣)

فَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ اللُّومُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الشُّكْرَ ، وَهَذَا
 أَشَدُّ أَلَمًا لِلنَّفْسِ ، وَتُظْهِرُ مَعَالِمَ هَذَا الْأَلَمِ فِي بَيْتِ الْبَحْتَرِيِّ أَكْثَرَ مِنْ بَيْتِ أَبِي تَامِ .
 وَيَلَاظُ أَنَّ كِلَا الْبَيْتَيْنِ مَبْنِيَّ عَلَى الشَّرْطِ ، إِلَّا أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ كَانَ أَدَقَّ فِي اخْتِيَارِ
 شَرْطِهِ .

فَأَبُو تَامِ جَاءَ بِـ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةَ ، وَالْبَحْتَرِيُّ جَاءَ بِـ (إِذَا) وَفَرَّقَ كَبِيرٌ بَيْنَ
 مَعْنَى الْأَدَاتَيْنِ ، فَأَبُو تَامِ اقْتَصَرَ عَلَى أَنَّ بَيْنَ أَنْ حَسَنَ مَطْلَبُهُ كَانَ ذَنْبًا لَمْ
 وَاعْتَدَرَ لِذَلِكَ بِسَوْءِ الْقَضَاءِ ، وَاحْتِجَاجَهُ بِسَوْءِ الْقَضَاءِ احْتِجَاجٌ غَيْرُ قَوِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ
 عَلَى " إِنْ " الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي لَا تَجْزِمُ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَتَأْتِي فِي الْأَحْوَالِ النَّادِرَةِ الْوَقُوعِ
 أَمَّا الْبَحْتَرِيُّ فَكَانَ أَرْهَفَ حَسًّا وَأَشَدَّ أَلَمًا ، فَنَجَّاهُ بِـ (إِذَا) الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي تَجْزِمُ
 بِوُقُوعِ الْخَبَرِ ، وَتَأْتِي فِي الْأَفْعَالِ الْكَثِيرَةِ الْوُقُوعِ فَأَفَادَتْ أَنَّ مَحَاسِنَهُ كَثِيرَةٌ دَائِمَةٌ ،
 مَشْهُودٌ لَهَا بِهَذِهِ الْكَثْرَةِ كَيْفَ وَقَعَ فِيهَا الشُّكُّ ؟

(١) لَعَلَّهُ أَبُو حَنْشٍ " عَصَمَ " بَنَ النُّعْمَانَ بَنَ مَالِكِ بَنَ عَتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَهِيرٍ مِنْ
 جِشْمِ بْنِ بَكْرٍ ، وَقِيلَ هُوَ أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرٍ ، وَهُوَ فَارِسُ الْعَصَا ، وَهُوَ قَاتِلُ
 شَرْحِبِيلِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو الْمُقْصُورِ بْنِ حَجَرٍ أَكَلَ الْمَرَارَ الْكَنْدِيُّ يَوْمَ
 الْكَلَابِ " / انظر : معجم الشعراء للمريزاني : ٢٧٤ .

(٢) يَوْمَ الْهَبَاءِ " وَهُوَ يَوْمُ الْجَفْرِ " لِعَبَسٍ عَلَى ذُبْيَانَ ، وَالْهَبَاءُ أَرْضٌ بِبِلَادِ غُفَّانَ
 كَانَتْ فِيهَا الْمَوْقَعَةُ ، وَجَفَرُ الْهَبَاءِ وَهُوَ مُسْتَنْقَعٌ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَفِي هَذِهِ
 الْمَوْقَعَةِ قُتِلَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرٍ / انظر :

العمدة : ٢٠٢ / ٢ ، معجم البلدان : ٣٨٩ / ٥ .

(٣) أَخْبَارُ الْبَحْتَرِيِّ لِلصُّوْلِيِّ : ١٦٠ .

وأنظر إلى فعل الأمر (فقل لي) وما يحمله من معاني التضرع والرجاء ، ونساء
الأمر على طريقة الحوار فيه أحياء للعبارة ففيها أخذ ورد يجعل القاري أو السامع
وكأنه أمام مشهد يسمعه ويراه .
ثم أنظر إلى الاستفهام (كيف أعذر) وما فيه من معنى الحيرة وانعدام الحيلة ،
والاستغراب في أن يَشْكَّ في محاسنه .

الشاهد السابع بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

• قول أبي تمام :

* قَدْ يُقَدِّمُ الْعَبِيرُ مِنْ دُعْرِ عَلَى الْأَسَدِ * (١)

ذكر الشيخ صدر البيت ، وعجزه :

أَطَلْتُ رَوْعَكَ حَتَّى صَيَّرْتَ لِي غَرَضًا

وهو من قصيدة له يهجو فيها محمد بن يزيد ، ومطلعها : (٢)

أَبَيْتِي تَنْظُمُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنَدِ . . وَأَنْتَ أَنْزَرِيْن لَأَشْيَاءَ فِي الْعَدَدِ

وقبل الشاهد :

أَنْحَفْتُ جِسْمَكَ حَتَّى لَوْ هَمَمْتُ بَأَنْ . . أَلْهُو بِصَفْعِكَ يَوْمًا لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

• • • قول البحتري :

(الطويل)

فَجَاءَ تَجِيءُ الْعَبِيرِ قَادَتُهُ حَنِيرَةٌ . . إِلَى أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ تَدْمِي أَظْفَارُهُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاكر : ٤٩٤ .
(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣٥١ / ٤ ، الموازنة : ٣١٦ ، التثيل
والمحاضرة : ٣٤٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولعله يقصد بمحمد بن يزيد ، أبا العباس " المبرد " النحوي

المشهور (٢١٠ - ٢٨٥ هـ ، وقيل : ٢٨٦ هـ) ولكن لا أعظم الداعي إلى هجائه ؟ !

(٣) الْبَهْرَتُ : سَعَةُ الشَّدَقِ ، وَالْبَهْرِيَّةُ وَابْنُ الشَّدَقِينَ ، وَقَدْ هُرَّتْ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ
أَهْرَتُ الشَّدَقِ وَهَرِيَّتُهُ ، وَأَسَدٌ أَهْرَتُ بَيْنِ السَّهْرَتِ ، فَالشَّاعِرُ أَرَادَ هُنَا بِأَهْرَتِ

الشَّدَقِينَ الْأَسَدَ / اللِّسَانَ " هُرَّتْ " : ١٠٣ / ٢ - ١٠٤ .

(٤) ديوانه : ١ / ٢٨٤ ، الموازنة : ٣١٦ .

وهو من قصيدة له قالها في مدح يوسف بن محمد ، ومطلعها :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بَطَاءٍ أَوْ آخِرُهُ . . . وَوَشَّكَ نَوَى حَتَّى تَرَمَّ أَبْنَاءُ—رُهُ

وقيل الشاهد :

وَمَا كَانَ بَقْرَاطُ بْنُ أَشْوَطَ عِنْدَهُ . . . بِأَوَّلِ عَيْدٍ أَسْلَمْتُهُ جَرَاءِ—رُهُ

وَقَدْ شَاغَبَ الْإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً . . . فَلَا الْخَوْفَ نَاهِيَهُ وَلَا الْحِلْمُ زَاجِرُهُ

وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ . . . يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْخَوْفِ نَاطِرُهُ

وَلَمْ يَرْضَ مِنْ جَرَّازٍ حِرْزًا يُجِيرُهُ . . . وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْدًا^(١) يُجَاوِرُهُ

فَجَاءَ سَاحِلِي الْعَيْرِ . . . الْبَيْت .

وبعد :

وَمَنْ كَانَ فِي اسْتِسْلَامِهِ لَا مَاءَ لَهُ . . . فَأَتَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَازِرُهُ

ورأى الآمدي أن هذا المعنى متداول كثير الاستعمال . قال :

"أولم يسمع ما هو كالجمع عليه من أن العير إذا رأى السبع أقبل إليه مسن

شدة خوفا منه حتى صار مثلاً يتمثل به ، كما يتمثل بالفراسة إذا تهاقت فسي

النار ، وفي ذلك أسنال ، وأشعار كثيرة ، فما أظن علمها سقط عن البحري^(٢) .

وكان الآمدي يرى أنه لا أخذ هنا .

فالصورة المشتركة في البيتين هي صورة إقبال العير على الأسد لغرط نعره .

فأبو تمام صاغ هذه الحقيقة كما هي واقعة ومشاهدة بمعنى صريح مباشر ، فذكر

أن العير إذا اشتد خوفه ونعره من الأسد أقبل عليه .

(١) ريداً : الريد الحَيِّدُ ، وهو الحرف النائي من الجبل والجمع ريسود /

الصاح * ريد " : ٢ / ٤٧٩ .

(٢) الموازنة : ٣١٦ .

أما البحثري، فصاغ المعنى صياغة أجود، فقله : " فجاء مجي : المير " دل على انقياد واستسلام تام من ذلك المير، وَجَعَلَهُ الحيرة قاعداً دل على فرط الذعر والتخبط في الأمر، وفي تنكير لفظ " حيرة " دليل على عظمها وهولها فهي حيرة غير معهودة .
وأنظر كيف أنه لم يصرح بلفظ " أسد " كما فعل أبو تمام بل جاء له بصورة صَوَّرَت المنظر المفزع الرعب، والذي أصاب المير بتلك الحيرة الشديدة .
" إِلَى أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ تَدْمَى أَظْفَرُهُ "

الشاهد الثامن بعد الثلاثاثة : (*) (الطويل)

• قول معن بن أوس : (١)

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ وَلَمْ تَكُنْ . (٢)
إِلَيْهِ يَوَجُّهُ آخِرُ الدَّهْرِ ثَقِيلُ (٣) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاکر : ٤٩٤ .
(١) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (٦٤٠ - ٦٤٠ هـ) شاعر فحل من مخضرمي

الجاهلية والإسلام ، مدح جماعة من الصحابة ، كف بصره في أواخر أيامه ، وكان كثير التردد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فيباليغان في إكرامه ، له أخبار مع عمر بن الخطاب ، وكان معاوية بن أبي سفيان يفضلته ويقول :
" أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ،
ومعن بن أوس " ، مات في المدينة ، وله ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته :

جمهرة أنساب العرب : ٢٠٢ ، سمط اللآلي : ٢ / ٢٣٣ ، شرح ديوان الحامسة
للتبريزي : ٧٨ / ٣ ، شرح شواهد المغني : ٨٠٨ / ٢ ، خزانة البغداد ي :
- دار صادر - : ٢٥٨ / ٣ ، الأعلام : ٢٢٣ / ٧ .

(٢) رواية عيون الأخبار : " لم تكن " .

(٣) رواية زهر الآداب : ٨٧٣ / ٣ " على " .

ورواية زهر الآداب (٨٧٤ / ٣) " عليه " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٧٤ ، عيون الأخبار : ٢٤ / ١ / ١ ، معجم الشعراء للمزني : ٤٠٠ ،

شرح ديوان الحامسة للمزني : ١١٣١ / ٣ ، أمالي المرتضى : ٢ / ٢٦١ ، زهر

الآداب : ٨٧٣ / ٣ ، ٨٧٤ ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي : ٨٠ / ٣ ، لباب الآداب

٤٠٠ ، شرح الشواهد للعيني - هامش خزانة البغداد ي - دار صادر - : ٣ / ٤٠٠ .

وهو من قصيدة قالها في صديق له كان معن متزوجاً بأخته، فأثفق أنه طلقها،
وتزوج غيرها، فآلى صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأشأ معن أبياته يهز بها قلب صديقه،
ومطلع القصيدة :

لَعَمْرُكَ مَا أَنِّي وَلِيَّتِي لَا وَجَلَ . . عَلَى أَتِنَا تَغْدُو الْمَيْسَّةُ أَوَّلُ (١)

وقبل الشاهد :

وَكُنْتُ إِذَا مَاصِحِبٌ رَامَ طَنْتَنِي . . وَيَدَّلُ سَوْءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُونِ قَلَمٌ أُنَمُّ (٢) . . عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَنَا أَتَحَوَّلُ

وبعد هما البيت، وهو آخر أبيات القصيدة .

يقول المرزوقي في شرح البيت :

" يقول : وَإِذَا رَأَيْتُ صَاحِبِي يَتَجَنَّى عَلَيَّ وَيَتَجَرَّمُ ، وَيَتَطَلَّبُ عَلَيَّ مَا يَنْتَجِ طَنْتَنُ ،
ويؤلِّدُ تَهْمَةً ، وَطَفَقَ يُقْبِحُ آثَارِي وَيَدَّلُ حَسَنَاتِي ، اتَّخَذْتُهُ عَدُوًّا ، وَقَلْبْتُ لَهُ
ظَهَرَ التُّرْسِ مَتَقِيًّا مِنْهُ ، وَمُدَقِّعًا لَهُ ، وَلَمْ أُنَمِّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَتَقَدِّمَةِ مَعَهُ
إِلَّا قَدَرًا مَا أَتَحَوَّلُ ، وَطُءَ مَا أَتَثَقَّلُ ، فَقَوْلُهُ " رَامَ طَنْتَنِي " أَيُّ رَامَ ارْتِفَاعَ التَّهْمَةِ
عَلَيَّ ، وَقَوْلُهُ : " بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ " أَيُّ أَفْعَلُهُ فَحَذَفَ الضَّمِيرَ اسْتَطَالَةً لِمَصْلَةِ
الذِي .

وقوله : " إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي " يَرِيدُ أَتَيْتُ أَمْدُ نَفْسَ التَّصَبُّرِ مَا أَمَكُنْ ، فَإِذَا
أَعْجَزْتَنِي الْحَالُ الْعَارِضَةُ عَنِ الْإِحْتِمَالِ أَنْصَرَفَتْ مَا لَكَأُ عَنَانِي ، ثُمَّ لَا يَتَنَبَّهُ عَلَيَّ
مَا أَعْرَضَتْ عَنْهُ شَيْءٌ أَبَدَ الدَّهْرِ ، وَقَوْلُهُ " بَوَجُو " الْبَاءُ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ " تَقْبَلُ " أَيُّ
لَمْ تَكُنْ تَقْبَلُ إِلَيْهِ بِوَجُوٍّ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ " (٣) .

(١) رواية زهر الآداب : " عَلَى أَتِنَا تَأْتِي " .

(٢) المجن : الترس ، وقوله : قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنِ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ كَسَانُ
صَاحِبِهِ عَلَى مَوْدَةٍ وَرَعَايَةٍ ثُمَّ حَالٌ عَنِ الْمَهْدِ / اللِّسَانُ " جَنَنُ " : ٩٤ / ١٣ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١١٣١ .

(البسيط)

• مع قول العباس بن الأحنف :
 (١) نَقَلَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِي مِنْ أَمَاكِنِهَا . (٢) (٣) أَخَفَّ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ (٦) (٥) (٤)
 (٧)

وبعده :

هَمُّوا يَهْجُرِي وَكَانَتْ فِي نَفْسِهِمْ . . . بَقِيَّةٌ مِنْ هَوَى بَاقٍ مَّا وَقَعُوا

وهما بيتان لاثالث لهما .

فالمعنى الجاسع بين البيتين عدم إقبال النفس على الشيء بعد انصرافها عنه ،
 أي ثبات النفس على ما استقر فيها .

فعمد معن بن أوس إلى أسلوب الشرط ، وبنى عليه المعنى ، فجاء بـ " إذا " ليؤكد
 دوام واستمرار انصرافه عن ذلك الشيء ، وقوله " لم تكد " تأكيد آخر لذلك الانصراف ،
 وتقدير الجار والمجرور " إليه " على الفعل " تقبل " حمل معنى الاستياء والتحقيقير
 لذلك الشيء .

أما العباس بن الأحنف ، فكان أروع تصويراً ، فقد استعان بالخيال ، واستسقى
 منه صورة الجبال الرواسي ، وجعلها رمزاً لذلك القلب المنصرف ، وحملها كل معاني
 العزة والإباء التي تختلج في نفسه ، فهو لم يكتفِ بذكر لفظ " الجبال " ، وإنما اتبعه
 بوصف " الرواسي " ، ليدل على متانة تلك الجبال وهذه المتانة ، وهذه الصلابة
 هي نفسه التي تنطوي على العزم القوي الجازم .

وأنظر إلى قوله " من أماكنها " ، وكيف أنَّ هذا القيد قد زاد في وصف الجبال
 بالرسوخ ، فصور بهذا القيد استحالة تحركها وزعزعتها .

(١) رواية الشعر والشعراء : " رد " .

(٢) رواية الشعر والشعراء : " عن " .

(٣) رواية الديوان والشعر والشعراء : " مواضعها " .

(٤) رواية الديوان : " من نقل " .

(٥) رواية الديوان والشعر والشعراء : " نفس " .

(٦) رواية الديوان والشعر والشعراء : " تنصرف " بالتاء .

(٧) انظر البيت في :-

ديوانه :- دار صادر :- ٢١١ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣٤ .

وبأربع الشاعر حين نكر لفظ " قلب " فدل على أنه قلب قوي ، فكل معاني القوة التي رسمتها صورة الجبال نراها قد تنثلت في تنكير لفظ " قلب " .
وقوله " حين " دل على العزم والسرعة في الانصراف والتعبير عن الانصراف بالجملة الفعلية دليل على تجدد وحدوث الانصراف منه مرة بعد مرة .

الشاهد التاسع بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول أمية بن أبي الصلت : (١)

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِّأَمْرِي؛ إِنْ أَصْبَحَتْ . . . يَخْتَرِ وَيَأْكُلُ الْعَطَاءُ يَزِينُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٤ .
(١) ذكر البكري في السط أنها للخريمي ، وبقية المراجع تثبت أنها لأمية بن أبي الصلت .

وأضاف صاحب الوساطة أنها تنسب ، لأمية ولغيره .

(٢) رواية الديوان والاشتقاق والموازنة والصناعتين والأغاني ، وديوان المعاني ، وشرح المصنوعون به على غير أهلهم ، وشعراء النصرانية : " إن حيوتهم " ، وهي أجدود ؛ لأن الحياء العطاء بلا منٍّ وَلَا جَزَاءٍ / اللسان " حيا " : ١٤ / ١٦٢ ، ورواية طبقات فحول الشعراء : " لا مريء يذل وجهه " واعتقد أنها خطأ لأن هذه الجملة كررت في البيت الثاني ، ورواية تاريخ ابن عساكر : " إن حيوتهم " .

(٣) رواية الديوان ، وديوان المعاني ، والأغاني : " ببذل " .

ورواية الصناعتين ، وشرح المصنوعون به على غير أهلهم : " يسيب " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٨٠ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦٥ ، الاشتقاق : ١٤٤ ، الوساطة : ٣١٤ ، الأغاني : ٨ / ٣٢٨ ، الموازنة - محمد محي الدين عبد الحنيد : ٩٣ ، الصناعتين : ٥٢ ، ديوان المعاني : ١ / ٤٦ ، سطر اللآلي : ١ / ٢٤٢ ، التبيان للعكسيري : ٤ / ٢٥ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ ، شرح المصنوعون به على غير أهلهم : ١٢٤ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣ / ١٢٧ ، شعراء النصرانية : ١ / ٢٢١ .

وبعد ، بيت آخر فقط :

(١)
وَلَيْسَ يَشِينُ لَامِرِي بِذُلِّ وَجْهِهِ . . . إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

وهما بيتان قالهما في عبد الله بن جدعان (٢)

ومعنى الشاهد :

" يقول عطاؤك زينة وشرف لمن يصل إليه عطاؤك وليس كل العطاء يزين بسبل
بعض العطاء يشين ، كما إذا أنعم اللئيم الخسيس غير ذي القدر والأصل ، وغير
ذي العلم والفضل ، ثم قال : وليس يعيب ونقصان لإنسان سؤال العطاء منك ،
كما يشين بعض السؤال ، وهو السؤال من اللئام ؛ لأنك من الكرام ، فكنتي عمن
السؤال ببذل الوجه ؛ لأن من سأل من غيره ، فكأنه امتهن وجهه .
قوله : " وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ " جملة حالية .

قليل هو من المديح الجيد في عبد الله بن جدعان * (٣)

ونظير هذا المعنى قول المتنبي :

وَقَبِيضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ . . . وَقَبِيضُ نَوَالٍ بَعْضُ الْقَوْمِ نَامٌ (٤)

ولقد ذكر القاضي الجرجاني أن المتنبي قد سفسف فيه . (٥)

وبيت أمية بن أبي الصلت جعله ابن الأثير من الضرب الخامس من السلسل ،

وهو أن يؤخذ بعض المعنى . (٦)

(١) رواية الوساطة :

" ليس بعار لأمري " .

(٢) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب

ابن لؤي بن غالب ، وكان ابن جدعان سيداً جواداً / انظر ترجمته :

الأغاني : ٣٢٧-٣٣٣ .

(٣) شرح المصنوع به على غير أهله : ١٧٤ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٧٥ .

(٥) الوساطة : ٣١٤ .

(٦) المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .

(البسيط)

.. مع قول أبي تمام :

تَدْعِي عَطَايَاهُ وَفَرًّا ^(١) وَهِيَ إِنْ شَهَرَتْ .: كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ ^(٢) مُؤْتَفَا ^(٣)
 مَازَلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً عَنَّا ^(٤) .: حَتَّى رَأَيْتُ سَوَالًا يَجْتَنِي شَرْفًا ^(٥)
 وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح بها أبا دلف العجلي ^(٦) ، ومطلعها :

- (١) الوتر : المال الكثير / الصحاح " وفر " : ٢ / ٨٤٧ .
 (٢) يعفوه : العافي السائل والطالب . / اللسان " عفا " : ٧٤ / ١٥ .
 (٣) مؤتفا : استأنف الشيء ، وائتنته أخذ أوله وابتدأه ، وقيل استقبله . / اللسان
 " أنف " : ١٤ / ٩ .
 (٤) رواية الموازنة والمثل السائر : " زمتا " .
 (٥) انظر البيت في :
 ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ديوانه - دارصعب
 ١٧٨ ، الموازنة : ٩٣ - ٢٩٧ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .
 (٦) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم أمير
 الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الأمراء الأجواء الشجعان الشعراء ، قلده
 الرشيد العباسي أفعال " الجبل " ، ثم كان من قادة جيوش المأمون ،
 وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ، وللشعراء فيه أماديح ، وله مؤلفات منها
 " سياسة الطوك " و " البراة والصيد " وهو من العلماء بصناعة
 الفناء يقول الشعر ويلحنه ، توفي ببغداد ٢٢٦ هـ / انظر
 ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ١٧٠ - ١٧٩ - ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، أخبار أبي تمام : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٢ ،
 معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٤ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٤١٦ - ٤٢٣ ،
 سبط اللاكي : ٣٣١ ، نهاية الأرب : ٤ / ٢٤٩ ، الأعلام : ٥ / ١٧٩ .

أَنَا الرَّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَنَ مَاسَلَفًا .: فَلَا تُكْفَنَ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا

وقبل الشاهد :

(١)

قَصْدُ الْخَلَائِقِ إِلَّا فِي نَدَى وَوَعَى .: كَلَاهَا سُنَّةً مَالَمَ يَكُنْ سَرَفًا

وبعد الشاهد :

يَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ .: عَزَمًا وَيَنْجِزُ إِنْجَارَ الَّذِي حَلَفَا

ومعنى الشاهد : يقول : عطاياه وفرأي مال ، فإذا شهِرت كانت فَخْرًا
للمُعطي ، وهذا على سبيل الدَّعوى من المادح ، لأنَّ الْمُعْتَفَى لافْخَرَلَهُ في أخذ
الرَّفْد ، ويجوز أنْ يعني سَعَة العطية ، وَأَنْهَا تُكِنَّ أَخْذَهَا أَنْ يُعْطَى ويتكرم ، فيؤدى
ذلك إلى الفخر * (٢)

ذكر الأتدي : أَنَّ الْبَحْتَرِي أَخْذَ الْبَيْتِ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

وإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُّونَ فَلَيْتَهُ .: يَهَبُ الْعُلَى فِي سَيِّمِهِ الْمَوْهُوبِ (٣)

وذكر كذلك أَنَّ أَبَا تَامٍ أَخْذَ الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْ قَوْلِ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِمَرِيءٍ إِنْ حَيَوْتَهُ (٤)

ورأى ابن الأثير أَنَّ أَخْذَ أَبِي تَامٍ هَذَا مِنَ الضَّرْبِ الْخَامِسِ مِنَ السَّلْحِ (٥) ورأى أَنَّ
أُمِيَّةَ فَاقَ أَبَا تَامٍ ؛ لِأَنَّهُ أَتَى بِمَعْنِيَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَهُوَ أَنَّ عَطَاءَ الْمَدُوحِ زَيْنٌ ، وَالْآخِرُ
أَنَّ عَطَاءَ غَيْرِهِ شَيْنٌ ، أَمَا أَبُو تَامٍ فَإِنَّهُ أَتَى بِالْمَعْنَى الْأُولَى لِغَيْرِهِ (٦)

فالمعنى المشترك هو مدح المدوح بوقرة العطاء الذي يشرف أخذه لكونه من

كريم نبيل .

(١) الْقَصْدُ : بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ ، وَالْقَصْدُ الْعَدْلُ / الصَّحَاحُ " قَصْدٌ " :

٢٥٢٥ / ٢

(٢) ديوان أبي تَامٍ بشرح التبريزي : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) الموازنة - محمد مخي الدين عبد الحميد - : ٢٩٧ .

(٤) المرجع السابق : ٩٣ .

(٥) وهو أَنَّ يُؤْخَذَ بَعْضُ الْمَعْنَى / المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٣ / ٢٤٦ .

(٦) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٦ - ٢٤٧ - ٢٤٦ .

إلا أن صيغة البيتين قد تباينت ، فأمية بن أبي الصلت مدح عطاء مدوحه بأنسه زين ، وأن عطاء غيره شمين وبدأ البيت بالجملة الاسمية " عطاوك زين " ؛ ليدل على ثبوت ذلك العطاء وزينه .

ويبدولي أن مجيء الشرط بـ " إن " تقصير في المدح ، حيث جعل عطاء مدوحه غير موثوق فيه ، وغير مجزوم به ، وأن إصابته المرء بالخير أمر نادر ، ولو أنه استعمل " إذا " لكان أؤكد في العطاء وكثرته .

وتدبيل البيت بقوله " وماكل العطاء يزين " زيادة تأكيد لعطاء مدوحه . أما أبو تمام فقد أحسن وأجاد حيث قرر أن عطايا مدوحه يسميها الناس " وقرأ " أبي غنّى ، وهذا دليل على كثرة عطاءه ، فبناء الفعل " تدعى " للمجهول دلّ على كثرة من يدعوها وقرأ ، وهذا دليل على كثرة المعتنفين .

ويبدولي أن أبا تمام قد قصّر أيضاً في بيان مدى اشتهاار هذه العطايا حين استعمل " إن " الشرطية التي من شأنها عدم الجزم بوقوع الشرط ، فكأن أمر اشتهاارها غير واقع ، فلو أنه استعمل " إذا " لكان أفخم وأدل على الاشتهاار والفخار ، ولظهر أن أمر اشتهاارها أمر مجزوم بوقوعه .

وسيت أبي تمام الثاني ، فيه تشويق حرك النفس ، وجعلها تستشرف وتتطلع لمعرفة تلك الأعجوبة التي ظل الشاعر ينتظرها .

وانظر إلى مجيء " حتى " هنا وكيف أيقظت الأسماع وشدت الانتباه لمعرفة تلك الأعجوبة .

ثم أنظر كيف استطاع أبو تمام أن يكشف للنفس تلك الأعجوبة بصياغة أعجيب ، فقد جعل العبارة حية متحركة مشاهدة .

فالسؤال كائن حي يري بالعين " حتى رأيت سؤالاً " والسؤال عامل نشط دائم في اجتناء الشرف ، وقوله " يجتبي " بعثت روح الحركة والعمل الدائب في البيت ، فدلت على أن المدوح دائم العطاء .

(الطويل)

الشاهد العاشر بعد الثلاثاء : (*)

(١)

• قول جرير :

(٢)

بَمَشَّنَ الْهَوَىٰ ثُمَّ آزَتْنَيْنِ قُلُوبَنَا . . . بِأَسْهَمٍ (٣) أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدْرِي (٤)
والبيت من قصيدة له في مدح الحجاج ، (٥) مطلعها :

يَتَأَزَّيَّي صَاحِبِي تَجَلَّدًا . . . وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكَ طُوقُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٥ .

(١) تُسبب البيت في زهر الآداب لمزاحم العقيلي ، ونُسب في الحامسة

البصرية لذي الرمة ، وهو غير موجود في ديوانه .

(٢) رواية ديوان جرير ، وديوان المعاني :

" دعين الهوى "

ورواية زهر الآداب : " قضين "

ورواية شرح شافية ابن الحاجب والحامسة البصرية : " دَعُون " .

(٣) رواية شرح شافية ابن الحاجب ، وشرح جمل الزجاجي :

" بِأَعْيُن " .

ورواية بأسهم أجمل وأدق ؛ لأنهم تعبر عن قوة تلك الأعين وشدتهم .

(٤) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٩٨ ، الخصائص : ٢ / ٤١٢ ، الوساطة : ٢٠٦ ، ديوان

المعاني : ٢ / ١٨١ ، زهر الآداب : ١ / ٩٤ ، شرح جمل الزجاجي :

١ / ٤٢١ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ١٣٨ ، الحامسة البصرية :

٢ / ١٧٧ .

(٥) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أمه الفارعة بنت همام

ابن غروة بن مسعود الثقفي ، تقلد جيش عبد الملك بن مروان ، واشتط

في الأمر ، وحارب ابن الزبير ، وقتله ، وولي أمر الكوفة ، والعراق ، واستطاع

أن يخضع أهلها ، كان فصيحاً حسن البيان (ت : ٩٥٥ هـ) بمدينة

واسط ودفن بها . / انظر ترجمته :

وفيات الأعيان : ٢ / ٢٩ - ٥٤ .

وقبل الشاهد :

أَعَالِجْ بَرَحًا مِنْ هَوَاكِ وَشَفِّئِي . . . فَوَائِدُ إِذَا مَا تَذَكَّرِينَ خَفُوقُ
أَوَانِسُ أَمَا مِنْ أَرْضَنْ عَنَاءَهُ . . . فَعَانِ وَمِنْ أَطْلَقَنْ قَهْوُ طَلِيْقُ

وبعدهما الشاهد وبعد :

عَجِبْتُ مِنَ الْغَيْرَانِ لَمَّا تَذَارَكْتُ . . . جَمَالُ يَخَالِجُنَ الْبُرَيْنِ وَنُوقُ^(١) ^(٢)

••• مع قول أبي نواس : (الطويل)

إِذَا أَتَيْتُ الدُّنْيَا لِيَبِّبَ تَكْشَفَتْ . . . لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي رِيَابِ صَدِيقِ^(٣) (٤)

وهو أحد أبيات خمسة مطلعها :

أَيَّارِبَ وَجِعْ فِي الثَّرَابِ عَتِيقِ . . . وَيَارِبَ حُسْنِ فِي الثَّرَابِ رَقِيقِ

(١) يخالجن : خَلَجَهُ يَخْلِجُهُ خُلْجًا وَاخْتَلَجَهُ إِذَا جَذَبَهُ وَانْتَزَعَهُ / الصحاح
" خلع " : ١ / ٣١١ .

(٢) الْبُرَيْنِ : جمع بُرَّة وهي الحَلَقَةُ في أَنْفِ البعير، وقيل هي الحلقة من
صُفْرِ أو غيره تجعل في لحم أنف البعير، وقيل تجعل في أحد جانبي
الْمَنْخَرَيْنِ / اللسان " بري " : ١٤ / ١٧ .

(٣) رواية عيون الأخبار : " إِذَا اخْتَبَر " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : (٦٢١ ، عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، ذيل الآمالي : ٩٣ ،
الوساطة : ٢٠٦ ، الصناعتين : ٥٠٩ ، ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ ،
الإعجاز والإيجاز : ١٦٢ ، التشيل والمحاضرة : ٧٩ ، الإبانة عن سرقات
المتنبي : ١٠٨ ، شرح مقامات الشريشي : ١ / ٢٧٢ ، زهر الآداب :
١ / ٩٤ ، المحاسن والمساوي : ٣٦٤ ، بهجة المجالس : ٣ / ٢٩٥ ،
المثل السائر : ٢ / ١٤٩ ، شرح المضمون به على غير أهله : ٤٣ ، نهاية
الأرب : ٣ / ٨٣ .

وقيل الشاهد :

(١)
أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَابْنُ هَالِكٍ . . . وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٍ
فَقُلْ لِغَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَايِرٌ . . . إِلَى مَنَزِلٍ نَائِيٍ الْمَحَلِّ سَحِيقٍ

وبعدهما البيت وهو آخر القصيدة :

• ذكر أن بيت أبي نواس هو أصدق ما وصفت به الدنيا ، (٣) وأن المأسون
- وقيل أبو العتاهية - (٥) قال :

لو سئلت الدنيا أن تصف نفسها لما وصفتها بفوق هذا الوصف .

ونذكر القاضي الجرجاني وأبو هلال العسكري أن البيت مأخوذ من قول جرير

في وصف النساء :

دَعَيْنَ الْهَوَى ثُمَّ أُرْتَمِينَ قُلُوبَنَا . . . البيت السابق .

ونذكر ابن عبد البر (٦) أنه مأخوذ من قول أبي العتاهية :

وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا وَكَشَفَنِي لَا هَلِيمَهَا . . . فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ صَفَائٍ وَعَنْ صِدْقٍ (٧)

استشهد به أبو هلال العسكري في الصناعتين في الفصل الثاني من الباب

العاشر في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل . (٨)

(١) رواية زهر الآداب : ١ / ٩٣

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذَا نَسَبٍ . . .

(٢) يريد بالمنزل هنا القبر .

(٣) ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ .

(٤) عيون الأخبار : ٢ / ٣٢٢ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٢ ، المحاسن والمساوي : ٣٦٤ .

(٥) نيل الأمالي : ٩٣ .

(٦) بهجة النجالس : ٣ / ٢٩٥ .

(٧) ديوانه : ١٢١ .

ورواية الديوان : " فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ وَفَاءٍ وَلَا صِدْقٍ " .

(٨) قال : " والضرب الثالث أن تكون الفاصلة لا ثقة بما تقدمها من ألفاظ الجزم " .

من الرسالة أو البيت من الشعر ، وتكون مستقرة في قرارها ، وتستكنة في موضعها ،
حتى لا يسد مسد ها غيرها ، وإن تكن قصيرة قليلة الحروف " / الصناعتين : ٥٠٨ .

وذكر أن كلمة " صديق " وقعت موقعاً جيداً ؛ لأن معنى البيت يقتضيها ، وهو محتاج إليها .

قال : " والصديق - ها هنا جيد الموقع ؛ لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو محتاج إليه " . (١)

واستشهد به ابن الأثير في تشبيه المفرد بالمركب . (٢)
ومعنى الشاهد :

" إذا اختبر الدنيا عاقل ظهرت الدنيا لأجل ذلك العاقل عن عدو وهو لابس ثياب الصديق أي إذا تأمل الدنيا عاقل علم أن الدنيا ظاهرها صداقة وموافقة ، وباطنها عداوة ظاهرة ، ومخالفة بينة ، ما خالط مع أحد إلا وقد تركه ، وامترج مع عدوه كذا كان حال الدنيا الدنية إنها شرك الردي ، ولا ينفع منها أبداً " (٣)

فالصورة المشتركة في البيتين صورة العدو في ثياب الصديق ، فجير جعل هذا ، الصورة معنى غزلياً ، أما أبو نواس ، فجعلها في آستان الدنيا واختارها .
فجير يتحدث في بيت الشاهد عن جماعة من الأوانس اللاتي ذكرهن في البيت قبله ، فهو لم يصرح بأن صاحبه ترميه رمي الأعداء ، وإنما جعلها من جماعة حالهن ذلك تطفأً وتحبباً .

ولعله جعل الحديث في بيت الشاهد بصورة الجمع مع أنه أفرد صاحبه بالحديث في المطالع وقبل الشاهد ؛ ليثبت أن حاله معها حال عامة متكررة مع كل فرد يعاني ما يعانيه .

فهو يريد أن يؤكد استقرار هوى المحبوبة في نفسه ، وكيف أن نظراتها القويمة الحادة كانت الباعث القوي لهذا الاستقرار انظر إلى قوله : " بعثن الهسوى "

(١) المصدر السابق : ٥٠٩ .

(٢) المثل السائر : ١٤٩ .

(٣) شرح المصنفون به على غير أهله : ٤٣ .

وما فيه من تصوير رائع لاستحكام هواها في قلبه حيث جعل الهوى كائناً حياً يُعْمَلُ ويتحرك . فحبها مبعوث في نفسه يتحرك في حنايا صدره .

ثم أنظر إلى قلبه " ثم " وما دلت عليه من مكوث ذلك الهوى زمناً في نفسه حتى استحکم وتكن .

وقوله : " ارتين " دل على شدة ذلك الرمي ، فهذا الفعل بهذا التركيب يحمل معنى التمكن والسيطرة والاقتدار ، فهو أدل على هذه المعاني من الفعل " رمين " لما فيه من زيادة المعنى .

وقوله " قلوبنا " يحمل معنى الاستسلام والضعف ، وقوة ذلك الهوى . وفي تشبيه العين بالسهم ، وإضافة السهم للعدو ما يظهر غرابة تلك النظرات وقوتها .

وقوله : " وهن صديق " يشيع في النفس كوامن الإحساس بالغرابة ، ويوقظ فيها عنصر المفاجأة ، فذلك الرمي بالسهم ، والتمكن في الرمي ، والاقتدار عليه صادر من صديق .

وأنظر إلى تنكير " صديق " ، وكيف دل على أنه صديق حميم ذو مكانة ، وأنه أعز وأحب صديق .

أما أبو نواس فمعنى بيته : أن الدنيا ظاهرها الاطمئنان والأمان كما يطمئن الشخص إلى صديقه ، ومواطنها عدااء محض .

فالدنيا لا بد من امتحانها امتحاناً دائماً ، وأن لا يغفل الإنسان عن هذا الاختبار ، فاكتشاف أمرها ، والوقوف على حالها ، وعدم الاغترار بها لا يستطيعه إلا من أوتي الحكمة والحنكة والصبر الدائم .

ووصف المستحق بكونه " لبيب " دليل على ندرة الواقفين على حقيقتها ، وأن أكثر الناس منخدعون بمظهرها إلا اللبيب ذو الحنكة .

وقوله " تكشف " حيث جاء بالجملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى الدنيا مسبوق بأداة الشرط " إذا " ، فيه غرض لأمر الدنيا وزينتها ، وزخرفها أمر زائل

فجرد أن يطلع عليها اللبيب الغطن تتعزى من تلقاء نفسها وتنقشع وتزول أمام عينه بسهولة ويسر .

فهذا التركيب تركيب متكن فيه دلالة القوية على المراد منه .

وفي قوله : " له " قيد دل على كثرة المنخدعين بها ، وأنها مأكدة خادعة لا يمكن أن يقف على زيغها ، ولا يمكن أن تتكشف إلا لذلك اللبيب .

وأنظر إليه كيف جسد صورة المكر والخديعة ، وأكدها في الأذهان حيث شبه الدنيا بإنسان سيء المخبر حسن المظهر جميل الشباب ، يخدع الناظر بمظهره ، ويذهب عن لبه أن هذا الإنسان هو ألد أعدائه ، وهكذا الدنيا تُبهر الناظر بزِينتها وزخرفها ، وتصرفه عن النظر إلى حقيقتها ، وفي هذا قمة الخديعة .

الشاهد الحادي عشر بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول كثير :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خَلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا . (١) (٢) (٣) (٤) أَتَيْنَا وَقَلْنَا الْحَاجِبِيَّةَ أَوَّلُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥١-٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٥ .
(١) رواية عيون الأخبار ، والمحاسن والأضداد ، أخبار أبي تمام ، والموازنة والخزانة للبغدادي ، ومحاضرات الأدباء : " إذا وصلتنا " ، ورواية تزيين الأسواق : " ما أتينا " .

(٢) الخَلَّة : بالضم : الصديقة والصاحبة / اللسان " خلل " : ٢١٢ / ١١ .

(٣) رواية عيون الأخبار وتزيين الأسواق : " كي تزيلنا " .

ورواية الموازنة وخزانة البغدادي : " كي تزيلها " .

ورواية أخبار أبي تمام : " لتزيلها " .

ورواية التشيل والمحاضرة : " أن تريدنا " .

ورواية بهجة المجالس : " تستيلنا " .

ورواية بديع أسامة : " أن تزورها " .

(٤) رواية محاضرات الأدباء : " عرضنا " .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٥٥ ، الشعروالشعراء : ٥١٥ / ٢ ، عيون الأخبار : ٤ / ١٠ / ٢٨ .

وهو من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (١) ، مطلعها :

صَحَا قَلْبُهُ بِأَعَزِّ أَوْكَادَ يَدْ هَسَلٍ . . وَأَضْحَى يَرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَبَدَّلُ

وقبل الشاهد :

إِذَا قُلْتُ أَشْلُو غَارَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ . . غِرَاءَ وَمَدَّتْهَا مَدَامِعُ حَقْلٍ

وبعدها الشاهد وحده :

سَتُولِيكَ عِرْفًا إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا . . وَنَحْنُ لِنُطْلِكَ الْحَاجِيَّةَ أَوْصَلَ

ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء مناسبة الشاهد ، فقال :

” بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير ، فقالت له : يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة ، وليست على ما تصف من الحسن والجمال لو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ، أو مثلي ، فأنا أشرف ، وأوصل من عزة ، ولأنا جريته بذلك ، فقال :

إِذَا تَأَزَّزَتْ خَلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا . . أَبَيْنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ ” (٢)

• • مع قول أبي تمام (٣) (الكامل)

نَقَلَ قُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى . . مَا الْحَبِّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ (٤)

المحاسن والاضداد : ١٢٤ ، أخبار أبي تمام : ٢٦٤ ، الموازنة - محمد محي الدين

عبد الحميد - : ٦١ ، الصناعتين : ٢٢٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٧٢ ، محاضرات

الأدباء : ٢ / ٣ / ٥٠ ، بهجة المجالس : ٨٢٥ / ٢ ، بدیع أسامة بن منقذ : ١٩٨ ،

تزيين الأسواق : ٤٠ ، خزنة البغدادي - دار صادر - : ٣٨٢ / ٢ .

(١) سبقت ترجمته : انظر : ٥١٩ .

(٢) الشعر والشعراء : ٢ / ٥١٥ .

(٣) ذكر في موضع من محاضرات الأدباء أنه لأبي الشيبان / انظر :

محاضرات الأدباء : ٢ / ٢ / ٢٣٠ .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢٥٣ / ٤ ، ديوان أبي تمام - دار

صعب - : ٤٠٧ ، البيان والتبيين : ٣ / ٣١٣ ، الخصائص : ١٧١ / ٢ ، أخبار =====

وهو أحد أبيات أربعة أولها :

الْبَيْنُ جَرَّعَتِي نَفِيعَ الْحَنْظَلِ . . وَالْبَيْنُ أَكْلَتِي وَلِنْ لَمْ أَكْمَلِ

وقبل الشاهد :

تَاخَسَّرَتِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا . . حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَكْمَلِ

وبعد، الشاهد وبعد :

كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى . . وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلٍ

ذكر الصولي والآدي أَنَّ هناك من قال بأن أبا تام أخذ معنى بيته من قول

ابن الطثرية :

أَتَانِي هَوَاهَا قِيلَ أَنَّ أَثْرَفَ الْهَوَى . . فَصَادَقَ قَلْبًا قَارِعًا فَتَشَكَّنَا (٢)

ورأى الآدي أن قول ابن الطثرية أجود ما قيل في هذا المعنى ، لأنه ذكر

العلقة . (٣)

ورأى الصولي والآدي أَنَّ قول أبي تام أشبه بقول كثير ، ومنه أخذ . (٤)

ورأى أبو هلال العسكري أن قول أبي تام أبين وأدخل في الأمثال من قول

كثير . (٥)

== أبي تام : ٢٦٣ ، الموازنة - محمد يحيى الدين - : ٦٠ ، الصناعتين : ٢٢٤ ،

٤٧٢ ، التشيل والمحاضرة : ٩٤ ، ٢٠٩ . محاضرات الأدباء : ٢٣ / ٣ / ٢ ،

٥١ ، المحاسن والمساوي : ٣٠٤ ، تحرير التحرير : ١ / ٢١٩ ، نهاية

الأرب : ٣ / ٩٤ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٢٢٩ ، تزيين الأسواق : ٣ .

(١) رواية الديوان : " خالياً " .

(٢) ديوانه : ١٠٩ .

(٣) الموازنة : ٦١ .

(٤) أخبار أبي تام : ٢٦٣ ، الموازنة : ٦١ .

(٥) الصناعتين : ٢٢٤ .

ونذكره الشعالي على أنه من الأمثال السائرة للمحدثين . (١)
ونذكر أسامة بن منقذ أن أبا تمام أخذ بيته من قول كثير، إلا أنهما متساويان في
الحسن ، فذكرهما في باب المساواة ، وهو مساواة الآخذ منه للآخذ عنه ، والأول أحق
به ، لأنه ابتدع ، والثاني اتبع ، فالأول سابق ، والثاني لاحق . (٢)
فالمعنى الجامع بين البيتين أن القلب ثابت على الحب الأول . فإذا نظرنا
إلى البيتين وجدنا أن كل مادل عليه بيت كثير أنه إذا أراد تسمية من المحبات
أن تزيل ما في النفس من محبة للحاجبية ، أثبت النفس ذلك لأن حب الحاجبية هو
أول حب طرق القلب .

وتركيب البيت لا يخلو من بعض اللطائف ، فجميعه بضمير الجمع " تزيلنا - أبينا -
قلنا " ، وكذلك مجيء " إذا " الشرطية ، يكشف عن قوة إحساس بالمعنى السني
يمور في نفس الشاعر ، فهو عازم ، جازم مصمم على الوفاء للحاجبية ، لكنه ضعف حين
قال : " سنوليك وصلاً . . . البيت " فليس هذا شأن المحب الصادق .
فبيد وأنه طمع في عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها ، وكانت من
أعفهن ، ولكن لعله كان يأمل في الحديث معها ، فهذا شرف عظيم له ، وأياً ما كان
فالمحب الصادق المحبة لا يفكر في غير من يحب .

وقول كثير هذا لا يداني معنى أبي تمام اتساعاً وحركةً أنظر إلى حركة تنقيـل
الفؤاد التي أتى بها أبو تمام ، واختياره لفعل الأمر " نَقَلَ " وما فيه من ثقل الحركة ،
وما يدل عليه من معنى التعجيز ، فتحول الفؤاد ، وتغير النفس من أشق الأمور
وأصعبها .

وقوله : " حيث شئت من الهوى " فهذا الإطلاق وهذه الحرية في التنقل فسي
أرجاء الهوى دليل وحجة على ضعف النفس وعجزها ، فالقلب مهما تنقل في الهوى

(١) التشيل والمحاضرة : ٩٤ .

(٢) بديع أسامة : ١٩٤ .

فلن يجد مستقره إلا في الحب الأول وتأمل كيف جاء الشاعر بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، وهو من أشد أساليب التوكيد وأقواها ، ليثبت ويؤكد المعنى الذي يشيع في نفسه ، والذي يحس به إحساساً كاملاً ، فالحب الذي فتق أكام المشاعر ، وأيقظ الأحاسيس النابضة في القلوب هو الذي يَشْكُنُ الفؤاد ، ويقيم فيه ، ولا يمكن أن يتحول عنه .

وقد حصل بين أبي تام وبعض الشعراء اختلاف على هذا المعنى فقال ديك

الجن :

كَذَّبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا أَنَّ الْهَوَى . لَا شَكَّ فِيهِ لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
(١) مَالِي أَجِنٌ إِلَى خَرَابٍ مُقْفِرٍ . . . دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَن لَمْ يُؤْهَلِ (٢)

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن :

كَذَّبَ الَّذِينَ تَخَرَّصُوا فِي قَوْلِهِمْ . . . مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
أَفْطَيْبٍ فِي الطَّعْمِ مَا قَدْ نَفَقْتَهُ . . . مِنْ تَأْكُلٍ أَوْ طَعْمٍ تَالَمْ يُؤْكَلِ (٣)

فقال ديك الجن أيضاً حين بلغه قول أبي تام :

أَرْغَبَ عَنِ الْحُبِّ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ . . . وَعَلَيْكَ بِالْمُسْتَأْنَفِ الْمُسْتَقْبَلِ
نَقَلْنَاوَدَكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى . . . كَهَوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْضَلٍ مُقْبِلِ (٤)

ثم ذكر الشيخ الأنطاكي صاحب تزيين الأسواق أن أبا البرق سلك بينهما جادة

الإِنصاف ويقوله يجب الاعتراف بأنه أحسن في المقال حيث قال :

رَأَدُوا عَلَى الْمَعْنَى فَكَلُّهُ مُحْسِنٌ . . . وَالْحَقُّ فِيهِ مَقَالَةٌ لَمْ تَجْهَسْ لِرِ
الْحُبِّ لِلْحُبُوبِ سَاعَةً وَصَلِهِ . . . مَا الْحُبُّ فِيهِ إِلَّا خَيْرٌ وَلَا يُؤْكَلِ (٥)

(١) رواية الديوان " مَا إِنْ أَجِنٌ " .

(٢) الديوان : ١٨٤ - البيت الثاني فقط .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) لم أجده في ديوانه .

(٥) تزيين الأسواق : ٤٠ .

ويبدو لي أن الأنطaki لم يصب في حكمه بحسن المقال لأبي البرق بل الفیصل
في هذا أن الحب الأول إذا كان صادقاً فلا تحول عنه، وإنما يحسن الحب بالوصل
لمن يطلب المتعة، ولمن شأنه التنقل دون أن يملك عليه الحب نفسه .
وديك الجن ليس صادقاً في قوله ؛ لأنه ظل وفياً لصاحبه حتى بعد أن قطبها
وظل يكيها طوال حياته .

الشاهد الثاني عشر بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول المتنبى :

وَعِنْدَ مَنْ يَوْمَ الْوَفَاءِ لِمَا حِطَّ . شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخْوَانَ (١)
وهو من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي^(٢) على كافور الإخشيدي، وقتله
بدشق سنة ثمان وأربعين وثلاثاء (٣) ، ومطلعها :
عَدُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ . وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَسْرَانِ
وقبل الشاهد :

أَتَشِيكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدَ عَاقِلٍ . وَتَشِيكَ فِي كُفْرَانِهِ يَعْنَانِ
وَيَزَكُّ مَا أَوْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ . وَيَزَكُّ لِلْمُضَيَّانِ ظَهَرَ حِصَانِ
وبعدهما بيت وبعد الشاهد وبعد :

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَتُكَّ أَوَّلٌ . وَلَيْسَ يَقَاضِي أَنْ يَرَى لَكَ ثَانِي
يقول الشاعر :

أنه لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى الناس غادر مثله مثل شبيب في الغدر
قال المعكري :

(*) الدلائل، ٢٧٩، خفاجي، ٤٥٢، شاکر، ٤٩٥ .

(١) لم أجده إلا في :

ديوان المتنبى بشرح المعكري : ٤ / ٢٤٦، العرف الطيب : ٤ / ٦٠٢ .

(٢) سبقت ترجمته : ١١٠ .

(٣) العرف الطيب : ٤ / ٥٩٨ .

* لم يبق في الناس واحد لمن يصحبه أي من يفي لصاحبه يومنا هذا ، وأوفى الناس غادره ، كشبيب في الغدر * (١)

.. مع قول أبي تمام : (الطويل)

(٢) فَمَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَّهَا . : سَجِيَّة نَفْسٍ كُلُّ غَائِيَةٍ هِنْدُ (٣) (٤)

وهو من أبيات قالها في مدح محمد بن الهيثم بن شبابه ، (٥) مطلعها :

تَجَرَّعَ أَسَى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرْعُ الْفَسْرُ (٦) . وَدَعَّ حِصِي عَيْنٍ يَحْطِيبُ نَاءَهَا الْوَجْدُ

وبعد ، أبيات قبل الشاهد :

إِذَا آنَصَرَفَ الْمَحْزُونُ قَدْ قُلَّ صَبْرُهُ . : سَوَالِ الْمَغَانِي فَالْبِكَاءُ لَهُ رَدُّ (٧)

بَدَتْ لِلنَّوَى أَشْيَاءٌ قَدْ خَلَّتْ أَتْهًا . : سَيِّدُ (٨) أَبِي رَبِيبُ الزَّمَانِ إِذَا تَبَدُّو

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العسكري : ٤ / ٢٤٦ .

(٢) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي : * ولا * .

(٣) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي : * سجية طبع * .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٨١ ، ديوان أبي تمام - دار

صعب : ١٠٧ ، الخصائص : ٣ / ٢٧١ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٤٥ ،

بهجة المجالس : ٣ / ٥٥ .

(٥) هو محمد بن الهيثم بن شبابه الخراساني ، ذكر المسعودي أن له كتاباً عنوانه

* كتاب الدولة * ولا يبي تمام والبحثري ، مدائح فيه . / انظره

مروج الذهب : ١٣ / ١ ، أخبار أبي تمام : ١٨٨ ، أخبار البحثري للصولي : ١٥٣ ،

١٦٤ ، ١٥٦ .

(٦) الجرعة والجرجاء : ما سهّل من الأرض ، / القاموس المحيط (جرع) : ٣ / ١٢ ،

والأسى : الحزن / اللسان * أسا * : ١٤ / ٣٤ - ٣٥ .

(٧) رَدُّ : معين / الديوان بشرح الخطيب : ٢ / ٨٠ ، اللسان ردد : ٣ / ١٧٤ .

(٨) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : * سسيديوني * .

نَوَى كَانْقِصَا فِي النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً . . . مِنْ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنْ هَزَلَ النَّوَى حَيْدُ^(١)

وبعد هذا الشاهد وبعد :

وَقَالُوا أَسَى عَنْهَا وَقَدْ خَصَمَ الْأَمْسَى . . . جَوَانِحُ شَتَايَ إِذَا خُوصِمَتْ لُسْدُ^(٢)

ذكر ابن جني أن الطائي قد أحسن في استخلاص الصفة من العلم ، قال :

* وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير ، فأحسن فيه ، واستوفى معناه ، فقال :

فَلَا تَحْسَبَا هُنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَخَدَهَا . . . سَجِيَّةَ نَفْسٍ كُلِّ غَائِيَةٍ هُنْدُ

فقلوه * كُلِّ غَائِيَةٍ هُنْدُ * مثناه في معناه ، وأخذ لأقصى مداه ألا ترى أنه كأنه

قال : كُلِّ غَائِيَةٍ غَادِرَةٍ أَوْ قَاطِعَةٍ أَوْ خَائِنَةٍ ، أو نحو ذلك * (٥)

وذكر العميدي^(٦) أن أبا تمام أخذ معنى بيته من ذلك الجن . حيث يقول

(طويل) :

أَخَا الرَّأْيِ وَالْتَدِيرِ لَا تَرْكِبِ الْهَوَى . . . فَإِنَّ الْهَوَى يُرِيدُكَ مِنْ خَيْثُ لَا تَدْرِي

وَلَا تَتَقَنَّ بِالْغَائِيَاتِ وَلَوْ وَقَفْتُ . . . وَقَاءُ الْغَوَائِسِ بِالْمُهَوِّدِ مِنَ الْغَدْرِ (٧)

وقال المتنبي :

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنًا وَفَتَّ يَعْهَدِيهَا . . . فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ (٨)

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب : * الهوى .

(٢) أَسَى عنها : اصبر صبرا ، والأَمْسَى : التعزى والتصبر / اللسان * أسأ : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب : * خاصمت .

(٤) وذلك في * باب في الاستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف * ، ومنه قولهم نفسي

الخبر إنما سَمَّيْتُهَا نَتًّا لَتَهْنَأُ ، وعليه جاء نايضة ، لأنه نبع فُسْتَيَّ بذلك ، فهذا

لمعري صفة غلبيت ، فبقي عليها بعد التسمية بها بعض ما كانت تفيد من معنى

الفعل من قبل ، وعليه مذ هب الكتاب في ترك صرف أحمر إذا اسْتَيَّ به ثم نكَّر ،

وقد ذكرنا ذلك في غير موضع إلا أنك على الأحوال قد انتزعت من العلم معنى

الصفة ، وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير فأحسن فيه . . . / الخصائص : ٣ / ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٤٥ .

(٧) ديوانه : ١١٥ ، رقم (٢٢) .

(٨) ديوان أبي الطيب بشرح المعكيري : ٢ / ٤٠ .

(١) ولمحمد بن سوار:

يَقُولُونَ هِنْدٌ لَا تَدْرِمُ وَزَيْنَبٌ . عَلَى الْعَهْدِ كُلِّ النَّاسِ هِنْدٌ وَزَيْنَبٌ
تَطْلُبْتُ وَنَدًّا لَا يَكُونُ لِعِلَّاسَةٍ . فَأَعُوزُنِي وَجِدَانُ مَا أَتَطَلَّعُ
وَحَاوَلْتُ سَنَ يُوْفِي بِعَهْدِهِ فَلَمْ أَجِدْ . كَأَنَّ الَّذِي حَاوَلْتُ عَقْفًا مُغْفِرِبَ (٢)

فالمعنى الجاسع بين الشاهدين هو تَفَشَّى الغدر في النفوس إِلَّا أَنْ لِكُلِّ مَنْ

الشاعرين طريقة خاصة في التعبير .

فالمعني بنى بيته على الاستفهام " وَعِنْدَ سَنِ الْيَوْمِ الْوَفَاءُ لِصَاحِبِهِ " والاستفهام هنا يلاسن العصب الحساس في المعنى ، فنفس الشاعر مفعمة بإحساس الخيانة والغدر ، وهذا الاستفهام الإنكاري أبرز هذا المعنى وجسّد هذا الإنكار ، وكذلك ساعد تقدير الظرف " عند " على المبتدأ " الوفاء " في إبراز المعنى ، لأن هذه العنصرية هي لب المعنى وأساسه .

و تتكبر لفظ "صاحب" يظهر ماعليه الناس من التقليل لشأن الصّحبة ، والاستهانة بها ، فكأن هذه الاستهانة أصبحت سمة في الناس جيلوا عليها ، فأكثر الناس شهرة بالوفاء تنطوي نفسه على الخيانة والغدر ، وجاء بشبيب وجعله نموذجاً بشرياً للغدر . أما بيت أبي تمام ، فهو من حر الكلام وفاخره ، فقد جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فهو لم يقتنع بالقول بأن أوفى الناس موسوم بالخيانة والغدر .

فيبدو أن أبا تمام قد أحس بوخز الغدر ، واستشعر ألمه ، وتجرع كؤوسه حتى شربت نفسه بذلك الألم فامتدت معانيه إلى صورة تلك المحبوبة التي هي رمز العطاء والسخاء ، فحطم صورتها ، ونصبها نموذجاً بشرياً يرمز إلى كل معاني الخيانة والغدر .

(١) هو محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني ، نجم الدين أبو المعالي (٦٠٣ هـ -

٦٧٧ هـ) الشاعر المشهور مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم / انظر :

فوات الوفيات : ٣ / ٣٨٣ - ٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٣٨٧ .

وكان أبو تام بارعاً في تحطيم تلك الصورة ، ولزالتها من النفوس إزالة تامسة .
ولحلل الصورة التي يريد حلولاً لا انتقال معه . فهو لم يحطمها دفعةً واحدةً ،
فالنفوس متعلقة بكون هند رمز العطاء ، وسحو هذه الصورة محواً مباشراً أمر تنفس
منه النفس ، إلا أن أبا تام استطاع أن يسك بزمام الإحساس وقيادته إلى حيث
يريد ، فتدرج في طمس تلك المعالم ، فبدأ البيت بالنهي " فلا تحسبا " فأوهم النفس
بدفاعه عن تلك المحبوبة ، ثم لجأ إلى خطاب صديقين له ترويحاً لنفسه الشغلة بالأم
الفدر ، فوجدت الراحة في خطاب صاحب .

وأنظر إلى تقديم الجار والمجرور " لها " وكيف زاد في إبعاد التهمة عنها ، ثم
تفاجأ النفس بلفظ " وحدها " هذه اللفظة التي كشفت عن إحياءات كثيرة تدور في
نفس الشاعر ، وفجرت المغاني المحبوسة في نفسه ، فأعلن الحقيقة الجاشة في صدره ،
فقطع الكلام واستأنف بقوله (كُلُّ غَائِبَةٍ هُنْد) .

وجاء بلفظ العموم (كُلُّ) ليؤكد عموم هذا النموذج وشموله لكل أفراد الفوانسي .
ففرق بين نموذج أبي تام وبين النموذج الذي نصبه المتنبّي ، وكذلك فرق بين
إثبات كل من النموذجين .

الشاهد الثالث عشر بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

• قول البحري :

فَلَمْ أَرُ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْدًا . فَحَاوَلْتُ وَرَدَ التِّلِّ عِنْدَ أَحْقَالِهِ (٥) (٤) (١) (٢) (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكز : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - ٣٠ / ١٦٢٤ .

(٢) الرنق : الكدر / معجم مقاييس اللغة " رنق " : ٢ / ٤٤٥ .

(٣) الصرى : الماء يطول مكثه ويتغير ، والصرى : اسم نهر يشعب من الفرات ، ويجري
إلى بغداد ، ويقال الصرا بلا هاء أيضا سمي بذلك لأنه صبري من الفرات أي قطع /

معجم ما استعجم : ٢ / ٨٢٩ .

(٤) نهر من أنهار الرقة ، حفره الرشيد ، وسمي باسم نيل مصر / معجم البلدان : ٥ / ٣٣٤

وهو من قصيدة يمدح بها علي يحيى (١) ومطلعها :

عَذِيرِي مِنْ وَاشٍ بِهَا لَمْ أُوَالِهِ . . عَلِمْتُهَا وَلَمْ أَخْطِرْ قِلَافَهَا بِبَالِهِ
وقبل الشاهد :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ . . كَوَجْدِي وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ
فَإِنْ أَتَقَبَّرَ الْعَيْشَ الَّذِي قَاتَ بِاللُّوَى . . فَقَدِمًا فَقَدَتِ الظَّلَّ عِنْدَ أَنْتِقَالِهِ
تَرَكْتُ مَلَاخَاةَ اللَّيْمِ وَلِنَسَا . . نَصِييِي فِي جَاوِ الْكَرِيمِ وَمَالِهِ

وبعدهما الشاهد بعده :

حَلَفْتُ بِمَا يَطْلُو الْمُصَلُّونَ فِي رِنَى . . وَمَا أَبْتَغِدُوهُ لِلنَّبِيِّ وَالْإِلَهِ
لَيَعْتَسِفَنَّ الْبَيْدَ وَهُمْ مُشَمِّعٌ . . عَنُوفٌ بِهَا فِي حُلَّةٍ وَأَرْجَحَالِهِ
إِلَى قَارِغٍ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ يَشِينُهُ . . فَإِنْ يَشْتَفِلْ فَالْتَجِدْ عِظْمُ اشْتِفَالِهِ

(٥) احتفاله : امتلاؤه ، والحفل اجتماع الماء في محفل ، تقول : حفل الماء يحفل حفلاً وحفولاً ، وحفل الوادي بالسيل وأحفل جاء بماء جنبه . / اللسان " حفل " : ١١ / ١٥٦ .

(٦) ديوانه - الصيرفي - : ٣ / ١٦٢٤ .

ديوانه : ١ / ٢٢٤ - الوساطة : ٢٥٢ ، التبيان للعسكري : ٣٨٧ / ٤ .

(١) هو علي بن يحيى بن أبي منصور النجم ، من خاصة ندما المتوكل ، ومن بعده من الخلفاء إلى المعتد ، شاعر راوية ، صديق للفتح بن خاقان ، وهو الذي جمع له مكتبته الشهيرة ، مات سنة (٢٧٥هـ) / انظر :

الفهرست : ٢٠٥ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٧٣-٧٤ .

وجاء في ديوانه - صيرفي - : أنه ورد في بعض مخطوطات الديوان أنها قيلت في أبي جعفر بن تهيك .

(الطويل)

• • مع قول المتنبي :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَسِيرِهِ . . . وَنَ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ السَّوَاقِيَا (٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور سنة ست وأربعين وثلاثمائة مطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى التَّوْتِ شَافِيَا . . . وَحَسِبَ التَّنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وقبل الشاهد :

وَجَزْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا . . . فَيَتَنَ خِفَافًا يَتَيَشَّنُ الْعَوَالِيَا (٣)

وبعد أبيات وبعد ها :

يَعَزِّمُ يَسِيرَ الْجِسْمِ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا . . . بِوَيْسِيرِ الْقَلْبِ فِي الْجِسْمِ مَاشِيَا

وبعد الشاهد ، وبعد ه :

فَجَاءَتْ يَتَا إِنْسَانٍ عَيْنَ زَنَايِمِ . . . وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَتَاقِيَا

ومعنى الشاهد : أن هذه الخيل لا يشتد عزمها على السير إلا إذا كان السير

إلى ذلك المدوح ، وتحرن عن السير إلى غيره ، وشبه المدوح بأنه كالبحر فسي

سخته وغيره من الملوك بالنسبة لعطائه كما الساقية إذا قيس بما البحر .

قال المعكري شارحاً معنى البيت :

" إن الجرد ، وهي التي تحتنا قاصدة هذا البحر ، وتركزت السواقي ، وطالب

البحر بغير سلاف يرى غيره قليلاً ؛ لأن السواقي تستمد من البحر " (٥)

(١) قواصد : حال من الجرد ، أي هن يقصدنه توارك غيره . / ديوان المتنبي بشرح المعكري : ٢٨٢ / ٤ .

(٢) انظر البيت في : -

ديوانه بشرح المعكري : ٤ / ٢٨٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٣٤ ، الوساطة : ٢٥٢ ،

بيتية الدهر : ١ / ١٩١ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٦٠ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٨٤ .

(٣) جرداً : يقال فرس أجرد إذا رَقَّتْ شَعْرَتُهُ ، وهو حسن الجُرْدَةِ والمتجسِّد /

معجم مقاييس اللغة " جرد " : ١ / ٤٥٢ .

(٤) العوالي : أي عوالي الرِّمَاح ، وهي أسننها ، واحدتها عالية / اللسان " علا " :

٨٢ / ١٥ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح المعكري : ٤ / ٢٨٢ .

وذكر أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت غضب غضباً شديداً ، وقال : له
الويل جعلني ساقية ، وجعل الأسود بحراً . (١)

والمعنى المشترك في البيتين : عدم الاحتفال بالأدنى عند قصد الأكل ، ولكن
رسم هذه الصورة ، وإبراز خطوطها اختلف في لوحة كل من الشاعرين .

فالبحتري هنا أقل مدحاً ، فقوله : " حاولت ورد النيل " فيه نوع من التخوف
والتردد وعدم الاطمئنان ، بل عدم الوثوق في عطاء المدوح .

وقوله : " عند احتفاله " تقييدٌ للاحتفال بالظرف ، وهذا التقييد يومي ، إلى أن
المدوح ليس بدائم الغنى ، وهذا انتقاص من قدره .

أما بيت المتنبي فنحت الكلام فيه غير نحتة في بيت البحتري ، فهو أجود سبكاً ،
وأغزر معنى .

انظر إليه وقد جعل الخيل هي التي تقصد المدوح ، وتترك غيره ، لمحبتها له ،
وثقتها بكرمه .

وفي وصله الشطر الأول من البيت بالشطر الثاني " بالواو " إبراز للصورة
التي يريد رسمها وتجسيد للمعنى الذي يدور في داخله .

والشطر الثاني يجري مجرى المثل ، فمعناه غزير وعميق حيث شبه المدوح بالبحر
في وفرة عطائه ، وجعل من دونه في العطاء سواقي قليلة الدفع ناضبة .

وفي بناء الشطر الثاني على الشرط وجوابه نوع من الإيجاز الحي المليء بمعنى
العطاء .

الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثاء : (*) (المنسرح)

• وقول المتنبي :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٩-٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكر : ٩٦

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٨٧/٤

كَأَنَّا يُؤَلِّدُ النَّدَى مَعَهُمْ . . لَا يَصْفَرُّ عَانِزٌ وَلَا هَـ _____ سَرَمَ (١)
وهو من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي، ومطلعها :
أَحَقُّ عَافِي يَدْمَعُكَ السَّهْمُ . . أَحَدْتُ شَيْءٍ عَهْدًا بِهَا الْقِسْدَمُ
وقبل الشاهد :

قَوْمٌ يُلَوِّغُ الْفُلَامَ عِنْدَهُمْ . . طَعَنَ نَحْوَرِ الْكِسَاةِ لَا الْحُلُمُ
بعده الشاهد وبعده :

إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُّوْا . . وَلَئِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَبُ

(الطويل)

•• مع قول البحري :

عَرِيقُونَ فِي الْإِفْصَالِ يُؤْتَتِفُ النَّدَى . . لَنَا شَرِيبُهُمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَتِفُ الْعُمُرُ (٢)
وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد (٣)، ومطلعها :

(١) ديوان أبي الطيب بشرح المعكيري : ٤ / ٦٥ .

(٢) سبقت ترجمته : ٥٣٧ .

(٣) يؤتف : الجمل - الأيف الذلول الذي يأنف من الزجر ومن الضرب فهو ذلول
منقاد ، أرض أنف وأنيقة : مثبته استأنفت الشيء إذا ابتدأته / اللسان
"أنف" : ٩ / ١٣ - ١٤ .

(٤) لم أجده إلا في :

ديوان البحري : ١ / ٢٧٦ ، ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٨٧٢ ، التبيان للمعكيري :

٤ / ٦٥ .

(٥) هو أبو عامر الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي عامل المعتد

على الموصل سنة (٢٦١هـ) وهو من أسرة كان لها شأنها في أيام الدولة
العباسية ، فابن أخيه هو الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب
الذي جمع عسكر الموصل لقتال مساور بن عبد الحميد الشاري وذلك سنة
(٢٥٤هـ) ومنها إسحاق بن أيوب أخو الحسن ، وقد كان أميراً لدير ربيعة
والتقى مع إسحاق بن كنداج سنة (٢٦٦هـ) وهزم / انظر :

الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٣٩ ، ٦ / ٢٤٠ .

لَنَا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ بَيْنَ حَبِيلِنَا شَكَرَ . . وَلَئِنْ هُمُ بِالْبَيْتَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدَرُ

وقبل الشاهد :

فَمَا يَتَعَاطَى مَا يَنَالُونَهُ يَدًا . . وَلَا يَتَقَصَّى مَا يَنَالُونَهُ شُكْرًا

وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا تَجَرَّوْا بِي سَوْدٍ وَتَرَايَدُوا . . فَأَنْفَقَ مَا أَبْضَعَتْ عِنْدَهُمُ الشَّعْرُ^(١)

المعنى المشترك في البيتين : قدم عهد المدوح بالكرم ، فالمعني جاء بالمعنى مباشراً ، ورثى به في أول البيت ، فصرح بأن الكرم يولد مع قبيلة المدوح ، فلا فرق بين صغيرهم وكبيرهم .

أما البحرى ، فكان أدق تركيماً ، وأغزر معنى حيث جعل عهد قبيلة المدوح بالتدنى أقدم ، فمهدهم به من قبل الولادة ، فهو ينشأ ، وترعرع معهم بنشوء الحياة فيهم ، أي وهم أجنة .

فكان البحرى دقيقاً في قوله : " يُولَدُ العَمْرُ " لأن عمر الإنسان يبدأ في وقت دبيب الروح في جسده ؛ وذلك لأن معنى العَمْر ، والعَمَر : الحياة^(٢) .

وكلمة " يُولَدُ " كلمة نامية ذات دلالات موحية ، فهي تحمل معنى النشوء والترعرع والنمو ، والإنبات ، فأرضى أنف وأنيقة : أي منبئة ، وأنظر إليه كيف أثبت عراقته في الكرم حيث ابتدأ البيت بالسند " عريقون " ، وحذف السند إليه ، وكأن هذه الصفة معروفة فيهم ، وهم مشهورون بها .

الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول البحرى :

فَلَا تَفْلِيحِينَ يَا لَسَافٍ كُلَّ غَلَائِمٍ . . لِيَمِضِي فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ (٣)

(١) ما أبضعت : اتخذت بضاعة / معجم مقاييس اللغة : " بضع " : ١ / ٢٥٦ .

(٢) اللسان " عمر " : ٦٠١ / ٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(٣) ديوان البحرى : ١ / ٣٤٦ ، الواسطة : ٢٨٨ .

وهو من قصيدة مدح بها أبا عيسى بن صاعد ^(١) مطلعها :

أَحَاجِيكَ هَلْ لِلْحَبِّ كَالْدَارِ تَجْمَعُ . . وَلَلْهَائِمِ الظُّلَمِ كَالظُّلَمِ ^(٢) يَنْقَسِعُ ^(٣) ^(٤)

وقبل الشاهد :

يَقِلُّ غَنَاءُ الْقَوْسِ نَيْعُ ^(٥) نِجَارِهَا ^(٦) . . وَسَاعِدَ مَنْ يَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ خُرُوعُ ^(٧)

وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا شِئْتَ حَارَ الْحَطَّ دُونَكَ وَاهِنٌ . . وَتَارَعَكَ الْأَقْسَامُ عَبْدٌ مَجْدَعُ

(الطويل)

• مع قول المتنبي :

إِذَا الْهَيْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ ^(٨) . . فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ التَّسَاوِيَا ^(٩)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الأحمدي ، وذلك حين فارق المتنبي سيف الدولة ، ورحل إلى دمشق فكتبه كافور بالسير إليه ، فلما ورد مصر أخطى له كافور داراً وخلق عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال قصيدته هذه مادحاً إياه وذلك سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

كَفَى يَكْ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا . . وَحَسَبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا

(١) سبقت ترجمته : ص ٢٦٦ .

(٢) أَحَاجِيكَ : أغالبك في الحِجَا ، والحِجَا : العقل والفطنة / اللسان " حجا " : ١٤ / ١٦٥ .

(٣) الظُّلَم : ماء الأسنان وبريقها / مختار الصحاح : " ظلم " : ٤٠٥ .

(٤) ينقص : يسكن العطش / مختار الصحاح " نفع " : ٦٧٧ .

(٥) النَّيْعُ : شجرة تتخذ منه القسي وتتخذ من أغصانه سهام ، الواحدة " نَيْعَة " .

مختار الصحاح : ٦٤٣ .

(٦) النجار : الأصل / القاموس المحيط " نجر " : ٢ / ١٤٣ .

(٧) الخروع : الرخو اللين / مختار الصحاح : ١٧٣ .

(٨) الكريهة : الشدة في الحرب . / مختار الصحاح : ٥٦٨ .

(٩) ديوان أبي الطيب بشرح المعكري : ٤ / ٢٩٣ ، المعرف الطيب : ٤ / ٦٣٨ ،

الوساطة : ٢٨٨ ، تفسير أبيات المعاني : ١٨٠ .

وقبل الشاهد :

وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَيْسَةَ أَوَّلًا . . وَتَأْنِفُ أَنْ تَغْشَى الْأَيْسَةَ ثَانِيًا

وبعد الشاهد وعده :

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوَرَّاكَ لِنَسْلِمُ . . فَدَى أَبْنِ أَخِي تَسْلِي وَنَفْسِي وَسَالِيَا

وسمعي الشاهد :

" إذا طبعت الهند سيفين فجعلتهما سواء في الحدة والمضاء ، فالسيف الذي يصاحبه يكون أمضى ، لأنك تزيل مساواتهما بشدة الضرب ، وكذا قال الواحدي . (١)

وقد نقل المتنبي معنى هذا البيت إلى الخيل ، فقال :

فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْيَكْرَامُ وَلَا الْقَنَا . . إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْيَكْرَامِ كِرَامُ (٢)

فالمعنى المشترك في البيتين هو أن القوة في الضارب لا في المضروب به . وفي كلا البيتين لطائف وأسرار ، فالبحتري جاء بأسلوب النهي ، وفيه ما فيه من معنى الاستهانة والتقليل من شأن ذلك السيف " فلا تغلين " ، وقوله " كل غلائه . . " وقوله " ليضي " تصوير لعجز ذلك السيف أمام قوة المدوح ، ثم أكد كون المدوح أشد وأسرع من السيف ، فجاء بأداة التوكيد " إن " وقرنها بـ " الفاء " ، ليبالغ في توكيد سرعة تلك الكف ، ولو أنه جاء بـ " الواو " العاطفة بدلاً من " الفاء " لما كان لتوكيد مثل هذه القوة .

أما المتنبي . فكان أفخم عبارة ، وأدق تصويراً ، فلجأ إلى الشرط وجوابه ، لتتم المقارنة في أوضح صورها ، وأجل معانيها . ولتظهر نتيجة تلك المقارنة جازمة قاطعة جاء بـ " إذا " ليجزم بمضاء كف المدوح .

(١) التبيان للعسكري : ٤ / ٢٩٣ .

(٢) ديوانه : ٣ / ٣٩٤ .

فالهند إذا سوت بين سيفين في الحدة والقوة والمضاء ، فإن السيف الذي يكون في كف المدوح أعلى جودة من بقية السيوف ، وماذا لك إلا لأنه في كف المدوح . وأسلوب الشرط هذا بعث نوعاً من الحركة ثلاث حركة السيوف الدائرة فيه . وأنظر إلى تخميمه شأن تلك السيوف ، وما ينطوي عليه هذا التخمين من معنى ، فذكر " الهند " وهي أكثر البلدان شهرة في صناعة السيوف لجعلها رمزاً للجودة والفخامة ، وفي ذكره لفظ " كريهة " وهو مأخوذ من الكراهة كناية عن الحرب ، وفي هذه الكناية تصوير دقيق حي للحرب وما يدور فيها ، وما يعقبها من دمار وخراب كانت تلك السيوف سبباً فيه .

وفي الإعلال من جودة تلك السيوف وتخميمها ، تخمين للمدوح ؛ لأن تلك السيوف منها عظم ، فإن قوة المدوح هي التي تعطيها القوة الحقيقية . وتكثير لفظ " كف " تعظيم وتخمين وتصوير للكف بأنها كف عجيبة في قوتها وجبروتها .

الشاهد السادس عشر بعد الثلاثائة :- (الكامل)

● قول البحرى :

(١٠)

سَاتَوْكَ مِنْ حَسَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمْ . . . غَيْرَ الْجَوَادِ وَجَادَ غَيْرَ الْفَضْلِ

فَبَذَلْتُ فِينَا مَا بَذَلْتَ سَمَاحَةً . . . وَتَكَرَّرْنَا وَبَذَلْتَ مَا لَمْ تَبْذُلْ (٢)

وهو من قصيدة - عدد أبياتها ستة أبيات - يمدح بها إبراهيم بن سهل ، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكز : ٤٩٦ .

(١) ساموك : تساموا أي تباروا . / مختار الصحاح " ساء " : ٣١٦ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣١٩ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل ، وكنيته أبو الفضل له مع البحرى مواقف عديدة

منها أن البحرى هجاء مرة فتركه أبو الفضل أياً ، وأظهر قلة المبالاة والإهمال

لهجائه ، ولم يظهر المودة بذلك . حضره يوماً فقال : يا أبا عبادة تبيعني

غلامك نسيماً - وهو روي ليس بحسن الوجه - فقال : كيف أبيعك من لو فارقتك =====

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجِدْ لِمَوْفَلٍ . . . لَكَفَاةٌ عَاجِلٌ وَجْهِكَ الْمُتَهَلِّلُ
وبعد، أبيات قبل الشاهد :

رَبَّيْتُ قَوْمًا فِي السَّاحِ وَأَيِّنَ هُمْ . . . إِنْ سَاجَلُوكَ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْمَلُ
وبعد، الشاهد وبعد :

وَتَصَرَّقَتْ يَكَافِي التَّنَازِلِ هَيْهَ . . . نَزَلَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ أَعْلَى مَنْزِلِ
ومعنى الشاهد :

"أراد أنهم من الحسد أخذوا يسامونه" فعل مشاركة من السمو "في العطاء"،
فيذلوا، ولا جود عندهم، فكان يذله بذلين يذل الساحة الصادر منه مباشرة،
ويذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه" (١)

.. مع قول أبي تمام : (الطويل)
أَرَى النَّاسَ يَنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ . . . مَهَايِعُهُ الْمُثَلَّى وَمَحَتْ لَوَاجِبُهُ^(٢)
فِي كُلِّ تَجْدٍ فِي الْيَلَادِ وَقَائِرٍ . . . تَوَاهَبَ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهُ^(٣) (٤)

== ساعة فارقتي روحي ! .. ثم باعه إياه بألفي دينار، وماريوم حتى
ندم البحتري وسأل أبا الفضل رد الغلام إليه فأبى، ثم رده إليه بعد
ذلك وقال له : "إياك أن تهجو الأحرار، فإن لهم مكاييد يضل فيها هجوك
ومدحك" / انظر :

أخبار البحتري للصولي : ١٢٧ - ١٣٠ .

(١) هامش الدلائل - تحقيق رشيد رضا - : ٣٨٠ .

(٢) مهاييعه : المهاييع جمع "مهيع" وهو الطريق الواسع المنبسط . /

القاموس المحيط "هيع" : ٣ / ١٠٤ .

(٣) اللواحب : جمع لاحب وهو الطريق الواضح . / القاموس المحيط :

"لحب" : ١ / ١٣٢ .

(٤) ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٤٥ .

والشاهد من قصيدة طويلة مدح بها عبد الله بن طاهر،^(١) ومطلعها :
أَهْنُ عَوَايِي يُوسُفَ وَصَوَائِبَهُ . قَمَرُماً فَقَدْ مَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
وقبل الشاهد :

وَذُو يَقْظَاتٍ مُسْتَمَرٍّ مَرِيرُهَا . . . إِذَا الْخَطْبُ لَا قَاهُ اضْطَحَلَتْ نَوَائِبُهُ
وَأَبْنُ بَوَجِّهِ الْحَزَمَ عَنْهُ وَإِنْتَا . . . مَرَايِي الْأُمُورِ الشُّكْلَاتِ تَجَاوَيْسُهُ
وبعد الشاهد :

لِتُحْدِثْ لَهُ الْأَيَّامُ شُكْرَ صَنَائِعِهِ . . . تَطْيِبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِيسُهُ
فالمعنى المتحد في الشاهدين هو وصف المدوح بالكرم العام ، وأن كل صور
الكرم الموجودة تنسب إليه .

أما نسج الشاهدين وتركيبهما ، فيختلف بيت البحري عن بيت المتنبي ، فمحور
الصورة في بيت البحري هو صورة الحاسد ، فالحسد هو الدافع إلى منافسته على
الجدود ، فصورة الحسد وابتدع عنها من خراب قلبها البحري ، وجعلها صورة مشرة
لشرف المدوح ، فإليه يضاف شرف ما بذل ، وإليه أيضاً يضاف شرف ما بذله الحاسد ون ؛
لأنه السبب في هذا البذل ، فهو الذي حَزَّكَ في نفوسهم دافع العطاء .

(١) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالسؤلا ،
أبو العباس (١٨٢ هـ - ٢٣٠ هـ) ، أمير خراسان في عصر المأمون ، ومن
أشهر الولاة في العصر العباسي ، فكانت له طبرستان ، وكرمان ، وخراسان ،
والري ، والسواد ، وما يتصل بتلك الأطراف ، واستمر إلى أن توفي ببغداد
وقيل بمر ، كان سيداً نبيلاً من أكثر الناس بذلاً للمال شهناً ، وكان
المأمون كثير الاعتداد عليه . / انظر ترجمته : المحبر : ٣٧٦ ، الطبري :
٨٠٨ - ٨١٠ ، ٥٩٢ - ٥٩٨ ، ٦٠١ - ٦٠٩ ، ٦١٣ - ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٧ / ٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٢ ،
١٣١ ، ٣٣٨ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٨٣ ، الأعلام : ٤ / ٩٤ .

وانظر إلى قيمة " الفاء " في بداية البيت الثاني ، وكيف ربطت بين البيتين .

وأحكمت الصلة بينهما وأظهرت حب المدوح وسرعته في العطاء .

وقوله " فينا " اعتراف من المادح بغضل ذلك المدوح .

ومأدق قوله " ما بذلت " ، فالاسم الموصول هنا فتح أفقاً رحباً من معنى العطاء .

والبذل ، ذلك البذل لتكامله وعظمه كأنه لا يوجد إلا في الوهم والخيال .

أما أبو تمام فقد استند ألوان صورته من الطبيعة الرحبة ، فجعل الندى كالأرضى

الفسحة المنبسطة المترامية الأطراف ، والمدوح هو الذي عرف الناس طرق الكرم

وسهد ها لهم بعد أن عفت ودرست ، وأصبحت أرضاً قاحلة خربة غير واضحة المعالم ،

فكل ما طرأ بعد ذلك على كل مرتفع ومنخفض من ينح واخضرار ، وإن لم يكن السدوح

هو القائم به ، فإنه ينسب إليه ، وهو من صنع كرمه ونداه ، لأنه هو البادي ، والمظهر

لمعالم ذلك الطريق .

الشاهد السابع عشر بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

• قبل المتنبي :

بَيْضًا تَطْمِيعُ فِينَا تَحْتَ حُلَّتَيْهَا . . . وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي ، (٢) ومطلعها :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا . . . لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَتَى (٣) وَلَا كَرَبًا (٤) (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(١) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١١١ ، المعروف بالطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) ستأتي ترجمته : ١٠٧ .

(٣) أتى : كيف / التبيان للعكبري : ١ / ١٠٩ .

(٤) وَلَا كَرَبًا : كرب أن يفعل كذا ، أي كاد وقارب / التبيان للعكبري : ١ / ١٠٩ .

(٥) البصير السابق نفس الجزء والصفحة .

وقبل الشاهد :

هَامَ الْغَوَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَتَتْ .: بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَدَدْ لَهُ طُنْبًا ^(١)

مَظْلُومَةٌ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ وَغَصْنَا .: مَظْلُومَةُ الرَّبِّ فِي تَشْبِيهِهِ صَرَبًا ^(٢)

وبعد هما الشاهد وعده :

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْنَى كَفَّ تَأْيِيسِهِ .: شُعَاعُهَا وَبَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا ^(٣)

ذكر القاضي الجرجاني ^(٤) أنه مأخوذ من قول عبد الله بن الحسن العلوي ،

وهو متداول :

يُحْسِنُ بَيْنَ لَيْلِ الْكَلَامِ زَوَانِيَا .: وَيَصُدُّ هَنَّا عَنِ الْخَنَّا الْإِسْلَامُ ^(٥)

ومعنى الشاهد : " من لين حد يثنها وأنسها يطمع فيما تحت نوبها ، فإذا طلب

عز ذلك مظلوماً وَغَدَّ " ^(٦)

ويبدولي أن كلمة " زوانيا " هنا ركيزة ، وقد غاب عبد القاهر مثل هذه الكلمة

في كتابه أسرار البلاغة عند قول ابن المعتز :

إِنْ زَنَتْ عَيْنُهُ بِفَعِيرِكَ قَاضِرٍ ب .: هَا يَطُولُ الشَّهَارُ وَالذَّمْعُ حَسَدًا

قال :

(١) طُنْبُ الْخِيَامِ حَبَالُهَا الَّتِي تَشُدُّ بِهَا / معجم مقاييس اللغة " طنسب " :

٣ / ٤٢٦ .

(٢) صَرَبًا : الضرب " بفتح الراء " العمل الأبيض الغليظ . / معجم مقاييس

اللغة " ضرب " : ٣ / ٣٩٩ ، القاموس المحيط " ضرب " : ١ / ٩٩ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ١١١ .

(٤) الوساطة : ٣١٨ .

(٥) رواية التبيان : " لين الحديث " .

(٦) رواية التبيان :

" وَيَهِنَنَّ عَنْ رَفْعِ الرِّجَالِ نِفَارٌ "

(٧) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١١١ .

" ولَفْظٌ " زنت " وإن كان ما يطوها من أحكام الصنعة يحسنها وورودها في
الخبر " العين تزني " (١) يؤنس بها ، فليست تدع ما هو حكمها من ادخال
نفرة على النفس " (٢)

•• مع قول البحرى : (الكامل)

تَبْدُو يَعْطِفُهُ مَطْمَعٌ حَتَّى إِذَا . شَغِلَ الْخَلِيُّ ثَنَّتْ بِصَدْقَةٍ مُؤَيَّنِ (٥)
(٤)

وهو من قصيدة قالها في دعوة كانت ليونس بن بغا (٧) دعاه فيها ،
مطلعها :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَغَرِّسٍ . بَعْدِي عَلَى نَظَرِ الظَّهَاءِ الْآنَسِ

وبعد أبيات قبل الشاهد :

أَتَنَّنِي فِي قَلْبِ الْخَلِيِّ مِنَ الْجَوَى . وَلَكِنَّ مِنْ قَوْرِ الْأَيِّ الْأَشْوَسِ
مِنْ كُلِّ مَرْهَقَةِ الْقَوَامِ غَرِيبَةٍ . جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوًى لِلْأَنْفُسِ

وبعد هذا الشاهد وبعد :

شَاهَدْتُ أَيَّامَ السُّرُورِ فَلَمْ أَجِدْ . يَوْمًا يَسُرُّ كَيْومِ دَعْوَةِ يُونُسَ

(١) سند الإمام أحمد بن حنبل "مسند أبي هريرة" : ٢ / ٣٢٩ .

(٢) أسرار البلاغة - هـ ، ريت - : ٢٧٧ .

(٣) عطف الشيء يعطفه عطفاً وعطوفاً فانعطف وعطفه فتعطف : حناء وأماله ،
شَدَّ للكثرة ، ويقال : عطف رأس الخشبة فانعطف أي حنيته فانحنى

وعطف أي حلت / اللسان "عطف" : ٩ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) الْخَلِيُّ : الفارغ الذي لا هم له . / اللسان " خلا " : ١٤ / ٢٣٩ .

(٥) صَدَقَ عَنْهُ : أي أعرض / اللسان "عرض" : ٩ / ١٨٧ .

(٦) ديوان البحرى : ١ / ١٧٨ .

(٧) هو من ندباء ابن المعتز وخاصته ، وكان أثيراً لديه ، وهو من أحسن
الناس وجهاً ، له أخبار مع ابن المعتز انظرها في :-

الأغاني : ٩ / ٣١٨ - ٣٢٠ .

المعنى الظاهر للبيتين : شدة المنع مع شدة الأطماع .

ويبدولي أن بيت البحتري آتق وألطف من بيت المتنبي ، فالذي أورد المتنبي أن محبوبته ، لأنسها ، ولين حد يشها يطمع فيما تحت ثوبها ، فإذا طُلب منها ذلك ، عز ذلك المطلوب ، وتعد بعفتها ونقا سريرتها .

وأنظر إلى قوله " بيضاء " حيث حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ، وأصل الكلام " هي بيضاء " ، وإنما حذف المسند ، ليظهر أجمل صفاتها ، وييسر مواطن إعجابه بها .

والمألوف تلك الملازمة بين وصفها بالبياض - هذه الصفة التي أطنها في بداية البيت - وبين وصفها بصفاء الشرف " وعز ذلك مَطْلُوباً إذا طُلِبَا " ، فهي نقية المظهر والمخبر ، وفي تقديم جواب الشرط على فعله ، وصياغة الشرط بـ " إذا " تأكيد لعزتها وشرفها ، فهي إذا أُلِحَّ عليها في الطلب فإنها عزيزة مستتعة . ولكن ما أفتح وأشنع قوله : " فيما تحت حلتها " .

وسمع هذا كله فبيت البحتري أكثر خفة ، وأرشق حركة .

آنظر إلى المقابلة بين جلتي " تبدو بعطفة مطمع " وجملة " فنت بصدقة مؤبس " وما بعثته في البيت من رشاقة ولطف ، أضف إلى ذلك أن محبوبة البحتري أكثر حنكة ومراناً في استئالة القلوب ، فالذي جذبه إليها ليس الصفات الجسدية الظاهرة من بياض وغيره ، وإنما جذبه دلالتها وتاليها وخفة حركتها ، حتى إذا أسرت القلب الخليلي ، وانشغل بها وطمع فيها أعرضت عنه إغراضاً بعث اليأس في نفسه .

الشاهد الثامن : عشر بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

• قول المتنبي :

إِذَا كَارَيْتُكَ تَرَكْتُ إِذَا كَارَيْ لَكَ . . . إِذَا لَا تُرِيدُ لَنَا أُرِيدُ مُتَرَجِّمًا (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٣-٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .
(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٣٣ ، المعروف بالطيب :

وهو من قصيدة قالها في صباه يمدح بها إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذنبه ،
مطلعها :

كُفِّي أَرَانِي وَيْلَكَ لَوَمَلِكِ الْوَسَا . . هَمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِي أَنْجَمًا
والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

يَأْمَنُ لِحُجُودِ يَدَيُورِي أَمْوَالِهِ . . نَقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعَمًا
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا . . وَيَقُولُ بَيْتَ النَّاسِ مَاذَا مُسْلِمًا

معنى الشاهد : " مثلك إذا لم أذكره حاجتي فهو تذكار له ؛ لأنه يعلم ما يريد ،
فلا يحتاج إلى من يترجم له عما في مرادي ، فترك إنكاره إنكاراً " (٢)

ونذكر العكبري أنه مأخوذ من قول أبي تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ . . تَقَاضِيَتُهُ يَتْرَكُ التَّقَاضِي (٣)

.. مع قول أبي تمام : (الخفيف)

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ . . تَقَاضِيَتُهُ يَتْرَكُ التَّقَاضِي (٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح أحمد بن أبي دؤاد (٦) ومطلعها :

بَدَّلْتُ عِمْرَةَ مِنَ الْإِيصَافِي . . يَوْمَ شَدَّوْا الرِّحَالَ يَسَالُغِرَاضِ (٧)

(١) هكذا وجدتها في التبيان ، ولعلها " مأريد " ، وهو ما يتفق مع طبيعة المعنى .

(٢) التبيان للعكبري : ٣٣ / ٤ .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) رواية التبيان للعكبري : " إذا الجود " .

(٥) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣١٦ ، ديوان أبي تمام

- دار صنب - ١٦٦ : عيون الأخبار : ٣ / ١٤٩ / ٨ ، ديوان المعاني :

١ / ١٦٨ .

(٦) سبقت ترجمته : ٣٧٢ .

(٧) الإيماض : مسارقة النظر / القاموس المحيط " ومضى " : ٢ / ٣٦١ .

والشاهد آخر بيت في القصيدة ، وقيله :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تَصَدَّ عَنِ الرَّمْلِ . سِي إِذَا مَا جَدَدْتَ فِي الْإِنْبَاصِ
وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أحسن ما قيل في حسن
الاقتضاء .

وسئل قول الآخر :

أَبُحُّ يَتَسَلِّمٍ وَأَعْدُو يَمْثَلِي . وَحَسْبُكَ يَا تَسْلِيمٍ مَتَى تَقَاضِيَا
وسئل أيضا قول الآخر :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تُحَرِّكَ لِلْمَجْدِ . لَكِنْ شَرَاهَةُ الشُّعْرَاءِ
وفي خلاف هذا المعنى :

أَرْحُ وَأَعْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي . فَأَصْبَحُ مِنْهَا غَدَوَةً كَالَّذِي أَمْسَى
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَفَاعَتِي . فَقَدِصْرْتُ أَرْضَى أَنْ أُشْفَعَ فِي نَفْسِي (١)
فالمعنى الجامع بين الشاهدين : أن السدوح بالغ الجود ، فهو يجود دون أن
يسأل .

فالمتنبى جاء بالمعنى مباشرة ، وبناء على فكرة " الإذكار والتذكير " فرأى أن الإذكار
الحقيقي ليس هو الإلحاح في الأمر والمطالبة به إنما الإذكار في ترك التذكير ،
وهذا دليل الفطنة ، ونفاذ البصيرة .

أما بيت أبي تمام ، فهو أغزر معنى ، وأبعد مرسى ، حيث بنى البيت على فكرة
المقاضاة - وهي الطلب بحجة وطمع شديد - ، ووفق بين الإذكار والتقاضي في هذا
الموقف الذي يحتاج إلى نوع من الجزالة والغفامة في الفكرة واللفظ .

ثم انظر إلى قوله " وإذا المجد كان عوني " حيث صرح بأن عونه على ترك
المقاضاة هو مجد السدوح ، والتصريح بكلمة المجد هنا أنفخ من الكناية في قول
المتنبى " مطلق " .

وتأمل صورة هذا التصريح ، وكيف جاء به متلفعاً في ثوب الاستعارة المكنية حيث شبه المجد بإنسان ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو " العون " . وفي بناء البيت على الشرط بـ " إذا " تأكيد بأن مجده مجد عريق عظيم .

الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثائة : (*) (انكامل)

• قول أبي تمام :

(١)
فَتَعَبَتْ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ . . مِنْ يَدِ رَها فَكَأَنَّمَا لَمْ تُحَجَّبِ (٣)

والشاهد من قصيدة مدح بها عرب بن طوق التغلبي (٤) ومطلعها :

أَحْسَنُ بَأْيَامِ الْعَقِيقِ وَأَطْيَبِ . . وَالْعَيْشِ فِي إِظْلَالِهَا الْمُعْجِبِ

وقبل الشاهد :

لِلَّهِ لَيْلَتُنَا وَكَأَنَّا لَيْلَةٌ . . دُخِرَتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى وَالْعَلِيبِ (٥)

مَالَتْ وَقَدْ أَطَقَتْ كَفَى كَفَّهَا . . حِلًّا وَتَاكُلَ الْحَلَالِ بِطَيِّبِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَإِذَا رَنْتَ خِلْتَ الظُّبَاءَ وَلَدَنَهَا . . رَنْعِيَّةٌ وَاسْتَرْضِعَتْ فِي الرَّبْرِ (٦)

أَنْسِيَّةٌ إِنْ حَصَلَتْ أَنْسَابُهَا . . جَنِيَّةُ الْبُؤْسِ مَالَمُ تَنْسَبِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .
(١) رواية الموازنة : " فعبت " .

(٢) رواية الديوان والموازنة : " من نورها " .

(٣) الديوان - دار صعب - : ١٨ ، الموازنة - محمد مجي الدين عبد الحيد -
٦٧ ، الوساطة : ٢٩٧ .

(٤) لم ألق على ترجمة له ، ولعله أخو مالك بن طوق مدوح أبي تمام .

(٥) العَلِيبُ : بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة ، وآخره ياء موحدة : موضع ، وقيل : جبل بتهامة / مراد الاطلاع : ٩٥٨ / ٢ .

(٦) رَنْعِيَّةٌ : الرَّعِيَّةُ مانع أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل في شبهه /
الصاح " ربع " : ٣ / ١٢١٥ .

(المفسر)

(١)

مع قول قيس بن الخطيم :
قَصَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ (٢) : خَالِقُ أَنْ لَا يَكْنَهَا سَدَفٌ (٤) (٥)

والشاهد من قصيدة قالها في حرب (٦) كانت بين الخزرج وبين بني جحجبي (٧)

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، كنيته أبو زيد، كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وقد قدم مكة، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: إني لأسمع كلاماً عجيباً، وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم إمهاله، لينظر في الأمر هذه السنة، ثم يعمد، فمات قبل تمام الحول. / انظر ترجمته : الأغاني ٣ / ٢٦ ، خزانة البغداديين - دار صادر : ٣ / ١٦٨ ، الإصابة : ٣ / ٢٦٦ ، رقم (٧٣٥٠) .

(٢) رواية الديوان : " حين يَخْلُقُهَا " .

(٣) رواية المختار من شعر بشار : " إلا تجنّها " ورواية الأشباه والنظائر : " بأنها لا يَكْنَهَا " ، ومعنى يَكْنَهَا ويَكْنَهَا : يحجبها ويسترها . / اللسان : ١٣ / ٩٩ ، لا يَكْنَهَا السَدَفُ : ١٣ / ٣٦٠ . بال التعريف .

(٤) والسَدَفُ : الظلمة . / اللسان " سَدَفٌ " : ٩ / ١٤٦ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١٠٥ ، الأصعيات : ١٩٦ ، رقم (٦٨) ، الموازنة - محمد محي الدين عبد الحميد - : ٦٧ ، الأغاني : ٣ / ٢٣ ، المختار من شعر بشار : ١٤٢ ، الوساطة : ٢٩٧ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ١ / ١٥٩ ، العمدة : ١ / ٧١ ، بدیع أسامة : ١٩٧ .

(٦) وهي حرب سمير للأوس على الخزرج ، انظر خبر هذه الحرب في :

الأغاني ٣ / ٣٩-٤٢ ، خزانة البغداديين - دار صادر - : ٢ / ١٩٠-١٩٣ ، أيام الغرب في الجاهلية : ٦٢ - ٧١ .

(٧) بنو جَحْجَبِي : بقاء ساكنة بين جميعين مفتوحتين جي من الأوس . / خزانة البغداديين - دار صادر - : ٢ / ١٩٣ .

وبني خطمة^(١) ولم يشهد ها قيس ولا كانت في عصره ، وإنما أجاب بها شاعراً
منهم يقال له : درهم بن زيد بن ضبيعة^(٢) .

ومطلعها :

رَدَّ الْخَلِيطُ^(٣) الْجَمَالَ فَأَنْصَرَفُوا . مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنْهُمْ وَقَفُوا

وقبل الشاهد :

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خِلَقَتَهُمَا . قَصْدٌ ، فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَضَفٌ^(٤)
تَغْتَرِقُ الطَّرْفُ وَهِيَ لَا هَيْبَةَ^(٥) . كَأَنَّا شَفَّ وَجْهَهَا نُسْرَفُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

تَنَامُ عَنْ كُبَرَى شَأْنِهَا فَإِذَا . قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْفَرِقُ^(٦)

ذكر القاضي الجرجاني^(٧) والآدي^(٨) أن أبا تمام قد أخذ هذا المعنى من قيس

ابن الخطيم . أو أنه أخذه من قول أبي نواس :

(١) خطمة : بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم هو عبد الله بن جشم
ابن مالك بن الأوس قيل له لأنه ضرب رجلاً بسيفه على خطمه أي أنفه ، فسمي
خطمة ، وجحجبي وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم . / خزنة البغدادي

- دار صادر - ٢ / ١٩٣٠ .

(٢) هو شاعر جاهلي من الأوس من بني زيد ثم هو أحد بني عرو بن عوف ، وهو
أخو سيمر بن زيد الذي من أجله قامت أول حرب بين الأوس والخزرج . /
انظر :

الأغاني ٣ / ٤٠ ، خزنة البغدادي - دار صادر - ٢ / ١٩٣٠ .

(٣) الخليط : المخالط والمشارك لهم / القاموس المحيط (خط) : ٢ / ٣٢١ .

(٤) القَصَفُ : النحافة / القاموس المحيط " قصف " : ٣ / ١٩١ .

(٥) تغترق : تشغل النظر / القاموس " غرق " : ٣ / ٢٨١ .

(٦) تنغرف : تتثنى وقيل تنقص من دقة خصرها ، وانغرف العظم : انكسر /

اللسان " غرف " : ٩ / ٢٦٤ .

(٧) الوساطة : ٢٩٧ .

(٨) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧ .

(١) تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ بَاطِنِ الْكَأْسِ ظَاهِرًا . (٢) عَلَيَّكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءٍ (٣) (٤)
وكذلك أخذ المتنبي قول قيس بن الخطيم ، فقال :

فَلَقَى التَّلِيحَةَ وَهِيَ يَسْكُ هَتَكُهَا . (٥) وَمَسِيرَهَا فِي اللَّحْلِ وَهِيَ نُكَاةٌ (٦)
فالمعنى المباشر في البيتين ظهور الشيء على الرغم من استتاره لقوته .

فأبو تمام نظر إلى هذا المعنى ، وكساء صورة جديدة ، فأتخذ من الشمس وضوئها مادة يرسم بها ذلك المعنى ، ففتاته شمس حقيقية إذا حجبها الغيوم بدت تلك الحجب بضوئها المستمر .

وفي مجيء فعل الشرط مبنياً للمجهول ، وهو قوله " حُجِبَتْ " إظهار لقوة تلك الحجب ، فكلما كانت الحجب أقوى - وهي مع ذلك تبدو - كان المعنى أروع وأبلغ وأدل على أنها ذات جمال فائق .

وفي بناء البيت على الشرط بـ " إذا " وعدم الفصل بين الفعل وجوابه بأي فاصل " إذا حُجِبَتْ بَدَتْ " دليل على سرعة ذلك البَدْء ، فليس هناك فاصل زمني بين وقت الحجب وبين وقت الظهور .

وقوله : " من خدرها " قيدٌ كشف أن المراد بتلك الشمس هي فتاته ، وليست الشمس الحقيقية ، وأيضا هو تصريح بأنها من ذوات الخدور ، فهي مصونة كريمة على أهلها ، شريفة في قوهرها .

(١) رواية ديوانه والموازنة : " من ظاهر " .

(٢) رواية الديوان : " ساطعاً " .

(٣) رواية الديوان : " ولئن غطيتها " .

(٤) ديوانه : ٤٠٢ .

(٥) نُكَاةٌ : اسم للشمس معرفة لا ينصرف مثل هُنَيْدَة / التبيان للعكبري :

١ / ١٣٠

(٦) المختار من شعر بشار : ١٤٢ ، ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٣٠ .

وقوله : " فكأنها لم تحجب " تدليل لطيف زاد المعنى جمالاً وروعة وتأكيذاً .
واستعارة الشمس في قول أبي تمام معروفة ، ولكن وضعها في هذه الصورة
جعلها بديعة غريبة .

أما قيس بن الخطيم فكانت فكرته أقوى في الإثبات ، وحجته أبلغ ، حيث أكد
للخيال أن ضوء محبوبته ضوء ثابت لا يتبدل ، فهو من قضاء الله ، ويديع تصويره ،
قاله منذ أن خلقها قضي بأن لا يسترها ، ولا يحجبها ظلام ، فهي تضيء كل ظلمة
تحل بها ، وقضاء الله أمر محقق محتوم لا جدال في ذلك .

وفي تكرير لفظ الجلالة " الله " " الخالق " لإشعار بعظم ذلك القضاء وشيئته .
والجار والمجور " لها " معقد معنى البيت ، ولمجيئه في البيت حلاوة ومذاق
خاص . فلو أن الشاعر قال :

" قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا . . . "

لم نجد للبيت تلك الحلاوة التي في قوله " قضى لها الله "

الشهد العشرون بعد الثلاثاء : (*) (الحفيف)

• قبل المتنبي :

رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمٍ رِيَشُهَا الْهَيْدُ . . . بَ تَشَقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ (٢)

والشاهد من قصيدة قالها في صباه ، ومطلعها :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلَتْ شَهِيدٍ . . . يَبْتَاعِي الظَّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .

(١) راميات نعت للبدور في البيت الذي قبل الشاهد .

(٢) انظر البيت في :-

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣١٤ ، العرف الطيب :

وقبل الشاهد :

عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا . . . طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعَقُودٍ

ومعد الشاهد :

يَتَرَشَّعْنَ مِنْ فَيِّ رَشَافَاتٍ . . . هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (١)

ومعنى الشاهد :

" يريد " بالأسهم " : الأعين ، ولما سماها أسهما جعل لها ريشاً ، لأن الريش يقوي السهام ، وكذلك لحظاتها من إناصا تصل إلى القلوب بحسن أشعارهن وأهدابهن ، وتنفذ إلى القلوب ، أي تصل إلى القلوب ، فتنفذ فيها قبل الجلود " (٢)

(الطويل)

• • مع قول كثير :

رَسَمَتْ يَسْمَهُمُ رِيشَهُ الْكُحْلُ لَمْ يَجْزَ . . . تَلَوَّاهُ رَجْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحُ (٦)

(١) المراد بها كلمة التوحيد .

(٢) رواية العرف الطيب : " هن فيه حلاوة التوحيد " .

والبيت على كلا الروايتين فيه مبالغة رديئة ، قال الشيخ في الأسرار معلقاً على البيت - وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول - :

" وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعت شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهنزل والعبث من الجد ، ويتغزل بهذا الجنس / الأسرار - هـ ، ريت - : ٣١٥ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

(٤) رواية التبيان : " ريشه الهمد " ،

ويدولي أن هذه الرواية أنسب وأدخل في الصورة .

(٥) رواية الديوان : " لم يصب " ، ورواية التبيان : " لم يضر " .

(٦) رواية التبيان : " جارحي " .

(٧) انظر البيت في :

ديوانه : ١٨٨ ، التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ ،

وجعل محقق الديوان هذه الأبيات مضافة إلى قصيدته التي مطلعها :

يَعْرِزُهُ هَاجَ الشَّقِيقِ فَالذَّمُّ مَعَ سَافِحٍ . . . مَغَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَاصِحُ

ولم يحدد موقع الأبيات الأربعة من القصيدة ، وإنما ذكرها منفردة .

والشاهد أول أبيات أربعة ، وبعبده :

وَجِدْتُ بِهَا وَجَدَ الْمُضَلَّ قَلْوَصَهُ ^(١) . . . يَنْكُهُ ^(٢) وَالرَّكْبَانُ غَادٍ وَرَائِيْ
وَجِدْتُ بِهَا مَا لَمْ يَجِدْ ذُو حَرَارَةٍ . . . يُمَارِسُ جَمَاتِ الرُّكْبَى النَّكَوَزِ حُ ^(٣)
وَجِدْتُ بِهَا مَا لَمْ تَجِدْ أُمَّ وَاحِدٍ . . . يَوَاحِدُهَا تُطْوِي عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ

ذكر العكبري أن قول المتنبي مأخوذ من قول كثير هذا ، أو أنه مأخوذ من قول

جميل بن معمر ، وقيل هو لكثير أيضاً :

مَاصَاتِبُ بَيْنَ نَابِلٍ قَدْ قَتَ بِمِ . . . يَدٌ وَمَرُّ الْمَقْدَ تَمِينٍ وَشِيقُ
بِأَوْشَكَ قَتْلًا يَنْكِ يَوْمَ رَمَيْتَنِي . . . نَوَافِدُ لَمْ يُفْلَمَ لَهَا ^(٤) خُرُوقُ (٥)

فالمعنى الجاسع بين الشاهدين هو سرعة نفاذ نظرات المحبوبة ، وتأثيرها

في القلب .

ولكن إذا تأملنا البيتين ، وجدنا أن ألوان الصورتين متقاربة إلا أن توزيعهما

مختلف .

فكلا الصورتين فيهما : رمي ، وسهام ، وریش ، وجلد ، وقلوب ، إلا أن المتنبي

شبه الهدب بالريش ، أما كثير فالريش عنده هو الكحل .

(١) ذكر القلوص ، وهي الشابة من النوق ؛ لأن الوجد من فقد ها أشد ، ولم يقل - مثلاً - " بَعِيرُهُ " .

(٢) وذكر " مَكَّة " لأن من أصعب الصعب وجدان الضالة بها ، ولذلك ذكر " الركبان غاد وراءه " .

(٣) جَمَاتِ الرُّكْبَى : جماء كل شيء اجتماعه وحركته ، تَجَمَّى القَوْمُ إذا اجتمع بعضهم إلى بعض ، والرُّكْبَى جمع رُكْبَةٍ وهي البئر تحفر . / اللسان :

١٤ / ١٥٣ ، ٣٣٤٠

الظاهر أن البيت لجميل ، فقد ورد في ديوانه وورد بعده بيت فيه ذكر بشينة وهو قوله :

كَأَنَّ لَمْ تَحَارِبَ يَابِتَيْنِ لَوْ أَنَّهَا . . . تَكشَفُ غَمَاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

(٤) رواية الديوان : " لم تظهر " .

(٥) ديوان جميل بشينه : ٤٩ ، التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

والمتنبى كان أغرق نزعاً وأبعد مرسى ، فمحبوبته كانت أقوى تأثيراً ، فكلمة " شق " أقوى من كلمة " جرح " ، ففي الشق قوة ليست في الجرح .
ولسهم صاحبة المتنبى تأثير حسني في الجلد وتأثير معنوي في القلب ، فهو بذلك أقوى .

وقول كثير : " وهو في القلب جرح " تركيب حي يحمل في باطنه معنى الالتئاع والألم ، فتعبيره عن هذه الآلام بالجلطة الاسمية الحالية ، وتقديم الجار والمجرور " في القلب " ومجيء الخبر على وزن فاعل " جرح " دليل قوي على شدة تلك النظرات ، وثبوتها ودوام فعلها في النفس .

الشاهد الواحد والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الكامل)

• قول بعض شعراء الجاهلية ، ويمزى إلى لبيد :
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا . : لِیُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ (٢)
وقبله بيت متصل به :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَطِينُ لِفَامِرٍ . : فَأَلَانَهَا إِصْبَاحُ وَإِلْمَسَاءُ

-
- (*) الدلائل : رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاکر : ٤٩٨ .
(١) نسب ابن طباطبا للنمرين تولب ، ونسبه الشعالبي في الإعجاز والإيجاز للناطقة الجعدي ، ونسب أيضا - لعمري من قبضة ، ونسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد النري .
(٢) رواية الكامل : " في السلامة " .
(٣) انظر البيت في : شعر الفريه تولب " شعراء راسد ميون " : ٤٠٠ .
عيون الأخبار : ٢ / ٢٢٢ ، الكامل - دار الفكر - ١ / ١٤٨ ، عيار الشعر : ٨٣ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٥ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ ، التشبيهات : ٢١٧ ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي : ٨١ / ٣ .

.. مع قول أبي العتاهية : (الرجز)

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَثَرِيَّ تَمَامَهُ . تَدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ (٢) (٣)

فالمعنى العام في الشاهدين هو أن الداء والعلة في طول عمر الإنسان .
فليبد جاء بالمعنى مباشراً ، فهو لم يزد على أن اجتهد في دواء ربه وطلب
السلامة . إلا أن قوله " فإذا السلامة داء " إيجاز مغمم بالمعنى . وتركيب هذا
الإيجاز على الطباق بين لفظ "السلامة" ولفظ "الداء" فيه محاورة للفكر ، وتنشيط
للذهن ، لأن فيه قلباً للمعنى المألوف ، فالمعروف أن في الصحة السلامة ، وليس فيها
الداء .

وما أبرع مجيء الغاء هنا (فإذا) حيث دلت على المفاجأة والمباغته ، وعدم
التوقع .

أما أبو العتاهية ، فكان أكثر تحريكاً للخيال ، فجاء بالطباق فسي
شطري البيت :

" نقص - تمام "

" تدبر - تقبل "

وحركة المخادعة هذه حركة لطيفة فيها نوع من الإثارة التي تحرك الفكر .
وأنظر إلى قوله " تدبر في إقبالها أيامه " ، وتأمل الدور الذي قام به تقديم
الجار والمجرور " في إقبالها " على الفاعل " أيامه " وكيف استحكت به حلقات

(١) رواية الحيوان : " نقص " بالضاد .

(٢) رواية التشبيهات للشطر الثاني :

" يَأْذَا النَّهْيِ قَدْ بَعَدَتْ أَيَّامُهُ "

(٣) لم أجده في ديوانه : انظره في :

عيون الأخبار : ٢ / ٣٢٢ / ٦ ، البيان والتبيين : ١ / ١٥٤ ، الحيوان :

٥٠٢ / ٦ ، - الشطر الأول فقط - ، والبيت بتمامه في : التشبيهات : ٢١٢ .

المعنى حيث جعل الإقبال والإدبار وكأنهما حركة واحدة لها نفس السرعة بل نفس الاتجاه .

وهذه الحركة السريعة في الإقبال والإدبار تنبيه قوي للنفس بسرعة انقضاء أجلها بل سرعة فناء الدنيا بأسرها .

الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلاثئة : (*) (الكامل)

• قوله :

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الْحَبِيبِ (٢) . . . بَ تَكُونُ كَالشَّوْبِ (٣) آسْتَجِدَّةً
إِنَّ الصَّدِيقَ يُبْلِسُ (٤) . . . أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة . (٦)

• • مع قول أبي تمام : (الطويل)

وَطَوَّلَ مَقَامَ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ (٧) . . . لِذِي يَأْتِيهِ قَاغَتَرِبٌ تَتَجَدَّدُ (٨) (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١-٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٤-٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٨ .

(١) رواية محاضرات الأدباء : " أغيب زيارتك " .

(٢) رواية محاضرات الأدباء : " الصديق " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " كالشبي " .

(٤) رواية محاضرات الأدباء : " إن الصديق يل من " .

(٥) لم أجد البيت فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في :

محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٣٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) مخلص : بال / مختار الصحاح : ١٨٧ .

(٨) الدياجتان : الدياجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن ، وفي الوصف

بوفور الحياء ، والماء ، وعلى المعنى الثاني بيت أبي تمام / شارالقول : ٣ / ٥٩٧

وجاء في شرح التبريزي :

" أهل اللغة يقولون : الدياجتان الخدان ، وربما قالوا اللتان ويجوز أن

يكون الطائي عني الخدين ؛ لأنهما في معنى الوجه ، وقد يحتل أن يكون جعل

" الدياجتين " مثلاً ، ولم يرد الخدين ، ولكنهما جريا مجرى البردين =====

وهو من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي ، (١) ومطلعها :

عَدَّتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدْرٍ . وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَ هَا كُلِّ مَرْقَدٍ

وقبل الشاهد :

وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مَسْكَنًا . أَلَدَّ بِمِ الْإِلَّا يَنُومُ مَشَرَرَدٍ

وبعد الشاهد معه :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً . إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ سَرْمَدٌ (٢)

ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت أبي تمام في معنى قوله

تعالى :

" فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ " (٣)

قال بعد أن ذكر الآية :

" فأخرج الكلام مخرج العموم ، ولم يخص أرضاً دون أرض ، ولا قرناً دون بعد ،

وينشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وَطَوَّلَ مَقَامَ الْمَرْءِ . . . البيت (٤)

== والشويعين ، فيكون الواحد ، والجمع في معنى واحد ؛ لأنه إذا قيل فلان مُخْلِيقُ
الْبُرْدِ ، أو الْبَرِّينِ ، فالمعنى : أنه مُخْلِيقُ الثياب ، وأراد " بالد بياجتين " ما يظهر
من أمره ، لأنَّ تَلْبِيسَ الْإِنْسَانِ يدلُّ على باطنه . / الديوان بشرح التبريزي : ٢٣ / ٢ .
(٩) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٣ / ٢ ، ديوانه - دار صعب - : ٩٠ ، المبيان
والتيبين : ١٨٢ / ٢ ، عيون الأخبار : ٢٣٣ / ٣ / ١ ، الموشى : ٢٤ ، ديوان المعاني
١٩٠ / ٢ ، التشبيهات : ٣٤٨ ، شارالقلوب في المضاف والمنسوب : ٥٩٨ / ٢ ،
أسرار البلاغة - هـ ، ريتزر - : ١١٢ ، محاضرات الأدباء : ٣٦ / ٣ / ٢ ، المحاسن
والمساوي : ٢٨٥ ، بهجة المجالس : ١ / ٢٤٠ .

(١) سبقت ترجمته ، انظر : ص ٧١٨ .

(٢) رواية بهجة المجالس : " إنَّ لَيْسَتْ " .

(٣) الجمعة : آية ١٠ .

(٤) ديوان المعاني : ١٩٠ / ٢ .

وذكر ابن أبي عون أن حسن جيد هذا المعنى قول ابن المعتز :
 كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ آتِيَةً لَهُ . . . كَذَا يَخْلُقُ الثَّرَى الْعُيُونُ اللَّوَامِسُ
 وذكر بيت أبي تمام على أنه من أجود الأمثال في هذا المعنى قال :
 " وقال ابن المعتز (الطويل) :

كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ آتِيَةً لَهُ . . . البيت

وهذا قول الطائي (الطويل) :

وَطَوَّلَ مَقَامَ الثَّرَى فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ . . . البيت
 قَائِلِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً . . . البيت * (١)

وفي هذا المعنى قول أبي الفتح البستي :

مَنْزِلَتِي يَحْفَظُهَا مَنْزِلَتِي . . . قَائِلِي تَحْفَظُ دِيَارِي جَيْتِي (٢)

ويبدو لي أن أصل هذا المعنى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
 " زُرْعًا تَزِدُّ مَحَبًّا " (٣)

المعنى العام في الشاهدين : ندرة الرؤية تزيد الرغبة في الإنسان ، وكثرتها
 تُبْعِلُ مِنْهُ .

فلو نظرنا إلى طريقة تناول كل من الشاعرين لهذا المعنى ، وجدنا الأول قد
 رى بنصيحته رعباً مباشراً ، ولم يراعِ الأحوال النفسية المُثْلَقِي النصيحة .

وقوله " كالثوب استجد " تشبيه لاعمق فيه ، وهو تشبيه لا يخدم المعنى كثيراً .
 أما أبو تمام فكان أخبر بأحوال النفس ، وأمهري قيادتها نحو استجابة النصيح ،
 إن أنه كان حريصاً كل الحرص على أن تستجاب نصيحته وأن تؤثر في النفوس .

(١) التشبيهات : ٣٤٨ .

(٢) نثار القلوب : ٢ / ٥٩٨ .

(٣) مسند الشهاب : ١ / ٣٦٦ - ٣٦٧ ، رقم : (٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢) ،

المستدرك على الصحيحين : ٣ / ٣٤٧ ، مجمع الزوائد : ٨ / ١٧٥ .

فصورة الثوب الخلق التي رسمها أبو تمام أبقى بالمقام ، وأبلغ في التنفير ، فتصوير النتيجة للتنفير ثم إخبارها بالأمر يفتح منافذ الحذر في جوانبها .

ثم بعد هذه التهيئة النفسية ، وتصوير نتائج طول الإقامة ألقى الأمر على السامع " فَأَعْتَرَبَ تَتَجَدَّر " .

ولم يأت لأسمع رنين الشدة في الحصى على سرعة الاستجابة ينبعث من فعل الأمر المقتن " بـ الفاء " .

وفي محيى الأمر مقترباً بالجواب " فَأَعْتَرَبَ تَتَجَدَّر " تأكيد من الشاعر بأن النفس قد وصلت إلى مرحلة من التقبل لاجال للرفض معها .

وهذا البيت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيت بعده ، وهو قوله :

" فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً "

فـ " الفاء " هنا قامت بدور فعال في تسلسل المعاني والأحداث حيث ربطت وأحكمت وثاقهما ، فالبيت الثاني تجسيد وتصوير لقوله : " فَأَعْتَرَبَ تَتَجَدَّر " .

ولقد كان الشاعر دقيقاً بارعاً في اختيار صورته ، فاخترها صورة حسية قريبة من حس الإنسان وشعوره ، وهى صورة متكررة أمام النظر ، وفي هذا تذكير ، وبعمق للتفكير تجاه الموقف المرسوم .

قال الشيخ عبد القاهر :

" ... فأنا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر كما

أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله : " قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي (١) ، الشواهد في ذلك كثيرة ، والأمر فيه ظاهر ، ولولا أن الأمر

كذلك لما كان لنحو قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ التَّوَدُّدِ ...

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ ...

معنى ، وذلك أن هذا التجدد لا معنى له إن كانت الرؤية لا تغيد أنساً من حيث هي رؤية ، وكان الأنس لنفيها الشك والريب ، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يُعلم من قبل " (١)

ثم انظر إلى قوله " زِيدَتْ مَحَبَّةٌ " ، وينا الفعل " زَادَ " للمجهول والذي صور عظيم المحبة المنبعثة في القلوب ، وفي هذا إحياء للنفس وحث لها وترغيب في الابتعاد لتعظم محبتها في النفوس .

الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الرسل)

• وقيل الخَرِيرِي :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا . : أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْفُورٌ صَفِيرٌ (٣)
تَتَنَاسَاهُ كَأَن لَّمْ تَأْتِـــهُ (٤) . : وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ (٥) (٦) (٧)

- (١) أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ١١٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٨ .
(٢) سبقت ترجمته : ٤٤٩ .
(٣) رواية الديوان ، والموشى ، ولباب الآداب والتبيان للعكبري " مستور حقير " .
(٤) رواية لباب الآداب " وتتناساه " .
(٥) رواية الوزراء والكتاب " مستور يسير " .
(٦) رواية لباب الآداب " عند الله " .
(٧) رواية الديوان : " مشهور خطير " .
(٨) رواية الوزراء والكتاب : " مذكور كثير " .
(٩) رواية الوساطة والتبيان للعكبري : " مشهور كثير " .
(١٠) رواية لباب الآداب : " مشكور كبير " .
(١١) ديوانه : ٢٥ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ ، الشعر والشعراء :
٢ / ٨٦٠ ، الغاضل : ٩٦ - من غير نسبة - ، الموشى : ٤٥ ، الوزراء
والكتاب : ٢٦٨ ، الوساطة : ٢٥٤ ، لباب الآداب : ٢٥٧ ، التبيان
للعكبري : ٤ / ٦٥ .

وهو من قصيدة له في مدح محمد بن منصور بن زياد (١) مطلعها :

لَا يَنَاجِي فِي النَّدَى إِلَّا النَّدَى . وَإِنَّا هَمٌّ بِوَلَايَسْتَشِيرُ

وبعد ، بيتا الشاهد وبعدهما :

كَمْ وَكَمْ أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعَمٍ . تَدْعُ الْمُثْنِي بِهَا وَهوَ حَسِيرُ

والشاهد في معنى بعض الحكماء :

* أحبي معروفك بإماتة ذكره ، وعظمه بتصغيرك له * (٢)

ومثال هذا المعنى أيضا قول الخريبي :

لَأَنَّكَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً . وَأَنْتَ لَنَا اسْتَكْرَتْ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ (٣)

وأقوال الخريبي في معنى قول طريح الثقي (٤) :

سَعَيْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَبِمَا صَنَعْتَ بِي . فَقَصُرْتُ مَقْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ (٥)

ولقد علق ابن قتيبة^(٦) على بيت الشاهد بأنه من جيد شعر الخريبي ، وكذلك ذكر

القاضي الجرجاني^(٧) أن هذا البيت من أملح شعره .

(١) من كتاب البرامكة ، كان ثريا سخيا أكثر الخريبي من مدحه ومن رثاء أبيه .

الوزراء والكتاب : ٢٦٦-٢٦٨ .

(٢) الموشى : ٤٥ .

(٣) ديوانه : ٢٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ .

(٤) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقي ، أبو الصلت (١٦٥-١٧٥ هـ)

وهو شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليفه ، انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة ،

واستراخه به ، وأكثر شعره في مدحه ، وكان الوليد يستشير به في مهماته .

انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ٩٥ ، سبط اللاقي : ٢ / ٧٠٥ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي

٢ / ١٤٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٥٦ ، الأعلام : ٣ / ٢٢٦ .

(٥) شعر طريح الثقي : ٨٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ .

(٦) الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٠ .

(٧) الوساطة : ٣٥٤ .

(المنسرح)

•• مع قول المتنبي :

تَنْظُرُ مِنْ فَقْدِكَ أَفْعِدَانَهُمْ .: أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (١)
وهو من قصيدته (٢) التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي (٣)

وقبل الشاهد :

قَوْمٌ بَلَّغُوا الْغُلَامَ عِنْدَهُمْ .: طَعَنَ نَحْوِرَ الْكِنَاةِ لَا الْحُلُمِ
كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّسْدَى مَعَهُمْ .: لَا صِفَرَ عَائِزٍ وَلَا هُـمِ
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا .: وَلَئِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَسَّوْا

وبعد ها الشاهد بعده :

إِنْ بَرَّقُوا فَالْحَتُوفُ حَاضِرَةٌ .: أَوْ تَطَقَّوْا فَالْصَّوَابُ وَالْحَكَمُ

ومعنى الشاهد :

" يريد أنهم لا يعتمدون بصنيعهم ، وإنما بهم ، كما أنهم لم يعلموا بذلك لتناسيهم
ونفقتهم عنه " (٤)

وفي هذا المعنى قول يزيد بن حمار : (٥)

وَمِنْ تَكْرِيهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ .: لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّ الْجَارَ (٦)

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ٦٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٢٤ .

(٢) سبق ذكر المطلع : ١٠٣ .

(٣) سبق ترجمته : ١٠٣ .

(٤) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

(٥) هو يزيد بن حمار السكوني من فرسان الجاهلية ، شهد حرب " ذي قار " ،
وكان حليفاً لبني شيان ، وقام بحركة " عسكرية " كانت من أسباب هزيمة
الفرس . / انظر :

النقائص : ٦٤٢ - ٦٤٤ ، الأعلام : ٨ / ١٨١ .

(٦) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

والمعنى العام في الشاهدين : أن المعروف يعظم إذا استصغره صاحبه ،
وتناساه .

ويبدو لي أن الموازنة بين البيتين تكون من جهة أن الخريي جعل فاعل الخير
عالمًا بما يفعل بصيراً به إلا أنه يحقره ، ويصغره ، ولا يتعالى به ، وقد أكد هذا
التحقيق بتقديم الظرف " عندك " على الخير " محقور " ، وجاء بالجملة مؤكدة بـ " أن " ،
ثم زاد ذلك التأكيد بوصف الخبر بلفظ " صغير " مبالغة في التحقير .
وقوله " تناساه " دل على السرعة والاقتدار على التناسي ، فهذا البناء للفعل
أبلغ من قوله " تنسى " .

أما المتنبى فكان أبلغ في وصف مدح وجيه الكرم والساحة في العطاء ، فجعل
اعتدادهم بما يفعلون مفقوداً لا محقوراً فقط .

وقد أجاد الشاعر حين بنى بيته على لفظة " تظن " هذه اللفظة التي تحمل في
معانيها كل معاني الدهشة ، والتي تثير في النفس كل كوامن الاستغراب والاستعظام
والإكبار لا تلك المنعمين ، وظهرت معنى النفي في قوله : " وما علموا " بأنه ليس على
الحقيقة إنما هو للمبالغة في إكبار شأنهم ، فهم لعدم اعتدادهم بما صنعوا ، وعدم
تفاخرهم بأنهم لم يعلموا .

وانظر إلى تعبيره عن الإنعام كيف جاء به مؤكداً بـ " أن " ، ليثبت أن إنعامهم
كان حقيقة لا ظناً .

وما أطف الوصل بين جملة الإنعام ، وبين جملة عدم علمهم ، ففيه إشارة إلى
تلازم واقتران الإنعام بعدم العلم ، وأن هذا هو شأنهم ، ويدينهم .

الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلاثئة : (*) (الوافر)

• وقول البحري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو . . إِلَى أَهْلِ النَّوَائِلِ وَالْفُضُولِ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاکر : ٤٩٩ .
(١) ديوان البحري - بيروت : ٦٠ / ١ ، ديوانه - صيرفي : ١٢٣٩ / ٣ .

والشاهد من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان^(١) ومطلعها :
 أَكُنْتُ مُعْتَفِي يَوْمَ الرَّجِيلِ . . . وَقَدْ لَجْتُ دُمُوعِي فِي الْهُسُولِ
 وقبل الشاهد :

وَلَمَّا أَعْتَلَّ أَصْبَحَتِ السَّعَالِي . . . مُحَبَّسَةً عَلَى خَطَرٍ مَهْسُولِ^(٢)
 وبعد الشاهد :

وَكَيْفَ تَرُومُ ذَا الشَّرَفِ الْمُعَلَّى^(٣) . . . وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ

•• مع قول المتنبي : (البسيط)

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِدَا الزَّمَنِ . . . يَخْلُو مِنَ السَّهْمِ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ^(٤)
 والشاهد هو مطلع قصيدة مدح بها أبا عبد الله القاضي الأنطاكي^(٥)
 وبعد :

وَلَمَّا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ . . . شَرَّ عَلَى الْحُرِّينَ سُقْمٌ عَلَى بَدَنِ
 حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلْسٌ . . . تَخْطِي إِذَا جِئْتُ فِي اسْتِفْهَامِهَا يَمَنُ
 ومعنى الشاهد :

” يقول : الفضلاء من الناس للزمان ، كالأغراض يرميهم بنوائمه وصروفه ، ويقصد هم
 بالمحن ، فلا يزالون محزونين ، ولأنما يخلو من الحزن ، والفكر من كان خالياً من الفطنة
 والبصيرة ، وهذا من أحسن الكلام ، وهو من كلام الحكيم .

(١) سبقت ترجمته : ٩١ .

(٢) ذكر في ديوانه - صبري - بعد هذا البيت بيت هو مثل الشاهد :

فكائن فني من دمع غزير . . . وَأَصْرِمَ مِنْ جَوَى كَمَدٍ دَخِيلِ

(٣) رواية ديوانه - صبري - : ” ذَا الْفَضْلِ الْمُرَجَّى ” .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢٠٩ ، العرف الطيب :

٤ / ٥٨٣ ، الوساطة : ١٥٩ ، يثيمة الدهر : ١ / ١٢٥ ، ٢٠٢ ، زهر

الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٥) سبقت ترجمته : ٩٧٩

قال الحكيم : على قدر الهم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب

الأمر ، فلا يزال مهوماً ، وأما الجاهل ، فلا يفكر في شيء من هذا * (١)

ورأى ابن وكيع التنيسي أن قول المتنبي هو من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَتَكْرِيئِي السَّهْمَ وَالسَّهْمَ مَالَهُ . . . مِنَ الْأَرْضِ مَاوَى غَيْرَ قَلْبِ الْمَسِيرِ

وقال آخر :

مَنْ كَانَ ذَا غَفْلَةٍ وَجَهْلٍ . . . كَانَ خَلِيْقًا مِنَ الْهُمُومِ

وعلق بقوله :

* وقد اختصر أبو الطيب اللفظ الطويل في الموجز القليل * (٣)

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، فقال صاحب بن عباد :

وَقَائِلَةٌ لِمَ عَرَّتْكَ الْهُمُومُ (٢) . . . وَأَثَرُكَ (٤) سَتَلَّ فِي الْأُسَمِّ

فَقُلْتُ ذَرِينِي لِمَ أَشْكِي . . . فَإِنَّ الْهُمُومَ يَقْدِرُ الْهِسَمُ (٤)

وقال أبو الفتح البستي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا يَدَّ لَهُ . . . مِنْ هُمُومٍ تَغْتَرِيهِ وَغُصَمٍ

وَالَّذِي يَرْكَبُ بَحْرًا سَمِيرَى . . . قَحَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْرِ قَحَمٍ (٥)

وقال ذو الإصبع العدواني :

أَطَافَ يَتَا رَيْبِ الزَّمَانِ فَدَاسْنَا . . . لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرٍ (٦)

(١) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٢) سبقت ترجمته : ص ٥٩٦ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٥٢٩ .

(٤) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٥) لم أجده في ديوانه ، التبيان للعسكري : ٤ / ٢٠٩ .

(٦) ديوانه : ٣٥ .

(١)
 وأحسن ما قيل في هذا المعنى ، قيل قابوس بن وشكير:
 قُلْ لِلَّذِي يُصْرَفُ الدَّهْرُ عَيْنًا . . . هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
 أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ . . . وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ السُّدُرُ
 فَإِنْ تَكُنْ نَشِبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ يَنَا . . . وَنَالْنَا مِنْ تَنَادِي بُؤْسِهِ الضُّسُرُ
 فَيَا سَمَاءَ نَجُومٍ مَالَهَا عَدَدٌ . . . وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٢)

والمعنى الجامع بين البيتين : أنه على قدر الهم تأتي المصائب ، فالبحتري جعل
 النوايب تقصد أهل النوازل والفضول ، وقد تناول معناه هذا تناولاً لطيفاً ، فبدأ
 البيت بهزمة الاستفهام المفيد للتعجب " ألم تر " ، والذي فتح منافذ الإحساس ،
 وشد الانتباه للمعنى الغريب المثار . وانظر إلى الفعل (ترى) وكيف نقل الأمر المعنوي إلى
 المحسوس المشاهد عن طريق الاستعارة .
 وانظر إليه كيف قدم الجار والمجرور " للنوايب " ؛ لأنه محط التعجب ، وطيحه
 يدور المعنى ، فمراد الشاعر ليس هو التعجب من السمو وحده ، ولكن أن يكون من
 النوايب .

ولهذا التقديم أثر كبير في تركيب البيت ، فلو أنه قال : " ألم تركب تسمو
 النوايب إلى أهل النوازل والفضول لفسد مذاق البيت ، وخرج عن كونه شعراً .
 وتأمل الاستفهام في قوله : " كيف تسمو " فكيف هنا لها مذاق خاص فهي تتعجب من طريقة
 وصول النوايب إلى هذا الشخص بذاته . وانظر إلى اختيار الشاعر للفظ (تسمو) فهي
 عبارة نفوس في قلب المعاني ، وتستخرج خباياها ، فقد أظهرت سمو هؤلاء الأفاضل ،
 ورفعتهم ، فهم يجلسون عالياً ؛ لأنهم أهل عزة وكرم .

(١) هو قابوس بن وشكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي ، أبو الحسن . . . ٣٠٠ هـ .
 الملقب شمس المعالي ، أمير جرجان ، وبلاد الجبل ، وطبرستان ، أخرجه منها ضد
 الدولة ، ثم استعادها ، وهو دلي الأصل ، نابغة في الأدب ، ولأنشاء ، جمعت
 رسائله في كتاب سمي " كمال البلاغة " ، وله شعر جيد بالعربية والفارسية . /
 انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٨٤-١٩٥ ، يتيمة الدهر : ٤ / ٩١-٦١ ، الإعجاز والإيجاز :

٩٦-١٢٢ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩-٨٢ ، الأعلام : ٥ / ١٢٠ .

(٢) يتيمة الدهر : ٢ / ٤ / ٦١ .

وسجى جملة "تسمو" بالفعل المضارع أثار في البيت نوعاً من الحركة والنشاط.
أما بيت المتنبي ففيه من الرقة والسلاسة ما يجعله من السهل الممتنع، فقد أشار
إلى أن الفضلاء من الناس للزمان كالأغراض يرميهم بنوائيه وصورفه .
وزاد في المعنى عن الأول حين جعل الخلو من الهم دليلاً على عدم الفطنة ،
وهذا معنى غريب لطيف .

واستعمال كلمة "غرض" أقوى في هذا المقام من كلمة "تسمو" حيث جعل الزمن
هؤلاء الأفاضل هدفاً من أهدافه يتربصهم ويترصدهم ، وقد بنى هذه اللفظة على
الاستعارة المكنية ، حيث شبه الزمن بالإنسان ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء
من لوازمه ، وهو الهدف والغرض ، ويمكن أن يكون التركيب مجازاً عقلياً ، فالغرض
يكون من عاقل ، والزمن لا يعقل ، فأسند الفعل لغير ما هو له ، وهذا قياس على قول
الخنساء " فَإِنَّا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِرْدَبَارٌ " .

وانظر إليه كيف ابتدأ البيت بوصف من تكالبت عليهم المصائب بقوله "أفاضل" ،
وفي هذا تعظيم وإكبار لشأنهم .

وفي بناء البيت على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ "أفاضل" ، والخبر
"أغراض" دليل على ثبوت ودوام صفة الفضل لهم .

وفي جعلهم "أغراضاً" بصيغة الجمع تصوير لتوالي ، واستمرار ودوام إصابتهم
بالمصائب ، وكونهم مقصداً لها .

وانظر إلى قوله "لِذَا الزَّمنِ" ، وكيف أشار إلى الزمن بالقرب قصداً إلى تعظيم
أحواله ومصائبه .

الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول المتنبي :
تَدَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى . قَمَّا عَاشِقٌ مِّنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شساكر : ٤٩٩ .
(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٣٨ / ٢ ، العرف الطيب : ٢٧ / ٤ ، الوساطة
٣١٣ ، المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

وهو من قصيدة قالها في صباه ، مدح بها علي بن أحمد الخراساني ، ومطلعها :

حُشَاةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُوا . . قَلَّمَ أَنْ رَأَى الظَّالِمِينَ أَشْيَعِ

وقبل الشاهد :

فَبِأَيِّ لَيْلَةٍ مَا كَانَ أَطْوَلَ يَتَهَا ^(٢) . . وَسَمُّ الْأَفَاعِي عَذَبَ مَا أَتَجَرَّعَ

وبعد الشاهد :

وَلَا تَوْبَ سَجِدَ غَيْرَ تَوْبِ أَبِي أَحْمَدٍ . . عَلَى أَحَدٍ إِلَّا يُلُومُ مَرْقَسَ

ومعنى الشاهد : * الزم الطاعة والانقياد في القرب ، والبعد ، وارض وسلم لفعلها ،

فهذا من علامة الحب * (٣)

ولقد أكرر الشعراء في هذا المعنى ، فمنه قول أبي نواس :

سُنَّةُ الْعَشَّاقِ وَاحِدَةٌ . . فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِينْ ^(٤)

ومنه قول البحتري :

وَتَدَلَّلْتُ خَاضِعًا لِئَلَيْكِي ^(٥) . . وَقَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَنْدِلَ ^(٦)

ومنه قول العباس بن الأحنف :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مَنْ تَحِبُّهُ . . وَلِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ

فَإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى . . يُفَارِقُكَ مَنْ تَهْوَى وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ ^(٧) ^(٨)

(١) سبقت ترجمته : ٩٧١ .

(٢) يريد : ما كان أطولها ، فحذف الضمير لإقامة الوزن / التبيان : ٢٣٨ / ٢ .

ورواية المنصف : * ما كان أطولَ بئها / المنصف : ١٢٢ .

(٣) التبيان : ٢ / ٢٣٨ .

(٤) ديوانه : ٤١٢ ، التبيان : ٢ / ٢٣٨ .

(٥) رواية الديوان - بيروت - : * جاهدًا * .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ١٧٦ / ١ ، التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

(٧) رواية التبيان : * وَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ * .

(٨) ديوانه : ٢٧٢ ، التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

ذكر المعكري أن العباس قد أحسن في قوله هذا (١) .

وعلق ابن وكيع على بيت المتنبي بقوله :

" هذا مستعمل كثير إلا أنه ماحقره ، وقد ساوى البحرى في قوله :

وَتَذَلَّتْ خَاضِعاً لِيَلِيكِي . . . البيت " (٢)

(الرجل)

• مع قول بعض المحدثين : (٣)

كَئِنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا . . . لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيمًا

لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى . . . تَلْزِمَ النَّفْسَ الْخَضُوعًا (٤)

المعنى المشترك في الشاهدين : أن الهوى والحب الحقيقي يبني على التذلل

والخضوع .

ومن الغريب أن يتناول المتنبي مثل هذا المعنى لما عُرِف من كبريائه إلا إذا قيل

إنه ليس في الحب . وقد أحسن المعكري في استئناس بيتي ابن الدُّهْنِيِّ ، فها نجد
أحسن ما قيل في هذا المعنى .

وفي معنى الشطر الثاني من بيت الأحنف قول المؤمل بن أميل : (٥)

(١) التبيان للمعكري : ٢ / ٢٣٩ .

(٢) المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

(٣) نسبه الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية لأبي نواس ، ولم يذكر على أي المصادراعتد .

ولقد بحثت عن بيت الشاهد في ديوان أبي نواس فلم أقف عليه .

ويبدو لي أن هذين البيتين خاليان من كل صنعة جيدة ، والمعاني فيهما
سطحية :

(٤) الوساطة : ٣١٣ - من غير نسبة وذكر البيت الأول فقط - التبيان للمعكري :

٢ / ٢٣٨ .

(٥) المؤمل بن أميل : بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس عيلان كوفسي

من مخضري آل ولتين الأموية والعباسية ، واشتهر أكثر في دولة بني العباس لأنه
كان من الجند المرتقة ، انقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعد ها ، توفي سنة ١٩٠ هـ

تقريباً / انظر :

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعْوِدُكُمْ .: وَتَذَيُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَتَعْتَسِرُونَ (١)

وعلى الجملة ، فهذه معان غير كريمة ، وأردأ منها التعبيرات عنها ، مثل " تذلل ، واخضع " في قول المتنبي ، و " قليلٌ من عاشقٍ أن يذلا " في قول البحتري .
وأفضل منها جميعاً قول أبي فراس :

إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى .: وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبَرُ (٢)

وقريب من هذا المذهب ما ذكره الآدي لكثير ، وقدم له بقوله :

" وَلَكِنَّ الْحَرَ الْكَرِيمَ الْأَيْفَ كَثِيرٌ بِنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذْ يَقُولُ :

وَلَمَّا رَأَتْ وَجْهِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ .: صَبَابَةٌ حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادِرٌ
أَدَلَّتْ بِصَبْرِ عِنْدَهَا وَجْهًا لَدَنٍ .: وَتَحَسَّبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جَلَدٍ
فَيَاغَرُ صَادِرِي الْقَلْبِ حَتَّى تَوَدَّ نَيْسِي .: فَوَادِكِ أَوْ رَدِّي عَلَيَّ فُسْوَادِي

ثم قال : " وكان هذا ما ينشده أبو العباس شعلب كثيرا ، ويستحسنه " (٣)

(الطويل)

الشاهد السادس والعشرون بعد الثلاثاء : (*)

• وقول مضر بن ربيعة : (٤)

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَمْ .: عَلَيَّ دَلَالٌ وَإِجِبُّ لَمُفَجِّعُ

===== الأغاني : ٢٢ / ٢٤٥-٢٥٢ ، معجم الشعراء للمعرياني : ٣٨٤ ، سبط اللاكسي :

١ / ٥٢٤ ، نكت البهيمان : ٢٩٩ ، خزانة البغدادي - دار صادر - ٣ / ٥٢٣-٥٢٥ .

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٧٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٢٠ .

(٢) ديوانه : ١٥٧ .

(٣) الموازنة تحقيق السيد صقر - ٢ / ٢٦ : ٤٥٥-٤٥٦ ، شاکر : ٤٩٩ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢-٣٨٣ ، أخفاجي : ٤٥٥-٤٥٦ ، ونسب البيت في المؤلف

(٤) ذكرت هذه النسبة في الوساطة ، والتبيان للعسكري . ونسب البيت في المؤلف

والمختلف ، والحامسة - ت : عسلان - ، وشرح ديوان الحامسة للتبريزي ، للبراء

ابن ربيعة الفقمسي وهو شاعر جاهلي من بني فقمس ، كنيته " أبو الحنَّان " .

وهو الصواب ، وقيل " أبو الرجال " ، ولم أجد له غير هذه الترجمة البسيطة / انظر :

المؤلف والمختلف : ٨٦ ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي : ٢ / ١٦٧ ، التاج :

" حنك " : ٢ / ١٢٤ .

وَلَيْسَ بِالتَّوَلَّى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي .: وَلَا ضَائِرِي فَقَدَانُهُ لَمَسَّعُ (١)

والشاهد من أبيات خمسة ، وقبله ثلاثة أبيات هي :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا .: أُرَجَّى الْحَيَاةَ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَانِيَةً كَانُوا نَوَابَةَ قَبْرِهِمْ .: بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مِنَ أَشْيَاءِ وَأَنْتَعُ
أَوَّلِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رَزَقْتُهُمْ .: وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعُهُمْ إِصْبَعُ

وشرح التبريزي البيت الأول فقال :

” عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ أَيُّ لَهْ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ وَأَنْ احْتَمَلَ ” (٢)

وسمى البيت الثاني :

” أَيُّ بَقِيٍّ يَقَالُ : اَمْتَعِ اللَّهُ فَلَانًا بِفُلَانٍ أَيُّ أَبْقَاهُ ، وَمِنْهُ مَتَعَ النَّهَارَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ

النِّزَالِ ” (٣)

== أما مضرّس بن ربيعي فهو مضرّس بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن
فقس بن أسد ، شاعر حسن التشبيه والبرص ، أورد له البغدادي أبياتاً جيدة
في وصف ليلة ويوم ، ومقطوعة فيها حكمة ، وقال : ” هو شاعر جاهلي ” ،
واختار أبو تمام في الحماسة قطعتين من شعره ، وروى له المرزباني عمدة
مقطوعات ، وقال : ” له خبر مع الفرزدق ” ، فإن صح هذا ، فلا يكون جاهلياً .
انظر : المؤلف والمختلف : ١٩١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٩٠-٣٩١ ،
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٠٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر -
٢ / ٢٩٢ ، الأعلام : ٧ / ٢٥٠ .

(١) انظر البيت في :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١ / ٤٠٨ ، رقم (٢٨٠) ، الوساطة : ٣٣٧ ،
المؤلف والمختلف : ٨٧ ، التبيان للعكبري : ١٧٧ / ١ ، شرح ديوان الحماسة
للتبريزي : ٢ / ١٦٨ .

(٢) التبيان للعكبري : ٢ / ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(الطويل)

•• مع قول المتنبي :

أَنَا تَخْلَطُ الْأَيَّامَ بِنَيِّ بَأَنَّ أَرَى . . . بَغِيضًا تُتَارِي ^(١) أَوْ حَبِيًّا تُقَسِّرُ ^(٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الإخشيدي ، وكان قد حمل إليه ستائة دينار .

والبيت الذي قبل الشاهد ، هو مطلع القصيدة :

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ . . . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ

وبعد الشاهد :

وَاللَّوْ سِيرِي تَأَقَّلَ تَغِيَّةً ^(٣) . . . عَشِيَّةً شَرْقِيَّ ^(٤) الْحَدَّ إِلَى ^(٥) وَغُرْبِ

ومعنى الشاهد :

" يقول : هذه الأيام مولعة بإدناء من أبيض ، وإبعاد من أحب ، فما تفلط سرة

بتقريب الحبيب ، وإبعاد البغيض ، فلو غلظت مرة ، وفعلت هذا ، وجعله غلطاً

من الدهر ؛ لأنه خلاف ما يفعله الدهر ^(٦) .

ذكر القاضي الجرجاني أن قول المتنبي أصله من قول مضر بن ربيعي إلا أن المتنبي

أحسن وأطاب ^(٧) .

(١) تُتَارِي : تفاعل من التأي ، وهو البعد : أنأيت الرجل ونأيته أبعدته . /

اللسان " نأى " : ٢٠٠ / ١٥ .

(٢) لم أقف على الأبيات فيما لدي من مصادر إلا في :

الوساطة : ٣٣٧ ، يتيمة الدهر : ٢١٠ / ١ ، التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ .

(٣) تَغِيَّة : التثنية الطبث والتثكت / التبيان للعكبري : ١ / ١٧٨ .

(٤) الْحَدَّ إِلَى : موضع بالشام وقيل جبل بازاء غُرْبَ . / معجم ما استعجم :

٢ / ٩٩٤ .

(٥) غُرْبَ : يضم أوله ، وتشديد ثانيه ، وآخره باء موحدة اسم جبل دون الشام

في ديار بني كلب ، وعنده عين تسمى غُرْبَة ، وقيل غُرْبَ ماء بنجد من مياه

بني تميم . / معجم ما استعجم : ٤ / ١٩٢ .

(٦) التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ .

(٧) الوساطة : ٣٣٧ .

وفي هذا المعنى قول الطرمح :

يُفَرِّقُ بَيْنَنَا مَنْ تُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ . . وَيَجْمَعُ بَيْنَنَا بَيْنَ أَهْلِ الصَّفَائِنِ (١)

وسمه قول الآخر :

عَجِبْتُ لِتَطْوِيعِ النَّوَى مَنْ تُحِبُّهُ . . وَلَوْلَا نَاءٌ مَنْ لَا يَسْتَنْدُ لَهُ قُرْبُ (٢)

ذكر القاضي الجرجاني أن الشعر في هذا المعنى كثير، وأصله من قول المفسر

ابن ريمي . (٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين : بعد الحبيب ، وقرب المغيض ، فالشاعر نفسي الشاهد الأول تظهر نفسه وهي تتوَّى ألماً وحزناً ، فصابه عظيم جليل ، فقد أُصِيب بفقدان شانية من إخوته كانوا ذؤابة قوسهم ، ولشدة وقع هذه الفجيعة على النفس لأن الشاعر بأسلوب التوكيد ليُخمد نار الحزن المتأججة في نفسه ، فبدأ البيت بالقسم (لعمر ك) ، ثم جاء بأن المؤكدة (إِيَّتِي) ، وجعل الخبر مقترناً بلام التوكيد (لَمُفَجَّع) ، وهذا التشديد في الكلمة دل على شدة الفجيعة وعظمتها وكذلك في البيت الثاني نشعر أن هناك أمراً ترفضه عاطفة الشاعر ، وتألم له ، وهي شقولة به ، فأخذ يؤكد ألمه هذا في حسرة وتوجع ، فجاء بأن المؤكدة (إِيَّتِي) ولام التوكيد في الخبر (لَمُتَّع) والتشديد في الكلمة يدل على شدة ثقل هذا التمتع ، وأنه غسبير مرغوب فيه .

وفي قوله (بِالْخَلِيلِ الذِّي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ) جاء بالاسم الموصول (الذي) وقدم الخبر الجار والمجرور (له) على المبتدأ (دَلَالٌ) ثم وصف الدلال بأنه واجب تنويعاً بمقام ذلك الخليل ، واعترافاً بعظيم مكانته في النفس ، وفي هذا التنويع وإقترار وتوكيد .

(١) المصدر السابق : ٣٣٦ ، التبيان للعسكري : ١ / ١٧٧ .

(٢) المصدران السابقان ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) الوساطة : ٣٣٧ .

أما المتنبي فينبى بيته على الاستفهام ، وكأنه وجد فيه المأس الذي يشه حزنه ،
وحيرته ، ويغفر فيه كل معاني الكرب والحزن ، وهذا الاستفهام يتولد منه معسنى
الرجاء العقيم ، والتضرع اليأس في أن تفلط الأيام (أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِي) .
وحرف المطف (أو) في قوله (بَنِيضًا تَنَائِي أَوْ حَبِيًّا تَقَرَّبُ) يحمل معسنى
اللوعة والحنين لذلك الحبيب .

الشاهد السابع والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

• قول المتنبي :

مَظْلُومَةُ الْقَدْرِ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا . مَظْلُومَةُ الرَّيِّقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا (١)
وهو من قصيدته ^(٢) التي مدح بها المغيث العجلي ، سنة : ٣٢٧ هـ تقريباً (٣)

وقبل الشاهد :

هَامَ الْفَوَادُ يَا غَرَابِيَّةَ سَكَنْتَ . بَيْتًا مِنْ الْقَلْبِ لَمْ تَدَدْ لَهُ طُنْبًا

وبعد الشاهد :

بَنِيضًا تَطْلُعُ فِيمَا تَحْتَ حَلَّتْهَا . وَعَزَّ ذَاكَ مَطْلُومًا إِذَا طُلِبَ

ومعنى الشاهد : * يريد أن من شبيهها بالفصن ظلمها ، ومن شبه ريقها
بالعسل ظلمها ؛ لأنها ذات قوام أعدل ، وأحسن من الفصن ، وذات رضاب أحلى
من العسل الخالص * (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاكِر : ٤٩٩ .

(١) لم أقف على البيت إلا في :

ديوانه بشرح العكبري : ١١١ / ١ ، العرف الطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) سبق ذكر مطلعها : ١٠٣٧

(٣) هو المغيث بن علي بن بشر العجلي ، قصده المتنبي حين نزل المغيث
بأنطاكيا ، ومدحه ، ثم رحل عنها المغيث لأنه لم يكن من أهلها ، وقد مدحه

بقصيدتين راعيتين . / انظر : المتنبي - محمود شاكِر : ١٣٠ / ١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) التبيان للعكبري : ١١١ / ١ .

•• مع قوله (١)

(الطويل)

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا . : بَحَسْنَاكَ حَقًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْسَلُ
وَنَظْمٌ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْلِ فِي الْوَفَى . : لَا تُنْكَ أَحَقُّ لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ (٢)
فالفكرة الدائرة في الشاهد ين هو ظلم المدوح إن جئنا له بما يشابهه فسي
الوصف .

فالمتمني اكتفى ببيان أنها مظلومة القد إن شُبَّه بالفنن ، ومظلومة الرقيق إن
شُبَّه بالعسل ، ولم يعلل لهذا الظلم ، ولم ينصفها بإثبات الأوصاف اللائقة بها .
ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه وجد في إحدى النسخ أمام هذا البيت حاشية ،
ورجح أن تكون من كلام الشيخ عبد القاهر ، وفيها يعلل القصور في هذا البيت ، قال :
" سبب ما ترى فيه من القصور : أَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ تُجْعَلَ هِيَ نَفْسُهَا مَظْلُومَةٌ مِنْ
أَجْلِ تَشْبِيهِهِ قَدَّهَا بِالْفَنَنِ وَرِيقِهَا بِالضَّرْبِ ، لَا أَنْ يُجْعَلَ الْقَدَّ وَالرِّيسَقَ
مَظْلُومَيْنِ .

ألا ترى أن اللائق أن يقول : إن شُبَّهت قَدَّهَا بِالْفَنَنِ ظَلَمْتَهَا ، وَلَا يُحْسِنُ

أن يقول : ان شُبَّهت قَدَّهَا بِالْفَنَنِ ظَلَمْتَهُ " (٣)

ويبدو لي أن كلام عبد القاهر هنا كأنه ليس كلامه ؛ لأن القول بظلم قَدَّهَا ، وِظْلَمَ
رِيقِهَا أَجْمَلُ وَأَرْوَعُ مِنَ الْقَوْلِ بِظْلَمِهَا ، فَمَا أَبْعَدَ الْفَرْقَ بَيْنَ أَنْ نَقُولَ : ظَلَمْنَا قَدَّهَا ،
وَأَنْ نَقُولَ ظَلَمْنَا هَا .

أما الشاعر الثاني ، فكان أبلغ وصفاً ، وأغزر معنى إذ أنه جاءَ بالمشبه به ،
وهو في أجمل صورة ، وأبهى منظر ، فهو لم يكتفِ بذكر البدر ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ فِي أَرْوَعِ صُورَةٍ
وهو حال كونه طالِعاً مَضِيّاً ، وعلى الرغم من هذا التصوير الرائع للمشبه به جزم الشاعر

(١) لم أقف على قائله .

(٢) لم أقف على البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) الدلائل ، شاكر : ٥٥٠ .

بأن تشبيهه مدوحه بهذا البدر المضيء ، بخس وظلم ، لذا جاء بـ (إنذا) ليؤكد
ويجزم بهذا الظلم .

وكذلك جاء بصورة الليث ، وقيد ها بكونها في الوغى ؛ لأن الليث في هذه الحالة
يكون في كامل قواه ، وبالع شجاعته .

وجاء بـ (إن) في موضع الجزم ، لأن تقديم الجواب (نظلم) دل على الجزم .
فالطريف والغريب في صورة الشاعر أنه خرج عن الصورة المتعارف عليها عند الشعراء ،
فهم إنذا أرادوا مدح أحد بالحسن شبهوه بالبدر وإنذا أرادوا مدح أحد بالشجاعة
شبهوه بالليث ، إلا أن الشاعر بالغ في وصف مدوحه ، وجعل هذا التشبيه ظلمًا
وبخسًا ثم إن الشاعر لم يكتف بإعلان هذا الظلم كما فعل الأول ، وإنما نراه يعسد
سرد كل مظلمة يذكر العلة ، والسبب في هذا الظلم ، فمدوحه ظلم لأنه أبهى وأجمل
من البدر ، وأحمى وأبسل من الليث .

وأنظر إلى تكرار أسلوب التفضيل في البيت بالغة في الوصف ، وقيد الحمى بكونه
للحريم ، لأنه أعظم وأشرف ما يدافع عنه .

ب - الموازنة بين الشرين والإجادة فيهما
من الجانبيين

الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثاء :- (*) (الرمل)

• قول لبيد :

وَكَذِبَ النَّفْسُ إِذَا حَدَّثَتْهَا . . . إِنْ صَدَّقَ النَّفْسَ يُزِي بِالْأَمَلِ (١)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ . . . كَيْلُ ذَنْ لِّلْهِ رَبِّبِي وَعَجَلٌ

وقبل الشاهد :

وَإِذَا رَمَتْ رَجِيلاً فَأَرْجِلٌ . . . وَأَعْيَ مَا يُؤْمَرُ تَوْصِيْمُ الْكَسَلِ

وبعد الشاهد :

غَيْرَ أَنْ لَا تَكْذِبَنَّهَا فِي النَّفْسِ . . . وَأَخْزَاهَا بِالْهَرَلِ الْأَجَلِ

ومعنى الشاهد كما أورده ابن سلام :

" ومعناه الرجل يهيم بركوب أمر جسم يقول : فلا تحدث نفسك بأنك لا تغفر ،

فإن ذلك يثبتك عن السمو إلى معالي الأمور ، ولكن حدث نفسك بالظفر

لثبثك نفسك على ما تريد " (٢)

وجاء في اللسان :

" من نفسك العيش الطويل لتأمل الآمال البعيدة ، فتجد في الطلب ؛ لأنك

إذا صدقتها ، فقلت لعلك توتين اليوم ، أو غداً قصر أملها ، وضعف طلبها " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاکر : ٥٠٠ .

(١) انظر البيت في :

شرح ديوان لبيد : ١٨٠ ، كتاب الأمثال لابن سلام : ١١٦-١١٧ ، الشعر

والشعراء : ٢٨٦/١ ، البيان والتبيين : ١٨٧/٢ ، شرح ديوان الحماسة

للمرنوقي : ١٤٨/١ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٤ ، التشيل والمحاضرة : ٦١ ، يتيمة

الدهر : ٢٠٧/١ ، محاضرات الأدباء : ١٦٧ ، اللسان " كذب " : ٧٠٨/١ ،

نهاية الأرب : ٧٠/٣ ، أنوار الربيع : ٢٤ / ٤ .

(٢) كتاب الأمثال : ١١٦-١١٧ .

(٣) اللسان " كذب " : ٧٠٨ / ١ .

ويبدو لي أن الإنسان إذا تذكر الموت ، وداوم على تذكير النفس به ، كان ذلك دافعاً قوياً للنفس لتجتهد في العمل وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

” أَكثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَآئِمِ الذَّاتِ ” (١)

وأحسن ما قيل في تفسير هذا البيت ، قول ابن معصوم المدني :

” أي لا تحدث نفسك بعدم الظفر أبداً ، بل بشرها بحصول الأمل ، فإنَّ

صدقها بالجبن عن ملاقة الأهوال يشبها عن بلوغ الآمال (٢)

وفي هذا المعنى قول سعد بن ناشب :

إِذَا هَمَّ الْقَيَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ . وَتَكَبَّ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَهَا

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِيَا . عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِيَا (٣)

وذكر المرزوقي أن ابن زبابة^(٤) قد بنى قوله :

(١) مسند الشهاب : ٣٩١ / ١ ، رقم ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ ، المستدرک علی

الصحيحين : ٣٢١ / ٤ ، مصابيح السنة : ٥٣٣ / ١ ، رقم (١١٤١) ، مجمع

الزوائد : ٣٠٩ / ١٠ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٢٤ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ٥٩٨ .

(٤) ابن زبابة : وقيل ابن زبابة ، والزبابة فأرة من فئران الحرة . وهو شاعر من

شعراء الجاهلية من بني تميم .

ذكر البغدادي أنه قد اختلف في اسمه ، قال :

” ... واختلف في اسمه ، فقال أبو رياش في شرح الحماسة هو عمرو بن لأي

أحد بني تميم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز ، وقال أبو محمد الأعرابي

والمرزباني اسمه سلمة بن ذهل ، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي :

اسمه عمرو بن الحارث بن همام أحد بني تميم اللات بن ثعلبة .

واستبعد الميمني قالة البكري .

والحق أن المرزباني ذكر أن اسمه : عمرو بن الحارث بن همام ، وأنه من بني

تميم الله بن ثعلبة ، ثم قال : وقيل اسمه سلمة بن ذهل . انظر الحماسة

لأبي تمام - ت عسيلان - : ٨٩ / ١ ، معجم الشعراء : ٢٠٨ ، سبط اللاكبي : ١ / ٥٤ ،

خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ٣٣٣ .

أَنَا أَبْنُ زَيْبَةَ إِنْ تَدْعُنِي . . آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ

على قول لبيد " بيت الشاهد " (١)

ذكر ابن قتيبة أن بيت الشاهد ما يستجاد له (٢)

وذكر ابن سلام أن بشار بن برد سئل أي بيت قالت العرب أشعر؟ فقال:

إن تفضل بيت واحد على الشعر كله لشديد، ولكن أحسن لبيد . . . ثم ذكر بيت

الشاهد . (٣)

وجاء في الإعجاز والإيجاز أنه قال حين سئل عن أجود بيت قالته العرب:

" إن تفضل بيت على أشعار العرب لشديد، ولكن أحسن كل الإحسان،

وأوجز، وأعجز لبيد في قوله . . . " (٤) ثم ذكر بيت الشاهد .

وذكر الجاحظ أن بيت الشاهد من الأبيات التي تصلح للرواية والمذاكرة (٥)

وجعله الثعالبي في التمثيل والمحاضرة من الأبيات السائرة للمخضرمين . (٦)

• • مع قول نافع بن لقيط : (٧) (الكامل)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٤٨ .

(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٢٨٦ .

(٣) كتاب الأمثال : ١١٢ .

(٤) ١٤٤ .

(٥) البيان والتبيين : ٢ / ١٨٢ .

(٦) ٦٦ .

(٧) نافع " ويقال توفيع، ونفيع " ابن لقيط الفقعسي الأسدي توفي نحو (٩٠ هـ)

جعل ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين وقال عنه :

" وكان توفيع من رجال العرب شعراً ونجدة، وكان ربما أخاف السبيل فأطردّه الحجاج لجناية، فلم يزل خائفاً " وقد أورد بعض أشعاره .

كانت إقامته مع قومه بني أسد في " القنان " جبل لبني فقمس مجاور لبسلاد

غطفان، بالقرب من سميراء يقال له اليوم " القنينات " وكان " نافع " معاصراً =====

وَإِذَا صَدَقْتَ النَّفْسَ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا . . . أَتَلَا وَيَأْمُرُ مَا اشْتَهَى الْمَكْدُوبُ (١)

ولعل البيت الذي قبله هو قوله :

ذَهَبَتْ لِي دَائِي وَالشَّبَابُ فَلَيْسَ لِي . . . فِيمَنْ تَرَيْنَ مِنَ الْأَنَامِ ضَرْيبُ

وبعد، الشاهد ولعل الذي بعده قوله :

وَإِذَا السُّنُونُ دَأْبِنَ فِي طَلَبِ الْفَتَى . . . لِحَقِّ السُّنُونِ وَأَذْرَكَ الْمَطْلُوبُ

يَسْعَى الْفَتَى لِيَنَالَ أَفْضَلَ سَعْيِهِ . . . هَيْهَاتَ ذَاكَ وَدُونَ ذَاكَ خُطُوبُ (٢)

المعنى الجامع بين الشاهدين أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْ هَمَّ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ أَنْ يَكْذِبَ

عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى لَا تَشْبُطَ هِمَّهُ .

وإِذَا دَقَقْنَا النَّظَرَ فِي الْبَيْتَيْنِ ، وَجَدْنَا أَنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ بَنِيَا عَلَى الشَّرْطِ بِ (وَإِذَا)

بدلاً من (إِنْ) ؛ لِأَنَّ (وَإِذَا) تَأْتِي فِيهَا يَجْزَمُ الْمَتَكَلِّمُ بِوُقُوعِهِ ، وَكَلَّا الشَّاعِرِينَ يَجْزَمُ

وِيحْتَثُ عَلَى تَكْذِيبِ النَّفْسِ عَلَى الدَّوَامِ كَمَا هَمَّ الْإِنْسَانُ بِأَمْرٍ جَلِيلٍ وَأَنْ لَا يَحِيدَ عَمَّا

هَذَا الطَّرِيقِ .

وَأَنْظُرْ إِلَى لُطَافَةِ قَوْلِهِ (إِذَا حَدَّثْتَهَا) وَمَافِيهِ مِنْ إشاراتٍ خَفِيَّةٍ إِلَى تَسْلُوكِ

الْفُضْفُصَاتِ الَّتِي تَدُورُ فِي الْبَاطِنِ .

ونلاحظ أَنَّ لِبَيْدَاً يُؤْمِنُ بِإِيمَانٍ كَامِلاً بِفِكْرَةِ تَكْذِيبِ النَّفْسِ فَنَرَاهُ يَعُودُ ، وَيُوكِّدُ

== للحجاج الثَّقَفِيُّ والمُعْجِرُ السُّلُولِيُّ / انظر :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٣٧-٦٤٥ ، أمالي اليزيدي : ١٤٥-١٤٦ ، أمالي

الزجاجي : ٧٩-٩١ ، معجم البلدان : ٤ / ٤٠١ ، معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ١٠٩٧

الأعلام : ٨ / ٥٠ .

(١) هناك قصيدة طويلة ذكرها الزجاجي في أماليه : ٧٩-٨١ ، وابن منظور فسي

اللسان : " مرط " : ٣٩٩ / ٧ ، ولكن لم يذكر فيها بيت الشاهد ، ويسدو

أَنَّهُ مِنْهَا ، وَذَكَرَ صَاحِبُ اللِّسَانِ أَنَّ الْقَصِيدَةَ هِيَ لِنَافِعِ بْنِ نَفِيعِ الْفُقْعَسِيِّ ، وَيَقَالُ

أَنَّهُا لِنَافِعِ بْنِ لَقِيطِ الْأَسَدِيِّ .

(٢) أمالي الزجاجي : ٨٠ ، اللسان : " مرط " : ٣٩٩ / ٧ - ٤٠٠ .

في الشطر الثاني بأن صدق النفس يضاعف الأمل ، فجاء بالجملة مؤكدة (بـ)
أما نافع بن لقيط فبدأ بيته بعكس ما ابتدأ به الأول فأعلن وأكد أن صدق
النفس يسحو الأمل من النفس .

وقوله (ويأمل ما اشتهى المكذوب) أرسله حكمة سائرة ومثلاً يضرب .
وأنظر إلى اختياره لفظ (اشتهى) بدلاً من (يريد) وما فيها من ترغيب
وحث على الكذب على النفس .

فلا تشتهاء هو كل ما ترغبه النفس مع الإلحاح في طلبه . (١)

الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثائة (*) (الكامل)

• وقول رجل^(٢) من الخوارج أتني به الحجاج^(٣) في جماعة من أصحاب

(١) شئ الشيء وشبهه يشبهه شهوة واشتهاه وتشبهه أحبه ورغب فيه والشتهى :

اقتراح شهوة بعد شهوة . / اللسان " شها " : ٤٤٥ / ١٤٠ : ٥٠١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ - ٣٨٤ ، خفاجي : ٥٦٠ ، شاکر : ٥٠١ .
(٢) نسبت الأبيات في زهر الآداب لعمران بن حطان ، وكذلك في ديوان الخوارج

- إحصان عباس - ، ونسبت في العفو والاعتذار لعمران بن حطان - وكذلك نسبها
الأستاذ شاکر في تحقيق الدلائل - .

وخطأ صاحب إعتاب الكتاب نسبتها لعمران بن حطان قال : " يذكر عمران بن
حطان في هذه الحكاية وهم " ، وكذا وقعت في زهر الآداب للحصري ، وفي غيره ؛
لأن عمران كان من القعد ، ولم يكن يحضر القتال ، ولنا هو عامر أخو عمران . /
إعتاب الكتاب : ٦٢ - نقلا عن تحقيق العفو والاعتذار - ونسبه في الموازنة لبعض
الخوارج ، وفي أخبار أبي تامر وتهذيب ابن عساكر لرجل من أصحاب قطري .
وعمران بن حطان هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لؤذان بن عمرو بن الحارث بن
سدوس بن شيان ، وهو شاعر فصيح من شعراء الشراة ، ودعاتهم والعقدسين
في مذبهيم (الشراة) : هم فرقة الخوارج سوا أنفسهم بذلك لأنهم قالوا
شربنا أنفسنا في طاعة الله - أي بعناها - ، وكان من المعمرين ، فلما ضعف عمن
الحرب اقتصر على الدعوة والتخريف بلسانه ، وكان قبل أن يفتن بهذا المذهب
مشتهراً بطلب العلم والحديث ، أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، وروى عنه
أصحاب الحديث / انظر ترجمته :

قطري، فقتلهم، ومن عليه ليدي كانت عنده، وعاد إلى قطري، فقال له قطري: عاود قتال
عدو الله الحجاج فأبى وقال: (٢)

أَقَاتِلِ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِي . . . يَدِي تُقَرِّبُكُنَّهَا مَوْلَا تَسْمُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ . . . فِي الصَّفِّ وَأَخْتَجَّتْ لَهُ فَمَلَا تَسْمُهُ
(٥) (٦) (٧) (٨) (٩)
وَتَحَدَّثَ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعِي . . . غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ نَخْلَاتِهِ

== الأغانى : ١٨ / ١٠٩ - ١٢٠ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٢٥ ، ميزان الاعتدال : ٣ / ٢٣٥
تهذيب التهذيب : ٨ / ١٢٧ - ١٢٩ .
(٣) انظر ترجمته : ١٠١٢ .

(١) وقطري بن الفجاءة اسمه جمونة بن مازن بن يزيد المازني الخارجي " أبو نعامه "
خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله ، وقطري
معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة . / انظر ترجمته :
سمط اللآلي : ٥٩٠ ، المعبر : ١ / ٩٠ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٩٣ - ٩٥ .

(٢) وقصة الأبيات كما جاءت في زهر الآداب : (٤ / ٩٢٤) : " ولما ظفر الحجاج بعمران
ابن حطان الشاري ، قال : اضربوا عُنُقَ ابن الفاجرة ، فقال عمران : لبيسنا أدبك
أهلك يا حجاج ! كيف أنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به ، أبعد الموت منزلة
أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياءً ، وقال : خُذوا عنه ، فخرج إلى أصحابه ،
فقالوا : والله ما أظنك إلا الله ، فأرجع إلى حره معنا ، فقال : هيهات ! غلَّ يسداً
مطليها ، واسترق رقبة سميتُها ، وانشد . . . الأبيات " .

(٣) رواية العفو والاعتذار : " ملكوته " .

(٤) رواية الديوان وزهر الآداب : " وقفت موازياً " .

(٥) رواية أخبار أبي تمام : " ويحدث " .

(٦) رواية الديوان وزهر الآداب ، والعفو والاعتذار : " وتحدث الأكفاء " .

(٧) رواية أخبار أبي تمام : " صنيعة " .

(٨) حنظلت : الحنظل الشجر المر / اللسان : (حنظل) : ١١ / ١٨٣ .

والمقصود هنا أنها لم تشر .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوان الخوارج - إحسان عباس - : ١٨٧ ، رقم القطعة (٢١٧) ، العفو والاعتذار :

٢ / ٥٦١ ، أخبار أبي تمام : ٢٠٦ ، الموازنة - محمد سحني الدين - : ٦٧ ، الصنائع :

٢٣٦ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٢٥ ، تهذيب ابن عساكر : ٤ / ٧٠ .

وبعد البيت الأول بيت متصل به ، وهو قوله :
إِنِّي إِذْ لَأَخُو الدَّائِيَةِ وَالَّذِي (١) : عَفْتُ عَلَى عِرْقَانِي جَهْلَانَهُ (٢) (٣)

وبعد البيت الثالث :
أَقُولُ جَارَ عَلَيَّ ؟ إِنِّي فِيكُمْ (٥) : لَأَحَقُّ مِنْ جَارَتِ عَلِيٍّ وَلَا تَمَّ
تَالَمُو نَاكِدَتِ الْأَمِيرَ بِاللَّيَّةِ : وَجَوَارِحِي وَسِلَاحَهَا آلَانَهُ (٦)

مع قول أبي تمام : (الطويل)
أَسْرَبُ هَجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ : إِنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٨)
وهو من قصيدة يمدح بها أبا المغيث الرافعي (٩) ويمتدح إليه .
وقبل الشاهد :

وَأَصْلَتِ شِعْرِي فَأَعْلَى رَوْقِ الضُّحَى : وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَانًا مِنَ الْفُجْهِ
وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَلَتْ بَعْدَكَ بِالْهَجَا : وَأَنْتَ قَلَمٌ تَخْلِلُ بِكُرْمَةٍ بَعْدِي

- (١) رواية تاريخ ابن عساكر : " لأخو الجهالة " .
- (٢) رواية الموازنة : " قَطَّتْ " ، ورواية ابن عساكر : " طَطَّتْ " .
- (٣) رواية الموازنة : " على إحسانه " ، ورواية ابن عساكر : " على أحشائه " .
- (٤) رواية العفو والاعتذار : " جَرَّتْ " .
- (٥) رواية العفو والاعتذار ، وأخبار أبي تمام ، والموازنة : " لَأِنِّي إِذَا " .
- (٦) وفي أخبار أبي تمام بيت آخر :
هَذَا وَمَا طَيَّبِي بِجَبِينِ نَرْسِي : فَيَكُمُ لِمَطْرَقٍ شَهْدٍ وَعَلَانَةٍ
الطب : بالكسر العادة والشأن ، والعلاة : السندان .
- (٧) أصل الكلام : " أَسْرَبُ " استغفم انكاري .
- (٨) ديوانه بشرح الخطيب ، والصناعتين ، وزهر الآداب : " أَلَيْسَ هَجَرَ الْقَطْرِ " .
- (٩) أخبار أبي تمام : ٢٤٠ ، الموازنة محمد محيي الدين - ٦٦ ، الصناعتين : ٢٣٦ ، زهر الآداب : ٩٢٥ .

- (١٠) سبق ذكر مطلبها : ص ١٢٠ .
- (١١) هو موسى بن إبراهيم الرافعي (بالعين كما في تاريخ الطبري والكمال) ، أبو المغيث ، عامل أهل حمص على المعونة في عصر المتوكل ، وقد وشب عليه أهلها سنة (٢٤٠ هـ) ، لقتله رجلاً من رؤسائهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه ، وأخرجوا صاحب الخراج من مدينتهم ، فبلغ ذلك المتوكل ، فوجه إليهم عتاب بن عتاب ، ومعه محمد بن عبد وبه الأنباري ، وحل محل أبي المغيث ، ولكن مالبثوا أن وشبوا عليه سنة (٢٤١ هـ) فأرسل لهم المتوكل جيشاً لإخضاعهم ، فتوسط لهم الفتح بن خاقان ، وقبل الخليفة وساطته / انظر : تاريخ الطبري : ٩ / ١٩٧ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٩٣ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٤٩ - ٣٠١ .

وبعد الشاهد :

كِرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى . مَعْرِى وَمَتَى مَالَمَتَهُ لَمَتَهُ وَحَلَبِي

المعنى الجامع : تأنيب النفس على الإساءة إلى من أحسن إليها .

فالتأنيب إلى الشاهدين يجد أن كلا من الشاعرين قد أحسن وأجاد لبنائه معناه على الاستفهام الإنكارى ، وفي ذلك من الفخامة ما فيه ؛ لأن الموقف موقف محاسبية للنفس وفي الإنكار لهم وتأنيب .

وأنظر إلى الخارجي وقد كرر الاستفهام في البيت الثاني (مَاذَا أَقُولُ) فَصَّوَرِ الحيرة والاضطراب الدائر في نفسه ، وجسد الخجل ، والشعور بالذنب من الوقوف أمام ذلك المحسن .

وحركة الاعتذار الدائبة في نفس الشاعر ولدت صوراً حية تتحرك ، وتتطق ، وتعتذر ، فقله (يَبِيدُ تَقَرُّ) جعل اليد تتطق وتعتزف بموالة ذلك المحسن .

وقوله (وَأَخْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ) جعل إحسانه وكأنه كائن حي يقف مدافعاً ناصباً الحجج والبراهين على كرم وجود الحجاج ، وفي تقديم الجار والمجرور (له) على الفاعل " فَعَلَاتُهُ " اعتراف بالفضل والإدانة له بالإحسان .

وقوله " أَنْ صَنَائِعُهُ غَرِسَتْ " تركيب حسن حيث جاء بصورة (الغرس) وينسب الفعل للمجهول " غَرِسَتْ " ليدل على تمكن ذلك المعروف في نفسه ، وأنه قد ضرب بجذوره في أعماقه وبذلك أكد استحالة اقتلاعه من نفسه .

فالخارجي على الرغم من اتساع صورته وتعدد ألوانها ، قَصَّرَ عن أبي تمام ، فقد جسع هذا المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فصورة المعروف عند الخارجي كانت تدافع وتحتج فقط أما معروف أبي تمام فكان يهجو ، وهذا أبلغ في زجر النفس وقمعها ، ولم يقتصر أبو تمام على جعل المعروف هاجباً بل جعله أقدر على الهجاء من أبي تمام نفسه .

فقله (أَسْرَبِل) أي ألبس دل على قدرة أبي تمام على الهجاء ، وأنه لشدة هجائه يستر المهجو ويفطيه ويحجبه عن الأنظار لما يلبسه إياه من قبيح الصفات

وقدم همزة الاستفهام المفيدة للإنكار على الفعل ، وجاء بـ (لو) الشرطية ليدل على عدم قدرته على الهجاء وعجزه عنه أمام هجاء المعروف .

وفي الفصل بين فعل الشرط وجوابه (بأن) واقتران الجواب بلام التوكيد (لهجاني) تأكيد لشدة أثر هجاء المعروف . وتقديم المفعول به - الضير في هجاني - على الفاعل (معروفه) لإظهار أن صاحب الضير محط الإنكار ، وفيه تسليم مسن أبي تمام بقوة ذلك الهجاء وقوة وقعته على نفسه .
وتقديم الجار والمجرور (عنه) على الفاعل (يعرفه) دل على تسابق المعروف ، وسرعته في الدفاع عن ذلك المحسن ، فكفاه بذلك مشقة الدفاع عن نفسه .

الشاهد الثلاثون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول النابغة :

إِذَا مَا غَدَا يَأْجِيشُ حَلَقَ فَوْقَهُ ^(١) . نَحَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَرِي بِعَصَائِبِ ^(٢)
جَوَانِحٍ قَدْ أَقْبَنَ أَنْ قَبِيلَهُ ^(٣) . إِذَا مَا لَتَقَى الصَّغَانِ أَوَّلَ غَالِبِ ^(٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٤ ، خفاجي : ٤٥٧ ، شاكر : ٥٠١ .
(١) رواية الدلائل تحقيق شاكر ، والمثل السائر ، وشرح التصريح بمضمون التوضيح :
" إِذَا مَا غَزَا " .

ورواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي : " إِذَا مَا غَزَا " .

(٢) رواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي وشرح التصريح بمضمون التوضيح : " فوقهم " .

(٣) رواية الديوان وأخبار أبي تمام والموازنة والمنصف ، والصناعتين ، والمثل السائر :
" الجمعان " .

(٤) ديوانه : - تحقيق فوزي عطوي - : ٤٩ - ٥٠ ، عيار الشعر : ٣٣ ، أخبار أبي تمام :
١٦٥ - ١٦٦ ، الوساطة : ٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٨ - ٥٥٥
الصناعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ١٠٦٩ / ٤ ، المثل السائر : ٢٨١ / ٣ ، شرح
جمل الزجاجي : ٢ / ٥٥٢ ، شرح التصريح على التوضيح : ٢ / ٢٢٧ .

وهو من قصيدة مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث
الأكبر بن أبي شمر^(١) حين هرب إلى الشام ، ونزل به .

وهو من قصيدته التي مطلعها :

كَلِمَتِي لِيَهْمُ يَا أُنَيْمَةَ نَاصِبٍ . وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاكِبِ
وقبل البيت الأول :

وَنَقَتَ لَهُ بِالنَّصْرِ إِنْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ . كَتَابُ مِنْ عَسَانَ غَيْرِ أَشَابِ
بَنُو عَمِّ دُنْيَا ، وَعَمْرُو بْنُ عَائِيسٍ . أُولَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَازِبِ

وبعده :

يَصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغِيرَنَّ مَغَارَهُمْ . مِنْ الصَّارِيَاتِ بِالدَّاءِ السَّدَّاءِ
وبعده بيت هو قبل البيت الثاني من الشاهد :

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُونَهُنَّ . جُلُوسَ الشَّمُوشِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِسِ
وبعده الشاهد وبعده :

لَهْنٌ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا . إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ
وجعل ابن طباطبا قول النابغة :

إِذَا تَاغَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقٌ فَوْقَهُمْ . عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

من الابتداء الذي يحسن السماع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه ، فقدم

في هذا البيت معنى ماتلق الطير من أجله ، ثم أوضحه بقوله :

يَصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغِيرَنَّ مَغَارَهُمْ . مِنْ الصَّارِيَاتِ بِالدَّاءِ الدَّوَابِ

وباعده من أبيات سبق ذكرها (٢)

وجعل ابن الأثير قول النابغة من الضرب الحادي عشر من السلخ وهو :

(١) سبقت ترجمت : ٦٦٢ .

(٢) عيار الشعر : ٣٣ .

* اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً واحدة
فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر* (١)

•• مع قول أبي نواس : (المديد)

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا طَقَاً . : وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ
رَاحَ فِي ثَنِيٍّ مَقَاضٍ تَمِ . : أَسَدٌ يَدْمَى شَبَاهَا طُفْرِهِ
تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدً وَتَسْمُ . : ثِقَّةٌ بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ (٤)

وهو من قصيدة مدح بها المباس بن عبيد (٥) ، ومطلعها :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عَفْصِرِهِ . : لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ

وقبل الشاهد :

سَبَقَ التَّغْرِيطُ رَأْسَهُ . : وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثَرِهِ

وبعد :

وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً . : لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٦٥ .

(٢) رواية الديوان والوساطة والمنصف :

* تَتَأَيَّى * ومعنى تَتَأَيَّى وَتَسْمُ واحد ، وهو تتعمد وتقصد .

ورواية المثل السائر * تتننى * .

(٣) رواية الموازنة وزهر الآداب :

* غزوته * .

(٤) ديوانه : ٤٣١ ، الكامل : ٢ / ١٤ ، أخبار أبي تمام : ١٦٥ ، الوساطة :

٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٧٨ - ٥٥٥ ،

الضاعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ ، المثل السائر :

٢٨٢ / ٣ ذكر البيت الأخير فقط .

(٥) سبقت ترجمته : * ٦٦٣ * .

(١)
وأول من قال في هذا المعنى الأفوه الأودي ، وذلك قوله :
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى أُنَارِنَا . . . رَأَى عَيْنِي نَقَّةً أَنْ سَتَّارُ (٢)
ثم تبعه النابغة فقال :

إِذَا مَا غَنَّدَا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ . . . البيت (٣)

وقد استجد بعض المحدثين قول النابغة فقال :

من أين للأفوه مثل ابتداء النابغة

وَرَدَ هذا القول بأن الأفوه له فضل السبق، وهو أعظم الفضل ، وهو قد اقتصر ،

وشرح مراده في بيت ، أما النابغة فقد أطل وأتى بمراده في أبيات . (٤)

ولقد تطرق كثير من الشعراء بعدهما لهذا المعنى، فقال حنيد بن ثور يصف نثباً

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَمَامَةً . . . مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ (٥)

وقال أبو نواس :

تَتَابَعَى الطَّيْرَ غَزَوَتَهُ . . . بيت الشاهد (٦)

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهَا . . . فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ (٧)
وقال أيضاً في هذا المعنى :

أَشْرَبَتْ أَرْوَاحَ الْعِدَا وَطَلَّوْهَا * خَوْفًا فَأَنْفُسُهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ
لَوْ حَاكَمَكَ فَمَا لَبِثَكَ يَذْخُلُهَا * شَبَّهَتْ عَلَيْكَ تَعَالَيْكَ وَتَسُوهُ
(١) هو صلاة بن عمرو بن مالك بن الحارث أودي ، وأود هو ابن صعب بن سعد

العشيرة بن مذحج ، ويكنى الأفوه أبا ربيعة وهو جاهلي قديم ، وذكر

بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عليه السلام . / انظر ترجمته :

سطح اللاكسي : ١/ ٣٦٥ ، ٨٤٤ ، الأغاني : ١٢ / ١٦٩ - ١٧٣ .

(٢) ديوانه - الطرائف الأدبية - : ١٣ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٩٠ ،

الوساطة : ٢٢٤ .

(٣) سبق تخريجه : ١٠٨١ ، من البعث .

(٤) المصنف في نقد الشعر : ٢٨ - ٢٩ .

(٥) ديوانه : ١٠٦ ، الموازنة : ٥٩ .

(٦) سبق تخريجه : ١٠٨٣ .

(٧) شرح ديوان صريع الغواني : ١٢ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٢ ،
زهر الآداب : ٢٤٦ .

وقال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ أَغْنَاكَ أَعْلَامِيهِ ضَحَى . . يَعْقِبَانِ طَيْرٌ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرِّيَاضِ حَتَّى كَانَتْهَا . . مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَابِلِ (١)

وقال أبو الطيب المتنبّي :

يَفْدَى أَمَّ الطَّيْرِ غُرّاً سِلَاحَهُ . . نُسُورُ الْمَلَأِ أَحْدَانُهَا وَالْقَشَاءِ (٢)
وَمَاضَرُهَا خَلَقٌ يَغْتَبِرُ خَالِيبِ . . وَقَدْ خُلِقَتْ أَشْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ (٣)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنَ الْعَيْقَبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا (٤) . . سَحَابٌ إِذَا اسْتَشَقَّتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ (٥)

وقد رأى أبو بكر الصولي أن قول أبي نواس أحسن من قول سلم بن الوليد ، وأبي

تمام إلا أن النابغة قد فاقهم جميعاً .

قال بعد ذكر بيتي أبي تمام ومسلم بن الوليد :

" وأحسن من هذا قول أبي نواس في العباس بن عبيد الله "

ثم قال بعد نهاية أبيات أبي نواس .

" ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة وهو أولى بالمعنى ،

ولأن كان قد سبق إليه ؛ لأنه جاء به أحسن " (٦)

(١) ديوانه - دارصعب - ٢١٩ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٢٨٢ / ٣ ،

زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ .

(٢) القشاعم : المَسْن من الرجال والنسور والضمخ العظيم منها / القاموس المحيط

" قشعم " : ٤ / ١٦٧ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٧٩ - ٣٨٠ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٤) رواية المثل السائر " تَرْحَفُ " .

(٥) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٣٨ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٣ .

(٦) أخبار أبي تمام : ١٦٥ .

(٢)

ورأى القاضي^(١) الجرجاني، وتبعه أبو هلال العسكري أن أبا تمام قد زاد على الأثوه، والنايفة، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد فرأى أبو هلال العسكري أن الزيادة في قوله: "إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَابِلِ".

ورأى القاضي الجرجاني أن الحسن والتقدم في بيت أبي تمام ليس من هذه الزيادة فقط، وإنما لقوله "في الدماء نَوَاهِلٍ" وإقامتها مقام الرايات، وبذلك يتم حسن قوله: "إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَابِلِ".

ورأى أن الأثوه الأودي قد فضل الجماعة بأمر: منها السبق وهي الفضيلة العظمى، والآخر قوله: (رأى عين) فخير عن قريبها؛ لأنها إذا بَعَدَتْ تُخَيَّلَتْ ولم تر، وإنما يكون قريبها متوقفاً للغريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال: "ثقبته أن ستار" فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره، أما أبو نواس فإنه نقل اللفظ فقط، فلم يزد شيئاً حتى يُفَضَّلَ، وأما قول المتنبي: سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا ... البيت.

فزاد أن جعل هاهنا سحابتين وجعل السحابة السفلى تسقي مافوقها، وهذا غريب وقد يعيبه بعضهم لأمرين:

أحد هما أن السحاب لا يسقي مافوقه، والآخر أن العقبان، والطير لا تستسقي، وإنما تستطعم، فأما إسقاء مافوقه فهو الذي أغرب به، فهو لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه مافوقه، وإنما أقامه مقام السحاب من وجهين لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وقال يستسقي؛ لأنه لما جعله سحاباً جعله يستسقي. (٣)

وعن بيت المتنبي هذا قال ابن الأثير:

(١) الوساطة: ٢٧٤.

(٢) الصناعتين: ٢٤٥.

(٣) الوساطة: ٢٧٤، المثل السائر: ٣ / ٢٨٣.

" وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب " (١)

ورأى ابن الأثير أن أبا نواس، وسلم بن الوليد، وأبا تمام، والمتنبى أحسن من أجاد في هذا المعنى ، وأنه قد تطرق إليه الكثيرون إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ ، ورأى أن أفضل هؤلاء الأربعة سلم بن الوليد والمتنبى ، فقال عن بيتي مسلم :

أَشْرَبَتْ أَزْوَاجَ الْعِدَا وَقَلُوبَهَا ...

لَوْ حَاكَمْتُكَ فَطَالَ بَيْتُكَ يَذْخُلُهَا ...

" فهذا من الطبع البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى " (٢)

وقال عن بيتي المتنبى :

يُقَدِّي أَنَّمُ الطَّيْرَ عَمْرًا سِلَاحَهُ ...

وَسَاصَرَهَا خَلَقَ يَغْيِرُ مَخَالِبَهُ ...

" وكذلك فعل أبو الطيب المتنبى فإنه لما انتهى إليه الأمر سلك سلك من سبقوه ، إلا أنه خرج إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب وأبدع وحاز الإحسان بجملته ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره " (٣)

ولم يتطرق لبيتي الأئمة الأودي ، والنابغة الذبياني بالنقد .

وقد أظهر الشيخ عبد القاهر الفرق بين البيتين ، ودلل واستشهد بهما على أن المعنى ينقل من صورة إلى صورة ، وشرح ذلك بأن هاهنا معنيين . أحدهما : أصل وهو عظم الطير بأن السدوح إذا غزا عدوًا كان الظفر له ، وكان هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى ، فعمد النابغة إلى الأصل ، وذكره صريحاً ، وجعله مكشوفاً ، واعتمد في كشف الفرع ،

(١) المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٢) المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

وهو طمعها في لحوم القتل على دلالة الفحوى ، وعكس أبو نواس الصورة .

نقل الشيخ عن المزياني قال :

" حدثني عمرو الوراق قال : رأيت أبا نواس يُنشد قصيدته التي أولها :

" أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عَفْصَةٍ "

فحسدته ، فلما بلغ إلى قوله :

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدَوْتَهُ . . . ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرَةٍ

قلت له ماتركت للنابعة شيئاً حيث يقول : " إِذَا مَاغَدَا بِالْجَيْشِ " ، البيهقي ،

فقال : اسكت ، فلو كان سبق فما أسأت الاتباع " (١)

وطى الشيخ على هذه القصة محلاً للفرق بين الصورتين :

" وهذا الكلام من أبي نواس دليلٌ بَيِّنٌ في أن المعنى يُنقل من صورة إلى صورة ،

ذاك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله " فما أسأت الاتباع "

محالاً ، لأنه على كل حال لم يتَّبعه في اللفظ ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في

أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابعة إلى صورة

أخرى وذلك أن ههنا معنيين :

أحدهما : أصل وهو علم الطير بأن المدوح إذا غزا غداً كان الظفر له ، وكان

هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتل .

وقد عمد النابعة إلى " الأصل " الذي هو علم الطير بأن المدوح يكون

الغالب ، فذكره صريحاً ، وكشف عن وجهه ، واعتد في " الفرع " الذي هو

طمعها في لحوم القتل ، وأثبتها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى .

وعكس أبو نواس القصة ، فذكر " الفرع " الذي هو طمعها في لحوم القتل صريحاً

فقال كما ترى :

” يَفْتَمَّةً بِالشَّيْبَعِ مِنْ جَسَرَةٍ ”

وَعَوْلَ فِي ” الْأَصْل ” الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا بِأَنَّ الظَّفَرَ يَكُونُ لِلْمَدْوُوحِ عَلَى الْفَحْوَى ،
وَبِدَلَالَةِ الْفَحْوَى عَلَى عَلَيْهَا أَنَّ الظَّفَرَ يَكُونُ لِلْمَدْوُوحِ ، هِيَ فِي أَنْ قَالَ : ” مِنْ جَسَرَةٍ ”
وَهِيَ لَا تَتَّقِ بِأَنَّ شَبْعَهَا يَكُونُ مِنْ جَزَرِ الْمَدْوُوحِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ الظَّفَرَ يَكُونُ لَهُ .
أَفَيَكُونُ شَيْءٌ أَظْهَرَ مِنْ هَذَا فِي النِّقْلِ عَنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ (١)

الشاهد الواحد والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الخفيف)

• قول أبي العتاهية :

(٢)
شَيْبَمٌ فَتَحَّتْ مِنْ الْمَدْحِ تَأَقَّدَ . . . كَانَ مُسْتَقْلِقًا عَلَى الْمَدْحِ (٣)

ومثل معنى بيت الشاهد قول أبي تمام :

وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَنِهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى . . . بَقَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْكَأَمُ

وقول المتنبي :

وَعَلَّمُوا النَّاسَ يَتْلُوكَ الْمَجْدَ وَاقْتَدَرُوا . . . عَلَى دَقِيقِ الْمَعَارِي مِنْ مَعَانِيهَا

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت أبي العتاهية هو كالمحتوى على معنى بيتي أبي

تمام والمتنبي . (٤)

• مع قول أبي تمام : (الكامل)

(٥)
نَظَّمْتُ لَهُ خَزَزَ الْمَدْرِيحِ مَوَاهِبَ . . . يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ اللِّسَانِ الْفُحْسَ (٦)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٥ ، خفاجي : ٤٥٨ ، شاکر : ٥٠٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاکر : ٥٠٣ .
(٢) رواية الصبح المنبي : ” من المجد ” .

(٣) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صعب - . انظر : الصبح المنبي : ٢٣٦ ، الوساطة : ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب ، وكذلك الديوان الكامل - دار صعب : ” مَكَارِم ” .

(٦) الْمُفْتَحُ : الْعَيْي الضعيف الذي لا يقول الشعر / اللسان ” فحم ” : ١٢ / ٤٤٩ .

(٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢٥٢ / ٣ ، ديوان أبي تمام - دار صعب

والشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة (١) ومطلعها :

تَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَائِعٍ لَمْ تَنْظَمْ^(٢) . . . وَالْدَّمْعُ يَخِيلُ بَعْضُ شَجْوِ الْمُسَرَّمِ^(٣)

وقبل الشاهد :

كَيْفَ يَرْبِّيَ الْمَجْدُ يَزْعُمُ أَنَّهُ . . . لَمْ يُبَيِّدْ أَعْرَقَ إِذَا لَمْ يُتَسَمَّرْ

وبعد الشاهد :

فِي قُلُوبِهِ كَثُرَ السَّكَاءُ وَإِنْ غَدَا . . . هَاطِلًا وَعَتُوَ يَدَايِهِ جُهْدُ الْمِسْرَمِ

المعنى الجامع بين الشاهدين أن أخلاق المدوح وشيمه الرفيعة هي التي حركت دوافع المدح عند الشعراء ، إلا أن لكل من الشاعرين صورته التي أجاد فيها ، فأبو العتاهية بنى بيته على صورة الفتح والإغلاق .

وأبو تمام بنى معناه على صورة العقد والتفت .

ولكلا الصورتين وجه من الحسن ، فأبو العتاهية ابتدأ بيته بالسند ، وحسّدَ ف

المسند إليه فقال (شيم) أي " هي شيم " وإنما حسن الحذف هنا للإشادة بعظم تلك الشيم والخصال .

وقوله " مستغلقاً " بزيادة البناء دلّ على قوة الإغلاق واستعصاء المعاني

على الشعراء .

إلا أن قوله (فَتَحَتْ) بالتضعيف أظهر أن هذه الشيم لحسنها ورفعتها

وعظمها ، وتأثيرها في نفوس الشعراء فَجَّرَتْ لديهم القوى الشعرية ، ومدت الخيال بالمعاني الغزيرة .

(١) سبق ترجمته : ٢٣ . ١

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب :

" لَمْ يَنْظَمْ "

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب :

" بَعْضُ يُقْل "

الشاهد الثاني والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الوافر)

• وقول أبي وجزة : (١)

أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهَنَّا . . وَكُنْتَ لَهُ كَمَجْتَمَعِ السَّيْلِ (٢) (٣)

(٤)

(البسيط)

•• مع قول منصور النمرى : (٥) وَالْمَعْرُوفَ أَوْ رِيَّةً . . أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٦)

(١) هو يزيد بن عبيد وقيل يزيد بن أبي عبيد ، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم ، وأصله من سليم ، وهو سعد أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أرضعته حليمة السعدية .

كان أبو وجزة شاعراً مجيداً ، وهو أحد من شُيِّبَ بمعجوز وكان من التابعين ، روى الحديث عن جماعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المدينة ، فانقطع إلى آل الزبير ، ومات بها سنة ١٣ هـ / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٠٦-٧٠٧ ، الأغاني : ١٢ / ٢٣٩-٢٥٢ ،

القاموس المحيط : " وجز " : ٢ / ٢٠٢ ، غاية النهاية : ٢ / ٣٨٢ ، خزانة

الأدب - دار صادر - : ٢ / ١٥٠ ، الأعلام : ٨ / ١٨٥ .

(٢) رواية ديوان المعاني ، والدلائل تحقيق شاکر : " بمجتمع السيل " .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٥٩ .

(٤) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن

شريك بن مطعم بن مالك بن سعد بن عامر .

كان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بخره استقى ، وبذ هبته تشبهه .

وقد مدح منصور النمرى هارون الرشيد وأعجب بشعره إلا أن بعضهم أشار بحفيظة الرشيد عليه فيبعث من يقتله فوجده قد توفي / انظر :

الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٠-١٥٧ ، تاريخ

بغداد : ١٣ / ٦٥-٦٩ ، خاص الخاص : ١١٢ .

(٥) في إحدى روايات ديوان المعاني روي صدر البيت :

" خَلِيفَةُ اللَّهِ إِنَّ الْجُودَ أَوْدِيَّةٌ "

(٦) انظر البيت في : ديوانه : ١٠٠ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٥ ، ديوان المعاني :

١ / ٢٨ ، ٥٩ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٧ ،

تَأْتَقِصِي حَسْرَةَ مَيِّ وَلَا جَزَعٌ . . . إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ
وقبل الشاهد :

مَبَاشِرٌ لِأُمُورِ الْمَلِكِ مَبْتَنِزٌ . . . فِيهَا قَرِيحَةٌ رَأَيْ مَابِهِ طَبَسَعُ
تَهْدِيؤُهُ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَحْزُنُهُ ^(١) . . . عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَابِي مَابِهَا قَمَعُ
وبعد هما الشاهد وبعده :

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَالَلَّهُ يَرْفَعُهُ ^(٢) . . . وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ ^(٣)
الصورة المجتمعة في البيتين هي صورة اجتاع الكارم والمجد في المدوح بمجتمع
السيول . وقد أجاد كل من الشاعرين في إبراز صورته فأبو وجزة جعل المجد شخصاً
يشي ويتحرك، فهو يسعى نحو المدوح سعياً حثيثاً وينسل إليه طائعاً مختاراً من
كل حذب وصوب .

وأنظر إليه وقد ابتدأ البيت بالجملة الفعلية ليدل على شدة الانسيال
وتأمل قوله " وكنت له " والدور الفعال الذي يقوم به الجار والمجرور في الربط
بين حلقات البيت حيث أثبت الصلة بين صورة المجد وصورة المدوح .
أما أبو منصور النري فبدأ بيته بالجملة الاسمية المؤكدة (بلن) ليؤكد ثبوت
ودوام تلك الكارم في المدوح ، وصرح بكونها أودية ليستحضر الخيال غزارة تلك
الأودية وامتلاءها ، فتتقف النفس إجلالاً وإكباراً حين تعلم أن مجتمع هذه الكارم
الرفيعة هو المدوح .

وقوله " أحلك الله منها " كلام بليغ من حر المديح إذ أنه جعل مجتمع السسيول
هو مكان المدوح وحده بلا منازع لأن حلوله كان بأمر من الله والأمر من الله قضاء ،

== أُمالي المرتضى : ٢٧٧/٢ ، زهر الآداب : ٣/٧٠٣ ، تاريخ بغداد : ٦٨/١٣ ،
الحماسة البصرية : ١٤٨/١ .

(١) تَحْزُنُهُ : تشده / القاموس المحيط " حزب " : ٥٦ / ١ .

(٢) رواية زهر الآداب والحماسة البصرية : " رافعه " .

(٣) رواية الأغاني : " مَتَضَعُ " .

وهذا إثبات أن المكارم والمعروف خصلة جيل عليها، وأمر فطر عليه .

ومجيء الجار والمجرور " منها " هو ضم المعنى ومعهده .

وعبر عن اجتماع تلك المكارم في المدوح بالجملة الفعلية (حيث تجتمع)

ليؤكد تجدد اجتماعها فيه مرة بعد مرة .

الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثائة : (×) (البسيط)

قول بشار : (١)

١- الشيبُ كُرةٌ وكُرةٌ أن يفارقني (٣) . أعجب يشي (٥) على البغضاء مودود (٦)

(١) هوله في : أمالي المرتضى، وهو لمسلم بن الوليد في :

ذيل ديوانه ، ديوان المعاني ، التشبيهات ، التمثيل والمحاضرة ، أحسن ماسمعت ، زهر الآداب ، تاريخ بغداد ، سمط اللائي ، حماسة ابن الشجري ، نهاية الأرب للنويري .

وهو لأبي العتاهية في الفاضل .

وذكر في مجموعة المعاني أنها لمسلم بن الوليد، وأنها رويت لبشار أيضاً .

(٢) رواية تاريخ بغداد لصدر البيت :

" أكره شيبني وأخشى أن يزايلني "

(٣) رواية المختار من شعر بشار والتشبيهات : " أن تفارقه " .

رواية زهر الآداب : " أن أفارقه " .

(٤) رواية ديوان المعاني : " أحب " .

(٥) رواية أحسن ماسمعت ، وزهر الآداب ونهاية الأرب " أعجب لشيء " .

(٦) ذيل ديوان صريع الغواني : ٢٩٢ ، ذكرت الأبيات الثلاثة (أي التي ستذكر

بعد الشاهد) ، الفاضل : ٧٥ ، البيت الأول والثالث .

المختار من شعر بشار : ٢٨٣ البيت الأول .

ديوان المعاني : ٢ / ١٥٨ البيت الأول فقط .

التشبيهات : ٢٢١ البيت الأول والثالث .

التمثيل والمحاضرة : ٣٨٢-٣٨٣ البيت الأول فقط .

والشاهد أحد أبيات ثلاثة وهو ثانيها وقبله :

٢- نَامَ الْعَوَالِدُ وَاسْتَكْفَيْنَ لَا يُعْتَرِي . . . وَقَدْ كَفَاهُنْ نَهَضُ الْبَيْضِ فِي السُّودِ

وبعد الشاهد :

٣- يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ^(١) . . . وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا يَفْقُودُ

ولقد استحسنت أبو هلال العسكري بيت الشاهد فقال :

" وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتها إذا جاء فأحسن

حيث يقول . . . البيت " (٢)

وكذلك رأى الثعالبي أنه من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب (٣)

وكذلك رأى ابن الشجري أن مسلماً قد أحسن في بيته هذا (٤)

مع قول البحرني : (الوافر)

تَعِيبَ الْغَائِبَاتِ عَلَيَّ شَيْئِي . . . وَمَنْ لِي أَنْ أُمْتَعَ بِالْمَعِيبِ (٥)

== أحسن ما سمعت : ١٢٣ البيت الأول والثالث.

أما المرتضى : ٦٠٢ / ١ البيت الأول والثالث

زهر الآداب : ٩٧١ / ٤ البيت الأول والثالث

تاريخ بغداد : ٩٧ / ١٣ الأبيات الثلاثة وذكر البيت الثاني والثالث
عن رواية أبي تمام .

سطح اللاكثي : ٣٣٤ / ١ البيت الأول والثالث .

حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ البيت الأول والثالث.

نهاية الأرب للنويري : ٢٢ / ٢ البيت الشاهد فقط، مجموعة المعاني : ١٢٣ .

(١) رواية زهر الآداب " فيأتي بعده بدل " .

رواية تاريخ بغداد : " أما الشباب مفقود له خلف " ، ورواية حماسة

ابن الشجري ومجموعة المعاني : " يمضي الشباب ويأتي بعده خلف " .

(٢) ديوان المعاني : ١٥٨ / ٢

(٣) أحسن ما سمعت : ١٢٣ .

(٤) حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ .

(٥) ديوانه - بيروت - : ٤٤٠ / ١ ، ديوانه - صيرفي - : ٩٩ / ١ ، الشهاب فسي

الشيب والشباب : ١٦ .

وهو من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر،^(١) ومطلعها :

أَيْنَكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ . حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنَ حَبِيبِ
وقبل الشاهد :

أَقُولُ لِلْعَتِي إِذَا أَسْرَعَتْ بِسِي . إِلَى الشَّيْبِ اخْسَرِي فِيهِمْ وَخِيَسِي
مُخَالِفَةً يَضْرِبُ بَعْدَ ضَرْبٍ . وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَا قَاتِ الضَّرُوبِ
وَكَانَ حَدِيثُهَا فِيهَا غَرِيْبًا . فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقَّ الْفَرِيْبِ

وبعد الشاهد :

وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَلِنْ تَقْضَى . حَمِيدًا دُونَ وَجْدِي بِالشَّيْبِ
المعنى الجامع بين الشاهدين كراهة الشيب مع محبته . وإذا تأملنا الشاهدين
وجدنا أن كلا من الشاعرين قد تناول هذا المعنى بصورة تختلف عن صورة الآخر .
فبشار ابتدأ بيته بجملة خبرية " الشيب كره " أطن بها حقيقة شعوره نحو
الشيب الذي هو رمز أقول الشباب ، وهذا الخبر على عظمه جاء خالياً من ضروب
التوكيد ، لأنه حقيقة مسلم بها عند الشاعر .

(١) جاء في تحقيق الديوان - صيرفي - :

" والهيثم بن عبد الله بن المعمر التغلبي ، ثم العدوي قلده أساتكين سنة ٢٦١ هـ
الموصل ، وأرسل إليه الخلع واللواء ، وكان يدار ربيعة متوليها بعد مسوت
إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) فجمع جمعاً كبيرة وسار إلى الموصل ، ونسزل
بالجانب الغربي وزحف إلى باب البلد ، فخرج له أهلها فقاتلوه حتى عاد عنها " :
٩٨ / ١ . ويبدو لي أن محقق الديوان خلط بين عبد الله بن الهيثم " الابن " :
وبين الهيثم بن عبد الله " الأب " ، فالذي وجدته في تاريخ الطبري ، والكامل لابن
الأثير أن الذي تولى أمر ديار ربيعة بعد وفاة إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ)
هو عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعمر " المعتمر " . / انظر :

تاريخ الطبري : ٧٦ / ١٠ ، والكامل لابن الأثير : ٩٨ / ٦ .

(٢) لمتي : اللَّمَّة : شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة ، وفي الصحاح : الشعر
يجاوز شحمة الأذن . / الصحاح : " لم " : ٢٠٣ / ٥ ، اللسان : " لم " :

١٢ / ٥٥١ .

(٣) رواية الديوان - صيرفي - : " وَلِنْ تَوَلَّى " .

وإِنِّي لأسمع رنات الأسى والتحسرتن في جوانب هذا الخبر إلا أن الشاعر فاجئنا بخبر آخر تعجب له النفس، فأخبرنا أنه على كرهه للشيب يكره أن يفارقه ، وجاء بالواو ، ووصل بين الجملتين ليزيد النفس عجباً ، فهو قد جعلهما كأنها جملة واحدة على الرغم مما بينها من تضاد ، وهذا التضاد له طُعمٌ حسنة في النفس لما أثاره فيها من التعجب ، ثم جاء بقوله (أعجب) بصيغة الأمر ليوقظ معننى العجب في النفس .

ونكر لفظ " شيء " ليولد في الخيال نوعاً من الغموض المثير للعجب ، ثم أطنن أن هذا الشيء على بغضه وكرهه مودود محبوب .

أما البحر تريت فقد جعل الشيب عيًّا تعيره به الغانيات وهذا أوجع في النفس وأشد إيلاماً لها ؛ لأن في مجيء صورة الغانيات ، تذكيراً بأيام الشباب ، وهذا التذكير يبعث الحسرة في النفس ، إلا أن الشاعر يفاجئنا بجعل هذا العيب وما يصدر عنه من آلام أجمل ما يتتبع به الإنسان ، وهو غاية ما يتناهى ويرجوه ، وانظر كيف صور كرهه مفارقة الشيب بقوله " من لي " وهو استفهام يحمل معني التمني والترجى . وينى الفعل " أمتع " للمجهول ليبالغ في عظم ذلك التمتع .

الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (المنسرج)

وقول أبي تمام :

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدَهُ . وَيَكْثُرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأُنْسُ (١)
وهو من قصيده يمدح بها الحسن بن وهب ، (٢) ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خضاعي : ٤٥٩ ، شاکر : ٥٠٤ .
(١) ديوانه - بشرح الخطيب التبريزي - : ٢ / ٢٣٢ ، ديوانه - دار صعب - :

هَلْ أَثَرَيْنِ دِيَارِهِمْ دَعَسَ .: حَيْثُ تَلَاقَى الْأَجْرَاعُ وَالْوَعَسُ (١) (٢) (٣)

وقبل الشاهد :

أَرَوْعُ لَا يَنْ رِيَا حِسِ الْحَرْجَفِ الـ .: صِرَ (٦) (٥) (٤)

وبعد الشاهد :

رَدِّي لِطَرْفِي عَنْ وَجْهِهِ زَمَسْنَ .: وَسَاعَتِي مِنْ فَرَاقِهِ حَسَرَسَ (٧)

.. مع قول ابن الرومي : (الطويل)

إِمَامٌ يَظُلُّ الْأَمْسَ يُعْمِلُ نَحْوَهُ .: تَلَفَتْ مَلْهُوفٍ وَيَشْتَاقُ الْغَدُ (٨) (٩)

والشاهد ثالث أبيات أربعة ، قالها في مدح المعتضد بالله (١٠) :

(١) الدعس : الكثير الواضح من الآثار . / القاموس المحيط * دعس : ٢٢٣ / ٢ .

(٢) الأجرع : الرسالة الطيبة المنبت ، أو الكتيب جانب منه رمل ، وجانب

حجارة كالأجرع والجرجع . / القاموس المحيط * جرع : ٣ / ١٢ .

(٣) الوعس : السسول اللين من الرصل / السنان * وعس : ٢٥٦ / ٦ .

(٤) أروع : الأروع من يعجبك بحسنه ، وجهارة منظره ، أو بشجاعته كالرائع . / القاموس * روع : ٣ / ٣٣ .

(٥) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . / القاموس المحيط * حرجف :

١٣٠ / ٣ .

(٦) الصر : الباردة الشديدة الصوت / القاموس المحيط * صر : ٢ / ٧١ .

(٧) الحرس : الدهر / القاموس المحيط * حرس : ٢ / ٢١٤ .

(٨) رواية تاريخ الخلفاء : * تلف .

(٩) انظر البيت في :

ديوانه - مطبعة دار الكتب - : ٢ / ٦٦٠ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٩ .

(١٠) هو أحمد أبو العباس ، ابن ولي العهد الموفق طليحة بن المتوكل بسن

المعتصم بن الرشيد (٢٤٢ هـ - نحو ٢٨٩ هـ) ، أمه أم ولد اسمها

* صواب * وقيل * حرز * ، وقيل * ضرار * ، كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر

الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، وكان يسمى السقاج الثاني ؛

لأنه جد ملك بني العباس / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٥٣٠ ، ٥٤٤ ، ٥٥٧ - ٦٦٣ ، ٦٦٧ / ١٠ : ٨ ، ٩ ، ١٥

٢٠ - ٢٢ ، ٢٨ - ٢٩ ، ٩٤ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٥٦ ،

مروج الذهب : ٢٢٩ - ٢٧٤ ، التنبيه والإشراف : ٣٣٦ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٨ - ٣٧٥ .

وقيل الشاهد :

هَنِيئًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ إِمَانَكُمْ . : إِمَامُ الْهُدَى وَالْجُودِ وَالْبَاسِ أَحْمَدُ
كَمَا بِأَبِي الْعَبَّاسِ أَنْشِيءَ تِلْكَكُمْ . : كَذَا بِأَبِي الْعَبَّاسِ مِنْكُمْ يَجْعَدُ

وبعد ها الشاهد ومعه :

يَوْمَ الزَّمَانِ الْمُتَقَرِّبِ عَنْهُ أَنْتَهُ . : عَلَيْهِ لَزَامَ آخِرُ الدَّهْرِ سَرَرْدُ
فالصورة الجامعة بين الشاهدين هي اشتياق الغد للمدوح ، وتذكر الأُمس له .
فأبو تام وابن الرومي صورا الغد بصورة واحدة ، وهي صورة المشتاق ، إلا أن
أبا تام زاد على الآخر بقوله :

" مِنْ كَالِمٍ " ، وفي هذا إشادة بالمدوح .

أما تذكر الأُمس له ، فأبو تام جعل الأُمس إنساناً كثير الوجد ، وهي صورة
لطيفة ، ولكن صورة ابن الرومي كانت أكثر لطافة ، فهو لم يكتف بأن جعل الأُمس
إنساناً كثير الوجد ، بل صور آثار ذلك الوجد ، فجعله إنساناً دائم التلفت كثيره ،
ثم أضاف هذا التلفت إلى كلمة " ملهوف " ، وفي هذا ما فيه من الدلالة على عظم
الشوق ، والبراعة في تجسيد تباريح الوجد .

قال الشيخ عبد القاهر :

" لا تنظر إلى أنه قال : " يشتاقه الغد " ، فأعاد لفظ أبي تام ، ولكن
انظر إلى قوله :

" يَعْجَلُ نَحْوَهُ تَلَفَتْ مَلْهُوفٍ " (٢)

(١) رواية تاريخ الخلفاء :

" والبأس والجود أحمد " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٤ .

الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

وقول أبي تمام :

(٦٠) لَيْسَ دَمَتِ الْأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا . : فَلَيْسَ يُوَدِّي شُكْرَهَا الذُّبُّ وَالنَّسْرُ (٢)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر (٣)

وقبل الشاهد :

(٤) ضَبِيْبَةٌ مَا إِنْ تُحَدِّثُ أَنْفُسًا . : يَمَّا خَلَفَهَا مَا دَامَ قَدَامُهَا وَتَسْرُ (٥)

وبعد الشاهد :

(٦) يَمَّا عَرَفَتْ أَقْدَارَهَا بَعْدَ جَهْلِهَا . : بِأَقْدَارِهَا قَيْمٌ بَيْنَ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ

ذكر الأندلسي أن هناك من يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ حَاكَمْتِكَ فَطَالَبْتِكَ بِذُحْلِهَا . : شَهِدْتَ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورٌ

وهو يرى غير ذلك ؛ لأن المعنيين مختلفان ، فسلم أراد أن يقول لمدوحه :

لو حاكمتك - الفرقة والعصب التي لقيتك - بثأر من قتلته منها لشهدت عليك

الثعالب والنسور .

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب ، والديوان - دار صعب - :

" فَإِنْ دَسَّتْ "

(٢) الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧ ، الديوان - دار صعب - :

٤٢٤ ، الموازنة : ١٢٢ .

(٣) سبق ذكر مطلعها : ٩٩٩ ، من البحث .

(٤) ضبيبة : منسوبة إلى الضبيب ، وهو فرس كان لرجل من طيء حمل طيسه

بعض ملوك الفرس ، وذلك أنه كان معه في حرب ، فهزم ذلك الملك ، وقصّر

فرسه ، فحمله الطائي على الضبيب ، فعرف له الملك ذلك ، وأقطعهم مواضع

بالسواد . / ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧

(٥) الوتر : الظلم / القاموس المحيط " وتر " : ٢ / ٥٧١ .

(٦) الفزر : سعد بن زيد مناة بن تميم سموا بذلك ؛ لأن أباهم سعداً كان

له قطع من معز فجاء به إلى الحرم ، فأنهبه الناس ، فقالوا في المثل : لا أفعل

ذلك حتى يجتمع معزى الفزر . / ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧

أما أبو تمام ، فقال على سبيل الاستهزاء :
لئن نمت الأعداء سوءاً صابحها فليس يؤذي الذئب والنسر شكرها لكثرة
ما أكل منها ، وهذا المعنى غير ذلك . (١)

• • • مع قول المتنبي : (المتقارب)
(٢) وَأَنْتَ يَنْتَهُم رَيْبِ السَّعَاعِ . : فَأَنْتَ يَا خَسَائِكَ الشَّامِلِ (٣)
وهو من قصيدة يدح بها سيف الدولة ، ويذكر استنقاده أبا وائل تغلب بن داود
ابن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ومطلعها :
إِلَّامَ طَمَاعِيَةِ الْعَازِلِ . : وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
وقيل الشاهد :

تَرَكْتَ جَمَاعَهُمْ فِي النَّقَا . : وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاسِ
ومعد الشاهد :

وَعَدْتَ إِلَى حَلْبٍ ظَافِرًا . : كَمُودِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ (٤)
ومعنى البيت كما ذكره العكبري :

" يقول : لو قدرت السباع على النطق ، لأنتت بما شعلها من إحسانك بكثرة
القتل ، فكأنك بما أوليتها من لحوم القتل أنبت لها ربيعاً ، وهذا ترشيح
للاستعارة ، بأن السباع لا تأكل الحشيش ، ولما استعار الربيع ، استعار النبت
له .

والمعنى : أنبت من أجسادهم ربيع السباع ، فأخصبت في لحومها إخصاب

(١) انظر : الموازنة تحقيق يحيى الدين عبد الحميد - : ١٢٢ .

(٢) رواية الديوان بشرح العكبري : " فأنتت منهم " .

(٣) انظر البيت في :

الديوان بشرح العكبري : ٣١ / ٣ ، المعروف بالطيب : ٤ / ٣٧٦ .

(٤) المرأة التي لا حلي لها . / القاموس المحيط " معطل " : ٤ / ١٧ .

الساعة في ربيعها ، فأثنت بما عساه من فضلك ، وشملها من إحسانك " .
ورأى العكبري أن هذا البيت من احسان الكلام ، وهو مبني على الاستعارة ، ومثله
قوله :

وَكَانَ بِهَا يَمُتُّ الْجُنُونُ فَأَصْبَحَتْ . . . وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَأْسِمُ
فالصورة المشتركة في البيتين هي كثرة القتل ، وشكر الذئب والسباع .
فأبو تام عبر عن كثرة القتل بالمعنى الكنائي ، وفي هذا ما يشير الفكر ، ويحرك
الخيال ، فقوله : " لئن ذمت الأعداء سوء صباحها " صورة حية لحالة الأعداء ،
وهم يسخطون ، ويذمون ، ويندبون ذلك الصباح لكثرة ما رأوا فيه من قتلهم .

ثم أكد هذا المعنى بصورة أخرى فقال : " فلم يؤدي شكرها الذئب والنسر " ،
فجعل الذئب والنسر يعجزان عن شكر تلك الليلة ، لكثرة ما أكلوا من لحوم الأعداء .
أما المتنبي فاخترع صورة أعق ، وأدق ، تجعل المتأمل لها يقف مندحشاً من كثرة
القتل ، فجاء بصورة الربيع ، وما فيه من كثرة الإنبات والاخضرار ، فجعل القتل ربيعاً
يخصب أجسام السباع كما يخصب الربيع أجسام الساعة .

وصورة الإنبات التي أتى بها ، وإن كانت صورة معبودة إلا أنه صاغها صياغة
أخرجتها في أبهى حللها ، فالجار والمجرور في قوله " أنبت منهم " صور تكس
المدوح من الأعداء ، وأثبت ضعفهم وتخاذلهم أمام قوته وسطوته .

وانظر إلى الإضافة في قوله (ربيع السباع) وكيف أضفت على الصورة نوعاً من
الغربة واللفافة وجعلتها من الاستعارات الخاصة النادرة ، واختيار المتنبي للسباع
أكثر خدمة للصورة وأدل على كثرة القتل ، لأن السباع أكثر الحيوانات افتراساً ، وأشد
حاجة للحوم .

وتأمل " الفاء " في قوله " فأثنت " وكيف دلت على سرور تلك السباع لإحساسها
بالشبع ، فأسرعت بالشناء على المدوح .

وفي وصف الإحسان بكونه شاملاً دليل على عظم ذلك المدوح .

الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثئة : (×) (البسيط)

• وقول أبي تمام :

وَرَبَّ نَائِي الْمَقَانِي رُوحَهُ أَبَدًا . لَصِيقُ رُوحِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي (١)
وهو من قصيدة يندح بها سليمان بن وهب ،^(٢) ويشفع في رجل يُقال له سليمان
ابن رزين ابن أخ دُجَل الخَزَّاعي : ومطلعها :
إِنَّ الْأَمِيرَ حَمَامَ الْجَارِمِ الْجَانِي (٣) . وَسُتْرَانُ أَمَلَانِي الْمُوثِقِ الْمَانِي
وقبل الشاهد :

عَصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدَبِي . فَهَمَّ وَلَوْ قُرُقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي
أَوْ أَحْكَمُوا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ . أَبْدَانُنَا فِي شَأْمٍ أَوْ خَرَّاسَانِ
وبعدهما الشاهد وبعده :

أَيُّ أَخٍ لِي قُرْبٌ لَا قَسِيمَ لَهُ . فِي خَالِصِ الْوَدِّ مِنْ سِرِّي وَإِعْلَانِي

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٣٥ .

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٩٥ .

(٢) المسترآن : المكان الذي يرتاده الرجل ويجول فيه . / القاموس المحيط / " رود " :
١ / ٣٠٢ .

(٣) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي ، أبو أيوب أحد كتّاب
الدنيا ورؤسائها فضلاً وأدباً وكتابة ، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم ،
كتب للمأمون وهو حدث صغير ، وتولى خراج مصر سنة (٢٤٢ هـ) ، وولي
الوزارة للمعتز للمهتدي ثم للمعتد سنة (٢٦٣ هـ) ، ونقم عليه الموفق
فحبسه في سنة (٢٦٥ هـ) هو وابنه عبيد الله ، وأخذ أموالهما وعقارهما ،
ثم صُلِحا على تسعمائة ألف دينار ، ثم نقم عليه مرة أخرى فحبسه ، فمات
في حبسه سنة (٢٧٢ هـ) / انظر :

الطبري : ٩٠ / ٥٤٠ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ -

٢٥٢ ، ٢٥٤ ، الوزراء والكتاب : ١٣٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٤١٥ .

(الموافر)

•• مع قول المتنبي :

لَنَا وَلَا هَلْهُ أَبَدًا قُلُوبٌ .: تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة حين أمر له بفرس وجارية ومطلّع

القصيدة ، وهو البيت الذي قبل الشاهد :

أَيُّدِي الرَّبِّعِ أَيَّ دَمٍ أَرَاكَ .: وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبِ شَاقَا

وبعد الشاهد وبعده :

وَمَاعَتَ الرِّيحِ لَهْ مَحَلًّا .: عَفَا مِنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

ومعنى الشاهد :

يقول أن لنا وللراجلين من أهل هذا الربيع قلوباً تتلاقى على الدوام ، بها هي
عليه من الشوق والحنين والتذكار لسالف العهد ، وأيام الوصال ، على الرغم
من تباعد الأجساد ، وعدم تلاقيها . (٢)

ورأى المعكري أنه منقول من قول ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْيَعَارِ وَالْتَفَاقِ .: كَلْتَلْقَى بِالذِّكْرِ إِنَّمَا نَلْتَقِ (٣)

المعنى الجامع بين الشاهد بين هو قرب الأرواح مع بُعد الأجساد ، وإذا تأملنا

كلاً من الصورتين ، وجدنا أن أبا تمام قد بدأ بيته بقوله : " ورب نائي المغاني " ،
فجاء برَبِّ مع ذكر تنائي الديار وبعدها ليزيد في النفس صورة البُعد بعداً ،
فهذا الإغراق في البعد إنما هو تصوير لوحشة نفسه التي ما لبثت أن تفيض حنيناً
لأهل تلك المغاني .

وقوله " أبداً " لفظة نفيسة صورت حركة الحنين والشوق الدائمة في نفسه .

(١) ديوان أبي الطيب بشرح المعكري : ٢ / ٢٩٤ ، العرف الطيب : ٩٣ / ٤ .

(٢) التبيان للمعكري : ٢ / ٢٩٤ .

(٣) ديوانه : ٣٣٢ .

وهذا التضاد في قوله " ودان ليس بالداني " إنما هو وليد ذلك التنازع الناشب في صدره بين البُعد والحنين .

وإذا تأملنا صورة المتنبي وجدناها تجيش بألوان الحس والشعور، انظر إليه كيف نكر المسند إليه " قلوب " ليظهر شغافية تلك القلوب ، الجياشة بالمواطف، وكأنها قلوب من نوع خاص ، وقصر هذه القلوب على كونها له ولأهل تلك الديار، بتقديم المسند الجار والمجرور على (قلوب) ؛ ليؤكد أن هذه القلوب فريدة في عاطفتها لا يملكها كل أحد .

وانظر إلى (واو) العطف ، وكيف كشفت عن ذلك الرباط المتين بين الشاعر ، وأهل تلك الديار .

وتأمل لفظ " تلاقي " وما فيه من تشخيص حي لإلحاح الشوق والحنين ، وقوله " تلاقي " بدلا من " تتلاقى " مع تقييده بكونه " في جسم " أظهر أن ذلك اللقاء إنما هو لقاء معنوي لا حسي يتم في عالم الروح .

وآنظر إليه كيف فصل بين المسند والمسند إليه بقوله " أبدا " ليؤكد دوام ذلك التلاقي الروحي واستمراره .

وانصت إلى النفي في قوله " ماتلاقي " لتسمع دندنات الشوق واللوعة لتسللك النفس الحزينة اللاهفة .

الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلاثاء : (*) (الرمل)

• وقول أبي هفسان : (١)

(*) الولد للرضا : ٣٨٧ ، حفاصي : ٤٦٠ ، شاكرا : ٥٠٥ .
(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العمدي الخرنوبي ، راوية ، عالم بالشعر والأدب ، شعره جيد إلا أنه يُقَل من أهل البصرة ، سكن بغداد ، وأُخسِن عن الأصمعي وغيره ، وكان متهمكاً فقيراً يلبس مالا يكا يسترجسه ، له " أخبار الشعراء " و " صناعة الشعر " و " أخبار أبي نواس " ، مات سنة سبع وخمسين ومائتين من الهجرة / . انظر :

أَضَحَّ الدَّهْرُ سَيْفًا كُلَّهُ . : مَالَهُ إِلَّا آتَيْنِ يَحْيَى حَسَنَهُ (١)

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

أَزَالَتْ بِكَ الْآيَامُ عَتِيَّ كَأَنَّمَا . : بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عَذْرُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي (٣) مطلعها :

أُطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ قَوَارِسِهَا الدَّهْرُ . : وَجِدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

وَلَوْ نَبِيٌّ وَإِنْ نِلْتَ السَّاءَ لَعَالِمٌ . : يَا نَكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ

ومعنى الشاهد :

" يقول : الأيام لها إساءات كثيرة ، فلما سمحت بمثلك زال عتبي عليها ،

فكأنها أتت بك عذراً " . (٤)

ذكر العكبري أن معنى المصراع الأول من الشاهد مأخوذ من قول حبيب

" أبي تام " :

تَوَالِكَ رَدَّ حَسَادِي فَلَوْلَا . : وَأَصْلَحَ بَيْنَ آيَامِي وَبَيْنِي (٥)

=== تاريخ بغداد : ٣٧٠ / ٩ ، لسان الميزان : ٣ / ٢٤٩ ، سبط اللاكسي :

٣٣٥ ، بغية الوعاة : ٢ / ٣٠١ ، الأعلام : ٤ / ٦٥ .

(١) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلّا في :

الوساطة : ٢٣٢ ، التبيان : ١٥٩ / ٢ .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ١٥٩ ، العرف الطيب :

٣ / ٦٧ ، الوساطة : ٢٣٢ ، الإبانة عن سركات المتنبي : ١٣٦ .

(٣) لم أقف على ترجمة له بعد .

(٤) التبيان للعكبري : ١٥٩ / ٢ .

(٥) التبيان : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٠٧ .

والمصراع الثاني من الشاهد من قوله :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يَرَى . . يَنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى يَنْهَا تَائِبٌ (١)

ومثله لابن الرومي :

أَنْتُمْ أَنْاسٌ بِأَيَّامِكُمْ . . يَسْتَغْتَبُ الدَّهْرُ إِذَا أَذْنَبَا (٢)

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ . . وَزَادَ فِي عَذْلِكُمْ (٣) أَعْتَبَا (٤)

ولأبي نواس :

تَوْبِي إِلَىكَ يَهَا بَنُوا أَسْلِلِ . . عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ (٥)

المعنى الجامع بين البيتين أنه لا خير في الدهر إلا وجود المدح . وقد اعتمد كل من الشاعرين على صورة واحدة هي صورة إساءة الدهر، وسحو المدح لتلك الإساءة فأبو هفان جاء بالصورة مؤكدة حيث أظن أن الدهر كله إساءات، وجاء بلفظ (كَلَّةٌ) عقب الجملة ليؤكد شمول وعموم تلك الإساءات، وبعد أن أكد هذا المعنى في الأذهان جاء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وانظر إلى تركيب هذا القصر، وكيف زاد الأسلوب تأكيداً على تأكيد، ومكّن المعنى وقصره في النفس، حيث قدم المسند الجار والمجرور (له) على المسند إليه " حَسَنَةٌ "، وقدم المقصور عليه (ابن يحيى) على المقصور " حسنة " وقصر الحسنة على " ابن يحيى " وحده ونفاها عن جميع ما عداه مبالغة وأدعاء .

أما المتنبى فنراه عابياً لا ثماً للأيام لكثرة إساءتها، ولم تجد الأيام ما تزيل به عتبه ولومه إلا ذلك المدح، ولم يكتف المتنبى بهذا المعنى بل جاء بصورة حية تبرز

(١) التبيان للعكبري : ١٥٩ / ٢ ، ديوانه - دار صعب - : ٣٢ .

(٢) رواية الديوان : " يستغفر " .

(٣) رواية الديوان " عَذْلَكُمْ " .

(٤) التبيان للعكبري : ١٥٩ / ٢ ، ديوانه : ١ / ٢٣٣ .

(٥) التبيان للعكبري : ١٥٩ / ٢ ، ديوانه : ٤٧٩ .

حسن أخلاق ذلك السدوح ، وعظيم فضله ، فصنع من الدنيا أثماً عَمَّها بنوها جميعهم
إلا ابناً واحداً ، ولك أن تتصور حالة هذه الأم التي أفنت ربيع أيامها في تربية هؤلاء
الأبناء ثم تكافأ بالعقوق ، فإذا ما تصورت هذا المعنى واستلأت به نفسك ، فما ظنك
بها حين تجد بعد هذا العقوق ابناً باراً يخلص لها الطاعة ويدين لها بالبر ،
ومعاسها أن تكون مكانته في نفسها ؟

وانظر إلى الجار والمجرور ، والدور العظيم الذي قام به في إبراز المعنى ،
فقلوب : « أزالمت بك » أ ضفني

على الإزالة معنى القوة ، والذهاب التام ، وأرجع للسدوح وحده فضل
تلك القوة ، وفضل تلك الإزالة ، فالباء هنا دلت على استعانتها به ولجؤها إليه .
وتأمل كذلك قوله " بنوها لها ذنب " وما فيه من معنى العقوق التام ، والأسف
والحسرة على هؤلاء الأبناء .

وانظر إلى قوله " وأنت لها عذر " وما يحمله من معنى الرضى والطاعة والاستبشار
والفرح بذلك الابن البار .

الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

• وقول علي بن جبلة : (١)

(*) الولد كـ ، رضا : ٣٨٧ ، حفايجي : ٤٦٠ ، شاكم : ٥٠٥ .
(١) هو علي بن جبلة بن عبد الله - وفي تاريخ بغداد - بن مسلم بن عبد الرحمن

ويكنى أبا الحسن ويلقب بالثكوك ، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل
بغداد ، وبها نشأ ، وولد بالحربية من الجانب الغربي ، كان ضريباً كُفَّ
بصره بالجدرى وهو ابن سبع سنين ، وقيل كان أمه ، كان من الموالي ، وكان
أسود أبرص ، وهو شاعر مطبوع ، غذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح
حسن التصرف جيد المدح وصاف محسن ، مدح المأمون ، وحيد بن عبد الحميد
الطوسي وأكثر من مدح أبي دلف العجلي والحسن بن سهل قال عنه الجاحظ :
" كان أحسن خلق الله إنشاداً ، ما رأيت مثله بدويّاً ولا حضريّاً " .

ولد سنة (١٦٠ هـ) وتوفي بمدينة السلام ، وقيل قتله المأمون سنة ٢١٣ هـ . / =====

وَأَرَى اللَّيَالِي مَاطَوْتَ مِنْ قُوَّتِي ^(١) . رَدَّ نَفْسِي فِي عِظَّتِي وَفِي إِفْهَامِي ^(٢) ^(٣) ^(٤)

والشاهد أول بيتين وثانيهما :

وَعَلِمْتُ أَنَّ التَّرَا مِنْ سَنَنِ الرَّدَى . حَيْثُ الرَّيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّاسِي ^(٥)

== مع قول ابن المعتز : (المختار ب)

وَمَا يُنْقِصُ مِنْ شَبَابِ الرَّجَالِ (م) . يَزِدُّ فِي نَهَاهَا وَأَلْبَابِهَا ^(٦)

وهو من قصيدة يفخر بها مطلعها :

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ وَتَسْكَايَهَا . تَشْكِي الْقَدَى وَيَكَاهَا يَهَا

وقبل الشاهد :

فَإِنْ فُرْصَةً أَتَكُنْتَ فِي الْعَدَى . وَفَلَا تَبْدِرْ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا

فَإِنْ لَمْ تَلِجْ بَابَهَا مُسْرِعًا . أَتَاكَ عَدُوٌّكَ مِنْ بَابِهَا

== انظر ترجمته : البرصان والعرجان : ٨٦-٨٧ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٨ -

٨٧٢ ، طبقات ابن المعتز : ١٢٠-١٨٥ ، الورقة : ١٠٦ ، الأغاني : ٢٠ / ١٤ -

٤٢ ، تاريخ بغداد : ١١ / ٣٥٩ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٣٥٠ ، رقم ٤٦١ ،

نكت الهميان : ٢٠٩-٢١٠ ، شذرات الذهب : ٢ / ٣٠ .

(١) رواية التشيل والمحاضرة : " من شَرَّتِي " .

والشَّرَّة : النشاط والرغبة ، وشَرَّة الشباب حرصه ونشاطه / اللسان " شرر " :

٤ / ٤٠١ .

(٢) رواية الديوان : " زادته " .

(٣) رواية الديوان : " في عِظِي " .

(٤) لم أجد إلا في :

ديوانه : ١٠٤ ، الوساطة ، ٢٤٥ ، التشيل والمحاضرة : ٨٧ ، نهاية الأرب :

٨٩ / ٣ ، التبيان : ١ / ١٧٠ .

(٥) ديوانه : ١٠٤ ، التشيل والمحاضرة : ٨٧ ، نهاية الأرب : ٨٩ / ٣ .

(٦) ديوانه : ٣١ ، الوساطة : ٢٤٥ ، التبيان : ١ / ١٧٠ .

وبعد هما الشاهد وبعد :

وقد أَرَحَلُ الْعِيَمِ فِي مَهْمَةٍ . . . تَقَمَّى الرَّحَالُ بِأَصْلَابِهَا

وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه ، وقال :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بِأَعْتَبِي الَّذِي أَخَذَتْ . . . يَنْتَبِي بِحِلْيِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّيِي (١)

المعنى العام في الشاهدين : أن قَدَمَ السن يزيد الإنسان حكمة ، وخبرة .

وإذا تأملنا الشاهدين ، وجدنا أن كلا من الشاعرين صاغ المعنى صياغة حسنة

جيدة .

فَصُورَةُ طِي بن جبلة تولدت عن نفس تنفجر نفاجة واقتداره ، فهو قوي دائم العطاء في شيبته وشبابه ، انظر إليه كيف استطاع أن يثبت قوته عن طريق صورة الضعف التي تعترى الإنسان في كبره ، فَصَوَّرَ هَابَ القوة الجسدية بالشوب المطبوي ، وأسند فعل الطي إلى اللبالي ليشير إلى سرعة انصرام الزمان ، وكأنه ينبه الإنسان إلى الحقيقة الأزلية وهي ضعف الإنسان .

إلا أن هذا الضعف الذي يصيب الخلق عامة يتحول عند الشاعر إلى صورة مسن القوة عجيبة . انظر إليه كيف صور هذا التحول ، وكأنه حقيقة مشاهدة ، فلجأ إلى أسلوب الالتفات ، فعبر عن الماضي بالمضارع (أرى) . فالوقوف عنده موقف تحسُّد مع الأيام ، فهو يريد أن يثبت أن قوته قوة غريبة لذا استحضرها ، وجعلها حيلة متحركة ليبرأها من يسمعه من خلال هذا التحول في الفعل الذي استطاع أن ينقل الحدث من واقعه الذي مضى إلى مقام الحضور ، وهذا الأسلوب أشد توكيداً ، وأشد تخبيلاً ، وأنظر إليه كيف رَكَّبَ المعنى على الشرط وجوابه (ماطوت - ردت) مع عقْد الطباق بين الفعل والجواب ، ليؤكد أن ما أخذته الأيام من قوته الجسمية ، ردتَه في عظته ونفسه .

وكذلك نجد بيت ابن المعتز يحتوي على دقائق نفيسة منها : بناء الفعل **سَمِل** "يُنْتَقَصُ" للمجهول مع زيادة في مبناء ، فدل بذلك على سرعة انقضاء الشباب ، وفي هذا تنبيه للإنسان من الغفلة التي تصيبه في هذه الفترة وقوله " من شباب الرجال " كناية عن القوة ، وإضافة الشباب إلى الرجال مبالغة في تجسيد تلك القوة .

وهذا أبلغ من التصريح في بيت الأول " من قوتي " ، والشاعر بنى بيته أيضاً على الشرط وجوابه مع عقد الطباق بين الفعل والجواب (ينتقص - يزد) ، وهذا أشد تحريكاً للخيال ، وأبلغ تصويراً للمعنى .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقيل بكرين النطاح : (١)
وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ . . . لَجَادَ بِهَا فَلَيَقِيَ اللَّهَ سَائِلُهُ (٢) (٣)
(٤)

(*) الدندني ، رصنا : ٣٨٧ ، ضايجي : ٤٦٠ ، شاكرك : ٥٠٦ .
(١) وهو له في :

محاضرات الأدباء ، الإبانة عن سرقات المتنبي ، التبيان للعكبري .
وقد سبقت ترجمة بكرين النطاح : ٤٢٠ ، وهو لأبي تمام فسي :
ديوان المعاني ، التشليل والمحاضرة ، شرح المفضون به على غير أهلهم ،
خزانة البغدادي .

وجاء في الوساطة أنه يروى لبكرين النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام .
وهو في العدة لزياد الأعجم ، أولاً تحت يزيد بن الطثرية ، وقد استطحه أبو تمام
في شعره .
(٢) يروى " يكن " بالياء " وتكن " بالتاء .

(٣) رواية الوساطة : " نفسه " ، وكذلك رواية ديوان المعاني ، والعدة ، وشرح
شواهد المغني ، وخزانة الأديب للبغدادي .
شعره " شعراء مقلون " : ٢٦٠ .

(٤) ديوان أبي تمام بشرح الثبريزي : ٣ / ٢٩ ، ديوان أبي تمام - دار صعب :
٢٠٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٠٨ غير منسوب ، الوساطة : ٢١٦ ،
ديوان المعاني : ١ / ٢٥ ، التشليل والمحاضرة : ٤٣٥ .

محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٨٥ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ ،
العدة : ٢ / ٢٨٣ ، التبيان للعكبري : ١ / ٢٦ ، شرح المفضون به
على غير أهلهم : ١٥٦ ،

شرح شواهد المغني : ٢ / ٦٣٥ .

ذكر العميدي أن بكر بن النطاح قال البيت في أبي دلف العجلي حين كان يقيم على خدمته .

وقبل الشاهد :

(١)
هُوَ الَّتِي مِنْ أَبِي النَّوَاجِي أَتَيْتَهُ . فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاطِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنْتَهُ . ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَا لِيْلُهُ

وبعدهما الشاهد وبعدة :

عَطَاءٌ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَيْحِجُهُ . لَا صَبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى هُوَ عَازِلُهُ

وقد أخذ أبو الطيب معنى الشاهد فقال :

يَا أَيُّهَا الْمَجْدَى عَلِيمِ رُوحَهُ . إِنْ لَيْسَ يَأْتِيُولَهَا اسْتَجِدَاءُ
احْتَدَّ عَطَاكَ لَا تُجِئْتَ بِفَقْدِهِمْ . فَلَتَرَكُ سَالَمٌ يَأْخُذُ وَإِعْطَاءُ (٢)

وعلق القاضي الجرجاني على بيت أبي تام (أو بكر بن النطاح) وبيت المتنبّي

بقوله :

" وبيت أبي تام أو بكر بن النطاح ألمح لفظاً وأصح سبكاً وزاد أبو الطيب

بقوله : إنه يجدي عليه روحه ، ولكن في اللفظ قصور والأول نهاية في الحسن " (٣)

وذكر أن المتنبّي قد نقل هذا المعنى عن الروح إلى الجسد في قوله :

لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمٌ قَارِبَهَا لَبَا رَهَا . خَرَانِذِلْ نِيْمٍ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ

ورأى أن هذا البيت هو الأول لأن من جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ورأى أنه

قد يكون من قول ابن الرومي :

(٤)
لَوْ حَزَّيْنِ جِشْمٍ لِسَاطِلِهِ . أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَّا أَلَمَّا (٥)

ثم كرره وغيره بعض التفسير فقال :

(١) رواية المحاسن والساوي ، ديوان المعاني ، شرح المضمون به على غير أهله :

" هو البحر " .

(٢) ديوانه بشرح المعكري : ١ / ٢٦ .

(٣) الوساطة : ٢١٦ .

(٤) رواية الديوان : " من نفسه " .

(٥) ديوانه : ٥ / ٢١٤٣ .

يَلْتُ إِلَى مَنْ يَكْدَانُ بَيْنَكُمَا . لَوْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)

ونذكر أبو نعيم الأصبهاني أن بيت الشاهد مأخوذ من مدح رجل لآخر حيث قال :

كيسه محلول، وماله مبذول ، يطعمك نفسه إن أكلتها ، ويسقيك روحه
إن شربتها * (٢)

ونذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات شهيرة وقد قبلها الناس على ما فيها من الغلو، قال :

* ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه، وردَّه دوه بكل لسان
قول أبي تمام في المعتم (٣) ثم ذكر أبياتاً من ضمنها بيت الشاهد
ونذكر العسدي أنه من طبع الشعر (٤)

• • مع قول المتنبي : (المنسرح)

إِنَّكَ مِنْ تَعَشِّرٍ إِذَا وَهَبُوا . مَا دُونَ أَعَارِهِمْ فَقَدْ بَخُلُوا (٥)
وهو من قصيدة مدح بها بدر بن عمار (٦) وقد فسد لعله ، ومطلعها :

أَتَقْدُ نَائِي التَّلِيحَةِ الْبَخْلُ . فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ إِلَّا بَسْلًا
وقبل الشاهد :

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَامَةَ يَا . لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تَقَلَّبُ . عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٦٣/٤ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٥٨٥ / ٢ .

(٣) ديوان المعاني : ٢٤ / ١ .

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢١٦/٣ ، العرف الطيب : ١٧٩/٤ ،
الوساطة : ٢١٧ ، يتيمة الدهر : ١٩٠/١ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٦) سبقت ترجمته : ٦٣٠ .

وبعدهما الشاهد ويعدده :

قَلَوْنَهُمْ فِي مَضَاءِ مَا اسْتَشَقُّوا . . . قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامِ مَا اعْتَقَلُوا

ومعنى الشاهد :

" قال أبو الفتح : بخلوا عند أنفسهم ؛ لأنهم لم يفعلوا الواجب عندهم ويجوز أن يكون بخلوا : نسبهم الناس إلى البخل ، لاقتصارهم على ما دون أعارهم ، أي من عادتهم بذل أعارهم ، والأول أقوى " (١)

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت المتنبي هذا قد جاء به معنى مغرداً ، وقد أحسن

فيه ماشاء (٢)

ولبشار بن برد في هذا المعنى :

وَيَسْبِقُ إِنْجَازَهُ وَعَقْدَهُ . . . وَلَيْسَ يَحِيلُ عَلَى بَاطِلٍ

يَرَى أَنَّهُ أَبْخَلُ الْبَاطِلِينَ (م) . . . إِذَا جَانَ بِالرُّوحِ لِلْسَّائِلِ

المعنى العام : المدح بالجود والكرم البالغ .

فإذا نظرنا إلى بيت بكر بن النطاح وجدناه ، وقد بنى بيته على نوع مسن المبالغة لطيف ، حيث جعل المدح لشدة كرمه لا يتوانى عن الجود بروحه ، وقدم الجار والمجور " في كفه " ليدل على تسابق تلك الروح إلى اليد ، وأنها خرجت من مكانها ، واستقرت في يده طائفة مختارة .

وقوله " لجاد بها " قرن الفعل بلام التوكيد ؛ ليؤكد إسرعه في التفاني في الجود ، وعدم تردده في بذل تلك الروح .

وقوله " فليقت " قرن فعل الأمر (بالفاء) (لحث السائلين على الإسراع في الكف عن مطالبته ، وزجرهم عن الإلحاح في سؤاله .

(١) التبيان للعكبري : ٢ / ٢١٦ .

(٢) الوساطة : ٢١٧ .

أما المتنبي فقد جعل كل إنفاق دون العُمر بُخلاً ومذمة فوصف السدوح ،
بأنه من معشر كثيري العطاء والهبة ، فإن أعطوا دون أعمارهم شعروا بمذمة البخل .
وأنظر إلى دقته في تركيب الصورة حيث بدأ البيت (بأن) المؤكدة ، ليشبث
في النفوس ، ويشعرها بمعظم وفخامة ذلك السدوح .

وجاء بـ (مع) دون (من) (إنك مع معشر) ليدل على مصاحبة السدوح لأولئك
المعشر، ولازمته ومشاركته لهم في كل الصفات ، فالمتنبي لم يجعل ذلك الكسـم
العجيب مقصوراً على مدوحه وحده بل جعله عاماً في معشره ، فالفخر بالقبيلة كلها
أدل على العزة والمنعة ، وأعظم في الفخر، ونكر لفظ " معشر " لتعظيمهم وتخيسهم .
وجاء (بإذا) الشرطية، ليجزم أنهم داعوا الهبة والعطاء ، وأن عطاءهم مستر
لا ينقطع ، وقرن جواب الشرط (بالفاء) و " قد " التي هي للتحقيق ليدل على سرعة
تحقق البخل منهم إن هم وهبوا دون أعمارهم ، وفي هذا تأنيب وزجر لأنفسهم أن
تهب دون الأعمار .

الشاهد الأرمـون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول البحسري :

(١)
وَمَنْ ذَا يَلُومُ الْبَحْرَ إِنْ بَاتَ زَاخِرًا . يَفِيضُ وَصَوَّبَ الْمُنَّ إِنْ رَاحَ يَهْطِلُ (٢) (٣)
(٤) وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ، (٥) ومطلعها :

(*) الدرة كل ، رضا : ٣٨٧ ، ضغايي : ٤٦١ ، شاكـر : ٥٠٦ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " أَنْ " .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - ، " أَنْ " .

(٣) رواية الديوان - بيروت - ، " صيرفي " : " بَاتَ " .

(٤) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مصادر إلا في :

ديوانه - بيروت - : ٢ / ٢١٣ ، ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٧٩٤ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، أبو العباس الخزاعي

(٢٠٩ هـ - ٢٥٣ هـ) أمير بغداد في أيام المتوكل ، وهو الذي قضى على يحيى

ابن عمر - من الطالبين - وكان قد خرج على المتوكل ونادى لنفسه بالخلافة في الكوفة =====

فَوَاقِدٌ يَذْكُرُ الطَّاعِنِينَ مُؤَكَّدٌ . : وَمَنْزِلٌ حَيٌّ فِيهِ لِلشُّوقِ سَنْزِلٌ

وقيل الشاهد :

(١)
فَتَى لَا نَدَاهُ عَجْزُهُ حِينَ يَتَتَوَى . : وَلَا مَالُهُ يُلْكُ لَهُ حِينَ يُسْأَلُ
إِذَا نَحْنُ الْمَنَاءُ لَمْ يَرَحْطَهُ . : زَكَ أَوْ يَرَى جَدَّاهُ حَيْثُ يُؤْمَلُ
لَهُ قَدَمٌ فِي الْمَجْدِ تَعْلَمُ أَنَّهُ . : يُسَوِّدُ بِهَا يُرِي بِرَارًا وَيُغْفِلُ
إِذَا جَادَ أَغْضَى الْعَاذِلُونَ وَكَفَّهِمْ . : قَدِيمٌ سَاعِيهِ الَّذِي يَتَقَيَّلُ (٢) (٣)

وبعد ها الشاهد وبعد :

وَلَمْ أَرْ مَجْدًا كَالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ . : إِذَا تَاغَدَا يَنْهَلُ أَوْ يَتَهَلَّلُ

.. مع قول المتنبي : (البسيط)

وَمِثْلُكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ . : وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ (٤)

وهو من قصيدة يدح بها سيف الدولة ، ويعتذر إليه ، وذلك في شعبان

سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

أَجَابَ تَمَسِّيَ وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلْلِ . : دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِيسَلِ

وقيل الشاهد :

لَعَلَّ عَيْتَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ . : فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ
وَلَا سَمِعَتْ وَلَا غَيَّرِي بِقَتَادِرٍ . : أَدَّبَ يَنْكَ لِرُؤُوسِ الْقَوَلِ عَنْ رَجُلٍ
لَا نَاحِيَةَ لِحْمِكَ حِلْمٌ لَا تَكْلِفُهُ . : لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْقَيْنِينَ كَالْكَحْلِ

=== وتبعه أهلها من أهل التشيع وبعض الأعراب - كان محمد بن طاهر أديباً شاعراً

جواداً ، عظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ،

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وصفحات أخرى إلى : ص ٣٧٧ ، ١٠ / ١١ ،

الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " حَجَرَةٌ " .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - : " التي " .

(٣) يتقل : يشبه . / اللسان " قيل " : ١١ / ٥٨٠ .

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٨٧ / ٣ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٣٥ ، التثيل

والمحاضرة : ٢٣٧ - ٢٤٠ - عجز البيت فقط -

وبعد الشاهد :

أَنْتَ الْجَوَادُ يَلَا مَنَّ وَلَا كَذِبٍ . . . وَلَا يَطَالُ وَلَا تَعْدُ وَلَا مَدَالُ (١)

ومعنى الشاهد :

" يقول : لا يصرفك كلام الناس في إفساد ما بيننا ، كما لا يقدر أن يصرفوك عن الكرم ، ومن يقدر على هذا إلا كمن يقدر أن يرد صوب السحاب المطر ، فالذي يصرفك عن جودك كالذي يرد السحاب ، لأن جودك أغزر من فيض السحاب " (٢)
المعنى العام : عجز المفرضين عن تثبيط كرم المدوح

فالبحتري افتتح بيته بالاستفهام " من " وأعقبه باسم الإشارة " ذا " للتحقير ، والتقليل من شأن من يلوم المدوح ، ثم أخذ بعد ذلك بـ صور كرم المدوح فجاء له بصورتين ، صورة البحر الفياض ، وصورة الزن الهائل ، وقد أبدع في إبراز صورة البحر حيث جاء بالفعل (بات) فدل على استمرار فيضانه ثم وصفه بقوله " زاخرا " ثم أعقبه بالفعل (يفيض) وهذه الألفاظ الثلاثة دلت على كثرة فيضه ، وغزير مائه ثم وصل (بالواو) صورة البحر بصورة الزن الهائل وجعلهما كأنهما صورة واحدة مبالغة في وصف المدوح بغزارة العطاء .

وقد بنى الصورتين على الشرط (بأن) ولئن كان الموقوف هنا صقوع « إذا »

أما المتنبي ، فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز من يحاول صرف المدوح عن الكرم ، فأعلن في الشطر الأول عن طريق الجملة الخبرية إخفاق كلام الناس في شنيه عن الكرم ، وفي الشطر الثاني رسم هذا المعنى وصوره ليكون أشد تقريراً في النفس ، فبدأ الصورة بالاستفهام " ومن يسد " للتعجيز والتحقير ، ثم جاء بصورة المعارض

(١) الضجر والقلق وأصله من إفشاء السر ، وهو أن لا يقدر على ضبط ما عنده لقلقه

به . / اللسان " مدل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) التبيان للعكبري : ٣ / ٨٢ .

الهطل ، فالذي يحاول تثبيط المدوح كمن يحاول دفع السحاب السطر ويمنعه من النزول ، وهذه الصورة أكدت استحالة ثني المدوح عن كرمه واستمرار عطائه وفزارته .

ويتضح بعد هذا التحليل أن البحري كان مهتماً بتصوير كرم المدوح، أما تصوير عجز المفرضين فأشار إليه بقوله (من ذا) .

أما المتنبي فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز المفرضين ، وجعل من صورة العجز هذه دليلاً على كرم المدوح . فأتين قول البحري " مَنْ ذَا يَلُمُّ " من قول المتنبي : " وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِهِ الْهَطْلُ " .

الشاهد الواحد والأربعون بعد الثلاثائة : (*) (إكمال)

• وقول الكندي : (١)

عَزَا وَعَزَّ بَعِيْزُهُمْ مَنْ جَاوَزَا . فَهَمُّ الذُّرَى وَجَمَاعِمُ الْهَبَاسَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِتَرَاتِيهِمْ يَعْطُوا بِهَسَا . أَوْ يَطْلُبُوا لَا يُدْرِكُونَ بِتَرَاتِ (٢)
(٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٨ ، ضفاجي : ٤٦١ ، شاکر : ٥٠٦

(١) هو محمد بن ظفر بن عير " وقيل عيرة " بن أبي شعير بن قرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن كندة لقب بالمقنع لأنه كان لا يشي إلا مقنعاً فقد كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا أسفر عن وجهه أصابته عين فيمرض ويصيبه العنت الشديد ، فكان يتقنع دهره ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف وسروء ، وسؤدد في عشيرته . كان متخفياً في عطاياه سمح اليد بماله لا يرد سائلاً عن شيء حتى أطف كل ما خلفه أبوه من مال . /
انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٤٣ رقم (١٧٥) ، الأغاني : ١٧ / ١٠٨ - ١١٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) الترات : جمع ترة وهي المطالبة بدم القتل والتأثر لهم / اللسان " وتر " : ٢٧٤ / ٥ .

(٣) لم أجده بعد فيما اطلعت عليه من مصادر .

• مع قول المتنبي :

(الطويل)

(١) تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ . . . وَهَنَ لَمَّا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَايِمُ (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ومطلعها :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْحَزَامُ . . . (٣)

وقبل الشاهد :

هَلِ الْحَدَثُ الْحَرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا . . . وَتَعْلَمُ أَيَّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ (٤)

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا . . . عَلَى الدِّينِ بِالْحُطِيِّ وَالِدَ دَهْرٍ رَافِعُ (٥)

وبعدهما الشاهد وبعد :

إِذَا كَانَ مَا تَتَوَبَّعُ فِعْلًا مُضَارِعًا . . . مَضَى قَبْلَ أَنْ تَلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَانِمُ

ومعنى الشاهد :

• قال الواحدي : الليالي إذا أخذت شيئاً ذهبت به ، فإن أخذت منك غَرِيتَ ، لأنك تلزسها الفرامة .

قال : ويجوز أن يكون تفيت مخاطبة على رواية من روى أخذته " بالتسا " .

يقول : إذا سلبت الليالي شيئاً أفته عليها ، فلم تقدر على استرداده ، وهي

إذا أخذت منك شيئاً غرمت ، يعني أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك . (٦)

ثم ذكر العكبري أنه قرئ على المتنبي أخذته بالنون ، فذكر أن في هذا

تصحيفاً ، وفساداً للمعنى ، والإعراب ، ونقضاً لقوله في آخر البيت ، وذلك أن " تفيت "

يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت " الليالي " فاعلة ، ونُصِبَ " كل شيء " لم يكن

(١) الفَوْتُ : القَوَاتُ ، وفاتني الأمر فواتاً وفواتاً ذهب عني / اللسان " فوت : ٦٩ / ٢ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٨١ .

(٣) سبق ذكره : ٨٨٦

(٤) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٠ .

(٥) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ .

(٦) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٨٢ .

مفعول ثان ، ففسد الإعراب ، وإذا قيل " بالتاء " جعلت " الليالي " مفعولاً أول وكل شي ، " ثانياً .

وأما فساد المعنى ، فلو جعلت " الليالي " الفاعلة كان المعنى أنها تغيت كل شي ، ولا تفرمه ثم ينقضى بقوله : " وهن لما يأخذن منك غوارم " ، وإنما المعنى : تغيت ياسيف الدولة الليالي كل شي ، أخذته منها ، فلا تفرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن ، وبهذا يصح المعنى . (١) .

والمعنى على رواية " التاء " هو الذي يتفق ، وبيت الكندي الثاني - موضع الشاهد - .

فالمعنى المشترك في البيتين ظهور قوة المدوح ، فهو يأخذ حقه إذا طلبه ، وإذا طُلب منه الحق لا يدرك .

وكلا البيتين فيه روعة وجمال ، وحسن تركيب إلا أن بيت المتنبي - فيما يبدو - أفخم وأقوى لأنه يغالb الزمن والمصائب ، أما مدوح الكندي فهو يغالb الأعداء ، وسغالبة الزمن أقوى من مغالبة الأعداء .

وانظر إلى روعة الاستعارة المكنية في قوله " تغيت الليالي " حيث شبه الليالي بأناسي ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء من لوازمه ، وهو القوت ، وهذه الاستعارة بعثت في البيت حركة ونشاطاً ، وأخرجت قوة المدوح في صورة مؤكدة .

وبيت الكندي فيه مقابلة حسنة لطيفة بين الشطرين أثبتت قوة المدوح ، وكشفت عن مراد الشاعر في سهولة ويسر .

وفي معنى بيتي الشاهد قول الآخر :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا يَوْتَرَهُمْ . . . وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ

وَقَوْلِ الطَّرَاحِ :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تَدْرِكُ أَخِيذَتَنَا . أَوْ نَطْلُبُ نَتَعَدَّ الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ (١)

الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى السَّهَامِ حَاكِمًا . غَدَا الْعَوْنُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ (٢)
وهو من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دوان (٣) ومطلعها :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَرَوِيَ الظَّمَاءَ الْحَوَائِصَ . وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلُ الْمَشْتَتَ نَاطِطٌ

وقبل الشاهد :

أَنَّا إِذَا رَاحُوا إِلَى الرَّوْعِ لَمْ تَرْجُ . مَسَالِمَةً أَسْيَافُهُمْ وَالْجَاوِجِمْ
بَنُو كُلِّ شَبُوحٍ (٤) الذَّرَاعُ إِذَا الْقَنَاسَا . ثَنَتْ أَذْرُعَ الْأَبْطَالِ وَهِيَ مَقَاصِمُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

أَخَذَتْ بِأَعْضَادِ الْعَرَبِ وَقَدْ خَوَتْ (٥)
عُيُونٌ كَلِيلَاتٌ وَذَلَّتْ جَنَاحِجِمُ

ذكره ابن المعتز في "باب رد أعجاز الكلام على ما تقدّمها" وعندّه هذا الباب

على ثلاثة أقسام : منها ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول وذكر من هذا

النوع بيت الشاهد (٦) .

(١) التبيان للعسكري : ٣ / ٣٨٢ .
(*) اللندلي : رضا : ٢٨٨ ، فجاجي : ٤٦١ ، شاعر : ٥٦ .
(٢) ديوانه بشرح الخطيب : ٣ / ١٨١ .

ديوانه - دار صعب - : ٢٥٤ ، كتاب البديع : ٥٢ ، الموازنة : ١٢٠ .

(٣) سبقت ترجمته : ٣٧١

(٤) شبوح الذراع : رجل شبّح الذراعين ومشبّوحهما عريضهما / القاسموس

المحيط " عرض " : ١ / ٢٣٨ .

(٥) العربي : تصغير عرب .

(٦) البديع : ٥٢ .

ونذكر الآتي أن هناك ^(١) من يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم
ابن الوليد :

يَفْدُو عَدُوَّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى . . . أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

وهو يرى غير ذلك لأن المعنيين سخطان ، فأبو تمام قال :

إِذَا حَكَمَ سَيْفُ الْمَدُوحِ عَلَى السَّهَامِ حَكْمَ عَفْوِهِ عَلَى السَّيْفِ .

أما مسلم بن الوليد فأراد بقوله : إن عدو المدوح يخافه فإذا رأى أن قد قدر

على العقاب رجاء ، فليس هذا المعنى من ذلك في شيء (٢)

.. مع قول المتنبي : (الطويل)

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مَنْتَقِي ^(٣) . . . وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَايِدُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزوه

خَرْشَنَةَ ، ويذكر الوقعة ، وطلع القصيدة :

عَوَانِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِيدُ . . . وَإِنْ ضَجَّعَ الْخُودَ مِنِّي لَمَاجِدُ

وقبل الشاهد :

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ . . . فَلَمْ يَنْبُهِ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ

فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ . . . وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاجِدُ

(١) المقصود هنا هو ابن أبي طاهر .

(٢) الموازنة : ١٢٠ .

(٣) نضا السيف نضوا وانتضا : سله من غده ونضا ثوبه عنه نضوا : خلعه وألقاه عنه ، ونضا من قوته جرده / اللسان " نضا " : ٣٢٩ / ١٥ .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب :

٣ / ١٠٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٨٨ .

(٥) خَرْشَنَةُ : بفتح أوله وتسكين ثانيه ، وشين معجمة ، ونون ببلد قرب مَلَطِيَّة ،

من بلاد الروم . / معجم البلدان : ٢ / ٣٥٩ ، مراد الاطـلاع :

٠٤٦٠ / ١

وبعد هذا الشاهد وعده :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ يَوْمَ مَحَلِّهِمْ . تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِصٌ

ومعنى الشاهد :

إن المدح سيف يجرده وينضيه كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة ، ويفنده ما تعود من العفو والإحسان والصفح ، أي أنه يجرده ويفنده من تلقاء نفسه ، فهو ليس كسيوف الحديد التي تتصرف فيها أيدي الفرسان بالتجريد والغمد (١) والمعنى الجامع بين الشاهدين هو وصف شجاعة المدح في الحرب وكرم طبعه وعفوه عند الاقتدار .

فأبو تمام استطاع أن يصور لنا شجاعة المدح تصويراً حياً مشاهداً ، حيث نقلنا إلى أرض المعركة وهي في أشد الأوقات احتداماً ، وأرانا المدح وهو يقف على السهامات مسيطراً عليها . فابتدأ تصوير الشهد بتقديم لفظ " سيفه " - وهو اسم أضحى - على الفعل الناسخ نفسه ، ليصور لنا قدرة ذلك السيف ، وكأنه نوع من السيوف عجيب .

وجاء بفعل الشرط (أضحى) بدلاً من كان أو ظل أو أحد أخواتها ، ليصور لنا احتدام المعركة ، وحى وعيسها إذ أن وقت الضحى هو أشد الأوقات قتالاً . وقدم الجار والمجرور (على السهام) على الخبر (حاكماً) ليبرز لنا شجاعة المدح في تلك المعركة ، ويصور اقتداره وتكمنه من السهامات ، ومجيء لفظ " السهام " على صيغة الجمع دون الأفراد للمبالغة في عظم شجاعته حيث تمكن من السيطرة على مطلق السهام لأعلى هامة واحدة .

ومنا المعنى على الشرط بـ " إذا " جزم بوقوع ذلك التمكن منه . إلا أن مجيء جواب الشرط بـ " غدا " دل على أن عفوه أسبق من انتقامه .

(١) انظر: التبيان للعسكري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب : ١٠٢ / ٢ - ١٠٣ .

وانظر إلى قوله : " وهو في السيف حاكم " ، فتقييد الكلام بهذه الجملة الحالية مع ما فيها من دقة التركيب حيث قدم الجار والمجرور " في السيف " على الخبر " حاكم " ، وسجي الخبر على وزن " فاعل " تأكيداً لتحكم عفوه في السيف ، وإنما لجأ الشاعر إلى هذا التركيب الدقيق في تأكيد تحكم العفو ؛ لأن الخيال قد تشرب سابقاً بقوة ذلك السيف العجيبة ، وتحكمه في السهامات ، فكون العفو يتحكم في هذا السيف العظيم أمر لابد وأن تعجب له النفس ، وتحتار فيه ، فاحتاجت إلى أسلوب يقرر لها المعنى ويؤكدّه .

أما المتنبي فقد بنى بيته على التجريد حيث انتزع للممدوح من صفة كرم الطبع وصف (الانتضاء) ، وانتزع له من صفة الإحسان والصفح صفة " الإغاد " وذلك مبالغة في كمال هذه الأوصاف فيه ، ولفتاً للنظار إلى حسن هذه الصفات . وانظر إلى فصله بين المبتدأ " منتضى " والخبر " له " بقوله " مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ " ، وتأمل هذا التركيب ، وكيف جاء بالأسم المجرور على وزن " فاعل " - وهو صفة شبيهة - ثم أضافه إلى لفظ الطبع ، مبالغة في وصفه بكرم الطبع ، وتأكيداً لملازمة هذه الصفة له تلازم المضاف والمضاف إليه ، فكرمه ليس بالكرم المصطنع ، أو المؤقت ، بل هو متأصل في جذور طبيعته .

ويأبى الشاعر إلا أن نقف أمام ممدوحه إجلالاً وإكباراً ، حيث أوصله إلى درجة من كرم الطبع تتطاحن دونها المفاخر والمآثر ، فقيد كون كرم طبيعته " في الحرب " وفي ذلك ما فيه من إبراز عظيم أخلاقه ؛ لأن هذه الخصال تندرف في الحرب ، ويشع وجودها .

وقبل هذا كله انظر إلى دقة التركيب ، وكيف بنى معناه كله على تقديم " المسند - الجار والمجرور " له " - على المسند إليه " منتضى " ، " غامد " ، وكيف حذف المسند في الشطر الثاني ، وكأن عادة الإحسان والصفح أمر معلوم ، ومسلم له به .

وفي هذا التقديم قصر لجميع ما جاء في الشطرين من الصفات على المدح وحده دون غيره مبالغة وإدعاءً .

وتأمل كيف وصل الشطر الأول بالشطر الثاني عن طريق " الواو " التي جمعت
الجلتين وكأنهما جملة واحدة ، فقررت في النفوس أن كرم طبعه عام في الحرب
والسلم .

الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثائة : (الهديد)

• بيت أبي نواس :

خَلَيْتَ وَالْحَسَنَ تَأْخُذُهُ . . . تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَقِبُ (٢)

وهو من قصيدة في الغزل مطلعها :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ . . . يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَبُ

وبعده بيت قبل الشاهد :

فَتَتَّ قَلْبِي مُحَجَّبَةً . . . وَجْهَهَا بِالْحَسَنِ مُنْقَبُ

وبعده الشاهد وبعده :

فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ . . . وَاسْتَرَاتَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ

• مع بيت عبد الله بن مصعب : (٣)

(الوافر)

(*) الولد ثلث ، رضا : ٣٩٠ ، خفاجي : ٤١٣ ، ثمار : ٥٠٩ .

(١) رواية الديوان " حليت " ويبدو لي أن رواية الدلائل أفضل ، فهي تفيد أن

الحسن ترك لها ملكاً بين يديها لا يمنع أحد منه شيئاً عنها .

وفي رواية الديوان وصفها بأنها حالية ، وهي زينة طارئة ، والأفضل أن توصف

المرأة بالجمال مع خلوها من الحلي ، فإذا ذكروا الحلي قالوا : زانست

حليها ، وفي ذلك شعر كثير ، ومنه :

وَإِذَا الدَّرَّازَانِ حُسْنٌ وَجُوهٌ . . . كَانَ لِلدَّرَّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وَتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّباً . . . أَمِينَ فِي النَّاسِ مِثْلَ حُسْنِكَ أَيْنَا

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٣٩ ، الوساطة : ٢٠٥ ، العمدة : ٢ / ٢٨٨ .

(٣) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، أبو بكر ، القرشي

الأسدي (١١١ هـ - ١٨٤ هـ) أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ،

ولد بالمدينة ، ولي اليمامة في عهد المهدي ثم الهادي وولي المدينة للرشيد

كَأَنَّكَ جِئْتَ^(١) مَحْتَكًا عَلَيْهِمْ .: تَخْبِرُنِي الْأَبُوتُ مَا تَشَاءُ^(٢)

...وبيت بشار: (الطويل)

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَمَّرٍ .: هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا^(٣)
(٤)

وهو من قصيدة له يشجب بأسرة يقال لها صفراء ، ويلوم فيها يحيى بن زيد على قطع خلته ، وجاء في الأغاني : أنه قال بيت الشاهد ومابعده حين رد عليه بعضهم مذهبه في الإلحاد ، فاعترف بأن ما هو عليه خذلان ، وأنه طبع على أن لا يعرف إلا ما عاين ، ومطلع القصيدة :

خِلَيطِي قَوْمًا فَأَعْدِرَا أَوْ تَعْتَبَا .: وَلَا تَعْدِلَانِي أَنْ أَلْذَّ وَأَطْرَبَا
وقبل الشاهد :

خَطَبْتُ عَلَى حَبْلِ الزَّمَانِ لَعَلَّهُ^(٦) .: مَسَاعِفِي يَوْمًا وَقَدْ كَانَ أَنْكَبَا^(٨)

== وعمره (٧٠ سنة) ، كان محموداً في ولايته ، جميل السيرة مع جلالته قدره وعظم شرفه ، توفي بالرقعة في عصر الرشيد . / انظر ترجمته .

تاريخ بغداد : ١٧٢-١٧٦ ، سطح اللآلي : ٥٧٠ / ١ ، البداية والنهاية :

١٠ / ١٨٥ ، الأعلام : ١٣٨ / ٤ .
(١) رواية العمدة : " كَأَنَّكَ كُنْتُ "

(٢) انظر البيت في :

الوساطة : ٢٠٥ - محاضرات الأدباء : ٣٣٢ / ١ - العمدة : ٢٨٨ / ٢

(٣) رواية الأغاني : " طُبِعْتُ " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٦٩ / ١ ، الأغاني : ٢٢٧ / ٣ ، الوساطة : ٢٠٥ ، المختار من شعر

بشار : ١١٨ .

(٥) الأغاني : ٢٢٧ / ٣ .

(٦) كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها وأنه تَكُنْ منها حتى أنه يخطب على حبل الزمان أي زمامه إذ قد نلله وطعم من ذلك أن يصير الزمان مساعفاً له مع علمه بأن الزمان بعير أنكب في شتيه ميل فلا يساعف راكبه تمام المسافة / انظر هامش الديوان : ٢٦٩ / ١ .

(٧) رواية المختار من شعر بشار : " على ظهر الزمان " .

(٨) رواية المختار : " وان كان " .

وبعد الشاهد :

أَرِيدُ فَلَا أُعْطِيَ وَأُعْطِيَ قَلَمٌ ^(١) أَرِيدُ . : وَقَصَّرَ طَبِيحِي أَنْ أَنَالَ الْمَفْيَا (٢)

... وببيت أبو تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا . : عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح مهدي بن أصم ^(٤) وظلمها :

خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنُكَ عَنْ زَمَاعِي ^(٥) . : وَصَوْنِي مَا أُرْزِلْتَ مِنَ الْقِنَاعِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

فَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَرَفٍ يَفَاعِ . : سَيَقْتَ بِمِ وَلَا خُلُقٍ يَفَاعِ
لَعَزَمَكَ يَثْلُ عَظْمِ السَّيْلِ شُدَّتْ . : قُوَاهُ يَالْمَذَائِبِ وَالْتِفَاعِ
وَرَأْيُكَ يَثْلُ رَأْيِ السَّيْفِ صَحَّتْ . : سُبُورُهُ حَدٌّ وَعِنْدَ الْيَصَاعِ ^(٦) ^(٧)

(١) رواية المختار : * ولم أَرِدْ * وهي المناسبة .

(٢) ديوانه : ١ / ٢٦٩ .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٣٤٠ ، ديوانه - دار صعب - : ١٧٢ ، عيون

الأخبار : ١ / ٢٢٨ ، الواسطة : ٢٠٥ ، المنصف في نقد الشعر : ٣١٢ ،

التشثيل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٨٧ .

(٤) وهو من قوافي محمد بن حميد الطوسي ، جعله على ميمنة الجيش الذي حارب به

الخراسانية سنة (٢١٤ هـ) في أيام المأمون ، وذكر ابن الأثير اسم السعدى بن

أصم . / انظر :

تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٢١٨ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٣ ، حياة أبي تمام

وحياة شعره : ١٠٣ .

(٥) زماع : اسم من أزمعت : يقول لها : تحبني عن عزمي بكاءك وتقنعي بالقناع

الذي ألقيتي عن رأسك : ٢ / ٣٣٦ .

(٦) رواية الديوان بشرح الخطيب : * مشورة *

سبورة حده : أي تجربة واختبار حده ، السَّبَرُ التجربة وسبر الشيء سبراً :

حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ ، والسَّبَرُ استخراج كنه الأمر ، والسَّبَرُ مصدر سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُهُ

سَبْرًا نَظَرَ مَقْدَارَهُ وَقَاسَهُ لِيَعْرِفَ غَوْرَهُ . / اللسان * سبر : ٤ / ٣٤٠ .

(٧) اليصاع : المجالدة والمضاربة . / اللسان * مصع : ٨ / ٣٣٧ .

هذه الشواهد استشهد بها الشيخ عبد القاهر على أنه لا يمكن أن يكون المعنى في البيت على هيئته وصفته في البيت الآخر ، ولو كان الأمر كذلك لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد ، وفي آخرائه أساء وقصر ضرب من اللغو .

وكذلك يكون من الخطأ أن يقال إن هذا البيت نظير ذاك أو مناسباً له ، لأن الشيء لا يناسب نفسه ، وكذلك لو كان المعنى معاداً مكرراً في البيتين لكان قولهم عن شاعر أنه أخذ المعنى فأخفاه ، أو أخذه فقصر فيه ، من المحال .
قال الشيخ :

* واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر ، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً ، ولم يغير له صفة ؛ لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه ، فأحسن وأجاد ، وفي آخر : إنه أساء وقصر لغواً من القول ممن حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً ، وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ، ومناسباً له خطأ منهم ، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه ، وأن يكون نظيراً لنفسه ، وأمر ثالث ، وهو أنهم يقولون في واحد : إنه أخذ المعنى فظهر أخذه ، وفي آخرائه أخذه فأخفى أخذه ، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته ، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ لكان الإخفاء فيه محالاً ؛ لأن اللفظ لا يخفى المعنى وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها * (١)

ثم ذكر عن القاضي الجرجاني أن هناك تناسباً بين معاني الأبيات الثلاثة الأولى ، إلا أن أبا تمام قد تناول المعنى من طريق خفي .

ولذا تأملنا الأبيات الثلاثة الأولى ، وجدنا أنها على اختلاف أغراضها ، تجمعها مناسبة جليلة واضحة ، فبيت أبي نواس في الفضل ، وعبد الله بن مصعب في المدح ، وبشار في الاعتذار ، والتناسب القائم بينها هو معنى الانتقاء والاختيار .

فأبو نواس يريد أن يبرز محبوبته في أبرع صور الجمال فقد مكنت من الحسن تأخذ منه ما تشاء ، فهي في غاية الجمال لأنها لا تختار إلا أحسن ما في الحسن ، وهذا ما يؤيد به البيت الأخير " فَانْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ " .

أما عبد الله بن مصعب ، فهو يريد أن يصف مدوحه بشدة العفو ، فإذا ذهب إليهم وجدت نفسك أمام خلق تتلكهم عاطفة العفو والصفح ، فهم لسعة عفوهم كأن عافيتهم عاطفة الأبوة تختار منها ما تشاء ، لأن عاطفة الأبوة من أسنى العواطف ، وأكثرها رحابة وسعة وتسامحاً .

أما بشار ، فقد أخذ هذا المعنى ونقله إلى الاعتذار عن سوء أخلاقه ، فهو قد خلق مسيراً غير مخير ، فكل ما يصدر عنه من سوء ليس باختياره ، فلو أن الاختيار تُسرك له لاختار أن يكون ذا خلق رضيع مهذب .

وهذا المعنى أخذه أبو تمام ، فأخفاه ، فلم يأت بلفظ الاختيار والانتقاء مباشرة بل جاء بقوله " فلو صورت نفسك " وما التصوير هنا إلا في معنى الانتقاء ، فهو يريد أن يقول : إن حاولت رسم نفسك ونصبها أمام عينيك لتضفي عليها ملامح في الحسن ، فإنك لن تزيدها شيئاً ، لأنك بلغت الدرجة المتناهية من كرم الطباع .

الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثائة : (الكامل)

• قول أبي العتاهية :

جَزَى الْبَخِيلُ عَنِّي صَالِحَةً . . . عَنِّي يَخْفَتُ عَلَى ظَهْرِي
(١)
أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَن يَدَيْهِ يَسْدِي . . . فَعَلَتْ وَنَزَتْ قَدْرَهُ قَسْدِي

(*) الدرس ، رضا : ٣٩٠ ، حفصي : ٤٦٦ ، شيباني : ٥١ .
(١) وهناك رواية بالبناء للمجهول " أَعْلَى وَأَكْرَمَ " وهي غير مستقيمة لأن الضمير يعمد على الشاعر ولا فضل في ذلك للبخیل ، وهو يريد أن يثبت له فضلاً .

وَرَزَقْتُ مِنْ جَدِّوَاهُ عَافِيَةً . : أَنْ لَا يَضِيقَ (١) يَشْكُرُهُ صَدْرِي
وَعَنِيَتْ خِلَافًا مِنْ تَفَضُّلِهِ . : أَخْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْمَعْدَرِ
مَا فَاتَنِي خَيْرُ امْرِئٍ وَصَعَت . : عَنِّي يَدَاهُ مَوْئِنَةُ الشَّكْرِ (٢)

ومعنى الشاهد : * يقول : جزى الله البخل عليّ بآله خصلةً صالحةً ، فقد
خَفَّ مَحِيلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، لَسَقُوطِ يَنْتَوِي عَنِّي ، وَذَاكَ أَنَّهُ أَجَلَّنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ ، وَأَكْرَمَ
مَحَلِّي لِأَنَّهُ أَخْلَانِي مِنْ عَارْفَتِي ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَبْتَدِلْهُ لِعَطِيَّتِي ، وَرَفَعَ يَدِي
وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَشْتِنَهَا بِمِرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللَّهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الدَّرْعِ بِشْكْرِهِ وَالتَّبَشُّوقِ
بِأَفْضَالِهِ ، وَاسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ ، مُنْصَرِّفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ بِبَسْطِ
عَدْوِهِ حِينَ لَمْ يَجِدَّ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقِيُولِهِ لِي * (٣) .

ومعنى البيت الأخير :

* أَنَّهُ لَمْ يَفْتِنِي إِحْسَانُ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرٌ إِفْضَالٌ ، وَلَمْ يَجِبْ بِفَعْلِهِ
بِي عَلَيَّ اعْتِدَاءٌ * (٤)

(١) رواية المروزقي : * أَلَّا يَضِيقُ * .

ذكر المروزقي أنه يجوز في الفعل النصب والرفع ، فالنصب على أن تكون
* أن * الناصبة للأفعال ، والرفع على أن تكون * أن * مخففة من الثقيلة
ويكون الاسم مضمراً ، كأنه قال : أنه لا يضيّق ، والجملة خبره .

(٢) لم أجد في ديوانه - دار صعب - إلا البيت الأخير وقبله بيتان هما :

إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غَنَى . : لَتَرَى عَلَيْهِ مَخَالِلَ الْفَقْرِ
كَيْسَ الْغَنِيِّ يَكْلُؤُ ذِي سَعَةٍ . : فِي النَّالِ كَيْسَ يُوَاسِعِ الْمَعْدَرِ

ديوانه - دار صعب - : ١١٧ ، الحامسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٢٣٩ ،

رقم (٦٧٤) ، شرح ديوان الحامسة للمروزقي : ٣ / ١٥٤٤ ، شرح

ديوان الحامسة للتبريزي : ٤ / ٥٥ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ١٤٣ .

(٣) شرح ديوان الحامسة للمروزقي : ٣ / ١٥٤٥ .

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي :

(١) أَعْتَقَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ مِنِّ ال . . . تَقَّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَيْسِي
قَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فِيكَ وَمَا . . . أَحْسَنَ سُوءُ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ (٢) (٣) (٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو من شعر إبراهيم بن العباس الصولي (٥)

وهذان البيتان من قصيدة قالها في محبته بن عبد الملك ، وقبل الشاهد :

(١) رواية شعر إبراهيم بن العباس - الطرائف الأدبية : * سوء ما فعلت * ،

وهناك رواية أخرى في * الطرائف * ، و * معجم الأدباء * :

* سوء ما أتيت *

(٢) إحدى روايتي الطرائف : * ما أحسن سوءاً قلبي * وهي رواية خاطئة لأنه

يريد أن يقول أن السوء أحسن إليه ، ولا يتأتى ذلك في رواية النصب .

(٣) رواية الطرائف - ص ١٨٤ - : * على أحد * .

(٤) انظر البيتين في :

شعر إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية - : ١٤٤ - ١٨٤ العقد

الفريد - دار الكتب العلمية - : ٦ / ١٤٩ ، معجم الأدباء : ١ / ١٩٣ ،

أسرار البلاغة - هـ ، ريت - : ١٤٣ - من غير عزو - ، حاسة ابن الشجري :

٢٨ - من غير عزو - ، تحرير التحرير : ٢ / ٣١٣ .

(٥) وتنسب هذه الأبيات مع أبيات أخرى لأبي الأسد الدينوري : وهو نبتة بن

عبد الله الشحني من أهل الدينور من شعراء الدولة الهاشمية . انظر

سمط اللآلي : ١ / ٥٤٥ .

ونذكر صاحب العقد الفريد بعض أبيات القصيدة - دون ذكر الشاهد - ونسبها

لأبي زبيد ، وقد خطأ محقق الطرائف الأدبية ، وذكر أنه وهم ، وإنما هي

لأبي الأسد بإجماع الرواة .

ونذكر أنه أخذ هذا الإجماع عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

والذي وجدته في ديوان المعاني بيتين لا يوجد بينهما بيت الشاهد . جاء

في ديوان المعاني - ٢ / ٢٠٣ - :

وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري :

لَيْتَكَ أَتَيْتَنِي بِوَأَحْسَنَ . . . تَقْنِينِي بِتِلْكَ آخِرَ الْأَبَدِ

تَحْلَفَ لِي لَا تَبْرَثَنِي أَبَدًا . . . فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْسِي

ولا يوجد في ديوان المعاني ما يشير إلى إجماع الرواة .

إِنْ كَانَ يَرْزُقِي إِلَيْكَ فَأَنْتَ بِمِ . . فِي تَأْظِرِّي حَيَّةٌ عَلَى رَسَدِ
لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَمَا زَعَمْتَ وَقَدْ . . كَدَدْتُ نِيَّ بِالْعَطَالِ لَمْ أَعْسِدِ
لِكِنَّيْ عُدْتُ ثُمَّ عُدْتُ فَإِنْ . . عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا إِذَا فَعُدِ (١)

وعلق ابن أبي الإصبع على بيتي الشاهد بقوله :

* وهذا البيتان في معناهما من أحسن ما سَمِعَ ، وأكمل وأتمن شعر ،

وأفضل ، ولولا الإفراط في الإطالة بينت ما فيها * (٢)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو أن الحرمان من المعروف تحرير لرقبة
الإنسان من قيود الرِّق .

فإذا تأملنا أبيات الشاعرين ، وجدنا أبا المتاهية قد اعتمد في تركيب معناه
على صورة البخيل ، والغريب في هذه الصورة أن يكن البخيل الذي هو محسب
المذمة موضع المدح والتقدير .

انظر إليه كيف بدأ أبياته بالدعاء العريض لهذا البخيل فقال : * جُزِي *
ببناء الفعل للمجهول ؛ ليدل على عظيم الجزاء والامتنان ، وقوله * رَزَقَتْ * بالبناء
للمجهول تصوير لوفرة ما رَزَقَ من العافية .

وأنظر إلى قوله * أحنو بأحسن العذر * وكيف دل على أنه أصبح هو في مقام
المتفضل إن صار يحنو ويعطف عليه باتخاذ العذر له .

وتأمل قوله * مؤونة الشكر * ففي جملة للشكر مؤونة دليل " على أن نفسي
المعروف مشقة على نفس المتفضل عليه ، وعبئاً ثقيلاً يفيد .

== وكذلك ذكر الأستاذ الميمني أنها نسبت في معجم الأدباء لأبي زبيد
والذي وجدته في معجم الأدباء نسبتها لإبراهيم الصولي .

(١) الطرائف الأدبية : ١٨٤ ، وهذه الأبيات موجودة أيضاً في معجم
الأدباء مع اختلاف في روايتها .

(٢) تحرير التعبير : ٢ / ٣١٣ .

وإذا انتقلنا إلى أبيات إبراهيم بن العباس ، وجدنا نحتة غير نحت سابقه ، فالأول بنى معناه على صورة البخيل ، أما هذا فأقامه على صورة الرّق ، وهي أفخم وأبعد رمي ، فجعل الإساءة موطن الشكر وسعقل الإحسان ، فهي عتق لمن تصيبه من رق الشكر .

ثم انظر إلى طرافة صورته و غرابتها ، وكيف جعل نفسه عبداً للسوء لعظيم امتنانه وشكره وجهه لهذا سوء . فعبودية سوء أبرد على كبده من رق المعسوف . ثم صرح بأن سوء لم يحسن قط إلى أحد كما أحسن إليه ، كذلك تأمل كيف نكر لفظ " سوء " تقديراً وتعظيماً .

الشاهد الثامن والذريعون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول نصيب : (١)

* وَلَوْ سَكَتُوا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبَ ^(٢) * (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاکر : ٥١١ .

(١) سبقت ترجمته : ص ٧٥٠

(٢) الحقايب : جمع حقبة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رَجل أو قَتَبٍ فقد احتَقِبَ . / القاموس المحيط (حقب) : ٥٩ / ١ ، اللسان " حقب " : ١ / ٣٢٥ .

(٣) انظر البيت في : ديوانه : ٥٩ .

عيجن الأخبار : ٢٩٩ / ٣ / ١ ، الشعر والشعراء : ٤١٨ / ١ ، الكامل

- دار الفكر - : ١٢٣ / ١ ، التشبيهات : ٣٥٨ ، نقد الشعر : ٨٣ ، الأغاني :

٣٣٧ / ١ ، الأمل للزجاجي : ٣٣ ، شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف :

٣٠٧ ، الصناعتين : ٢٣٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١٣٠ ، إعجاز القرآن :

٧٧ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٥ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣٧٦ ، زهر

الآداب : ٢ / ٣٩٠ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٨٧ ، المدة : ١ / ٧٤ ،

تحرير التحرير : ٣ / ٤٨٨ ، المثل السائر : ٣ / ٧٠ ، معجم البلدان

لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥ .

ذكر الشيخ عجز البيت فقط، وصدره :

(١) فَعَاجُوا قَاتِنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *

والشاهد من مقطوعة (٢) يمدح بها سليمان بن عبد الملك . (٣)

وقبل الشاهد :

أَقْلُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ رَأَيْتَهُمْ (٤) (٥) . قَفَاذَاتٍ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ (٦)

(١) رواية ديوان المعاني : " فعادوا " .

وعاجوا : أي عادوا ونزلوا ، عاج عوجاً ومعاجاً لازم متعد .

القاموس المحيط " عوج " : ٢٠٨ / ١ .

(٢) ومناسبة هذه المقطوعة أنه حضر عند سليمان بن عبد الملك الغزدق ونصيب ،

فطلب سليمان من الغزدق أن ينشده أبياتاً ، فأنشده :

وَرَكِبَ كَانَ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدَهُمْ . لَهَا تَرَةٌ مِنْ جَذِبَتِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرُوا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ . عَلَى شَعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا اتَّسَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهُمْ . وَقَدْ حَصَرَتْ أَيْدِيَهُمْ نَارُ غَالِيبِ

فغضب سليمان لأنه كان يظن أن الغزدق سيقبل أبياتاً يمدحه فيها ، فإذ

هو ينشده أبياتاً في الفخر ، فقام نصيب ، وأنشده أبياتاً على روي أبيات

الغزدق - وهي الأبيات التي منها بيت الشاهد - فأجزل سليمان عطاءه .

(٣) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب الخليفة الأموي (٤٥ هـ - ٩٩ هـ)

ولي الخلافة (سنة ٩٦ هـ) ، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال ،

وكان فصيح اللسان ، كثير الأدب ، لين الجانب ، شديد العجب بشبابه ،

وجماله ، أكولاً نهماً . / انظر ترجمته :

المحبر : ٢٦ ، الفخري : ١٢٨ ، التنبيه والإشواف : ٢٩١ ، سبط النجوم : ١٨٧ - ١٩١ .

(٤) رواية الأغاني : " صَادِرِينَ " .

(٥) رواية الأغاني : " لَقَيْتَهُمْ " .

ورواية مخم البلدان " عَشِيَّةً " .

(٦) ذات أوشال : وهو جمع " وشل " ، والوشل بالتحريك الماء القليل يَتَحَلَّبُ

من جبل أو صخرة يَقْطُرُ منه قليلاً قليلاً ، وذات أوشال موضع بين الحجاز

والشام / انظر :

معجم ما استعجم : ١ / ٢١٢ ، اللسان " وشل " : ١١ / ٧٢٥ .

فَقَالُوا خَبِّرُونِي عَنْ سَلَيْتَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفٍ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ (١) (٢) (٣)
وبعدهما الشاهد ويعد :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلٍ . . . يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ (٤)
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَتَّى فِعَالُهُ . . . كَفَيْكَ أَوَّلِ الْفَصْلِ مِنْهُ يَقَارِبُ
لَقَلْنَا لَهُ شِبْهَ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتَ . . . سِوَاكَ عَلَى الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ . . . وَهَلْ تُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ (٥)
وقد أثنى ابن قتيبة على بيت الشاهد ، فقال :

" لله در نصيب حيث يقول . . . (٦) "
وطبق المبرد على بيت نصيب بقوله :

- (١) رواية الأغاني : " مِنْ أَهْلِ " .
(٢) وَدَّان : قرية جامعة من تَوَاحِي الْفُرْعِ قَرْيَةٌ مِنَ الْجَحْفَةِ ، وَهِيَ بَيْنَ
مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَهِيَ لَضَرْةٌ وَيَقَارُ وَكُنَانَةٌ قَدِيمًا ، وَقَالَ صَاحِبُ مَعْجَمِ
الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَةِ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ انْدَثَرَتْ
مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَنَّهَا " مُسْتَوْرَةٌ " الْيَوْمَ ،
وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَمَوْضِعُ وَدَّانَ شَرْقُ مُسْتَوْرَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ فِي حَرَةِ الْأَبْوَاءِ ،
وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مُسْتَوْرَةٍ قَرِيبًا مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا . وَأَهْلُهَا الْيَوْمَ
بَنُو مُحَمَّدٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ حَرْبٍ . /
معجم البلدان لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥ ، معجم المعالم الجغرافية :
٣٣٢ - ٣٣٣ .

- (٣) رواية معجم البلدان : " رَاغِبٌ " .
(٤) رواية الأغاني للمهلب :
وَقَالُوا عَهْدَتَاهُ وَكُلَّ عَشِيَّةٍ . . . بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ
(٥) ديوانه : ٥٩ ، الأغاني : ١ / ٣٣٧ .
(٦) عيون الأخبار : ١ / ٣ / ٢٩٩ .

" وهذا في باب المدح حسن ، ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه " ثم ذكر
أنه قد فُضِّل قول نُصِيب على الفرزدق إلا أنه لا يرى ذلك ، لأن التفاضل عنده
إنما يقع بين شيئين متناسبين ، قال : وليس شعر نُصِيب هذا الذي ذكرناه
في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يُفاضل بين الشيئين إذا
تناسبا ، وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نُصِيب ، كيف تراه . قال : هو أشعر
أهل جلدته ، فقام الفرزدق ، وهو يقول :

وَحَيْرَ الشَّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَا لًا . . . وَشَرَّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ " (١)

وذكر الزجاج في أماليه أن معنى بيت نُصِيب الأخير مأخوذ من قول حاجب
ابن زرارة بن عدس : (٢)

أَعَزُّكُمْ أَنِّي بِأَحْسَنِ شَيْئِي . . . رَفِيقٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْسَرُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَأْ أَحْسَنُ صُنْعِهِ . . . تَكَلَّمَ نَعْمَاءُ بِغِيَمٍ فَتَنَطَّقُ (٣)
ورأى أبو أحمد العسكري ، (٤) وتبعه الباقلاني (٥) - أن بيت نُصِيب مأخوذ من قول
الأعشى :

(١) الكامل ١ : ١٢٤ .

(٢) هو حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي (. . . - نحو ٣ هـ)
من سادات العرب في الجاهلية كان رئيس تميم في عدة مواطن ،
وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ، ووفى به . وقد
أدرك الإسلام ، وأسلم ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات
بني تميم ، فلم يلبث أن مات . انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥٨ ، ١٤٨ ، ٢٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٥٤ ، ٤٩٧ ،

الأغانى : ١١ / ١٥٠ ، الإصابة : ١ / ٢٧٢ ، رقم

(١٣٥٨) ، الأعلام : ٢ / ١٥٣ .

(٣) أمالي الزجاج : ٣٣ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ٣٠٧ .

(٥) إعجاز القرآن : ٧٧ .

وَلِإِنْ عَتَقَ الْعِيسَى سَوْفَ يُؤْزَكُمْ . . . ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِمْ مَعْلُوقٌ (١)
 وذكر ابن الأثير أنه يروى عن الجاحظ أنه أدخل بيت نصيب في باب الكناية ،
 وهو ليس منه ، بل هو من التشبيه المضر الأداة ، قال :

" . . . وقد أدخل في باب الكناية ما ليس منه كقول نصيب . . . البيت . فهذا
 يروى عن الجاحظ ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بغن الفصاحة
 والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله
 على جانب المجاز ، وها هنا لا يصح ذلك ، ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب
 لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه المضر الأداة الخارج عن الكناية " (٢)
 ويبدولي أن قول ابن الأثير ليس بشيء :

أولاً : أنه لا يلزم - دائماً - في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي ، فأكثر كُنَايَا
 النسبة لا يمكن فيها إرادة المعنى الحقيقي .
 ثانياً : أين التشبيه والشبه به في العبارة : " أثنت عليك الحقائب " .
 ثالثاً : هذا من باب المجاز العقلي " وهو إسناد الفعل إلى ما ليس هو له " .
 رابعاً : قول ابن الأثير " لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً " ، ثم قسوله :
 " وهذا من باب التشبيه المضر الأداة " ، قولان يتعارضان ، والجواب
 عنه أن ابن الأثير يجعل التشبيه قسماً من المجاز (٣) .

أولعله يقصد ما سمي بعد الاستعارة المكنية ، أي التشبيه المضر فسي
 النفس ، كما يقول الخطيب ، والعبارة تغيد المبالغة في الجود ، وهسي
 شرة المجاز العقلي ، فإذا أطلق عليها الجاحظ لقب الكناية فله نظره
 لأن هذه المصطلحات لم تكن متميزة كل التميز على عهد الجاحظ ، فتخطئة
 ابن الأثير له محاسبة للجاحظ على اصطلاح لم يتميز في عهده ، والذي يمكن
 أن يقال إن الجاحظ كان يطلق على مثل هذا التعبير اصطلاح الكناية .

(١) ديوان الأعشى - مؤسسة الرسالة - : ٢٧٢ رقم ٢٣ .

(٢) المثل السائر : ٣ / ٧٠ .

(٣) المثل السائر : ١ / ١٠٦ .

ج - وصف الشعر والإدلال به .

إن غرض الشيخ عبد القاهر من هذا الفصل وإسهابه في سرد كثير من الشواهد الحافلة بوصف الشعر هو تصوير المعاناة التي يعانيها الشاعر، وهو يصوغ قصائده، تبصيراً لمن ظن أن الإعجاز هو في مذاقة الحروف وسلاستها . وغفل عن النظر فسي تركيبها وصياغتها وفي هذا تحذير لمن تراوده نفسه على ركب المخاطر، وارتداد طرق الشعر مع قلة الزاد ونضوب المعين .

قال الشيخ :

" القَرَرُ من كتب هذه الأبيات ، الاستظهار حتى إن حمل حامله نفسه على القَرَر ، والتَّحَمُّ على غير بصيرة ، فزعم أن الإعجاز في مذاقة الحروف ، وفسي سلاستها ما يثقل على اللسان ، عليم بالنظر فيها فساد ظنّه ، وقبح غلطه ، من حيث يرى عياناً أن ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه ببالي ولا صفاتهم صفات تصلح له على حال . إذ لا يخفى على عاقل أن لم يكن ضرب " تسليم " لحزون جبال الشعر ؛ لأن تسلم ألفاظه من حروف تثقل على اللسان ، ولا كان تقويم " عدي " لشعره وتشبيهه نظراً فيه بنظر المثقف في كعوب قناتيه لذلك ، وأنه محال أن يكون له جعل " بشائر " نُسور المعين قد غاض فصار إلى قلبه ، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينال عن طلبه ، وأن ليس هو صوب العقول الذي إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب ، وأن ليس هو الدرّ والبرجان مؤلفاً بالذّر في العقد ، ولا الذي له كان " البهستري " مقدراً " تقدير داود في السرر " كيف ؟ وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستتبط بالفكر ، وليس الفكر الطريق إلى تمييز ما يثقل على اللسان ما لا يتقل ، إنما الطريق إلى ذلك الحس " (١)

الشاهد السادس والاربعون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

أبو حية النميري : (١)

إِنَّ الْقَضَاءَ قَدْ عَظِمَ بِأَنْتَنِي . صَنَعَ اللِّسَانَ بِهِنَّ لَا أَتَّحِلُّ (٢)
وَإِنَّا آتَيْنَاكَ عَرُوضَ تَسْجِرٍ رِيضٍ (٣) (٤) . جَعَلْتَ تَذِلَ لَنَا أُرِيدُ وَتَسْهِّلُ
حَتَّى تَطَاوَعَنِي وَلَوْ يَرْتَضَاهَا . غَيْرِي لِحَاوِلَ صَعْبَةٍ لَا تَقْبَلُ (٥)

بهذه الأبيات يصف أبو حية النميري قوة ملكته الشعرية واقتداره وتكنه من تذليل اللغة ، وتطويع الأساليب .

انظر إليه كيف أكد ملكته هذه بقوله " يَأْنَتْنِي صَنَعَ اللِّسَانِ " فجاء بأداة التوكيد " إِنَّ " وجاء بالصفة المشبهة " صَنَعَ " ليدل على أنها صفة متأصلة فيه ثابتة نسي طبعه لا يصيبها فتور ، ولا تضطربه إلى الانتحال .

وفي إضافة هذه الصفة إلى اللسان غاية التمكن والاقتدار ، واستطاع أبو حية أن

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاكرك : ٥١١ .

(١) سبق ترجمته : ١٠٦ .

(٢) الانتحال : هو أن ينسب الشاعر إلى نفسه شعر غيره جملة . ولا يقال منتحل إلا لمن ادَّعى شعراً لغيره ، وهو يقول الشعر . وأما أن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير منتحل . انظر :

العمدة : ٢ / ٢٨٢ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٤ .

(٣) عروض : هي الناقصة الصعبة التي لم تذلل ولم ترض . / اللسان " عرض " :

١٢٥ / ٢ .

(٤) رِيضٍ : بتشديد الياء المكسورة هي الدابة التي لم تقبل الرياضة ، ولم تذلل لراكبها ، أو هي الناقصة أول ما تراض وهي صعبة بعد ، وكذلك العروض والمسير والقضب من الإبل كله ، والأنثى والذكر فيه سواء . / اللسان " ريض " :

١٦٤ - ١٦٥ / ٢ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

وهو ليس في شعره الذي جمعه : رحيم صخي التوليبي .

بصور الحركة الداخلية التي تدور في نفسه حين يهيم بقول الشعر، فجعل القصائد كائنات حياً يحس، ويشعر، فهي ما إن تعلم برغبتها في قول الشعر حتى تنشال رهواً، وتسرع في نذلة وطاعة بعد أن كانت جامحة شاردة كالناقة الجسور التي لم ترض ولم تدل حين تهرب في الغلاة .

وبناء البيت الثاني على "إننا" الشرطية دل على أن هذه حاله على الدوام كلما هم بقول الشعر.

وتأمل قوله "حتى تطاوعني" وكيف دلت "حتى" على انتهاء الغاية في الطاعة، فكأنها استهلك فعل الطاعة حتى نهايته وفي انتهاء صورته بقلبه "ولو يرتاضها غيري" لحاول صعوبة لا تقبل "وفي بنائها على الشرط ب"لو" تأكيد على استناع وعجز غيره عن الترويض، فلو أن غيره حاول ترويض تلك الناقة وبذل أقصى جهده في كبح جماحها، فإنه يحاول صعباً لأنها لن تقبل الترويض ولن تدل له .

الشاهد السابع والأربعون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

تسيم بن مقبل (١) :

- (*) الدلائل، رضا : ٣٩١-٣٩٢، خفاجي : ٤٦٥، شاكر : ٥١٢ .
 (١) هو تسيم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، يكنى أبا كعب، وجاء في الاشتقاق أنه يكنى أبا الحرّة، وهو شاعر مخضرم " جاهلي - إسلامي "، جعله ابن سلام الرابع من الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية وهو شاعر مجيد رشى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فغلبه عبد الرحمن، وكان ابن مقبل أعور جافياً في الدين، فكان بعد إسلامه يبكي أهل الجاهلية وبذكرها / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٥٠، الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٢، الاشتقاق : ١٢، الإصابة : ١ / ١٨٩-١٩٠ رقم (٨٦٢)، سطر اللآلي : ١ / ٦٨، الخزائنة :

- دار صادر - : ١ / ١١٣ .

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَائِي فَلَنْ تَرَى . . . لَهَا قَائِلًا بَعْدِي أَطَبَّ وَأَشْعَرَ
وَأَكْثَرُ بَيْتًا سَائِرًا خُسِرَتْ لِسَمِّهِ . . . حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ حَتَّى تَيْسَرَ
أَغْرَ غَرِيبًا يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ . . . كَمَا تَمْسَحُ الْأَيْدِي الْأَغْرُ الْمَشْهُرَا (٦)

وهو من قصيدة مطلعها :

تَأْتِلُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ . . . بَيَانِ مَرَّتِهِ رِيحِ نَجْدٍ فَفَتَّرَا (٧)

وقبل الشاهد :

وَلَيْتِي لَا سَتَحِي وَفِي الْحَقِّ سَتَحٍ . . . إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرَا (٨)

بعد الشاهد :

فَإِنْ تَكَيْ عَرَسِي نَامَتِ اللَّيْلُ كُلُّهُ . . . فَقَدْ وَكَلْتَنِي أَنْ أَصَبَّ وَأَسْهَرَا (٩)

(١) رواية الديوان ، الشعر والشعراء : * فَلَنْ تَرَى تَالِيًا بَعْدِي * ،

ورواية منتهى الطلب : * تَالِيًا مِثْلِي * .

ورواية أمالي ابن الشجري : * لَهَا شَاعِرًا مِثْلِي * .

(٢) رواية الديوان والشعر والشعراء ، ومنتهى الطلب :

* وَأَكْثَرُ بَيْتًا مَارِدًا * .

ورواية أمالي ابن الشجري : * وَأَكْثَرُ بَيْتًا شَاعِرًا * .

(٣) رواية ابن الشجري : * يَوْمَ * .

(٤) رواية الشعر والشعراء : * حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ * .

والحزون جمع * حزن - والحزن ما غلظ من الأرض / اللسان * حزن : ١٣ / ١١٢ .

(٥) رواية الشعر والشعراء :

* الْجَوَادُ الْمَشْهُرَا * .

(٦) ديوانه : ١٣٦ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٤ ، الأمالي الشجرية :

- دار المعرفة - : ١ / ٧٢ ، منتهى الطلب : ١ / ٣٧ ب .

(٧) الديوان : ١٢٩ .

(٨) الديوان : ١٣٦ .

(٩) الديوان : ١٣٧ .

• الشاعر في هذه الأبيات شديد الافتخار بشعره وتأنته، فانصرافه عن حوك القوائد اعتلال للشعر عامة، وقد جاء تركيبه لهذا المعنى تركيباً بليغاً يجسد المعنى تجسيداً حيث شبه انصرافه عن قول الشعر بالموت، فقوله "إِذَا مِتْ" ينبض بمعاني شدة تفصح عن شاعرية ابن مقبل وحبّه لنظم الشعر، وغرامه به، وإن لا حياة له إن امتنع عن نظمهم، وإن أن الشعر أحياء للشعور والإحساس، وفي الانصراف عنه إزهاق لروح هذا الشعور، وإذا تجرد الإنسان من الإحساس تجردت منه الحياة. وإذا الشرطية "هنا زادت صورة الموت تأكيداً إن أنها جزمت بتحقيق وقوع الموت إن هو انصرف عن الإنشاد.

وانظر إليه كيف جعل الغواني تمثل لانصرافه اعتلالاً لا تجد من يطببها منه .
وانظر إليه كيف أقام معناه على أفضل التفضيل "أطب - أشعر أكثر - أغمر"
بالغة في الافتخار .

وترث قليلاً وتأمل قوله "صُرِّتَ لَهُ حَزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ" وكيف استطاعت هذه العبارة بتأنه تركيبها، ودقة سبكها ووفرة خصوصياتها أن تصور محاورة الشاعر للألفاظ، وإخضاعها لأحاسيسه، وسيطرته على أوابد الخواطر، وشوارد الأفكار، فجعل للشعر جبلاً، وجعل هذه الجبال مليئة بالحزون الغليظة، وقد ركسب هذه الصورة عن طريق تتابع الإضافات فأضاف الحزون إلى الجبال، والجبال إلى الشعر، ليصور جسارة هذه الجبال ورسوخها وصلابتها، إلا أن بناء الفمسل "صُرِّتَ" للمجهول وتقدير الجار والمجرور "له" أظهر قدرة الشاعر على تمهيد هذه الحزون، وقوله "حتى تيسر" دل على تمكنه المطلق من اللغة فقد وصل بها إلى نهاية اليسر .

وماتزال المعاني التي تترخ بها نفس الشاعر تتصاعد وتترقى، فما هو ذا بعد أن يَسَّرَ حزون جبال الشعر، يتغنى بقصائده وأشعاره، فجاء بصورة الغرس الأغر الذي تتسابق إليه الأيدي لتطوف مسحاً على وجهه محبة له، وغراماً به، فكذلك أشعاره يتسابق الناس للاستماع إليها وإنشادها إعجاباً بها .

الشاهد الفاضل والدرجوعون بعد الثلاثية : (*) (الكامل)

عدي بن الرقاع : (١)

وَقَصِيدَةٍ قَدْ يَسَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا . . . حَتَّى أَقْوَمَ مِثْلَهَا وَسَيَنَادَهَا (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ .

(١) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عشرين شعل بن معاوية ابن الحارث . وهو من علامة حيٍّ من قضاة، ويقال له عدي بن الرقاع العاملي . كان شاعراً مقدماً عند بني أمية منذ أحالهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى .

جعلته ابن سلام الرابع من الطبقة السابعة من فحول الإسلام " جاء في الأغاني أن ابن سلام جعله في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام " وكان منزله نسي دمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من بلاد يثيم . / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٩٩ - ٧٠٨ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦٢٢ - ٦٢٥ ، الأغاني : ٩ / ٣٠٧ - ٣١٧ ، المؤلف والمختلف : ١١٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٥٣ ، نهاية الأرب : ٤ / ٢٤٧ .

(٢) السناد : عيب يحدث في القافية قبل الروي ، والروبي هو أثبت حروف البيت ، وعليه تبني المنظومات ، وهو يكون من أي حروف المعجم وقع إلا حروفاً تضعف ولا تثبت ، كالف الترنم وواو ، وياء ، وهاء الوقف وهاء التأنيت إذا كان ما قبلها متحركاً ، والألف التي تلحق علماً للتثنية في مثل ضرباً وذهباً ، والواو التي تدل على الجمع إذا كان مضموماً ما قبلها في مثل ضربوا وقتلوا ، وغير ذلك من الحروف ، فإن اتفق غير ما ذكر فهو شاذ مرفوض .

والروبي له ثلاث منازل : يكون آخر حرف في الشعر المقيد ولا ينكسر هذا القياس في رأي المتقدمين ، ويكون بينه وبين انقضاء البيت حرف أو حرفان ، وذلك في الشعر المطلق ، والذي بين رويه وبين انقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجي ، بعد رويه الصلة لا غير ، وهي تكون أحد أربعة أحرف ، وتكون الأحرف الواو والألف والياء والهاء ، وأما الذي يقع بعد رويه حرفان فهو متحرك هاء وصله فلزمها الخروج . / انظر :

مقدمة اللزوميات : ١ / ٦ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، العمدة : ١ / ١٦٩ .

(١) نَظَرَ الْمُتَّقِفِ فِي كُؤُوبِ قَنَاتِهِ . . . حَتَّى يَتَقَيَّمَ ثِقَاتُهُ مُنَادَاً هَا (٢)
وهو من قصيدة مطلعها :

عَرَفَ الدَّيَّارَ تَوْهَمًا فَأَعْتَادَ هَا . . . مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْيَلَى أَبْلَادَ هَا (٤)
وقبل الشاهد :

وَأَصَاحِبَ الْجَيْشِ الْعَرَمَمَ فَارِسًا . . . فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَهَا وَطِرَانَهَا
بعد الشاهد :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً . . . وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْأُمُورِ شِدَادَهَا
فَسْتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمٍ . . . وَأَتَيْتُ فِي سَقَمِ النَّعِيمِ يَدَانَهَا
وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . . . عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِي أَزْدَادَهَا (٦)
وجاء في الأغاني أن كُثِيرًا قد انتقد عديًّا حين سمع قوله :
وَقَصِيدَةٍ قَدْ يَتَّأَجَمُّ بَيْنَهَا . . .

فقال له : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً، أو عالماً لم تسأت فيها بميل ولا سناد ،
فتحتاج إلى أن تقوسها ، ثم أنشد :

(١) المتقف: الخفاف بالكسر آله تسوى بها الرياح. / اللسان : * ثقف : ٢٠ / ٩ .

(٢) منادها : المناد المعوج . / اللسان * أود : ٣ / ٧٥ .

(٣) انظر البيتين في :

ديوانه : ٥٢ ، تأويل شكل القرآن : ٢ / ١٩ ، الشعر والشعراء : ٢٢٣ / ٢
البيان والتبيين : ٣ / ٢٤٤ ، الحيوان : ٣ / ٦٤ ، الخصائص :
١ / ٣٢٥ ، التشبيهات : ٢٢٥ ، الأغاني : ٩ / ٣١٧ ، معجم
الشعراء : ٢٥٣ ، الموشح : ١٢ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٢٢ ،
الروض الأنف : ٣ / ١٨٠ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، تحرير التكميل :
٣ / ٤١٤ ، الطرائف الأدبية : ٨٩ .

(٤) ديوانه : ٤٩ .

(٥) ديوانه : ٥٢ .

(٦) ديوانه : ٥٢ ،

الطرائف الأدبية : ٨٩ .

نَظَرَ السَّقْفَ فِي كَعُوبٍ قَتَاتِسُو . . . حَتَّى يُقِيمَ ثَقَافَهُ سَنَادَ هَا
فقال له كثير : لا جرم أَنَّ الأيام إذا تناولت عليها عادات عوجاء ؛ ولأن تكون
مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :
وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . . . عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِيَكِي أَرَدَا هَا
بأن يسألك عن صفار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك . وماكنت قط أحسق
منك الآن حيث تظن هذا بنفسك . (١)
قال المرزباني :

* أخبرني العمولي ، قال : حدثني يحيى بن علي قال ، قال أبو جعفر محمد بن
موسى النجم :

كنت أحب أن أرى شاعرين ، فأؤدب أحدهما - وهو عدي بن الرقاع ، لقوله :
وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . . . مِنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِيَكِي أَرَدَا هَا ^(٢)
ثم أسأله عن جميع العلوم ، فإذا لم يجب أدبته ، وأقبل رأس الآخر - وهو
زيد بن زيد لقوله :

إِذَا مَا انْتَهَى عَلَيَّ تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ . . . أَطَالَ فَأَعْلَى أَمْ تَنَاهَى فَقَصْرًا * (٣)

والتأمل لأبيات عدي يرى أنه كان دقيقاً في تصوير ما يعتل في نفسه من معاناة
عند كتابة قصيدته ، وهو أمر طبيعي ينتاب الشاعر حين يروض كلماته لتسير وفقماً
لأحاسيسه ، فتقوم الميل والسناد في القصيدة ، وهي ما تزال جنيئاً في باطن الإحساس
ليس عيياً يَنْتَقِد عليه الشاعر ، وإنما العيب كل العيب إذا أخرجها للوجود بعلمها
وسنادها ، فزهير بن أبي سلمى - وهو من عظماء الشعراء - كان يهذب قصائده ،
وينقحها سنة كاملة ، حتى عُرِفَتْ قصائده بالحوليات . (٤)

(١) الأغاني : ٩ / ٣١٦ - ٣١٧ .

(٢) رواية الديوان " عن علم " .

(٣) الموشح : ١٧٣ .

(٤) " كان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة ، وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم

نقحوه ، ولم يذهبوا به مذ هب المطبوعين . قال :

وأبيات عدي لها أوجه من الحسن لا يمكن حجبها عن الإحساس بقوله : " قد بت " يتولد منه معانٍ دقيقة ، فهو يشير إلى حرص الشاعر على اختيار الوقت الذي ينظم فيه قصائده ، فالبيات يكون ليلاً ، وفي الليل تسكن الحياة ، ويسكونها تهدأ النفس ، وتشف الروح ، فتتضح الرؤى ، وتتكشف المعاني أمام النفس الشاعرة .

وتصوير حالته ، وهو ينقح قصائده بصورة المثقف في كموب قناته " هسي نتاج خيال خصب دقيق ، فالمثقف لكموب القناة حريص كل الحرص على تقويم اعوجاجها ؛ لأن في تقويمها استمراراً لحياته ، وفي اعوجاجها لقاءً حتفه ، وكذلك الشاعر حريص على تنقيح قصائده ؛ لأن في تنقيحها فخراً له وشهرةً ، وفي شهرته رفع لذكوره ، واستمرار لحياته ، وفي اعوجاج قصائده مزمة له ، ووضع لذلك الذکر .

وانظر إليه حين رسم الصورة فقال : " نظر المثقف " فأضاف النظر إلى المثقف ليعدل على دقة الشقيف .

وقوله في كلا شطري البيت الأول والثاني " حتى أقوم " و " حتى يقيم " دل على أنه لا يذبح قصائده ولا يخرجها إلا بعد أن يصل بها إلى غاية النهاية في التقويم .

الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

• قول كمب بن زهير :

== وكان زهير يَسْتِي كُبرى قصائده الحوليات * / الشعر والشعراء :

١ / ٨٤ - ٨٥ .

وجاء في خزانة الأدب :

وروي أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده حوليات . / - دار صادر - ١ : ٣٧٦ - ٣٧٧ ، وكان الحطيئة يقول :

" خير الشعر الحَوْلِيّ المَنْقَح المحكك " / الشعر والشعراء : ١ / ٨٤ .

(*) رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ .

(١) فَمَنْ لِّقَوَانِي شَانَهَا مِنْ يَحُوكَهَا . : إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوْزٌ جَرُولُ
(٢) (٣) (٤)
(٥) (٦) (٧) يَقُوسَهَا حَتَّى تَلِينَ مَتُونَهَا . : فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يَتَشَبَّهُ (٨)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

أَلَا بَكَرْتُ عِرْسِي تَعِيمُ وَتَعْدُلُ . : وَغَيْرُ الَّذِي قَالَتْ أَعْفُ وَأَجْمَلُ

وقبل بيت الشاهد الأول أبيات في الغزل آخرها :

(٩) وَصَافِيَةٍ تَنْفِي الْقَذَاةَ كَأَنَّهَا . : عَلَى الْإِنِّ يَجْلُوهَا جَلَاءٌ وَتَكْحَلُ

(١) رواية الشعر والشعراء : " وَمَنْ " .

(٢) رواية الديوان والأعاني ، واللسان : " ثوى " بالثاء المثناة . وثوى - وتوى

بمعنى هلك / اللسان " ثوا " : ١٤ / ١٢٦ .

وجاء في الديوان أنه يروى " إِذَا مَا ماضى كعب " .

(٣) فَوْزٌ : بمعنى مات أي كأنه صار في مغارة مابين الدنيا والآخرة . / اللسان (فوز) :

(٤) المقصود بجول هنا الحطيفة .

(٥) رواية الأعاني وخزانة الأدب : " نشفها " ويروى " يشقها " بالياء .

(٦) رواية الديوان : " حتى تقوم " ، وذكر في الديوان أنه يروى أيضا :

" فيمضين غراً كلها يتشل " .

(٧) يتشل : يضرب مثلاً ، يقال : تشل هذا البيت ، وتشل به : ضربه

مثلاً / اللسان " مثل " : ١١ / ٦١٢ .

(٨) انظر البيتين في :

ديوانه - صنعة أبي سعيد السكري - : ٥٩ ، الشعر والشعراء : ١٠٩ / ١٥٩ ،

الأعاني : ٢ / ١٦٥ ، اللسان : ١٤ / ١٢٦ ، مادة " ثوا " ، خزانة

البغدادية - دار صادر - : ١ / ٤١١ .

(٩) صافيه : يعنى عين محبوبته ، وتنفي القذاة : ليس يريد أن هناك قذاة تنفيها ،

ولكن معناه أنها لم تقذ قط .

والأين : التعب . / شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة السكري - :

وقبل بيت الشاهد الثاني :

(١)
يَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيْءٍ يَقُولُهُ . . . وَمَنْ قَاتَلِيهَا مِنْ يَمِينِي وَيَعْمَلُ (٢)

وبعد بيت الشاهد الثاني :

كَفَيْتَكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا . . . تَخَلَّ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَخَلَّ (٣)

وقد أخذ الكميت بيت الشاهد الأول فقال :

وَمَا ضَرَّهَا أَنْ كَمَبًا تَسْوَى . . . وَفَوْزٌ مِنْ بَعْدِهِ جَسْرٌ

في هذين البيتين يفتخر كمب بقدرته على نظم الشعر وصياغته، وتظهر رنسة هذا الافتخار قوية عالية في هذا الاستفهام الذي افتتح به صورته " فمن للقواني " والذي حمل معنى الاستبعاد والتعجيز التام ، فهذا الاستفهام ينمط من داخل نفس شاعرة تحس إحساساً عيقاً بصعوبة الموقف الشعري ، فأتخذت منه مادة للفخر، فكل من يحايل حوك القصائد بعد كمب وجربل ، فإنه يشينها ويعيبها ، لجهله بفن الحوك أما الشاعر ، فإنه يعمل في القصيدة بيد صنع ماهر يذلل صعابها ، ويلين متونها فتتثال كلماتها عفواً حتى تقع كل كلمة في موقعها الممكن . فيعجز عن الإتيان بمثلها كل من يقرض الشعر.

(١) رواية الأغاني : " نقول فلا نعيا بشيءٍ نقوله " بنون الجمع .

(٢) رواية الأغاني : " وَيَجْلُ " ، يريد بَيَّعِل : يتعنى ويجتهد / أساس

البلاغة " عمل " : ٣٣١ .

(٣) وقد اختلف ترتيب الأبيات في الأغاني ، فذكر بعد بيت الشاهد الأول قوله :

كَفَيْتَكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا

نَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ

وبعد هما بيت الشاهد الثاني .

الشاهد الجنسُون بعد الثلاثئة : (*) (الطويل)

بشار:

عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى . . . فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثِلًا (١)
 (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)
 وَقَاصُ ضِيَاءِ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا . . . لِقَلْبِي إِذَا مَاصَّحَ النَّاسُ حَصَلًا
 وَشِقْرِ كُتُورِ الرُّوضِ لَأَمَّتْ بَيْنَهُ . . . يَقُولُ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرَ أَسْهَلَ (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ - ٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " معقلا " .

(٢) رواية أمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " غاص " .

(٣) رواية الديوان ، وأمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " للقلب " .

(٤) رواية الديوان : " فاغتنى " بدلا من رافداً ، ورواية تاريخ بغداد : " رائداً " .

(٥) رواية الديوان وأمالي المرتضى : " بقلب " ، ورواية تاريخ بغداد : " بحفظ " .

(٦) رواية تاريخ بغداد : " كزهر " .

والتَّوْر ، والتَّوْرَة : الزهر ، أو الأبيض منه ، وأما الأصفر ، فزهر . / القاسوس

المحيط " نور " : ٢ / ١٥٥ .

(٧) رواية أمالي المرتضى وتاريخ بغداد :

" لَأَمَّتْ " بالفتح ومعناه " لا عوج " ، ويبدولي أن رواية " لَأَمَّتْ " أنسب

وأقرب للصواب لأن التعبير " لَأَمَّتْ بينه " بمعنى لا عوج بينه غير مناسب ، والأنسب

أن يقال : لَأَمَّتْ فيه " أي لا عوج فيه ، وأيضاً لا يستقيم المعنى مع قوله

" يقول " فيكون المعنى لا عوج بينه يقول - وهذه الأخيرة من رواية أمالي المرتضى .

(٨) رواية تاريخ بغداد : " يَقِيَّة " .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٤ / ١٥٨ ، الأغاني : ٣ / ١٤٢ ، أمالي المرتضى :

١ / ٥٠٩ ، تاريخ بغداد : ٧ / ١١٤ .

وقبل الشاهد :

إِذَا وَلَدَ الْمَوْلُودَ أَعْنَى وَجَدْتَهُ . : وَجَدَكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجْوَلًا

في هذه الأبيات يفخر بشار ذلك الشاعر الأعشى الضريع بقدرته الشعرية العجيبة ، فالشعرا يفذون خيالهم بالصور المرئية المحسوسة ، فيلائم الخيال بين هذه الصور وبين الأحاسيس والمعاني التي تتبض بها نفس الشاعر ، فتخرج نتاجاً شعرياً .

أما بشار ، فإنه يُغذي الخيال من الخيال ، فتركيبه الشعري هو نتيجة تصور داخلي فقط ، وعلى هذا المقياس تكون حركة الملاءمة بين المعاني والصور في النفس عملية شاقة على الشاعر . إلا أن بشاراً يعلن في افتخار أن شعره يخرج كنور الروض بها ، وحسنًا وتناسقًا .

وانظر إليه ، وقد بدأ البيت بقوله " وشعري " فالواو هنا " واو رَّبِّ أَيَّ " رَبِّ شِعْرٍ " فدلّت هذه الواو على كثرة شعره وغزارته ، وهو مع كثرته متناغم الصور ، متلاحم البنية ، وَقِفْ متعجباً من ذلك الخيال السحري الذي لا م بين تناسق صورته الشعرية وبين نور الروض بهائه .

ثم قف متعجباً من خيال استعان بصورة " الحزن - والسهل " ليظهر سهولة شعره وسلاسته .

فكل مقام يحزن ويعسر فيه الشعر ، تراه سرعان ما يبسط ، ويسهل أمام خيال الشاعر ، وبني الشاعر هذه الصورة على الشرط " بإذا " ليدل على سرعة البسط ويجزم بتحقيق وقعه .

وبناءً على الشرط ، وجوابه على أفضل التفضيل " أحزن - أسهل " مبالغة فسي الوصف ، فقوله " أحزن " مبالغة في وصف الطريق بشدة وعورة السلك .

وقوله " أسهل " مبالغة في وصف الطريق بالسهولة والبسط .

الشاهد الواحد والتمسكون بعد الثلاثاء : (*) (المنسرح)

• بشار :

زَوْرَ مَلُوكٍ عَلَيْهِ أَبْهَةٌ . : (١)
يَعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ حُطْبِهِ
لِلْمَوَارِاحِ فِي جَوَانِحِهِ . : (٢)
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ لِلنَّدَى كَمَا . : (٣)
يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاحِ مِنْ لَهَبِهِ (٤)

والأبيات من قصيدة قالها حين نهاء الخليفة المهدي عن مغازلة النساء مرة
بعد مرة ، فوصف في هذه القصيدة حال وفائه وأنه لا يحتاج إلى تأكيد انتهى ولا يتهم
بعدم الامتثال .

ومطلع القصيدة :

يَا مَالِكَ النَّاسِ فِي سَسِيرِهِمْ . : وَفِي الْمَقَامِ الْمَطِيرِ مِنْ رَهْبِهِ

وقبل الشاهد :

يَصْدُقُ فِي دِينِهِ وَمَوْعِدِهِ . : نَعَمْ وَيُعْطَى النَّدَى عَلَى كَذِبِهِ

وبعد أبيات الشاهد :

يَقُومُ بِالْقَوْمِ يَوْمَ حِفَّتِهِمْ . : وَلَا يَخِيبُ الرِّوَاءُ فِي سَبَبِهِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاکر : ٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " تَعْرِفُ " ، ورواية عيون الأخبار : " يَعْرِفُ " بضم الياء .

(٢) رواية الديوان وعيون الأخبار : " لَا يَنَامُ " بضم الياء أي لا يفتأون يطلبونه
فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة فيه .

(٣) رواية الديوان وعيون الأخبار : " يَخْرُجُنَ " .

(٤) لم أجده إلا في :

الديوان : ١ / ١٨٤ .

عيون الأخبار : ٢ / ٥ / ١٨٢ .

في هذه الأبيات يفخر بشار بشعره ومتانته ، فهو زور ملوك ، فزيارة الملوك لا تتسنى إلا لمن كان ضليعاً في قول الشعر .

وقوله " عليه أبهة " بتقديم المسند " الجار والمجرور " عليه " على المسند إليه " أبهة " ، للاهتمام به مبالغةً وإدعاءً ، وهذا تأكيد لتعاليه وارتفاع مقامه وانظر إلى قوله (يعرف من شعره ومن خطبه) وكيف أراد أن يرفع بشعره غمزة نفسه ، ويفظي به ما يخامره من نقص ، فجعل الشهرة والمعرفة في الشعر والخطب لا في النسب إلى القبائل كما هو معروف عندهم .

وبعد هذا التماهي بالشعر جاء بصورتين يصف بهما ذلك الشعر ونفاسته ، فهو كاللؤلؤ المخبوء في باطن البحر ، والذي يجهد الناس في استخراجها ، ولا يفكرون عن طلبه بل ويؤرقون أنفسهم للحصول عليه لشدة رغبتهم فيه .

وفي الصورة الثانية سجل المعاناة التي تدور في نفسه عند صياغة شعره ، فجاء بصورة ضوء السراج ، ولهبه ليظهر لنا أن الشعر أصبح سهلاً عليه ، فهو ينبثق من نفسه تلقائياً كما يخرج السراج من اللهب .

الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثئة : (*) (الوافر)

• أبو شريح العمير (١) :

يَا أَيُّهَا أَهْلِيكَ فَقَدْ آبَيْتُ بَعْدِي . قَوَانِي تَعَجِبُ الْمُتَمَلِّينَا

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاکر : ٥١٣ .

(١) لم أقف على ترجمة له .

وقد ورد البيتان في البيان والتبيين ، وديوان المعاني من غير نسبة ، ونسبها في مجموعة المعاني لشاعر جاهلي .

ونسبهما ابن الشجري لابن سيادة - وهو التراح بن يزيد بن سراقه ، وميادة

أم - من شعراء الدولتين الأموية والعباسية - وكان شاعراً مجيداً ، انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٧٧٥-٧٧٧ ، المؤلف والمختلف : ١٢٤ ، الأغاني : =====

لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ (١) مَحْكَمَاتٍ . : لَوَأَنَّ الشَّعْرَ يَلْبَسُ لَا زُنْدَيْنَا (٢)

يبدو أن بيتي أبي شريح ليس فيها علق، ولا جدة ولا طرافة في التصوير، حيث صور أشعاره مرة بالشبي الذي يؤكل ويلذ طعمه " لذيزات المقاطع " وصورها ثانية بالشبي الذي يلبس - وهذه صورة عامية قريية قاحلة المعنى .

== ٢ / ٢٦١ - ٣٤ ، سبط اللاكي : ١ / ٣٠٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٣٣١ -

٣٣٤ ، الخزانة للبغدادي - دار صادر - : ١ / ٧٦ - ٧٧ ، والبيتان

في ملحقات ديوانه - فيما نسب إليه وإلى غيره .

ولقد رأى الأستاذ شاكر في تحقيقه الدلائل ، أن نسبة ابن الشجري إنما هي سهو منه وخطأ ، ورجح أنه أخذها من البيان والقبين ، فقد عقد الجاحظ باباً ذكر فيه أبياتاً ، ثم قال : وأنشدني لابن ميادة ، وذكر بيتاً من الشعر ، ثم أتبعه بقوله : وأنشد ، ثم ذكر البيتين ، فاخطط الأمر على ابن الشجري في نقله إلى حساسته / الدلائل - شاكر : ٥١٣ ، ونسب الأستاذ عبدالسلام هارون البيتين في معجم شواهد العربية لعمير بن الحباب ، وهو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي (. . . . ٧٠ هـ) رأس القيسية في العراق ، وأحد الأبطال الدهاة ، كان من قاتل عبيد الله ابن زياد مع إبراهيم بن الأشتر ، ونسبت بينه وبين اليمانية ، وبني كلب وتغلب وقائع منها يوم (ماكسين) ، ويوم الثرثار الأول ، ويوم الثرثار الثاني ، وقتل ابن الحباب في يوم الحشاك ، قتله بنو تغلب . / انظر ترجمته : معجم الشعراء للمزباني : ٢٤٥ ، الموشح : ١٢٥ ، الأعسلام : ٥ / ٨٨ .

ونسب البيتان في ألف باء لحسان بن ثابت ، ولم أقف عليهما في ديوانه .

(١) رواية كتاب ألف باء : " رقيقات " .

(٢) رواية كتاب ألف باء : " القواطع " .

(٣) انظر البيتين في :

ديوان ابن ميادة : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، رقم (١٠٥) ، البيان والقبين : ١ / ٢٢٢ ،

ديوان المعاني : ٨ ، حساسة ابن الشجري : ٢٣٨ ، كتاب ألف باء :

١ / ٥٧ - ٥٨ ، مجموعة المعاني : ١٢٨ .

الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

الغززدق :

(١)
بَلَقَنَّ الشَّمْسُ حِينَ تَكُونُ شَرْقًا . : وَسَقَطَ قَرْنُهَا مِنْ حَيْثُ غَلَبَا
بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ وَكُلِّ ثَفَرٍ . : غَوَّارِبَهُنَّ تَنْتَسِبُ أَنْتَسَابًا (٢)
والشاهد من قصيدة له يناقض بها جريراً، ومطلعها :

أَنَا أَبْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَسِيمٍ . : إِذَا مَا أَغْظَمَ الْحَدَثَانِ نَابَا
وقبل الشاهد :

(٤)
وَعَرَّ قَدْ نَسَقَتْ مَشْهَرَاتٍ . : طَوَالِيعَ لَا تَطِيقُ لَهَا جَوَابَا

بعد الشاهد :

وَحَالِي بِالنَّفَا تَرَكَ أَبْنَى لَتَلَّى . : أَبَا الصَّهْبَاءِ مُحْتَفِرًا لِيَهَابَا

إن المتأمل في أبيات الغززدق يشعر بملك الروح المفعمة بالافتخار ، والاعتزاز
بنتاجها الفكري المشرق ، وهذه الحقيقة التي تنطوي ، بها نفس الغززدق ، وتفيض بها
جوانحه تحتاج إلى مؤكدات لتقررهما في نفوس السامعين ، شأنها في ذلك شأن
الحقائق العظيمة والصفات الجليلة ، إلا أن الغززدق ضرب عن ذلك صفحاً ، زاعماً
أن بلوغ قصائده مشرق الشمس ومغربها أمر مقرر في النفوس بداهة .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٣-٥١٤ .

(١) رواية النقائض : " حَيْثُ تَكُونُ " .

(٢) رواية النقائض : " غَوَّارِبَهُنَّ " .

(٣) لم أجد البيتين إلا في :

ديوانه : ١ / ١٠٤ .

نقائض جريرو والغززدق : ١ / ٤٧٦ .

(٤) أراد بالغر قصائده .

وأنظر إلى روعة الصورة التي أبرزت حفاوة الشاعر بشعره فقضائه قد بلغت من السمو والعلو مقاعد الشمس، وبلغت من الانتشار والعموم كل ما يبلغه ضوء الشمس ويصل إليه على الدوام ، فقله " وسقط قرنهما من حيث غابا " فيه إشارة إلى حركة الانتشار والذوب ، فقضائه مصاحبة للشمس في رحلتها الدائبة ، ومع كل إشراقة شمس تبعت قضائه الإشراق والأنس في النفوس ، فقضائه تصاحب الشمس في دورتها، وشهرته تصاحب قضائه وترحل معها ، ففطن مع دورة الشمس دورة أخرى عجيبة هي في ظنه أوسع وأعم انتشاراً ، فما من شئنة ، وما من شغل إلا وقد عمته نسبة القضائه إليه .

فقله " تتسبب انتساباً " تأكيد بأن أمر نسبتها إليه أمر بديهي مسلم به ، فسامعها لا يبذل جهداً ولا يجد عناءً في معرفته .

وانظر إلى الباء في قوله " بكل شئنة ، وبكل شغل " وكيف دلت على تمكن تلك النسبة من كل شغل وكل شئنة وعمومها فيها ولو أنه جاء (بالفاء) لما دلت على هذا التمكن .

الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثئة : (*) (الطويل)

ابن ميادة : (١)

فَجَرْنَا يَتَابِيعَ الْكَلَامِ وَبَحَرَهُ . . فَأَصْبَحَ فِيهِ ذَا الرِّوَايَةِ يَسْتَبِحُ
(٢)
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيْسٍ وَخُنْدِفٍ . . وَشِعْرُ سِوَاهُمْ كَلْفَةٌ وَتَلَحُّ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

(١) سبقت ترجمته : ١١٥٣ .

(٢) رواية الديوان ، والرسالة الشافية : " وَقَوْلُ " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٩٧ ، الأغاني : ٢ / ٣٠٩ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

- الرسالة الشافية - : ١٣٦ .

وهما بيتان لاثالث لهما ، قالهما حين اجتمع مع عقّال بن هاشم بباب الوليد
ابن يزيد ، وكان عقّال شديد الرأي في اليمن ، ففزع عقّال ابن ميّادة ، واعتلاه ،
فقال ابن ميّادة أبياته ، فأجابه عقّال بأبيات ستذكر بعد هذا الشاهد ^(١) .

وقد أجاد ابن ميّادة في اختيار صورة البحر والينابيع المتفجرة ، والسباحة نسي
أعاقها للتعبير عن قصائد الشعيرة ، فالبحر يشير إلى ما تملّك به عباراته من
عمق الخيال وغزارته ، وما يحويه من أسرار عجيبة نادرة ، لا يكشف خبيثها النظرة
السريعة العابرة .

وانظر إلى الغاء في قوله " فأصبح " وكيف دلت على تلهف وشوق أصحاب
الرواية ، فهم حين رأوا تلك الينابيع الثرة الغزيرة أسرعوا يسبحون في أعماق
معانيها شوقاً إلى افتضاض أسرارها .

ومجيء الجملة الفعلية " يسبح " دل على تجدّد رغبتهم في السباحة ، لما
وقعوا عليه من عجب الأسرار ، فكلموا أعينوا النظر في هذه الأشعار تكشف لهم
معانٍ عجيبة تزيدهم شوقاً إلى تجدّد البحث .

ثم أكد هذه الصورة عن طريق القصرباً ولاّ يزيدّها تقريراً في النفوس .
فأثبت أن الشعر الحقيقي هو شعر قيس وخندف ، وأن شعراً سواهم إنما هو مصطنع
متكلف .

الشاهد الخاص والخمسون بعد الثلاثئة : (*) (الطويل)

(٢)

قال عقّال بن هشام القيني - يرد على بيتي ابن ميّادة السابق الذكر - :

(١) الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٢ ، شاکر : ٥١٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولكن يفهم من خبره مع ابن ميّادة الذي أورد أبو الفرج
الأصفهاني - أنه من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وقد لقي الوليد بن
يزيد ، وكان عقّال شديد الرأي في اليمن . / الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

أَلَا أَلْبَغِ الرَّسَّاحَ نَقْصَ مَقَالَةٍ . . . بِهَا خَطِلَ الرَّيَّاحُ أَوْ كَانَ يَمْرَحُ^(١)
 لَقَدْ خَرَقَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ قَبْلَهُمْ . . . بَحُورَ الْكَلَامِ تَسْتَقِي وَهِيَ طَفَحُ^(٢)
 وَهُمْ ظَنُّوا مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَعَلَّمُوا . . . وَهُمْ أَغْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا^(٤)
 فَلِلْسَائِقِينَ الْفَضْلَ لَا تَجْعُدْ وَنَهْ . . . وَلَيْسَ لِمُسْتَبَوِيٍّ عَلَيْهِمْ تَجَجُّحُ^(٥) (٦)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني بيتاً بعد البيت الأول ، وهو :

لَيْتَن كَانَ فِي قَيْصٍ وَخُنْدَفٍ أَلْسُنٌ . . . طَوَالَ وَشِعْرِ سَائِرٍ لَيْسَ يُقْدَحُ

فابن عقال في أبياته هذه يردُّ على ابن ميادة ، وينقض مقالته السابقة ، فليس
 لقيس وخندف مالليمانيين من الأشعار الغزيرة الطَّفَح التي يُسْتَقِي منها ، فلا ينضب
 معينها ، فهم أصحاب هذا العلم ورواده ، ولهم فضل السبق ، ولا يستطيع أحد
 أن يتجح بسبقه .

فأبيات ابن عقال إنَّما جاءت لنقض مقالة ، وإسقاط رأي ، ففيها من معاني
 التحدي ما فيها ، لذا افتتحها بأداة الاستفتاح " ألا " هذه الأداة القوية الرنانة

(١) رواية الرسالة الشافية " كان " ، وكذلك ذكر في تحقيق الأغاني أنه ورد في

عدد من المخطوطات : " كان " بدلاً من " كان " .

(٢) رواية الأغاني : " وَهِيَ تَطْفَحُ " ، وطق المحقق على رواية " طَفَحُ " بأنه

لا يوجد في كتب اللغة أن طافحاً يجمع على طَفَح ، ولكن علماء العربية

يقولون : إن فَعَلًا يطرده جمعاً لفاعل متى كان وصفاً صحيح اللام نحو

عادل ، وعذل ، وشاهد وشهد .

(٣) رواية الرسالة الشافية " وقد " .

(٤) رواية الرسالة الشافية " لا تتكرونة " ،

رواية الأغاني والدلائل تحقيق شاكر : " لا يجحدونه " .

(٥) رواية الرسالة الشافية والأغاني : " وليس لمخلوق " .

(٦) لم أجد ها فيها اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الرسالة الشافية - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١٣٦-١٣٧ ،

الأغاني ٢ / ٣٠٩ .

التي تستفتح نوافذ الحس ، وتوقظ غواني الإدراك ، فتنبه الأسعاع ، وتهبى النفوس لتلقي ذلك النفض .

ثم نكر لفظ " مقالة " لتحقير هذه المقالة ، والتقليل من شأنها ، فهي مقالة واهنة مستركة .

واستمع إلى رنين الكلمات حين بدأت تقرر الحقائق " لَقَدْ خَرَقَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ " فاجتمع في العبارة أداتان من أدوات التوكيد " اللام - قد " ، ولفظ " خرق " وما فيه من شدة وقوة وتغلغل .

ثم تأمل لفظ " تَسْتَقِي " وما أحدثه في النفس من تعميق صورة شعرهم ، وإظهار غزارتها واتساعها فبتنا الفعل للمجهول دل على كثرة السقاة وتوافد هم المستر على بحور اليمانيين لإرواء النفوس من معانيها العذبة ، وإرواء الخيال بصورها الخصبة . وانظر إلى قوله " وهي طَفَحَ " وكيف أكد وقرر غزارتها وعدم نُضُوب معيّنهما . وتظل رنة الافتخار تملو ويسمع صداها في تكرار الضمير " وهم علماؤا - وهم أعربوا " فالشاعر يحس إحساساً عميقاً بفضلهم ومكانتهم ، فأبى إلا أن يسجل هذا الإحساس ويقرر لهم هذا الفضل .

ويأتي اسم الإشارة " هذا الكلام " مشيراً إلى شرف وفخامة علمهم . وحذف المفعول به من الجملة " وأوضحوا " ليثبت وقوع عنوم الإيضاح منهم ، وشموله لكل لفظة ، وكل كلمة ، وهذا دليل على اتساع علمهم وتبحرهم .

الشاهد السادس والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

أبو تمام :

كَشَفَتْ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرُوجِهِمْ . . وَطَيَّرَتْهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهَوَ وَأَقْرِصِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

يُغَرِّزَاهَا مِنْ يَزَاهَا يَسْنَعِيمُ . . . وَيَدْنُو إِلَيْهَا نُو الْحِجَى وَهُوَ شَاسِعُ
يَوَدَّ وَيَدَادُ أَنْ أَغْضَاءَ جِسْنِيمُ . . . إِنْ أَنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَسَامِعُ (٢)
وهو من قصيدة له يفخر بقومه ومطلعها :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ . . . فَإِنْ تَكُ يَجْزَاعًا فَمَا الْبَيْنُ جَزَاعُ
وقيل الشاهد بيت متصل به وهو قوله :

كَلَّمَ شَاعِرٍ قَدْ رَأَيْتِي فَقَدْ عَتَسَهُ . . . بِشِعْرِي فَأَمْسَى وَهُوَ خَزْيَانُ صَارِعُ (٣)
إن أبيات أبي تام هذه من حر الشعر وجيده ، فهي ترخر بالصور الكريمة
الرائعة .

انظر إليه وقد كشف قناع الشعر عن أجمل وجوهه ، فكأن الشعر كان قبله
محبوباً مستوراً ، فجاءت قصائده بحسن تراكيبها ، وحسن صياغتها ، وروعة خيالها ،
فأظهرت وجوه جمال الشعر .

ثم تأمل الصورة الأخرى ، وهي صورة إبعاد الطير عن وكره وهذه الصورة مألوفة
معروفة ، ولكن أبا تام أضفى على هذه الصورة غرابة وطرافة بقوله " وهو واقسع "

(١) رواية الديوان بشرح التبريزي : " فيد نو " بالفاء ويبدولي أن رواية الفاء

أجل لأن الفاء تدل على سرعة استجابة السامع فيبادر ليتوه إلى الدنو منها .

(٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٩٠-٥٩١

لم أجده في ديوانه طبعة دار صعب .

كذلك لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق رضا ولم أجده هذا البيت نسي ديوانه

ورأيت أن من الصواب إثباته لصلته الوثيقة بالشاهد ، لأن الضمير

في البيت الأول من الشاهد (عن حر وجهه) يرجع إلى الشاعر .

ولذا أثبتته .

فالغرابية في كون الطير طائراً واقعاً في نفس الوقت ، فقائد طائرة إلى الأسع
واقعة متكنة في قلب كل من تصل إلى سمعه .

وتأمل قوله * من يراها بسمعه * بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفرغ لب ،
وجمع عقل ، فإنه تركيب رائع يصور دقة قصائده ، وبراعتها في الوصف والتجسيد
ومهارتها في إيقاع كل كلمة موقعها في النفس والخيال حتى غدا السمع عيناً مبصرة .
وأنظر إلى مهارته في رسم صورة المستمع لها :

* يدنو إليها . . . وهو شاسع * ، فهذا الطباق كشف عن خيال أبي تمام
البارع ، فمن هذه المتناقضات ولد صورة اللهفة والشوق لقصائده ، وحين يكون
الشوق والظنهف من أصحاب العقول والحجى ، تكون تلك القصائد في الدرجة
المتناهية من علو الطبقة .

وقف وتأمل كيف وصف إعجاب المنصتين بها بقوله : * يود وداداً * .
فالمستمع وصل إلى قمة الطرب النفسي ، والانسجام الخيالي فجمعت رغبتهم
وهي تلح إلحاحاً في أن تتحول أعضاء جسمه كلها سامع تصفى إلى طو القبول
وعذب الحديث ، فتأنس وتطرب .

وصياغة الكلام عن طريق الشرط (بإذا) وبناء فعل الشرط * أنشدت * للمجهول
دل على أنه كلما أنشدت قصائده زادت في نفسه هزة الطرب ، والفصل بين الشرط
وجوابه بقوله * شوقاً إليها * إثبات وتأكيد لشدة الشوق وحرارته .

الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) حَدَّاءٌ تَلَا كُلَّ أَدْنٍ حِكْمَةً . (٢) وَيَلَاغَةُ وَتَدِيرُ كُلَّ وَرِيدٍ (٣)
 كَالدَّرِّ وَالْتَرَجَانِ أَلْفَ نَظْمَةٍ . (٤) بِالشَّدْرِ فِي عُنُقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ (٥)
 كَشَقِيقَةِ الْبُرْدِ التَّنْتَمِ وَشَيْءٍ . (٦) فِي أَرْضِ مَهْرَةٍ أَوْ يَلَادٍ تَزِيدُ (٧)
 يَعْطِي بِهَا الْبَشْرَى الْكَرِيمَ وَيَزِيدِي . (٨) يَرِدُ أَثَرُهَا فِي الْمَحْفِلِ الْمَشْهُودِ
 بَشْرَى الْغَنِيِّ أَيْ الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ . (٩) بِشَرَاؤِهِ بِالْغَارِسِ الْمَوْلُودِ (١٠)

- (١) الحداء: القارصة أو الطاعنة / اللسان * حذا * : ١٧١/١٤ - ١٧٢ .
- (٢) الدَّرِّ من دَرَّ اللبنُ والدَّمُ ونحوهما تَدِيرُ وَيَدِيرُ دَرًّا وَدُرُورًا ، وكذلك الناقصة إذا حَلَّتْ فأقبل منها على الحالب شيء كثير قليل : دَرَّتْ . / اللسان * : دَرَرُ : ٢٢٩/٤ .
- (٣) الوريد : هو كل عرق ينبض في جسم الإنسان / اللسان * ورد * : ٣ / ٤٥٩ .
- (٤) المقصود بالشذر هنا ، ما يلقط من الذهب من المعدن من غير إجابة الحجارة . / مختار الصحاح * شذر * : ٣٣٣ .
- (٥) رواية الديوان * : في عنق الكعاب الرود * .
- (٦) الرود : الجارية الناعمة ، أو هي الفتاة التي تطوف في بيوت جاراتها والمقصود المعنى الأول . / اللسان * ورد * : ٣ / ١٨٨ .
- (٧) رواية شار القلوب * : المسمم * .
- (٨) برود ومهرة وتزيد يضرب بها المثل كما يضرب ببهود اليمن ، والعرب تنسب البهود الفاخرة إلى تزيد ، وتزعم أنها قبيلة للجن . / شار القلوب : ٢ / ٥٩٨ ، وقيل : إن مهرة - بالفتح - ، وتزيد حي من عرب اليمن من قضاة تنسب إليهم الإبل المهرية ، والبهود ذات الخطوط الحمر ، وقالوا تنسب الإبل المهارية إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وقالوا : تزيد بن الحاف ابن قضاة ، وإليه تنسب البهود التريدية ، وظل في القاموس ، فقال : تزيد بن حلوان ، كما عظم من قال : ابن حيدان فهو عم مهرة لأخوه . / انظر : اللسان * مهر * : ١٨٦/٥ ، القاموس المحيط : زيد * : ٣١٠ / ١ ، الدلائل - تحقيق رضا - : ٣٩٤ .
- (٩) ديوانه - دار صعب - : ٧٧ ، شار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٩٨ ، المثل السائر : ١ / ١٣١ - البيت الأول فقط - ، ٢ / ١٥٠ البيت الثاني فقط مع بيت آخر لم يذكر ضمن أبيات الشاهد ، وإن كان وثيق الصلة بها ، - وسيأتي ذكره - .

والأبيات من قصيدته التي قالها في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دواد ، ويستشفع
بـخالد بن يزيد ، (١) ومظلمها :

أَرَأَيْتَ أَيْ سَوَالِفٍ وَخَدَّوْدٍ . عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى قَزُودٍ
وقبل أبيات الشاهد :

خُذْهَا مَشَقَّةَ الْقَوْلِ فِي رَتْبِهَا . لِسَوَابِغِ النِّعَمَاءِ غَيْرَ كُنُودٍ (٢)
وبعد الشاهد :

كَرَّفَى الْأَسَاوِدَ وَالْأَرْقَمَ طَالَمَا . نَزَعَتْ حِمَاتِ سَخَائِمٍ وَحَقُودٍ

ولقد أورد ابن الأثير بعض أبيات الشاهد في موضعين : فذكر البيت الأول
من الشاهد عند حديثه عن حل الأبيات الشعرية حيث قسم الموضوع ثلاثة أقسام ،
وجعل الشاهد من القسم الثاني ، وهو أن يَنْثُرَ المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزِّمُ
عن البعض بالفاظ أخرى ، أن أجمل ما في البيت قوله :

” تَلَا كُلُّ أَذْنٍ حِكْمَةً ” وهو عنده من الكلام الحسن الذي إن أُريدَ نشره

لم يمكن إلا باستعمال ذات لفظه ؛ لأنه في الفاية القصوى من الفصاحة والبلاغة ،
فينبغي مواخاته بسنله ، وهذا عسر جداً ، وهو أصعب مثلاً من نثر الشعر بغير لفظه ؛
لأنه مسلك مضيق ؛ لما فيه من التعرض لمائلة ما هو في غاية الحسن والجودة (٣)
أما البيت الثاني من أبيات الشاهد فقد أورد في القسم الثالث من التشبيه
وهو تشبيه المفرد بالمركب (٤)

لقد أجاد أبو تمام في استشار اللغة تركيباً وتصويراً ونغماً ، فأبيات هذه تزخر
بالصور الحية التي تبرز فخر الشاعر واعتزازه بقوة شعره ، وجزالته وفخامة صياغته ،

(١) هو خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني ، وقد مضت ترجمته : ٤٠٣ .

(٢) الديوان : ٥٧٧ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ١٥٥ .

(٤) المثل السائر : ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

وتتوَع أغراضه ، فقصائده ، " حذاء " تطعن كل شعرقيل وتغنيه .

وحذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ؛ لأن الموقف هنا يتطلب نوعاً من السرعة والعجلة ، فصورة الطعن والفناء تحتاج إلى سرعة وخفة في الحركة ، والحذف هنا مناسب هذه الخفة وساعد في إبرازها .
وقصائده كذلك تحمل من كرائم المعاني ، ونادر الأساليب ما يلائم الأذان حكمة وبلاغة .

وقوله " وتدر كل وريد " أظهر جمال قصائده ومدى تأثيرها في النفوس ، فهي تبعث الحياة في نفس كل من استمع إليها .

ثم أخذ يصور قصائده في تلاحم بنائها وانسجام كلماتها بالعقد المنظم من الدر والمرجان ، وقد ألف بين جوهره بالشذر ، وزاد الصورة جمالاً حين جعل هذا العقد معروفاً في عنق الفتاة الناعمة المتمايلة دلاً .

ثم أعقب هذه الصورة بصورة أخرى يأنس لها الذوق العربي ، ففي قصائده من التحسين والتتقيح ، ولباقة الصنعة وطرافة الخيال ، ما يجعلها كالبرود المنقوشة نقشاً دقيقاً محكماً ، والمزدانة بالتساوير والألوان الجميلة ، وفي تقييد هذه البرود بكونها من بلاد مَهْرَة أو بلاد تَزِيد دليل على نفاستها وندرته ودهشها ؛ لأن بلاد " مَهْرَة " وبلاد " تَزِيد " أشهر بلاد تصنع فيها هذه البرود ، وقصائده قدَّم حَيَّر يأنس بها الناس ، فهي حافز للكريم يدفعه للعطاء والسخاء ، فقوله " يعطي بها البشري " فقدم الجار والمجرور تعظيماً لها ، وسمى العطايا " بشري " لوفرتها وكثرتها ، فهي عطايا كثيرة تستبشر بها النفس ، ويهش لها الفؤاد ، ثم رسم صورة رائعة لتلك البشري فهي بشري غني يملك الأموال الطائلة ، وليس عنده إلا البنات ، فهو دائم القلق والتفكير كثير الاضطراب والخوف من ضياع ماله وبينما هو في هذه الحال ، يسرع إليه المبشرون يبشرونه بذلك الغارس المنتظر ، فما عساها أن تكون فرحته ؟ ! وكيف عساها أن تكون عطاياها ؟ !

وهذه القصائد لفخامتها وعظمتها أعلت من ذكر هذا الكريم وعظمت من شأنه فجعلته يرتدي رداء الفخر والعظمة في المحافل المشهودة .

الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ . : سَطَّانٍ فِيهَا اللَّوْلُؤُ الْكَنَسُونَ
أَحْذَاكُهَا صَنَعَ الضَّبِيرُ يَسْدُهُ . : جِسْفَرٌ إِذَا نَضَّبَ الْكَلَامَ مَعِينُ (٥)
وهو من قصيدة يمدح بها الواثق بالله (٦) ومظلمها :

وَأَبَى السَّائِلُ إِنَّمَا لَشَجُونُ . : وَطَى الْعَجُومَةُ إِنَّمَا لَتَيْمِنُ
وقبل بيت الشاهد الأول :

مَافَوْقَ مَجْدِكَ مَرْتَقَى مَجْدٌ وَلَا . : كُلُّ افْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونَ
وقبل بيت الشاهد الثاني أبيات ، وثيقة الصلة بالبيتين ، وهي :

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاکر : ٥١٥ .
(١) أحذاكها : أعطاكها . / اللسان " هذا " : ١٤ / ١٢٠ .
(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " صَنَعَ اللِّسَانُ " .
وَالصَّنْعَ وَالصَّنْعُ : الصَّانِعُ الْحَاقِقُ الْمَاهِرُ . / اللسان " صنع " : ٢٠٩ / ٨ .
(٣) الْجَفَرُ : البئر الواسعة التي لم تَطْوُ . / اللسان " جفر " : ١٤٣ / ٤ .
(٤) معين : الماء الذي يجري على وجه الأرض ، وقيل الماء العذب
الغزير ، وقال الخطيب التبريزي : و " المعين " الذي يجري
على وجه الأرض ، وقد كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَسْمُونَ الْمَاءَ
الَّذِي يَسْتَقَى مِنَ الْآبَارِ مَعِينًا ؛ لِأَنَّهُ يَنْبَعُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيَفْرُقُونَ
بَيْنَهُ ، وَمِنْ الْمَخْتَرَنِ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ / انظر :
اللسان " معن " : ١٣ / ٤١٠ ، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب :
٣ / ٣٣١ .
(٥) انظر البيتين في :
ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣٢٨-٣٣١ ، ديوانه - دار صعب - :
٢٩٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٦٦٢ .
(٦) سبقت ترجمته : ٩٧٤

حُذِرَتْ حِذَاءُ الْحَضْرِيَةِ أَزْهَفَتْ (١) . وَأَجَانَهَا التَّخْصِيرُ (٢) وَالتَّلْسِينُ (٣)
 إِنْسِيَّةٌ وَحَشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا (٤) (٥) . حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونٌ
 يَنْبُوعُهَا خُضِلٌ وَحَلِيٌّ قَرِيضُهَا (٦) . حَلِيٌّ الْهَدْيُ وَسَجَّهَا مَوْضُونٌ (٧)
 أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا . نَصَّتْ وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عُسُونٌ

(١) يعني بالحضرمية " التَّعَال " نسبها إلى حضرموت ، ربما لأنها أشهر التَّعَال -
 والمعنى أَنَّ هذه الأبيات يشبه بعضها بعضاً كما أن النعل المحذوة
 تشاكل أختها ، فلا تزيد عليها ، ولا تنقص دونها ، وهو من هذا النعل
 حَذَوًا ، وحذاء قَدَرها ، وقَطَعها على مثال ، أي تقطع إحدى النعلين على قدر
 الأخرى / انظر :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨-٣٢٩ ، اللسان " حذا " : ١٤ / ١٦٩ .
 (٢) التخصير : خَصَرَ النعل ما استَدَقَّ من قَدَامِ الأَدْنَيْنِ منها ، ونَعَلَ مَخَصَّرَةً لها
 خصران ، والتخصير هنا بمعنى التدقيق . / انظر :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " خصر " : ٤ / ٢٤١ ،
 (٣) التلسين : مُلْسِنَةٌ إِذَا كَانَتْ تَسْتَدِيقُ من طَرَفِهَا الَّذِي تَلِي الْأَصَابِعَ ،
 وَالتَّلْسِينَ من التَّعَالِ الَّذِي فِيهِ طَوْلٌ وَلَطَافَةٌ عَلَى هَيْئَةِ اللِّسَانِ . / ديوانه
 بشرح الخطيب : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " لسن " : ١٣ / ٣٨٢ .

(٤) إنسية : أي أن القلوب تأنس بروايتها ، أو أَنَّ النَّاسَ يُؤْنِسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 بها ، أو المقصود أنها من صنع الإنس / انظر :

ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .

(٥) وحشية : أي تروء في البلاد كما تروء الوحوش ، أو أنه يتعذر الإتيان

بمثلها كما يتعذر اصطياذ الوحوش . / ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .

(٦) الموضون : المنسوج نسجاً متقارباً كنسج الدروع والسرير بالذهب ، أو المشني

بعضه على بعض . / انظر : ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان

" وذن " : ١٣ / ٤٥٠ .

(٧) عَوْنٌ : جمع عَوَان ، وهي التي ولدت مرة بعد مرة ، أي أن القوافي يشترك

فيها الشعراء ، ولكن المعاني التي أتى بها أبكار لم يسبق إليها . / انظر :

ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان " عون " : ١٣ / ٢٩٩ .

في هذين البيتين شبه أبو تمام القصيدة في نظمها بنظم قلادة اللؤلؤ ،
وقد زاد هذه القلادة جمالاً بأن جعلها سطين .

وهو صنف اللؤلؤ بأنه مكون زاد المعنى دلالة وعمقاً ، فقاصده لا يذهب رونقها بقدمها
بل إنها كلما قدم بها العهد ازدادت نفاسة شأنها ، شأن اللؤلؤ كلما قَسَدُم ،
ومعنى عليه الزمان ازدادت قيمته ، وغلا ثمنه .

وبعد أن مكن في النفوس الإعجاب بشعره ، أخذ يلفتها إلى ذاته الشاعرة ،
فأخذ يفخر بنفسه * أخذ اكها صنع الضمير * واختار لفظ " صنع " وهي كلمة
تفيد المبالغة لأن معناها الحانق ، ليصر النفوس بدقته وحذقه ، فهو يتمكن من
صنعتة خبير بدقائقها وأسرارها ، وهو حانقٌ ماهرٌ تر المعاني خصب الخيال غزير
الفكر لا ينضب معينه .

وبنا* الكلام على الشرط (بإِذا) وتقديم جواب الشرط ، تأكيد وجزم على أنسه
دائم المد والمطأ .

وإضافة " صنع " إلى الضمير " دليل على أن قصائده ليست مجرد ألفاظ راكدة
لا حياة فيها ولا شعور ، إنما هي وليدة إحساس جياش ، ودخيلة صادقة .

الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثاء : (*) (الكامل)

قول أبي حية : (١)

صَنَعَ اللِّسَانُ يَهِنًا لَا أَتَحَصَّلُ . (٢)

استشهد به الشيخ على أن قول أبي تمام السابق * أخذ اكها صنع الضمير *
مأخوذ من قول أبي حية " صنع اللسان " ، إلا أنه نقله إلى الضمير .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) هو أبرحيبة النخعي .

(٢) لم أعف عليه في ديوانه الذي جمعه : رحيم صفي الترياي .

الشاهد السيتون بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

حسان :

أَهْدَى لَهُمْ يَدَ حَا قَلْبَ مَوَازِرَهُ (١) . فِينَا أَحَبَّ لِسَانَ حَاثِكَ صَنَعُ (٤) (٢)

وهو من قصيدته التي عارض بها الزيرقان بن بدر (٦) ، ومطلعها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِئْرِ وَلِخَوَاتِبِهِمْ . قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

وقبل الشاهد :

أَكْرَمَ يَقَعِ رَسُولُ اللَّهِ شِعْمَهُمْ . إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّعِيعُ

وبعده :

فَيَأْتِيهِمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ . إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكرو : ٥١٥ .

(١) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان : " يَدَ حَا " .

(٢) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان " مَوَازِرَهُ " .

(٣) رواية الديوان : " فِينَا يَحِبُّ " ، ورواية اللسان : " فِينَا أَرَادَ " .

(٤) حَاثِكَ : الحَاثُكَ النَّسَاجُ وحَاكَ الشعر حَوَكَ : نسجه ولائم بين أجزاءه

كما يصنع الحَاثُكَ / اللسان " جوك - حيك " : ١ / ٤١٨ ، ونذكر

محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى المخطوطات " خَائِطُ " بدل

حَاثِكَ وهو تحريف .

(٥) لم أجِدَ البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه : ١٤٦ .

البيان والتبيين : ٣ / ٢٦٢ ، اللسان " صنع " : ٨ / ٢١٠ .

(٦) سبقت ترجمته : ٢٦٨ .

(٧) شمعو : مزحوا ولعبوا / اللسان " شمع " : ٨ / ١٨٦ .

استشهد به الشيخ للتنظير، فحسان قد استعمل لفظ " صنع " وجعله
للسان .

الشاهد الواحد والستون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

ولأبي تمام :

إِلَيْكَ أَرْحَنًا عَازِبٌ الشَّعْرِ بَعْدَمَا (١) (٢) . تَهَلَّ فِي رَوْضِ الْمَعَارِينِ الْعَجَائِبِ
غَرَائِبٌ لَاقَتْ فِي فِتَائِكَ أَنْسَهَا . مِنْ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ
وَلَوْ كَانَ يَفْنِي الشَّعْرُ أَفْنَاءَ مَا قَسَرْتُ (٣) . حَيَاؤُكَ مِنْهُ فِي السَّنِينِ الذَّوَاهِبِ (٤)
وَلَكِنَّهُ صَوَّبَ الْعُقُولَ إِذَا أَنْجَلَتْ (٥) . سَحَائِبُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَائِبِ (٦)
والأبيات من قصيدة له يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (٧) ومطلعها :
عَلَى مِطْلَحِهَا مِنْ أَرْحَبِ وَمَلَا عَسْبِ . أُنْذِلْتُ مَصَوْنَاتِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاکر : ٥١٦ .

(١) أرحنا : أراح الإبل إذا ردها إلى مراحيها الذي تبنت فيه بعسد

غروب الشمس . / اللسان " روح " : ٢ / ٤٦٤ .

(٢) عازب : العازب من الإبل التي خرج بها صاحبها للرعي بعيداً عن ديار

الحي / اللسان " عوب " : ١ / ٥٩٧ .

(٣) قرت : جمعت / اللسان " قرا " : ١٥ / ١٧٨ .

(٤) رواية الديوان والإبانة عن سرقات المتنبي : " في العصور الذواهب "

(٥) الصوب : المطر ، ورواية الإبانة : " فيض العقول " .

(٦) لم أجده فيها اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه دار صعب : ٤٣ ،

الموازنة : ٩٢ ، البيت الرابع فقط .

الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٦٧-٢٦٨ البيت الثالث والرابع .

(٧) سبقت ترجمته : ١٠٠٩

وقبل الشاهد :

فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرُ حَاضِرٍ . . . بِذِكْرِ وَعْنِهِ غَائِبٌ غَيْرُ غَائِبٍ (١)

وبعد الشاهد :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هُوَ الْقَائِمُ الَّذِي . . . بِمَوْشَرَحِ الْجُودِ التَّيَّاسِ الْمَدَاهِبِ
وَلِئَلِّي لَا رَجُوَ عَاجِلًا أَنْ تَرَدَّ يَسِي . . . مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِي
إن صورة الراعي الذي يعوم ليلاً بإبله ، وقد تغذت من طيب المراعي صورة
مألوفة متداولة إلا أن أبا تام أخذها ، وصاغها صياغة تدل على خصب خياله حيث
أضاف لفظ " عازب " إلى " الشعر " وهذه الإضافة أكسبت الصورة جدة وطرافة ،
وصورت عناية أبي تام بانتقاء تراكيبه ، وغرامه باختيار صوره ، فهو لا يصدر الشعر
إلا بعد أن يعزب به بعيداً في مراعي خياله وروض معانيه ، ثم يعوم به إلى السبي
المدوح وقد تغذى بروائع المعاني والصور .

ومن جيد المديح أنه قصر هذه المعاني التي أمرعت على المدوح وحسده
دون غيره وأنه هو الحقيق بها مبالغة وادعاء ، فقدّم الجار والمجرور " إليـك " على
متعلقه " أرحنا " وتقدير الجار والمجرور هذا قد ربط كل حلقات المعاني التي
زخرت بها صور أبي تام .

ويزداد أبو تام احتفالاً بصورته ، فجعل المعاني تائهة غريبة في نفسه
حتى تلاقى مع معنى المجد في رحاب صفات المدوح ، فكان الأُنس وكان التراحم .
وما زال أبو تام يترقى بالمعنى ويسمو به ، ويزيد في تأصيله ويفتن في الإبانة
عنه حيث أوضح لنا أن تلك القصائد لا ينضب معينها ، لأنها تروى من عقول تغيض
بالمعاني .

وانظر إليه كيف صور تدفق تلك المعاني في مخيلته بالسحاب المثقلة بالأمطار ،
وجعل هذه السحاب متتابعة لا ينقطع ماؤها ، وما أبرعه حين بنى صورته على الشرط
" بإذا " ليدل على تتابع تلك السحاب وتعاقبها ، ويجزم بعدم انقطاعها .

الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

البحري :

أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ . . هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا
ثَنَاءً كَانَ الرُّوضُ مِنْهُ مَنْشُورًا . . صَحَى وَكَانَ الْوَشْيُ مِنْهُ مَنُتَمًا ^(٦) ^(٥) ^(٤) ^(٣) ^(٢) ^(١)

وهو من قصيدة له يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها :

يَهْوَنَ عَلَيْهَا أَنْ أَبَيْتَ مَتَبَّيَا . . أَعَالَجَ شَوْقًا رَفِي الضَّيِيرِ مَكْتَبَا ^(٨)

وقبل الشاهد :

أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَارِثٍ . . تَبَيَّنَ أَوْ جَرِمَ إِلَيْكَ تَقَدَّيَا

وبعد الشاهد :

وَلَوْ أَنِّي وَقَرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ . . وَأَجَلَّتْ مَدْرَحِي فِيكَ أَنْ يُتَهَضَّيَا ^(٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) رواية الديوان ، ورواية العمدة : * أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدٍ * .

(٢) اقتادات : ثلاث / اللسان * وقد * : ٣ / ٤٦٦ .

(٣) رواية زهر الآداب : * ثَنَاءً تَخَالُ * .

(٤) رواية زهر الآداب : * وَتَخَالُ الْوَشْيَ * .

(٥) رواية زهر الآداب والعمدة والتشبيهات : * فيه * .

(٦) رواية الديوان والتشبيهات : * مَسَبَّهَا * ومعناه : المخطط بخطوط كالسهم /

معجم مقاييس اللغة * سهم * : ٣ / ١١١ .

(٧) انظر البيتين في :

ديوانه - بيروت - : ١٠٩ / ١ - ١١٠ ، ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٩٨٤ ، التشبيهات :

٢٢٧ ، ديوان المعاني : ٢٢٠ ، البيت الأول فقط .

زهر الآداب : ٣ / ٦٥٦ .

العمدة : ٢ / ١٦١ .

(٨) رواية الديوان - صيرفي - : * وَجَدَا * .

(٩) رواية الديوان - صيرفي - : * فلو * .

لَا كَبَّرْتَ أَنْ أُوْبِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ . تَضَرَّعَ أَوْ أُنْزِي لِمَعْذِرَةٍ فَسَا
 ذكر ابن رشيق القيرواني أن بيتي البحتري من أحسن أبيات العتّاب
 وأجودها قال :

* العتّاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفا - فإنه باب من أبواب الخديعة
 يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا قل كان
 داعية الألفة ، وقيد الصحة وإذا كثر خشن جانبه ومثقل صاحبه ، وأحسن
 الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبيدة
 البحتري الذي يقول . . . الأبيات * (١)

وذكر القيرواني في زهر الآداب خبراً عن الحاتمي يتضمن موازنة بين أبي تمام
 والبحتري ، حيث فضل أحدهم بيتي البحتري ورآها من حسن الانتهاء الذي ليس
 لأبي تمام مظهرها ، أما الحاتمي فرأى أن بيتي البحتري مأخوذان من أبي تمام فقلبه :

* وتخال الوشي فيه منمنما * مأخوذ من قول أبي تمام :
 حَلَّوْا بِهَا عَقْدَ السَّيْبِ وَتَمَنَّمُوا . . مِنْ وَشِيِّهَا نَثْرًا لَهَا وَقَصِيدًا^(٢)
 وقول البحتري : * هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَنَاتَ تَمَعُ اللَّيْلِ أَنْجُمًا *

مأخوذ من قول أبي تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :
 أَصْبَحَ تَسْتَمِعُ حَرَ الْقَوَافِي فَإِنَّهَا . . كَوَاكِبٌ إِلَّا أَنْهَنَ سُمُودُ^(٣)
 وَلَا تَتَكِنُ الْأَخْلَاقُ مِنْهَا فَإِنَّهَا . . يَلْدُ لِبَاسُ الْبَرْدِ وَهُوَ جَدِيدٌ^(٤)

(١) المصدا : ٢ / ١٦٠ .

(٢) رواية الديوان - دار صعب - : * رَجَزًا بِهَا * .

وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني .

(٣) لم ألق عليه في ديوانه - دار صعب - ، وديوانه بشرح التبريزي .

(٤) انظر الخبر مفصلاً في :

زهر الآداب : ٣ / ٦٥٥ - ٦٥٨ .

في هذين البيتين تظهر قدرة البحري على استشار الأحوال اللغوية ، استثماراً يجعلها حافلة غنية بالمعاني الياضعة ، فهزة الاستفهام التي افتتح بها معناها حملت كل معاني العتاب والاستمطاف .

وقوله " قصائد " بالجمع والتكثير دلّ على عظم تلك القصائد وكثرتها وندرتها ، ثم أخذ الشاعر ينطلق مع إحساسه وشعوره بروعة معانيه ، فأكد للخيال بأنها لجمالها ووضوحها وإثارتها جوانح النفوس بمعانيها الثرة هي الأنجم المُنعمت بها . فآل الجنسية في قوله " الأنجم " قصرت جنس النجوم عليها وحدها ، ولم يعتد بنجوم الليل الحقيقية بمبالغة وإدعاء .

ويأبى خيال البحري إلا أن يزيد النفس طرباً ، نجاء بقوله : " اقتادات مع الليل أنجما " وهو تصوير خيالي بارع لامتلاك النفس حياله إلا أن تقف مسحورة بتسلك القصائد التي تلالأت معانيها ووضحت صورها كما تتلألأ نجوم الليل .

وهنا أحس البحري أن المعنى قد بلغ مداه وتمكن في النفس ، فقطع واستأنف معنى جديداً هو معقد كلام الشاعر ، فما المبالغة في وصف قصائد ، إلا خدمة لهذا المعنى الذي تعمر به نفسه ، فحذف المسند إليه ، وجاء بالمسند " ثناء " ولم يقل " هي ثناء " ؛ لأن المقام مقام مدح وإطراء ، والشاعر تعج نفسه بالولاء لذلك المدوح ، فأراد أن يسرع بتقديم قرابين الوفاء . فكان الحذف ، وكان الكشف عن صورة ذلك الولاء النفسي .

ويجول بنا خيال الشاعر في أعماق ذلك الولاء ، فيمدنا بصورتين تبرز عظيم الثناء . وتعتمد أن يبينها على التشبيه المقلوب بمبالغة في المدح .

فاستعن بخيالك وتأمل قوله " ثناء كأن الروض منه منوراً ضحى " فما تحلله قصائد من عظيم الثناء ، وبالعالم المدح ، وكرم الصفات بعث روح الاطمئنان والسرور في الكائنات ، فأيقنت أنه سيعمها فضل ذلك المدوح ، فانتعشت وديت فيها الحياة ، فها هو ذا الروض قد استمد نور الوجود من ذلك الثناء ، فاخضر وأينع سروراً وطرباً وما أبرع ذلك الخيال حين قيد صورة الروض بوقت الضحى بمبالغة

في بيان ذلك التأشير ، فهو خيال ذكي أدرك حقائق العلاقات الطبيعية ، فالضحى أشد الأوقات إنارة ، وهذه الإنارة أشد تأثيراً في إحياء الروض .

ثم جاء بصورة الوشي المنمنم ، وجعل صانع الوشي يقف مفتتاً متأملاً دقة قصائده ، مبهوراً بحسن تصويرها ودقة تراكيبها ، فاستقى منها خياله ما استقى فكأن الوشي المنمنم إنشأ هو من وحي قصائده .

وهذا التشبيه المقلوب خرج البحتري عن عادة الشعراء في تشبيه الشعر بالروض وتشبيه دقته وحسنه بالوשי المنمنم ، فاكتست صورته شيئاً أجد .

الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

قال البحتري :

أَحْسِنَ أَبَا حَسَنِ بِالشَّعْرِ إِنْ جَعَلْتَ . . . عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِالْمَدْحِ تَنْتَشِرُ
فَقَدْ أَتَيْتَ الْقَوْلَ فِي غَيْبٍ قَائِدَةٍ . . . كَمَا تَفْتَحُ غَيْبَ الْوَابِلِ الزَّهَرُ (١)
والشاهد من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأسنثي ، ومطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجَرُ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ . . . وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

وقبل الشاهد :

رَأَيْتُ جَدًّا عِمَانًا فِي بَنِي أَدَدٍ . . . إِنْ مَجَّدَ كُلَّ قَيْمِلٍ نُونَهُمْ خَسِرُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) غَيْبُ الْأَمْرِ وَمَغِيبَةُ عَاقِبَتِهِ وَأَخْضَرُو ، وَغَيْبٌ كُلُّ شَيْءٍ عَاقِبَتُهُ وَجِئَتْهُ غَيْبُ الْأَمْرِ

أَيُّ بَعْدِهِ ، وَالْغَيْبُ وَرَدُّ يَوْمٍ وَظَمٌ آخِرُ / اللسان " غب " : ١ / ٦٣٤ - ٦٣٥ .

(٢) ديوان البحتري : - بيروت - : ٢ / ٣١٠ .

ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٩٥٨ .

(٣) سبق تَرْجُمَتُهُ : \ . . .

وبعد الشاهد :

فِيهَا الْعَقَائِقُ وَالْعَيَّانُ إِن لِّسَتْ . . يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الْوَشْيُ وَالْجَبَرُ
وَمَنْ يَكُنْ قَاخِرًا بِالشَّعْرِ يَمْدَحُ نَفْسِي . . أَضْعَافُ قَيْدِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

في هذين البيتين يصف الشاعر قدرته الشعرية ، وأن المعاني والصور تستنال عليه انشياً إذا ما أراد مدح هذا المدوح الكريم " أبا حسن " ، فابتدأ البيت بخاطبته وأمره أيأمر رجاء أن يحسن بالشعر ويقدره ، فأحسانه هذا هو السبب في إيقاظ إحساسه الشعري .

وتأمل حذف أداة النداء في قوله " أبا حسن " وذلك ليحثه على تقدير الشعر والإحسان إليه .

ثم انظر إلى مجيء أداة التوكيد " قد " واقترانها بـ " الفاء " في البيت الثاني ، وكيف ربطت " الفاء " معنى البيت الأول بالثاني كل ذلك ليبرز أهمية إحسان المدوح بالشعر وأثره في سرعة توارد المعاني الشعرية عليه .

ولقد لجأ الشاعر إلى المجاز المرسل ، فجاء بلفظ " القافية " وهو يريد الشعر كله - أي ذكر الجزء وأزاد الكل - فتوارد القوافي المناسبة لمعاني الشعر أصعب عمل يرميه الشاعر أما هو فتأتيه القوافي طائعة مختارة بأتم فائدة وأحسنها ، وزيادة في الإثبات لجأ إلى التشبيه وعرض أمام الذهن صورة تفتح أمام الزهر بآخر المطر وشبهه بها قوافيه التي تعرض وتتفتح أمامه عن آخرها .

الشاهد الرابع والستون . بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

وقال البحرني :

(١)
إِلَيْكَ الْقَوَافِي نَازِعَاتٌ قَوَاصِدَا . . يَسِيرُ ضَاحِي وَشَيْهَا وَيَنْتَمِرُ (٢)

(*) الدلائل ، رضا ، ٣٩٦ ، خالجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) رواية زهر الآداب : " شواردا " .

(٢) رواية الديوان : " وَيَنْتَمِرُ " .

وَمَشْرِقَةٍ فِي النَّظْمِ غَرٌّ يَزِينُهَا . . . بِهَاءٍ وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ (١)

وهو من قصيدته التي يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلوعها :

خَيَالٌ لَمْ يَلْمِ أَوْ حَيِّبٌ مَسَلَّمَ . . . وَتَقَى تَجَلَّى أَوْ حَرِيْقٌ مَضْمَرٌ

وقبل الشاهد :

وَمَا الْبَذَلُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ . . . مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْأَرْوَاحُ الْمُتَهَجَّمُ

وَيَحْجِمُ أَحْيَانًا عَنِ الْجَوْدِ بَعْضُ مَنْ . . . تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهَةِ السَّيْفِ يُقْدِرُ

وبعد الشاهد :

صَوَامِنُ لِلْحَاجَاتِ إِمَّا شَوَافِعًا . . . مُشْفَعَةً أَوْ حَاكِمَاتٍ تَحْكُمُ

وَكَايِنُ غَدَتْ لِي وَهِيَ شِعْرٌ مَسَيَّرٌ . . . وَرَاحَتْ عَلَيَّ وَهِيَ مَالٌ مُقْسَمٌ

إن للبحرني نفساً شاعرة كشفت نقابها اللغة الموحية ، والتصوير الحي ، انظر إلى قوافيه نازعات قواصد ، وتأمل مافي هذا التركيب من إحياءات الشوق والحنين ، ولهفة اللقاء ، فهي وقت صياغتها تتدافع إلى الخيال تسبقها الرغبة في اللقاء ، وكأنني بترك القوافي عاشقة تزيت بكامل حليها ، وقشيب ثيابها ، أخذت تتززع في السير لهفة وشوقاً للقاء ذلك الحبيب .

وزاد من صورة الشوق هذه تقديم المسند - الجار والمجرور - "إليك " على المسند إليه " القوافي نازعات " ، حيث قصر القوافي النزوع على المدح دون غيره مبالغة وادعاء ، فهي لا تشتاق ، ولا تنزع إلا إليه .

وقوله : " قواصد " على وزن " فواعل " واستعمال جمع الكثرة بدلا من قاصدات (وهو جمع مؤنث يدل على القلة) يظهر كثرة قاصديه .

(١) رواية الديوان ودلائل الإعجاز ، تحقيق شاكر . " أنها فيك " .

(٢) لم أجد هـا إلا في :

ديوانه : ١ / ١١٣ .

زهر الآداب : ٣ / ٦٥٦ .

بناء الفعل * يَسِير * للمجهول صور ضاحي معانيها بعد أن اكتست وشيها المنمنم ، وهي تسير من تلقاء نفسها كأنَّ هناك قوة خفية تحشها على السير .
ويستأمن إحساس الشاعر بمعظمة هذه القصائد ، فيشرع في إبراز حسناتها ، فهي مشرقة ، والإشراق في النظم يعني الوضوح الذي يتولد من تراحم الكلمات ، وتماثل الدلالات . ومزج ذلك كله بخيال الشاعر الذي سقى من روحه وعاطفته .
وهي غرّ ناصعة الصفاء كاملة النقاء .

ودعك من هذا كله ، وأنظر إلى دُرِّ المدح ، وكيف استطاعت عبقرية الشاعر أن تزيد المدح رفعة وإكباراً ، فما ذاك الحسن ، وما ذاك البهاء إلا لأنها تنظّم في ذلك المدح .

الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

قال البحرى :

يَسْتَقْوِسُ نَقْشَ الدَّانِيَةِ يَنْتَقَى . . لَهَا اللَّفْظُ سَخَرًا كَمَا يَنْتَقَى الدَّبَرُ (١)
وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد (٢) ومطلع القصيدة :

لِمَا وَصَلْتَ أَسْمَاءَ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ . . وَلِنْ حَمِّ يَابِتَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَسْدُ

وقيل الشاهد :

أَبَا عَامِرٍ إِنَّ الْمَعَالِي وَأَهْلَهَا . . يَوْدُونَ وَدَا أَنْ يَطُولَ بِكَ الْعَمَرُ
إِذَا جِئْتُمْ وَأَكْرَمَةٌ تَبْهَرُ السُّورَى . . فَمَا هِيَ يَدْعُ مِنْ عَلَاكُمْ وَلَا يَكْرُ
إِذَا نَحْنُ كَأَفَانَاكُمْ عَنْ صَنِيعَةٍ . . أَيْنَمَا فَلَا التَّقْصِيرُ مِنَّا وَلَا الْكُفْرُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خداجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٧ .

(١) لم أجده إلا في :

ديوانه : ١ / ٢٢٢ .

(٢) سبقته الترجمة له : ١٠٣٠ .

وبعد ها الشاهد وبعده :

تَبَيَّنَتْ أَمَامَ الرِّيحِ مِنْهَا طَلِيعَةٌ . . وَغَدَوْتُهَا شَهْرٌ وَرَوَحَتْهَا شَهْرٌ
تَقْضَى دُونَ الْمُنْعِمِينَ وَيَقْتَنَسِي . . لَهُمْ مِنْ بَوَاقِي مَا عَاضَتْهُمْ فَخْرُ

وهذا شاهد آخر يبرز لنا طريقة البحترى في عمل الشعر، فهو حريص كل الحرص على صقل معدن الألفاظ، وهو يعنى أشد العناية باختيار ألفاظه . فالنقش على الدنانير، وانتقاء التبر لها، وتخليصه من الشوائب، من أشد الصناعات صعبة، فهي تحتاج إلى حذق وسهارة وصبر وجهد من نوع خاص، فكيف إذا كان هذا النقش، وهذا الانتقاء عللاً نهياً نفسياً ؟ !
وانظر إلى تقديم الجار والمجرور في قوله " يُنْتَقَى لَهَا اللَّفْظُ " وكيف دل على بالسبغ عنايته بقصائده .

الشاهد السادس والستون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

قال البحترى :

أَيْذَ هَبْ هَذَا الدَّهْرَ لَمْ يَرْ مَوْضِعِي . . وَلَمْ يَذَرِ مَا يَقْدَرُ حَلِي وَلَا عَقْدِي
وَيَكْسُدُ مِثْلِي ، وَهُوَ تَاجِرٌ سَوْدَنِي . . يَبِيعُ نَمِينَاتِ الْكَأَمِ وَالْمَجْدِ (٢) (٣)
سَوَائِرِ شِعْرِ جَامِعِ يَذَرُ الْعَمَلَا . . تَعْلَقْنَ مِنْ قَبْلِي وَأَتَقِنَنَّ مِنْ بَعْدِي (٥)

(*) الدلائل، رضا : ٣٩٦، خفاجي : ٤٧٠، شاكر : ٥١٧ .

(١) رواية الديوان - تحقيق الصيرفي -، والموازنة، والطرائف الأدبية : " الحمد " .

(٢) ضبط منحق الموازنة : " سوائر " .

(٣) ضبط منحق الموازنة : " شعر " . ويبدو أن هذا خطأ من الطابع .

(٤) البدل : التبديد التفرق، يقال : شَمَلٌ مَبْدَدٌ، وَتَبَدَّدَ الشَّيْءُ فَتَبَدَّدَ : فَرَّقَهُ

فَتَفَرَّقَ، وَتَبَدَّدَ الْقَوْمُ إِذَا تَفَرَّقُوا، وَتَبَدَّدَ الشَّيْءُ : تَفَرَّقَ/اللسان " بدد " :

٧٨/٣، القاموس المحيط : " بدد " : ٢٨٥/١ .

(٥) لم أجد الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - تحقيق الصيرفي - : ٧٤٧/٢، ديوانه - طبعة بيروت - : ٢٠٨/١ ،

الموازنة - تحقيق سيد صقر - : ٢٦١، الطرائف الأدبية : ٢٣٧ - البيت

الأول والثاني فقط . -

يَقْدَرُ فِيهَا صَانِعٌ مَجْلَلٌ . : لِأَحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرَرِ (٢)
والأبيات من قصيدة يمدح بها ابن ثوابه (٤) ومطلعها :
ضَلَالٌ لَهَا مَاذَا أَرَادَتْ إِلَى الصَّدِّ . : وَنَحْنُ وَقُوفٌ مِنْ فِرَاقٍ عَلَى حَسَدٍ (٥)
وقبل الشاهد :

أَحْسَنَ أَخْلَاءَ وَصَنَ أَحَبَّةً . : فَلَا خِلَّةَ تُصْفِي وَلَا خِلَّةَ تَجَسَّدِي
وبعد الشاهد :

خَلِيلِي لَوْ فِي الْمَرْخِ أَقْدَحَ إِنَّ أَبِي . : رِجَالٌ مَوَاتِيئِي إِذَا لَخَبَا زَنْدِي (٦)

- (١) رواية الموازنة : " لأَحْكَامِهَا " .
- (٢) السرد : حلق الدرع / أساس البلاغة " سرد " : ٢٠٨ .
- (٣) لم يرد هذا البيت في ديوانه - طبعة بيروت - .
- (٤) هو أحمد بن محمد بن ثوابه بن يونس ، أبو العباس الكاتب أصلهم نصاري ، وقيل إنَّ يونس يعرف بلبابة ، وكان حجاجاً ، وقيل أنَّهم لبابة ، وكان أبوه كاتباً لبنا كبة التركي في عهد المهدي ، تولى أخوه جعفر بن محمد ابن ثوابه ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، وله ابن اسمه محمد بن أحمد كان أيضاً مترسلاً بليفاً .
- وكان أبو العباس من الثغلاء البغضاء ، وله كلام مدون مستهجن مستنقل ، كان بين أبي العباس وبين الوزير أبي الصقر وحشة لمهاترة وقعت بينهما ثم اعتذر عنها ابن ثوابه ، فوله أبو الصقر طساسيج بابل وغيرها ، وظل والياً إلى أن توفي سنة ٢٧٧ هـ ، وقال الصولي سنة ٢٧٣ هـ / انظر ترجمته : طبقات ابن المعتز : ٤٠٩ ، أخبار أبي تمام : ١٥ - ١٦ ، الفهرست : ١٨٧ - ١٨٨ ، معجم الأدباء : ١٤٤ / ٤ - ١٧٤ .
- (٥) رواية الديوان - صيرفي - : ضلالاً .
- (٦) المرخ : شجر يستقح به ، كثير الوري سريعه / اللسان " مرخ " :
- ٣ / ٥٣ .
- (٧) خبا : لم يقدح ، خبت النار والحرب ، والحيدة تخبو خبواً وَحَبَّوْا : سكنت وطفئت وَخَمَدَ لَهَبُهَا / اللسان " خبا " : ١٤ / ٢٢٣ ، ورواية الديوان - صيرفي - : " لَكَبَا " .

إن المتأمل في هذه الأبيات يلح فيها تلك النفس المستطمة فخرًا واعتزازاً بقدرتها الشعرية ، فهزلة الاستفهام المغيدة للتعجب والإنكار والتي قد بدأ بها أبياتـه كشفت ذلك الاستلاء النفسي ، فإحساسه بعظمته ومقدرته أملئ عليه أن ينكر ن هـ اب الدهر وفناءه من غير أن يرى موضعه ومكانته .

واستمع إلى رنات التحقير تتبع من اسم الإشارة " هذا الدهر " نالدهر إن لم يحظ برؤية موضعه ومكانته فهو دهر وضع الشأن ، وكأنه يريد أن يثبت أنه لارفعة له إلا في رؤية تلك القصائد ، ويبدو أن البحري وجد مراح نفسه في هذا الاستفهام ، فكرره في معنى البيت الثاني ، فهو ينكر ويتعجب من أن يكسد تاجر بضاعته السوداء والمجد والكمال .

وهنا أحس الشاعر أنه استطاع أن يفرغ في النفوس إحساسه بعظمته الشعرية . فإن جزءاً هاماً من المعنى أخذ يلح عليه راغباً في الظهور ، فقطع البحري الكلام ، واستأنف ، فحذف المسند إليه ، وبدأ بالمسند " سوائر " فرغبته في التفني بجسمال أشعاره تطلبت منه هذا الحذف ، وفي بناء المسند " سوائر " على وزن " فواعل " - وهو صيغة منتهى الجموع - مبالغة في وصف قصائده بكثرة الانتشار والذيع .

وانظر إلى قوله : " جاسع " وكيف أتى به على وزن " فاعل " فدل على أن أشعاره تحمل كل معاني الملا على النبات .

وكذلك تأمل قوله " صانع - متعمل " وكيف جاء به - أيضاً - على صيغة اسم الفاعل وماذا إلا ليصور صبره ودأبه وثباته على صناعة الشعر من غير أن يتسرب لملكته الملل أو الكلل . وهذا الثبات يكشف عن روح مشغفة محبة لصناعتها ، وكذلك الفعل " تعمل " يدل على الرغبة والقصد والجهد في عملية الإحكام والبناء .

وسأبرع البحري حين أكد معنى الإحكام بصورة تقدير داود في السرد ، وهي صورة محكمة متقنة مقبسة من قوله تعالى :

* أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ * (١)

وهذه الصورة نجحت في إقناع النفوس بإحكام نسج أبياته وتداخل حلقات صورها ومعانيها .

. ولقد أعجب الآمدي بهذه الأبيات ، وعلق عليها بقوله : * وهذا صدق أبي عباد عن نفسه ، وما كان له بد من أن ينثث ، وما قال قولاً هو أصدق من هذا * (١)

الشاهد السابع والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

قال البحرى :

(٢)
لِلَّهِ يَسْهَرُ نَفْسِي مَدِيحَكَ لَيْلَهُ . . . مُتَمَلِّلاً وَتَتَمَلَّامُ دُونَ نَوَابِيهِ
(٣)
يَقْضَانِ يَنْتَحِلُ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ . . . جَيْشٌ لَدَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِهِ
(٤)
فَأَتَى بِهِ كَالسَّيْفِ رَقِيقَ صَيْقَلٍ . . . مَا بَيْنَ قَائِمِ سِنْخِهِ وَدَبَابِهِ (٥)
(٦)

- (١) الموازنة - تحقيق السيد صقر - : ٢ / ٢٦١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٧ .
(٢) رواية الديوان (بيروت) " الله " ، ورواية الديوان - صبرني - ، والدلائل تحقيق شاكر : " نالله " .
(٣) رواية الديوان والمثل السائر " ينتخب " ، ورواية الدلائل تحقيق شاكر : " ينتخل " ، ورأى الأستاذ شاكر أن رواية (ينتحل) تصحيف وفساد ، ونخل الشيء ، وتنظفه وانتخله " صفاه واختاره وعزل عنه ما يكرهه أو يفسده ، وما ذهب إليه الأستاذ شاكر صحيح ، لأنه لا معنى للانتحال في هذا السياق .

- (٤) السنخ : الأصل ، وسنخ النصل : الحديدة التي تدخل في طرف السهم . / السنخ ذبابه : ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به . / اللسان « ذئب » : ٢٨٣ / ١ .
(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوانه - بيروت - : ٢ / ١٦٣ ، ديوانه : ١ / ٨٨ .
المثل السائر : ١ / ١٦٨ البيت الثاني فقط .

والأبيات من قصيدة قالها في عتاب اسماعيل بن شهاب^(١)، ومطلعها :
 هَلْ لِلنَّدَى عَدْلٌ فَيَقْدُ وَنُصِيفًا . . مِنْ فَعْلٍ إِسْمَاعِيلِيهِ بْنِ شَيْهَابِيهِ^(٢)
 وقبل الأبيات :

إِسْتَعِ لِفَضْبَانٍ تَثَبَّتْ سَاعَةً . . فَبَدَاكَ قَبْلَ هِجَاؤِهِ بِعَتَابِهِ
 وبعد الشاهد :

وَحَبَّتْهُ حَتَّى تَوَهَّسَ أَنْكُهُ . . هَاجَ أَتَاكَ يَشْتَرِيهِ وَسِجَابِيهِ
 ابتداء البحتري أبياته بالقسم " تالله " مؤكداً ومقرراً في النفوس ما يشعر به من
 حقيقة المعاناة الحادة حين يبيت ناظماً قصائده ، فهو يقظان سهران في نخل
 الكلام وانتقائِهِ ، فمعانيه لكثرتها وعظمتها ، وحبها في أن تصف هذا المدوح تتزاحم
 في مخيلته كالجيش المتحفز المحب للقاء العدو ، فبذل في تنظيفها وصلتها من
 الجهد ما بذل حتى خرجت كالسيف المصقول في قوتها وتلاكؤها .
 ويدولي أن وصف نفسه " بالتلعلل " - وهو عدم الاستقرار من التوجع - حيسن
 صوغ قصيدته قدح في المدوح لادح ، فكان عليه أن يصف نفسه بالفرح ، والغبطة
 والطرب ، لأنه يبيت ليله مع وصف المدوح .

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن شهاب ، من صفار الكتاب ، كان كاتباً للقاضي أحمد
 ابن أبي دوانه ، قاضي القضاة في عهد المعتصم والواثق والمتوكل ، ويبدو
 أن اتصال البحتري بإسماعيل بن شهاب كان خلال سنة (٢٣٢ هـ) أي في
 خلافة الواثق على الأئمة حيث كان للقاضي نفوذ كبير في هذا العهد ،
 ويظهر أن إسماعيل لم يكن يقدوره مجازاة جشع البحتري ، فيبدو أنه
 كان يأمر بحجبه وردء عن بابه ، ولما وجد البحتري من ابن شهاب أدناً
 صماً وسكوتاً مطبقاً ، أخذ يهجو هجاء ينحو في بعضه منحى الفحش
 والبذاء . / انظر :

البحتري في سامراء حتى عصر المتوكل : ٢٠ ، ٢١ ، ٢١ - ٢٤ .

(٢) رواية الديوان - صبرني - : (إسماعيل بن شهاب) .

و" التلمل " أيضا دليل عجز الشاعر ، فكان عليه أن يصف نفسه بالاقتدار على
الأنفاظ من غير توجع .

وأبيات البحترى هذه تحوي لطائف ودقائق عدة . انظر إلى طرافة الوصل بين
جملة " يسهر في مديحك " وجملة " تنام دون ثوابه " حيث جعلهما كالجملة
الواحدة ، وجَمَعَ التضاد " السهر - النوم " في صورة واحدة أقوى وأبلغ في عتاب
المدح ولومه .

ثم انظر إلى تلك الأفعال المضارعة التي وضعتها اللغة للدلالة على الأحوال
المشاهدة " يسهر - تنام - يقظان - ينتخل - يريد " وكيف استطاعت أن تجعل
النفس تستشعر ذلك الموقف وتبصره وكأن مشهد معاناته شاخص أمامها .

وفي انتقال الكلام من المضارع إلى الماضي " أتى " تأكيد لوقوع الحدث ، وقوى هذا
التأكيد جيء " الباء " الجارة الدالة على الإلصاق ، فدل ذلك على تكن الشاعر
وقدرته على صقل الكلام .

الشاهد الثامن والسورن بعد الثلاثاء : (×) (الخفيف)

(١)

ومن ناد روصفه للبلاغة :

- ١- في نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَاشَكَ (م) . . . أَتَزَا أَنَّهُ نِظَامٌ قَرِيبٌ
- ٢- وَتَدِيرُ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّأ . . . حِكْ فِي رَوْقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
- ٣- مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّنْعِ مَا يَخ . . . لَمَحَ عَوْدُهُ عَلَى السُّسْتَعِيدِ
- ٤- حُجَّجٌ تُخْرِسُ الْأَكْسَدَ بِالْفَنَاءِ . . . طُفُّ فَرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُونِ (٣)

(×) الدلائل ، رضا ، ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠-٤٧١ ، شاكر : ٥١٢-٥١٨ .

(١) أي البحترى .
(٢) رواية الديوان - صيرفي - " مُشْرِقٌ " .

(٣) ذكر في الديوان قبل هذا البيت :

مَا لَعِبَرْتِ مِنْهُ بَطُونُ الْقَرَاطِيدِ . . . مِنْ وَتَا حَمَلَتْ ظُهُورَ الْبَرِيدِ
مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطَّرُوبَ الْمُعْنَى . . . عَنْ أَغَانِي مَخَارِقٍ وَعَقِيمِ

=====

- ٥- وَمَنْ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي ^(١) . هَجَنْتَ شِعْرَ جَرْتُولٍ وَلَيْسَ
٦- حُزْنٌ مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ آخْتِيَاراً ^(٢) . وَتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

== رواية الديوان - صبرفي - للشطر الثاني من البيت الثاني :

" عَنْ أَغَانِي زَنْدَرٍ وَعَقِيدٍ "

(١) رواية المعدة ، وتاريخ بغداد : " فَفَصَّلَتْهَا " .

(٢) حُزْنٌ : جمع ، فالحوز الجمع ، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مسال

أو غير ذلك ، فقد حازَه حوزاً وحيازة وحازَه إليه واحتازَه إليه / اللسان :

" حوز " : ٥ / ٣٤١ .

ورواية الدلائل - تحقيق شاكر : ٥١٨ - : " جُزْنَ " بالجيم ، ورأى الأستاذ

شاكر أن روايتها " بالحاء " تصحيف وفساد للشعر . قال :

" وفي الديوان والمطبوعة قوله : " حُزْنٌ مستعمل الكلام " بالحاء المهملة ،

وهكذا يجري في الكتب ، وهو عندي خطأ لا شك فيه ، وتصحيف مفسد

للكلام والشعر معاً ، وإنما هو " جُزْنَ " بالجيم المعجمة من " جاز المكان "

إنما تعداه ، وتركه خلفه يقول : إنَّ معانيه تعدّين مبتذل اللفظ ،

والكلام وتركه ، وتجنبن ظلمة التعقيد ، وركبن اللفظ القريب " ،

وهو اللفظ المختار الجيد الذي لا ابتذال فيه ولا تعقيد ، وهو في بعض

نسخ الديوان " جزن " بالجيم ، وهو الصواب المحض ، وأما " حزن " فهو

تصحيف يتقى ، وكلام يرغَب عن مثله .

ولا أنري لما جعل الأستاذ شاكر رواية " حزن " بالحاء تصحيف يتقى ، وكلام يرغَب عنه ؟ فحزن

- بالجيم - بمعنى " تعدّين " ، وحُزْنٌ قد تأتي بمعنى " تَحَيَّنَ وَأَبْقَدَنَ " - اللسان

" حوز " : ٥ / ٣٤١ ، وهو المعنى الذي ذهب إليه الأستاذ شاكر

ولن كنت أرى أن " حُزْنَ " هنا بمعنى جمع ، وأنه أراد بمستعمل

الكلام ما ليس غريباً ولا حوشياً ، وأكد به بقوله " وركبن اللفظ القريب "

وتفسير الأستاذ شاكر " المستعمل " بالمبتذل ، والقريب بالمختار

تحكم منه ، وإنما كان يفتخر البحتري بأنه يؤثر السهل من الكلام

وبذلك كان يفضل المعجبون به .

- ٧- وَرَكِبَتِ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذَرَتْ^(١) . . . سَنَ بِمِغَايَةِ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ
٨- كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلْلِ الصَّغْرِ^(٢) . . . سِرِّ إِذَا رُحْنَ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ (٣)

والأبيات من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّغْيِيرِ . . . لَيْسَ نَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ

وقبل الشاهد :

لَتَفَنَّنَتْ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى . . . عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ

وبعد الشاهد :

قَدْ تَلَقَّيْتُ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدٍ . . . يَا أَبَا جَعْفَرٍ يَتَجَدَّدُ جَدِيدٌ

يصف البحري بلاغة قصائده بأنها كمعد اللؤلؤ في نظمها ، ونظمها في رونقه كالزهر الفاحك في أوائل الربيع وقوله * ويديع * أي رَبَّ يديع ، وحسن الحذف هنا للمبالغة في وصفها بكثرة الإبداع .

- (١) رواية الدلائل - رضا - : * القويب * ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .
(٢) رواية إعجاز القرآن : * الحلل البيض * ، يعزز هذه الرواية قصد الطباق مع السود، لكن اللون الأصفر هو المفضل .
(٣) انظر الأبيات في :
ديوانه - الصيرفي - : ١ / ٦٣٦ - ٦٣٧ .
ديوانه - طبعة بيروت - : ٢ / ٣٢٩ ، الموازنة - محمد محي الدين -
٣٨٠ - ٣٨١ - البيت الخامس والسادس والسابع -
إعجاز القرآن : ١١٥ - البيت الأول والثاني والسادس والسابع والثامن -
التمثيل والمحاضرة : ١٥٨ - البيت السابع - ، زهر الآداب :
١ / ٣٣ - الأول والسادس والسابع - ، العمدة : ١ / ٢٤٦ ،
- الخامس - والسادس والسابع - ، تاريخ بغداد : ٢ / ٣٤٢ ،
- الأول والخامس والسادس والسابع -
العكبري : ٢ / ١٦٧ - الثالث فقط - ، نهاية الأرب : ١١ / ٧ ،
- السابع فقط - .

وقصائده لبلاغتها وحسنها لا تتبلى معانيها ، ولا تتقدم على كثرة ترددها على السمع بل يزيدها هذا التردد حسناً وإشراقاً .

ثم وصفها بأنها لإحكام معانيها ودقة ألفاظها في التعبير عن هذه المعاني ، حجج قاطعة تخرس الأُذُن .

وانظر إليه وقد حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند " حجج " فأصل الجملة " هي حجج " وإنما حذفه ليباشر السمع ، وبلغت الأذهان إلى عظيم هذا الوصف ، وقوته ، فيتقرر في النفس .

ثم وصف قصائده بوفرة المعاني وأنها لفخامتها تهجن شعر جرول ولببيد . وحذف " رَبَّ " وجاء به " الواو " - " ومعاني " - ليدل على عظيم تلك المعاني ووفرته .

وتأمل " الفاء " في قوله " وركبن " . . . فأدركن " وكيف صورت سرعة تكشف المعاني البعيدة وسهولة إدراكها .

ثم انظر كيف شبه تلاحم ألفاظه ومعانيه بالعذارى وهن يلبسن أجمل ثيابهن وهي الحلل الصفرة ترهبها الخطوط السود ، وكأن اختلاط هذين اللونين كان ممن أحب الألوان عند العرب .